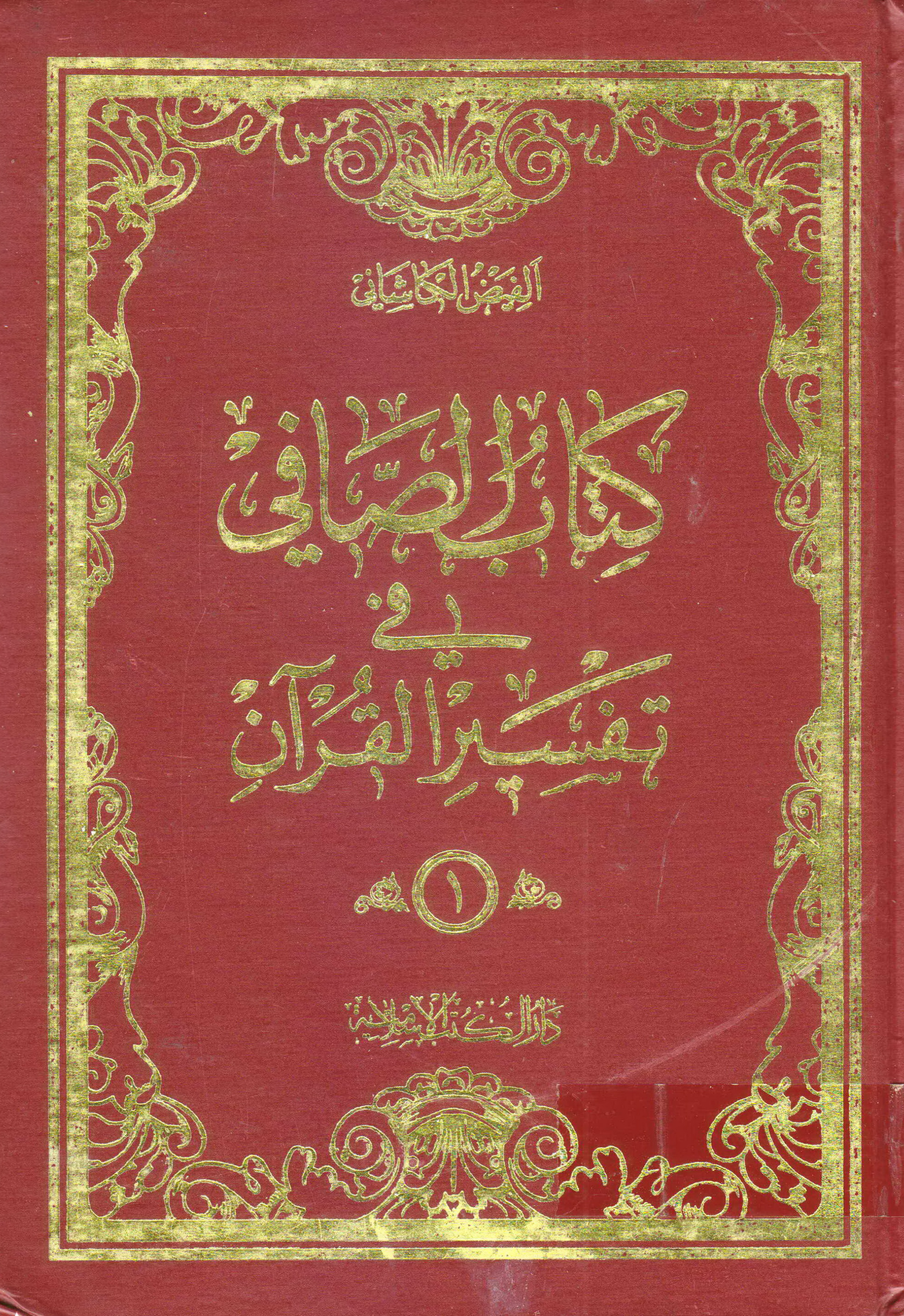
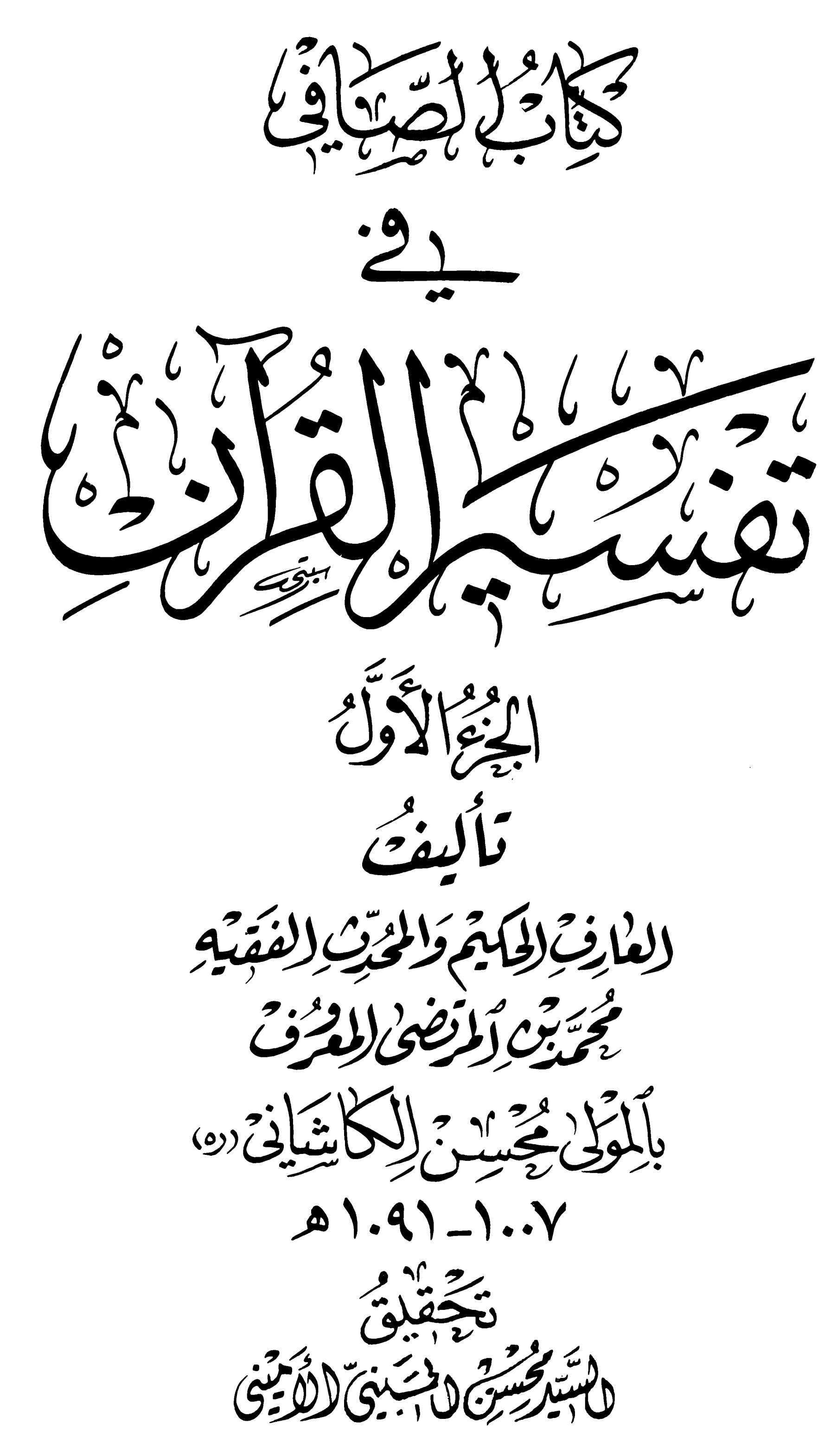


الفيض الكاشاني
كتاب الصافي
في
تفسير القرآن
١
دار الكتب الإسلامية


كتاب الصافي
في
تفسير القرآن
الجزء الأول
تأليف
العارف الحكيم والمحدث الفقيه
محمد بن المرتضى المعروف
بالمولى محسن الكاشاني (ره)
١٠٠٧-١٠٩١ هـ
تحقيق
السيد محسن الحسيني الأميني



﴿الجزء الأوّل﴾

❊ هوية الكتاب:

❊ اسم الكتاب: كتاب الصافي في تفسير القرآن.

❊ المؤلف: العارف الحكيم والمحدّث الفقيه محمد بن مرتضى المدعو بـ«المولى محسن» الملقب بالفيض الكاشاني.

❊ تحقيق: العلاّمة السيد محسن الحسيني الأميني.

❊ الطبعة الأُولى ـ ١٤١٩ هـ ـ ١٣٧٧ ش.

❊ المطبعة: المروى

❊ الكميّة: ٢٠٠٠

❊ الناشر: دارالكتب الإسلاميّة ـ ايران ـ طهران ـ بازار سلطاني رقم ٩٩

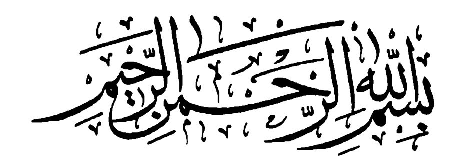
❊ تلفون: ٥٦٢٧٤٤٩ ـ ٥٦٢٠٤١٠ فاكس: ٣٩١٦٩٤٤

❊ شابك الجزء الأوّل: ٩٦٤ ـ ٤٤٠ ـ ٠٨٠. ISBN: 964 - 440 - 080.

❊ شابك الدورة الكاملة سبعة أجزاء: ٩٦٤ ـ ٤٤٠ ـ ٠٨٧ ـ ٩

ISBN - SFT: 964 - 440 - 087 - 9 VOL: 7.

مقدّمة المحقّق:



الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على أفضل بريّته، وأشرف خلقه، وخاتم رسله، محمد وعترته الطيبين الأخيار الطاهرين الأبرار، الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهرّهم تطهيراً.

وبعد:

لما فرغت بعون الله تعالى من تحقيق كتاب ـ المراسم العلوية وكتاب المحاسن ـ وفقني الله (جل وعلا) للسفر إلى الهند في مطلع عام ١٤١٢ هـ لاستطلاع وضع الحوزات العلميّة المباركة، في بعض المحافظات والمدن هناك، وإنشاء مكتب ديني ثقافي للبحث والتحقيق والتدريس في مدينة بومباي، وإيجاد مراكز عديدة لقضاء حوائج المسلمين بصورة عامة. وإنجاز عدد آخر من المشاريع الهامة، بالإضافة إلى الإطلاع على المخطوطات القديمة القيّمة في بعض المكتبات المهجورة والعامرة.

وبعد مضي تسعة أشهر تقريباً على الإقامة في الهند رمت السفر إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج، وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقبور الأئمة الأطهار عليهم السلام في البقيع، عن طريق ايران حاملاً معي نسخاً مصوّرة لعدد من المخطوطات القيّمة، واضعاً إياها في عداد قائمة التحقيق.

وبعد العودة من الحج، وبذل الجهد الحثيث لاتمام الجزء الاول من طباعة كتابنا «فهارس مرآة العقول» رأيت من الأحرىٰ البدء بتحقيق كتاب الصافي في تفسير القرآن للعارف الحكيم والفيلسوف الكبير والمحدّث الفقيه العلّامة الفيض الكاشاني المدعو بـ«ملّا محسن» رحمه الله.

وهذا الكتاب وإن تقدّم بتصحيحه الحجّة الميرزا حسن الحسيني اللواساني النجفي ـ شكر الله مساعيه ـ بيد أنّه لايخلو من بعض الملاحظات الهامّة في كيفيّة التحقيق والتصحيح، مضافاً إلى عدم إستخراج مصادرها وصعوبة العثور على بعضها لندرتها، أو لكونها لا تزال في عداد المخطوطات ممّا أوجب مزيداً من بذل الجهد الحثيث للعثور عليها والدقة في التصحيح والتعليق.

وقبل كل شيء رأينا من الأفضل أن نقدم نبذة يسيرة عن حياة المؤلف قدس سره ليكون القارئ الكريم على إلمام بشخصيّته الفذة.

حياة المؤلف

١ ـ اسمه ونسبه

٢ ـ اسرته الكريمة

٣ ـ ولادته ونشأته

٤ ـ الثناء عليه

٥ ـ اساتذته ومشايخه

٦ ـ تلامذته والراوون عنه

٧ ـ آثاره العلميّة

٨ ـ وفاته ومدفنه

١ ـ اسمه ونسبه:

هو محمد بن مرتضى، بن محمود، المدعو بالمولى محسن الكاشاني، الملقّب بالفيض. أحد الفحول، وفخر أهل المعقول، والمنقول، وأحد أقطاب العلم وأساطينه، وقد ورد في ترجمته في كتب التراجم تارة باسمه بنحو ما أثبتناه كما ورد في رياض العلماء[١].

وأُخرى بشهرته «محسن» كما قال صاحب مستدرك الوسائل: من مشايخ العلّامة المجلسي: العالم، الفاضل، المتبحّر، المحدث، العارف، الحكيم، المولى، محسن بن الشاه مرتضى ابن الشاه محمود المشتهر بالفيض الكاشاني[٢].

وورد في جامع الرواة: محسن بن مرتضى الكاشي ﵀ العلامة المحقّق المدقّق، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة[٣].

وجاء في عنوان روضات الجنات تحت رقم ٥٦٥: العلم القاشي، والعالم الأقراشي، مولانا الفاضل الكامل المؤيّد المسدّد، محسن بن الشاه مرتضى، بن الشاه محمود، المشتهر بالفيض الكاشي[٤] بيد انه كان يعتقد أن اسمه «محمد» حيث يقول: اسمه كما يظهر من تقريرات نفسه «محمد»[٥].

---

١ ـ رياض العلماء: ج ٥، ص ١٨٠.
٢ ـ مستدرك الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.
٣ ـ جامع الرواة: ج ٢، ص ٤٢.
٤ ـ روضات الجنات: ج ٦، ص ٧٩.
٥ ـ روضات الجنات: ج ٦، ص ٧٩

وذكر في مورد آخر: أنّه رأى على ظهر نسخة عتيقة من كتاب الصافي ماصورته: قبض المعتصم بحبل الله، المؤمن المهيمن محمد بن مرتضى، المدعو بـ «محسن» سنة إحدى وتسعين وألف، وهو ابن أربع وثمانين[1].

وثالثة بلقبه «الفيض» كما ورد في الكنى والألقاب، وإليك نصه: «الفيض» لقب للعالم، الفاضل، الكامل، العارف، المحدث، المحقّق، المدقّق، الحكيم، المتألّه **محمد بن المرتضى** المدعو بـ «المولى محسن القاشاني»[2].

ورابعة: يقال: **محمد محسن** معاً كما ينقله صاحب لؤلؤة البحرين عن السيد سعيد نعمة الله الجزائري، وإليك نصه: كان لإستاذنا المحقّق المولىٰ محمد محسن الكاشاني صاحب الوافي[3].

وهكذا ذكر العلامة المجلسي ﷺ **في بحاره وإليك نصه**: صورة ما كتبه لنا من الاجازة: **المولى الجليل العالم العارف الرباني، مولانا محمد محسن القاشاني**[4].

٢ ـ اسرته:

اسرته من جهابذة العلماء، وفطاحل الفقهاء، وكبراء الحكماء المتألّهين. ومن أهل الأدب والفضل والورع والتقوى.

فهذا أبوه: العلاّمة شاه مرتضىٰ الأوّل ابن شاه محمود، كان عالماً، نبيهاً، فقيهاً، اصوليّاً، حكيماً، متألّهاً، متكلّماً، أديباً، شاعراً، بارعاً، عابداً، زاهداً، مفسراً نبيلاً. ولد في الخامس عشر من ذي القعدة سنة ٩٥٠ هـ وتوفي في ليلة الجمعة الخامس عشر من جمادي الآخرة سنة ١٠٠٩ هـ، وقبره بـ «كاشان» مزار معروف.

وهذا جدّه العلاّمة شاه محمود بن علي الكاشاني، كان من مشاهير علماء عصره، ومن

---

١ ـ روضات الجنات: ج ٦، ص ١٠٣.

٢ ـ الكنىٰ والألقاب: ج ٣، ص ٣٩.

٣ ـ لؤلؤة البحرين: ١٣٠.

٤ ـ بحار الانوار: ج ١١٠، ص ١٢٤.

حكماء متألّهي أهل زمانه، والشعراء النابغين، والعرفاء المحدثين. توفي بـ«كاشان» ودفن هناك.

وهذا ابنه العلّامة المولى محمد المدعو بـ«علم الهدى» المكنى بـ«أبي الخير» صاحب التصانيف الجيّدة، وقد ألّف المرحوم آية الله المرعشي النجفي سفراً مباركاً سمّاه «هديّة ذوي الفضل والنهى» بترجمة المولى محمد «علم الهدى» وطبع في مقدمة كتاب معادن الحكمة. وكانت ولادته كما ذكره ﷺ في ليلة الخميس غرّة شهر ربيع الأوّل سنة ١٠٣٩ هـ، ووفاته سنة ١١١٥ هـ. راجع مقدمة معادن الحكمة[١].

وهذا ابنه الآخر: وهو العلّامة المولى أبو الحسن معين الدين أحمد، كان عالماً، فقيهاً، محدّثاً، عارفاً، ولد في الخامس عشر من شهر رجب سنة ١٠٥٦ هـ، ببلدة كاشان. صاحب التصانيف الكثيرة التي منها كتاب مشكاة القارئ في التجويد، وكتاب الفوائد في التفسير. توفي ﷺ بقمصر من أعمال كاشان سنة ١١٠٧ هـ ونقل جثمانه إلى كاشان، ودفن تحت رجل والده العلّامة الفيض، وعلى قبره لوح من مرمر مكتوب عليه هكذا انتقل نور الله الأحد الصمد ابن محمد بن مرتضى معين الدين أحمد من دار الغرور إلى إقليم السرور في شهر رجب من شهور سنة سبع ومائة وألف وهو ابن إحدى وخمسين سنة. حشره الله مع الأئمة المعصومين، وله ﷺ بنات ثلاث: الأُولى، عليّة بانو المكنّاة بام الخير فهي فاضلة شاعرة أديبة ولدت في شهر جمادي الثاني سنة ١٠٣٧ هـ، بـ«كاشان»، وتوفيت في شهر رمضان سنة ١٠٧٩ هـ.

الثانية: سكينة بانو المكنّاة بأُم البرّ، ولدت في ١٩ من شهر ربيع الثاني، سنة ١٠٤٢ هـ بـ«بلدة كاشان».

الثالثة: سكينة المكناة بأم سلمة، كانت زاهدة، عابدة، حافظة للقرآن الكريم، ولدت في رمضان سنة ١٠٥٣ هـ.

---

١ ـ معادن الحكمة: ج ١، ص ١٠٧.

٣ـ ولادته ونشأته:

ولد ﷺ في رابع عشر من شهر صفر عام ١٠٠٧ هـ، ونشأ وترعرع في بلدة قم المقدسة «عش آل محمد» ثم انتقل إلى كاشان ثم ارتحل إلى شيراز بعدما سمع بقدوم سماحة السيد ماجد بن علي البحراني إلى شيراز للأخذ من منهل علومه، وكذلك للإستفادة من محضر درس قطب الأقطاب، وصدر المتألهين محمد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بـ«ملا صدرا» الذي تزّوج بابنته وصار صهراً له، ومن هنا فإنّ كتبه ﷺ في الأُصول كلّها تنهج نهج المتصوّفة والفلاسفة.

وذكر المحدث البحراني في لؤلؤته: حكاية عن السيد السعيد نعمة الله الجزائري الشوشتري على النحو التالي: قال ﷺ كان لأُستاذنا المحقّق المولى محمد محسن الكاشاني، صاحب الوافي وغيره، مما يقارب من مأتي كتاب ورسالة، وكانت نشأته في بلدة قم فسمع بقدوم السيد الأجل المحقّق المدقّق الإمام الهمام السيد ماجد البحراني الصادقي إلى شيراز فأراد الإرتحال إليه لأخذ العلوم منه، فتردّد والده في الرّخصة إليه ثم بنوا الرّخصة وعدمها على الإستخارة، فلمّا فتح القرآن جاءت الآية: «فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»(١).

ولا آية أصرح وأنص وأدل على هذا المطلب مثلها. ثم بعد تفأل بالديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام فجاءت الأبيات هكذا:

تغرّب عن الأوطان في طلب العلى ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد

فان قيل في الأسفار ذل ومحنة ... وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد

فموت الفتى خير له من مقامه ... بدار هوان بين واش وحاسد(٢).

وهذه أيضاً أنسب بالمطلوب ولا سيما قوله: «صحبة ماجد» فسافر إلى شيراز، وأخذ العلوم الشرعيّة عنه، وقرأ العلوم العقليّة على الحكيم الفيلسوف المولى صدر الدين الشيرازي

---

١ ـ التوبة: ١٢٢.

٢ ـ ديوان أمير المؤمنين الامام علي (ع): ٣٦.

وتزوج ابنته. انتهى كلامه رفع مقامه[١].

والحاصل: بعد ما مضى شطراً من حياته السعيدة في شيراز توجه نحو كاشان وانتقل إليه، وكان هناك مرجعاً فذّاً لا ندّ له.

٤ ـ الثناء عليه:

وقد أثنى عليه العلماء وأرباب المعاجم ثناءاً جميلاً. فذكر صاحب روضات الجنات: أمره في الفضل والفهم والنبل في الفروع والأُصول، والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول، وكثرة التأليف والتصنيف مع جودة التعبير والترصيف أشهر من أن يخفى في هذه الطائفة على أحد إلى منتهى الأبد[٢].

وفي أمل الآمل: المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بـ«محسن» الكاشاني، كان فاضلاً، عالماً، ماهراً، حكيماً، متكلّماً، محدّثاً، فقيهاً، محقّقاً، شاعراً، أديباً حسن التصنيف من المعاصرين، له كتب[٣].

وذكر المحدّث البحراني: وهذا الشيخ: كان فاضلاً، محدّثاً، أخباريّاً صلباً[٤].

وقال المحدّث النوري: من مشايخ العلّامة المجلسي العالم، الفاضل، المتبّحر، المحدث، العارف، الحكيم، المولى محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود المشتهر بالفيض الكاشاني، صاحب الوافي، والصافي، والمفاتيح وغيرها مما كتبه في الحكمة، والتصوّف، والأخلاق، والآداب[٥].

وفي الكنى والألقاب: أمره في الفضل والأدب، وطول الباع، وكثرة الاطلاع، وجودة التعبير، وحسن التحرير، والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول أشهر من أن يخفى[٦].

---

١ ـ لؤلؤة البحرين: ١٣٠.
٢ ـ روضات الجنات: ج ٦، ص ٧٩.
٣ ـ أمل الآمل: ج ٢، ص ٣٠٥.
٤ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢١.
٥ ـ مستدرك الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.
٦ ـ الكنىٰ والألقاب: ج ٣، ص ٤١.

وقال صاحب معجم المؤلفين: فقيه أُصولي مجتهد، مشارك في أنواع من العلوم[١].

وفي رياض العلماء: كان فاضلاً، ماهراً، حكيماً، متكلّماً، محدّثاً، فقيهاً، محقّقاً، شاعراً، أديباً، حسن التصنيف[٢].

وقال الأردبيلي في جامع الرواة: محسن بن المرتضى الكاشي ﷺ، العلّامة، المحقق، المدقق، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، فاضل، كامل، متبحّر في جميع العلوم[٣].

وهذا يغنينا عن سرد بقيّة آراء المؤلفين في شخصيّته الفذّة وإطّرائهم له لمكانته العلميّة. وكثرة موسوعاته الثمينة، وتأليفاته القيّمة ولنعم ما قيل: من أن صافيه في علم التفسير وافٍ، ووافيه في علم الحديث كافٍ. ومهما يكن من شيء فان المترجم بلغ في الإشتهار بين الطائفة الحقّة شهرة الشمس في رابعة النهار فكان رضوان الله عليه حكيماً، متكلّماً، رياضيّاً، فقيهاً، محدّثاً، مفسّراً، جامعاً لجميع الفنون، متبحّراً في كل العلوم من المعقول والمنقول، وقد ملأ الآفاق بتصنيفاته، وعطّر الأكوان بتأليفاته ومصنّفاته.

ورغم كل ذلك نجد أن جماعة من العلماء المعاصرين له والمتأخرين عنه قد شنّوا عليه هجوماً حادّاً ونسبوا إليه أقاويل مزيّفة وأباطيل تفوح من بعضها رائحة الكفر والزندقة. ومن البعض الآخر ما يخالف مبادئ الدين، ويعارض ما هو من الضروريات والبديهيّات، فهذا شيخنا البحراني يقول في لؤلؤته: وهذا الشيخ كان فاضلاً، محدّثاً، أخباريّاً صلباً كثير الطعن على المجتهدين ولا سيّما في رسالته (سفينة النجاة) حتّى أنّه يفهم منها نسبة جمع من العلماء الى الكفر فضلاً عن الفسق مثل إيراده الآية: «يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ»[٤]. وهو تفريط، وغلوّ بحت، مع أنّ له من المقالات التي جرى فيها على مذهب الصوفيّة، والفلاسفة ما يكاد يوجب الكفر ـ والعياذ بالله ـ مثل ما يدل في كلامه على القول بوحدة الوجود، وقد وقفت له على رسالة قبيحة صريحة في القول بذلك قد جرى فيها على عقائد ابن العربي الزنديق، وأكثر فيها من النقل عنه، وإن عبّر عنه ببعض العارفين، وقد نقلنا جملة من

---

١ ـ معجم المؤلفين: ج ٨، ص ١٨٧.
٢ ـ رياض العلماء: ج ٥، ص ١٨٠.
٣ ـ جامع الرواة: ج ٢، ص ٤٢.
٤ ـ هود: ٤٢.

كلامه في تلك الرسالة وغيرها في رسالتنا التي في الردّ على الصوفيّة المسماة «بالنفحات الملكوتيّة في الردّ على الصوفيّة» نعوذ بالله من طغيان الأفهام وزلل الأقدام[1].

وهذا حفيد شهيدنا الثاني الشيخ علي الشهيدي العاملي نسب إلى المترجم له أشياءاً منكرة، شنّع بها عليه في ذيل رسالته في تحريم الغناء وغيرها كما جاء في روضات الجنات واليك نصه: وقد نسب إليه الشيخ علي الشهيدي العاملي في ذيل رسالته في تحريم الغناء وغيرها كثيراً من الأقاويل الفاسدة والآراء الباطلة العاطلة.... إلى أن قال: ولو أردنا تأويل جملة منها بمحامل وجيهة صحيحة لما أمكننا ذلك بالنسبة إلى ما تدلّ عليه ألفاظه الظاهرة، بل الصريحة من منافيات أُصول هذه الشريعة، وفروع مذهب الشيعة، مثل قوله بوحدة الوجود، وبعدم خلود الكفار في عذاب النار، وعدم نجاة أهل الإجتهاد وإن كانوا من جملة أجلائنا الكبار، وقوله: بعدم منجسيّة المتنجّس لغيره مثل النجس، وبعدم انفعال الماء القليل بمحض ملاقاته للنجس، وإن وافقه في هذه المسألة من أقادم علمائنا، العماني المتقدم ذكره[2].

ومن جملة من كان ينكر عليه أيضاً الفاضل المحدّث المقدس المولى محمد طاهر القمي صاحب كتاب: «حجة الإسلام» وغيره وإن قيل: إنّه رجع في أواخر عمره من إعتقاد السوء في حقه، فخرج من قم المباركة إلى بلدة كاشان مشياً على الأقدام للإعتراف عنده بالخلاف، والإعتذار لديه بحسن الإنصاف إلى أن وصل إلى باب داره فنادى! يا محسن قد أتاك المسيء، فخرج إليه مولانا المحسن، وجعلا يتصافحان ويتعانقان، ويستحلّ كلّ منهما من صاحبه، ثم رجع من فوره إلى بلده، وقال: لم أرد من هذه الحركة إلّا هضم النفس وتدارك الذنب، وطلب رضوان الله العزيز الوهاب.

ويقال أيضاً: إنّ بعض من اعتقد في حقّه الباطل رجع عنه بعد وفاته، لما رآه في المنام على هيئة حسنة، يأمره بالرجوع إلى بعض ما كتبه في أواخر عمره، وهو في مكان كذا وكذا، فلمّا استيقظ وطلبه وجده كما نسبه، وكان فيه تبرأة نفسه من جميع ما ينتسب إليه من أقوال

---

١ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢١.

٢ ـ روضات الجنات: ج ٦، ص ٨٠ ـ ٨١.

الضلال. هكذا ذكره المحقّق الخوانساري في كتابه روضات الجنات[١].

ومن جملة من كان ينكر عليه ورجع عن ذلك خليل بن الغازي القزويني. كما يحدّثنا العلّامة الخوانساري في روضات الجنات عند تعرّضه لحياة خليل بن غازي حيث يقول: اتفقت بينه وبين صاحب الوافي مناظرة طويلة في مسألة. فظهر له فساد رأيه في ذلك بعد زمن طويل وهو بقزوين فتوجّه راحلاً من فوره لخصوص الإعتراف بتقصيره في الأمر، والإعتذار من الفيض المرحوم إلى بلدة قاشان، فلمّا وصل إلى باب داره جعل يناديه من خلف الباب بقوله: يا محسن قد أتاك المسيء إلى أن عرف صوته فخرج الفيض إليه مبتدراً، وأخذا يتعانقان ويتعاطفان بما لا مزيد عليه.

ثم لم يلبث بعد ذلك ساعة في البلد مهما أصر عليه الفيض حذراً عن تخلل شائبة في إخلاصه[٢].

هكذا يحدثنا التاريخ برجوع كل من شنّع عليه ونسب إليه أقوالاً غير صحيحة، وآراءاً باطلة حتّى أقبلوا عليه واحداً بعد واحد لتلقّي آثاره بالقبول حتّى آل الأمر إلى أن أكبّوا عليها لفهم معانيها فكتبوا عليها حواشي وشروحاً كثيرة.

وجدير بالذكر أن نذكر ما اختاره صاحب الروضات حيث يقول: ثم ليعلم أن ظني في نسبة التصوّف الباطل إليه ﷺ أنّها فريّة بلا فريّة، والباعث عليها اقتداؤه بأهل هذه الطريقة في الموالاة مع الغلاة والملحدين، وإظهار البراءة من أجلائنا المجتهدين وعدم اعتنائه بالمخالفة لإجماع المسلمين، والإنكار لبعض ضروريات هذا الدين المبين إلى أن يقول: وقد نقل عن رسالته الموسومة بـ«الإنصاف لخلوه عن الجور والإعتساف»: چنين گويد مهتدى بشاه راه محسن بن مرتضىٰ كه در عنفوان شباب چون از تفقه در دين وتحصيل بصيرت در اعتقادات، وبكيفيّت عبادات بتعليم أئمة معصومين عليهم السلام آسودم، چنانچه در هيچ مسألة محتاج بتقليد غير معصوم نبودم، بخاطر رسيد كه در تحصيل معرفت اسرار دين، وعلوم راسخين نيز سعى بنمايم، شايد نفس را كمال آيد، ليكن چون عقل را راهي بان نبود نفس را در آن پاية

---

١ ـ روضات الجنات: ج ٦، ص ٨١ ـ ٨٢.

٢ ـ روضات الجنات: ج ٣، ص ٢٧١.

ايمان كه بود درى نميگشود، وصبر بر جهالت هم نداشت، وعلىٰ الدوام مرا رنجه ميداشت، بنابر اين چندى در مطالعه مجادلات متكلمين خوض نمودم وبآلت جهل در ازالت جهل ساعى بودم، طريق مكالمات متفلسفين نيز پيمودم ويک چند بلند پروازيهاى متصوّفه را در أقاويل ايشان ديدم، ويكچند در رعونتهاى منعدين گرديدم، تا آنكه گاهى در تلخيص سخنان طوائف أربع كتب ورسائل مى نوشتم من غير تصديق بكلها، ولا عزيمة على جلّها، بل أحطت بما لديهم خبراً، وكتبت في ذلك على التمرين زبراً، فلم أجد في شيء من إشاراتهم شفاء غلّتي، ولا في أدواء عباراتهم دواء علّتي حتّى خفت على نفسي إذ رأيتها فيها كأنها من ذويهم، فتمثلت بقول من قال: خدعوني، بهتوني، أخذوني، غلبوني، وعدوني، كذبوني، فإلى من أتظلم، ففررت الى الله في ذلك وعذت بالله أن يوفقني هنالك، واستعذت بقول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض أدعيته: أعذني اللّهمّ من أن أستعمل الرأي فيما لا يدرك قعره البصر، ولا يتغلغل فيه الفكر، ثم أنبت إلى الله وفوضت أمري إلى الله، فهداني ببركة متابعة الشرع المبين إلى التعمق في أسرار القرآن وأحاديث سيد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وفهمني الله منهما بمقدار حوصلتي ودرجتي من الإيمان، فحصل لي بعض الإطمينان وسلب الله منّي الشيطان وله الحمد على ما هداني، وله الشكر على ما أولاني فأخذت أنشد:

مــــلك الشرق تــــشرّق   وإلى الرّوح تـــــــعلّق
غســـق النــفس تـفرّق   ربـــض الفكـــر تهـــدم

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ثم إني جرّبت الأُمور، واختبرت الظلمة والنور حتّى استبان لي طائفة من أصحاب الفضول المنتحلين بمتابعة الرسول صلى الله عليه وآله، غمضوا العينين، ورفضوا الثقلين، وأحدثوا في العقائد بدعاً وتحرفوا فيها شيعاً، ثم شنّع عليهم بكلام طويل وأورد من الأحاديث غير قليل إلى أن أعاد عليهم المعركة ثانية بالفارسيّة، فقال: بعد اشباعه الكلام المتقن في تخطئة الملاحدة مع الصوفيّة، اين سخن كه مذكور شد با متفلسفه ومتصوفه، وپيروان ايشان است، أمّا مجادلان ومتكلّمان، ومتعسفان منعدين فهم كما قيل: الى آخر ما ذكره من التفصيل وزبره من الكلام الطويل.

ثم إنّ من جملة ما يدلك أيضاً على براءة الرجل من هذا الإعتقاد السوء وبعده عن هذه الطريقة السقيمة وغير المستقيمة بمراحل شتّى، ما ذكره عنه السيد المحدّث الجزائري في كتابه «المقامات» الذي هو في شرح أسماء الله الحسنى بمناسبة شرح لفظ الشهيد.

بهذه الصّورة: كتب أهل المشهد الرضوي على مشرفه السلام، إلى شيخنا العلّامة المولى محمد محسن القاشاني في حال استكشاف حال الصوفيّة، حيث أن بعض الناس زعم أنّه يميل إلى طريقتهم فأجابه ﵀، بجواب قد تبرأ من أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم، والكتابة بالفارسية فراجع[1].

وذكر المحقق الخوانساري ﵀ في موضع آخر، من كتابه، أقول: ويشهد أيضاً، ببراءته من هذا المذهب الفاسد، والمتاع الكاسد: أنّ شيخه واستاده والذي كان قد اكثر عليه اعتماده وهو المولى صدرا الشيرازي، صاحب كتاب الأسفار وغيره كان منكراً لطريقة اولئك الملاحدة من صميم صدره بحيث قد كتب في ردّهم كتاباً سماه «كسر الأصنام الجاهليّة في كفر جماعة الصوفية» فراجع[2].

كما ذكر ايضاً في موضع آخر من كتابه: ولنعم ماقيل في بعض كتب الرجال في ذيل ترجمة هذا المفضال، كان من جهابذة المحدثين، رمي بالتصوف وحاشاه ثم حاشاه، بل هو من العرفاء الأماجد، وانما صنف في العلوم في مقام التتبع والتفتيش جرياً على مسالك أرباب الفنون، فتوهم من توهم ولا عاصم الا الله[3].

٥ـ أساتذته ومشايخه:

تتلمذ شيخنا المترجم له عند أساطين العلم وجهابذة عصره في العلوم النقليّة والعقليّة. فقد قرأ في الحديث على السيد ماجد البحراني في بلدة شيراز، وفي الحكمة والأُصول على صدر المتألّهين الشيرازي المعروف بـ«ملّا صدرا»[4].

---

١ ـ روضات الجنات: ج ٦، ص ٩٦ ـ ٩٩.

٢ ـ روضات الجنات: ج٦، ص ١٠٠.

٣ ـ روضات الجنات: ج٦، ص ١٠٠.

٤ ـ لؤلؤة البحرين: ص ١٢١.

كما يروي عن جماعة من المشايخ العظام وسرد بعض أسمائهم في هذه القائمة لايدل على الحصر التام بهم. بل هي أسماء لامعة وصلت إلينا عن طريق كتب التراجم، وهناك كثيرون قد أُهملت أسماؤهم ولم تدرج في ضمن أسماء الأساتذة والشيوخ فلم نقف عليها.

فإليك سرد أسماء من وقفنا عليه من الشيوخ والأساتذة.

١ ـ والده المكرّم:

شاه مرتضى ابن شاه محمود. كان عالماً نبيهاً، فقيهاً، أصوليّاً، حكيماً، متألّهاً، متكلماً، أديباً، شاعراً، بارعاً، عابداً، زاهداً، مفسّراً نبيلاً، ولد في عام ٩٥٠ هـ وتوفي بـ «كاشان» عام ١٠٠٩ هـ، وقبره مزار معروف ذكره آية الله المرعشي النجفي في مقدمة معادن الحكمة[١].

٢ ـ الشيخ محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي «بهاء الدين»:

قال صاحب معجم المؤلفين: عالم أديب، مشارك في أنواع من العلوم ولد بـ «بعلبك» لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٩٥٣ هـ، وانتقل مع والده وهو صغير إلى بلاد العجم، وتوفي بـ «اصبهان» لاثنتي عشرة خلون من شوال سنة ١٠٣١ هـ ونقل فدفن في طوس من تصانيفه الكثيرة: تشريح الأفلاك، والكشكول، وتهذيب الوصول إلى علم الأُصول، والفوائد الصمديّة في علم العربيّة وغيرها[٢].

وذكر المحدث النوري في مستدرك الوسائل ما ملخّصه: ان المولى محسن بن شاه مرتضى المشتهر بالفيض الكاشاني يروي عن جماعة من المشايخ أوّلهم الشيخ البهائي[٣].

٣ ـ المولى محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي:

قال عمر رضا كحالة: هو شيرازي الأصل، النجفي، فقيه، اصولي، محدث، متكلّم، ناقد، نشأ بالنجف وأُعطي إمامة الجماعة، ومشيخة الإسلام في قم وتوفي بها سنة ١٠٩٨ هـ، ومن تصانيفه حكمة العارفين في رد شبهة المخالفين، والفوائد الدينيّة في الرد على الحكماء والصوفيّة،

---

١ ـ معادن الحكمة: ج ١، ص ١٠ ـ ١١.
٢ ـ معجم المؤلفين: ج ٩، ص ٢٤٢.
٣ ـ مستدرك الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

وحجة الإسلام في أُصول الفقه والكلام، والأربعون في فضائل أمير المؤمنين، وشرح تهذيب الحديث[١].

وعدّه المحدّث النوري في مستدرك الوسائل من المشايخ تحت رقم «الثاني»[٢].

٤ ـ خليل بن الغازي القزويني:

قال صاحب معجم المؤلفين: خليل بن الغازي القزويني الشيعي، فقيه، أُصولي، محدث، نحوي. ولد بقزوين في ٣ رمضان عام ١٠٠١ هـ، وتوفي بها سنة ١٠٨٩، من مؤلفاته حاشية على الجمل في النحو، حاشية على مجمع البيان، شرح العدة في الأُصول، وأبواب الجنان[٣].

وعدّه المحدّث النوري في مستدرك الوسائل من المشايخ تحت رقم «الثالث»[٤].

٥ ـ الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني العاملي:

قال عمر رضا كحالة: فاضل عارف بالرجال تولد في عام ٩٨٠ هـ، وتوفي مجاوراً لبيت الله الحرام سنة ١٠٣٠، ودفن بقرب قبر خديجة الكبرى، له حواشي كثيرة، وتعليقات على كتاب الرجال الكبير، والخلاصة للعلّامة الحلي ورسالة في تزكية الراوي[٥].

وعدّه المحدث النوري في مستدرك الوسائل من المشايخ تحت رقم «الرابع»[٦].

٦ ـ الشيخ محمد صالح بن احمد المازندراني:

قال صاحب أمل الآمل: فاضل، عالم، محقّق، له كتب منها: شرح الكافي كبير حسن، وشرح الفقيه، وشرح المعالم، وحاشية شرح اللمعة وغير ذلك[٧].

توفي ﵀ سنة ١٠٨٠ هـ كما جاء في مقدمة شرح الكافي ج ١، ص ٣٠.

وعدّه المحدث النوري في مستدرك الوسائل من المشايخ تحت رقم «الخامس»[٨].

---

١ ـ معجم المؤلفين: ج ١٠، ص ١٠١.

٢ ـ مستدرك الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

٣ ـ معجم المؤلفين: ج ٤، ص ١٢٥.

٤ ـ مستدرك الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

٥ ـ معجم المؤلفين: ج ٩، ص ١٩١.

٦ ـ مستدرك الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

٧ ـ امل الآمل: ج ٢، ص ٢٧٦.

٨ ـ مستدرك الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

٧ـ السيد ماجد البحراني:

قال المحدث البحراني: وهو السيد ماجد، بن هاشم، بن علي بن مرتضى، بن علي، بن ماجد، الحسيني البحراني الجد حفصي نسبة إلى جد حفص بتشديد الدال قرية من قرى تلك البلاد.

وكان هذا السيد محقّقاً، شاعراً، أديباً، ليس له نظير في جودة التصنيف وبلاغة التحبير، وفصاحة التعبير، ودقة النظر، وشعره فائق في البلاغة... وهو أول من نشر الحديث في شيراز توفي سنة ١٠٢٢ هـ ودفن في مشهد شاه چراغ. وقبره هناك معروف[١].

وعدّه المحدث النوري في مستدرك الوسائل من المشايخ تحت رقم «السادس»[٢].

٨ـ المولى صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي:

قال المحدث الحر العاملي في أمل الآمل: فاضل من فضلاء المعاصرين ذكره صاحب السلافة فقال: كان عالم أهل زمانه في الحكمة متقناً لجميع الفنون، له تصانيف كثيرة. منها شرح الكافي في مجلدين، توفي في العشر الخامس من هذه الماءة سنة ١٠٥٠ هـ[٣].

وعدّه المحدّث النوري في مستدرك الوسائل من المشايخ تحت رقم «السابع»[٤].

٩ـ السيد محمد باقر بن محمد الحسيني الاسترابادي، المعروف بالمير الداماد:

قال المحدث البحراني: والمحدث المحسن المذكور يروي عن المولى أمير محمد باقر الداماد. وكان معاصراً لشيخنا البهائي رحمه الله وهو فاضل، جليل، متكلم، حكيم، ماهر في النقليّات، شاعر بالعربيّة، والفارسيّة. وذكره السيد علي الصدر في «السلافة» وأثنى عليه وأطراه وقال: من مصنفاته في الحكمة: «القبسات والصراط المستقيم، والحبل المتين» وفي الفقه: «شارع النجاة». وله حواشي على الكافي، والفقيه، والصحيفة الكاملة، ورسالة في النهي عن تسمية المهدي عليه السلام وغير ذلك توفي سنة ١٠٤١ هـ[٥].

١ـ لؤلؤة البحرين: ١٣٦.

٢ـ مستدرك الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

٣ـ امل الآمل: ج ٢، ص ٢٣٣.

٤ـ مستدرك الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

٥ـ لؤلؤة البحرين: ١٣١ ـ ١٣٤.

٦ـ تلامذته والراوون عنه:

١ ـ العلامة المجلسي:

تتلمذ عليه جماعة من علماء الطائفة وجهابذتهم، وكان مجلس درسه مجمعاً للفضلاء والفطاحل. وحسبك ان يحضر مجلسه العلّامة المحقق المدقق المولى محمد باقر المجلسي حيث يقول المحدث النوري في مستدركه: العشرون من مشايخ العلّامة المجلسي العالم، الفاضل، المتبحّر، المحدّث، العارف الحكيم، المولى محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود، المشتهر بالفيض الكاشاني[1].

هذا وذكر المجلسي ﵀ في كتابه بحار الأنوار صورة الإستجازة التي منح بها من قبل استاذه وإليك نصه:

«صورة»

ماكتبه لنا من الإجازة المولى الجليل، العالم العارف الرباني، مولانا محمد محسن القاشاني ﵀ وهي بخطه الشريف.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلامه على عباده الذين اصطفى

أما بعد:

فقد استجازني الأخ الأعز الأمجد، الفاضل الأسعد المترشح في عنفوان الشباب لإحراز قصب السبق في السداد والصلاح، الشاهد سماته بأهليّته لنيل الفوز والفلاح، مولانا محمد باقر ابن الحاوي للكمالات العلميّة والعمليّة، الجامع بين العلوم العقليّة والنقليّة، مولى محمد تقي أدام الله بقائهما، ما يصح لي إجازته من كتب الحديث وخصوصاً ما عليه المدار في هذه الأعصار أعني الكافي، والفقيه، والتهذيب، والإستبصار، ثم كتاب الوافي من تأليفاتي الذي جمع الأربعة كلّها مع ترتيب وتوضيح، فأجزته أدام الله توفيقه، ونهج إلى درك السعادة

---

١ ـ مستدرك الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

طريقه، أن يروي عنّي جميع ما يصحّ لي إجازته بحق روايتي له قراءة على مشايخي طاب الله ثراهم أو سماعاً منهم أو عليهم أو إجازة على ما هو مذكور في إجازاتهم لي، ولاسيّما طريق المذكور في الوافي فليرو عني جميع ذلك لمن شاء وأراد، سالكاً طريق الإحتياط، متثبّتاً عند مواقع الأغلاط، داعياً لي في محل الإخلاص والإنابة بالتوفيق لما يحب الله ويرضاه، والعمل بما فيه رضاه، خصوصا قطع العلائق والإشتغال به سبحانه عن الخلائق. وكتب بيده الجانية الفانية محمد بن مرتضى المدعو بـ«محسن» وفقه الله للتزوّد في دنياه لأُخراه، وجعل آخرته خيراً من أُولاه[1].

٢ ـ السيد نعمة الله الجزائري الشوشتري:

ذكر المحدث البحراني في لؤلؤته: وكان هذا السيد فاضلاً، محدّثاً، مدقّقاً واسع الدائرة في الإطلاع على أخبار الإماميّة، وتتبع الآثار المعصوميّة كان كثير الصحبة للأكابر والسلاطين، عزيزاً عندهم، له كتاب شرح التهذيب، وكتاب الأنوار النعمانيّة، وكتاب شرح الصحيفة الكبير والآخر الصغير، وكتاب شرح عوالي اللئالي لابن أبي جمهور وغيرها[2].

ولد في القرية الصباغيّة من قرى الجزائر سنة ١٠٥٠ هـ، وتوفي سنة ١١١٢ في قرية جايدر وبما تقدم من الحكاية المنقولة عنه بأنه ﷺ تلّمذ عند المولى «فيض» قدس أسرارهم. راجع لؤلؤة البحرين: ص ١٣٠.

٣ ـ ولده محمد بن محمد بن شاه مرتضى المدعو بـ «علم الهدى» المكنّى بأبي الخير:

ذكر آية الله المرحوم المرعشي النجفي في مقدمته على كتاب معادن الحكمة في تاريخ ولادة المترجم له بأنّه ﷺ قال: في مجموعة المواليد والوفيات التي كلها بخطه الشريف ما لفظه: ولادت خادم شريعت غرّاء محمد المدعو علم الهدى المكنى بأبي الخير وفقه الله لما يحب ويرضى بعد از مضي ٩ ساعت تقريباً از ليلة الخميس غره شهر ربيع الاول سنة ١٠٣٩ هـ،.... إلى أن يقول على ما أثبته الوالد الماجد الأُستاذ أدام الله احسانه كانت ذلك

---

١ ـ بحار الانوار: ج ١١٠، ص ١٢٤.

٢ ـ لؤلؤة البحرين: ١١١.

ببلدة قم حرسها الله انتهى[١].

٤ ـ القاضي سعيد القمي:

ذكر المحدث القمي في الكنى والألقاب: هو محمد بن محمد مفيد القمي. العالم، الفاضل، الحكيم، المتشرع، العارف، الرباني، والمحقّق الصمداني من أعاظم علماء الحكمة، والأدب، والحديث، إنتهى إليه منصب القضاء في بلدة قم، كان من تلامذة المحقّق الفيض الكاشاني، له مصنفات فائقة، منها: شرحه على كتاب توحيد الصدوق في مجلدات، والأربعينيات، وغير ذلك[٢].

٥ ـ ابن أخيه:

المولى محمد مؤمن المدرس ابن عبد الغفور ابن شاه مرتضى الأوّل، الفقيه، المحدّث، العارف، الزاهد، أخذ عن والده، وعن عمّه صاحب الوافي، وروى عنهما. هكذا ذكره آية الله المرعشي النجفي في مقدمته على كتاب معادن الحكمة[٣].

٦ ـ حفيد أخيه:

المولى محمد هادي بن شاه مرتضى الثاني بن محمد مؤمن بن شاه مرتضى الأوّل، كان في عصره من أجلّة الفقهاء والمحدثين والأُصوليين، والمتكلّمين، والمحقّقين، والأدباء، والفلاسفة، أخذ عن عم والده صاحب الوافي كما ذكر في مقدمة معادن الحكمة[٤].

٧ ـ حفيد أخيه الآخر:

العلّامة المولى نور الدين محمد الشهير بالأخباري ابن العلّامة شاه مرتضى الثاني، ابن المولى محمد مؤمن بن شاه مرتضى الأوّل. كان فقيهاً، عارفاً، محدّثاً، أديباً، بحّاثاً، مكثراً في التأليف والتصنيف، أخذ وروى عن جماعة، منهم: والداه، ومنهم صاحب الوافي عم والده هكذا ذكره آية الله المرعشي النجفي في مقدمة معادن الحكمة[٥].

---

١ ـ معادن الحكمة، ج ١، ص ٩.
٢ ـ الكنىٰ والألقاب: ج ٣، ص ٥٢.
٣ ـ معادن الحكمة: ج ١، ص ٢٨.
٤ ـ معادن الحكمة: ج ١، ص ٢٨.
٥ ـ معادن الحكمة: ج ١، ص ٣٠.

٧ـ آثاره العلميّة:

ألّف محدثنا الكاشاني كتباً كثيرة قيّمة لها الدور الأساسي في إيجاد حركة علميّة آنذاك، فكثير من كتبه تعتبر ولحد الآن من المصادر الأوّليّة للباحثين والمحقّقين. كالوافي والصافي والمحجة البيضاء وغيرها فألّف في شتّى العلوم النقليّة والعقليّة من الفقه، والأُصول، والحديث، والأخلاق، والعقائد، والفلسفة، والحكمة، والهيئة والأدعية، وله أشعار كثيرة باللغتين العربيّة والفارسيّة كما أنّ له رسائل كثيرة متعدّدة متنوعة وتبلغ جميع مؤلفاته ١٤٤ مؤلفاً حسب التتبع في المعاجم رغم وجود الإختلاف الشديد فيها بالنسبة إلى أسماء بعض الرسائل والكتب ومن هنا نرى بأن جماعة من الباحثين يعدّون له مائتي (٢٠٠) كتاب وها نحن نذكر أسماءها كما يلي حسب الحروف الهجائيّة:

ـ الف ـ

١ ـ آب زلال: من مثنوياته: رتبه على جرعتين، ثلاثة أنفاس، الجرعة الأُولى في الخطاب مع الله، والثانية في الخطاب إلى النفس[١].

٢ ـ أبواب الجنان: في بيان وجوب صلاة الجمعة، وشرائطها، وآدابها، وأحكامها بالفارسية لعامة الناس، في خمسمائة بيت صنّفه في سنة ١٠٥٥ هـ[٢].

٣ ـ أجوبة المكتوبات: رسالة في أجوبة مكتوبات وسؤلات منتزعة من كتب العلماء، وأهل المعرفة وأشعارهم[٣].

٤ ـ احجار الشداد: الرسالة الموسومة بالأحجار الشداد أو السيوف الحداد، في إبطال الجواهر الأفراد[٤].

٥ ـ آداب السالكين: ذكر العلامة الطهراني في الذريعة أقول: توجد في طهران نسخة بخط عبدالرحيم ابن المير عبدالباقي الحسيني كتبها في اصفهان سنة ١٢٥٨ رسالة باسم آداب

---

١ ـ الذريعة: ج ١، ص ٢، وج ١٩، ص ١٠٣.
٢ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٧.
٣ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٩.
٤ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٩.

السالكين منسوبة إلى الفيض الكاشاني لم يذكر خصوصياتها في الفهرس[١].

٦ ـ **آداب الضيافة**: فارسي منظوم. ذكره في فهرست تصانيفه[٢].

٧ ـ **أذكار الصلاة**: حكاه في نجوم السماء عن فهرست تصانيفه[٣].

٨ ـ **أذكار الطهارة**: في الأذكار المتعلقة بها، في خمسين بيتاً[٤].

٩ ـ **الأذكار المهمّة**: مختصر من خلاصة الأذكار، فارسي في ثلاثمائة وأربعين بيتاً[٥].

١٠ ـ **الأربعين في مناقب أميرالمؤمنين** عليه السلام: يقرب من ثلاثة آلاف وثلاثمائة بيت[٦].

١١ ـ **الآصفي**: منتخب من الصافي، أحد وعشرون الف بيت تقريباً[٧].

١٢ ـ **الأُصول الأصيلة**: يشتمل على عشرة أُصول مستفادة من الكتاب والسنة، يقرب من ألفين وثمانمائة بيت، صنّف في سنة أربع وأربعين بعد الألف ١٠٤٤ هـ[٨].

١٣ ـ **أُصول العقائد**: في تحقيق الأُصول الخمسة الدينيّة، يقرب من ثمانمائة بيت، صنف في سنة ست وثلاثين بعد الألف ١٠٣٦ هـ[٩].

١٤ ـ **أُصول المعارف**: وهو ملخّص من مهمّات عين اليقين، يقرب من أربعة آلاف بيت، وقد صنّف في سنة تسع وثمانين بعد الألف ١٠٨٩ هـ[١٠].

١٥ ـ **الإعتذار**: قال في فهرست تصانيفه: أن فيه شرح بعض أحوالي المتضمن للإعتذار بابتلائي بالوقوع في المهالك ونصائح لأبناء الزمان، ولاسيّما السالك، وهو في ثلاث مائة بيت[١١].

١٦ ـ **أعمال الأشهر الثلاثة**: فارسي[١٢].

---

١ ـ الذريعة: ج ٢٢، ص ٢٤٧.
٢ ـ الذريعة: ج ١، ص ٢٤.
٣ ـ الذريعة: ج ١، ص ٤٠٦.
٤ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٧.
٥ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٨.
٦ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٥.
٧ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٢.
٨ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٦.
٩ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٦.
١٠ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٣.
١١ ـ الذريعة: ج ٢، ص ٢٢٣.
١٢ ـ الذريعة: ج ٢، ص ٢٤٤.

١٧ ـ **الفت نامه**: وهي رسالة وردت في ترغيب الاخوان على التأليف والتآنس، وبيان ما يتوسل به إلى ذلك، وآدابه، وشرائطه، في مائتي بيت وكان تأليفها فيما بين الثلاثين والأربعين بعد الألف[١].

١٨ ـ **الأمالي**: ينقل عنه الأمير محمد أشرف تلميذ العلّامة المجلسي في فضائل السادات[٢].

١٩ ـ **الإمكان والوجود**: رسالة فارسية. قال في الذريعة: رأيتها ضمن مجموعة في مكتبة المولى محمد علي الخوانساري[٣].

٢٠ ـ **الإنصاف**: في طريق العلم بأسرار الدين المختص بالخواص والأشراف، وبيان الفرق بين الحق والإعساف، ذكر فيه بعض أحواله، وبيّن عذره عما كتبه من الكتب على مذاق الفلاسفة والمتصوّفة، وغيرهما بعبارات واضحة ملمعة عربيّة وفارسيّة، ألفه سنة ١٠٨٣ هـ كما في فهرسته[٤].

٢١ ـ **الأُنموذج**: أشعار أهل العرفان في التوحيد في سبعين غزلاً، صرح في فهرست تصانيفه بأنه انتزعه من أشعارهم في التوحيد[٥].

٢٢ ـ **أنوار الحكمة**: وهو مختصر من كتاب علم اليقين مع فوائد حكميّة اختصت به، يقرب من ستة آلاف بيت، صنف في سنة ثلاث وأربعين بعد الألف ١٠٤٣ هـ[٦].

٢٣ ـ **أهم ما يعمل**: يشتمل على مهمّات ما ورد في الشريعة المطهّرة من العمل، يقرب من خمس مائة بيت[٧].

٢٤ ـ **آيينهٔ شاهي**: وهي رسالة منتخبة من ضياء القلب، فارسي تقرب من ثلاثمائة بيت، صنف في سنة ست وستين وألف ١٠٦٦ هـ[٨].

---

١ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٨.

٢ ـ الذريعة: ج ٢، ص ٣١٢.

٣ ـ الذريعة: ج ٢، ص ٣٤٩.

٤ ـ الذريعة: ج ٢، ص ٣٩٨.

٥ ـ الذريعة: ج ٢، ص ٣٩٨.

٦ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٥.

٧ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٧.

٨ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٨.

- ب -

٢٥ ـ بشارة الشيعة: في بيان ان الفرقة الناجية المبشرة بالجنة هم الشيعة في طي أربعين بشارة في ألفي بيت وقد تم الفراغ منه ١٠٨١ هـ[١].

٢٦ ـ بيان أخذ الأجرة على العبادات والشعائر الدينيّة: تقرب من مائة وخمسين بيتاً[٢].

- ت -

٢٧ ـ تحقيق ثبوت الولاية على البكر في التزويج وما يتعلق بذلك: وهي رسالة تحتوي على مائة وثمانين بيت (١٨٠)[٣] ألّفت في سنة ١٠٦٤ هـ.

٢٨ ـ تحقيق معنى قابليّت: كما مر في فهرست مكتبة المشكاة المهداة لجامعة طهران تحت رقم ٣ / ١٩٧. ذكره في مقدمة مفاتيح الشرائع[٤].

٢٩ ـ التذكرة في الحكمة الإلٰهيّة: توجد في مكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء في النجف الأشرف[٥].

٣٠ ـ ترجمة التذكرة: في الحكمة الإلهيّة، ذكره في ريحانة الأدب[٦].

٣١ـ ترجمة الحج: في آدابه، وأحكامه، ومايتعلق به فارسي في ثلاث مائة بيت[٧].

٣٢ ـ ترجمة خبر معلى بن خنيس: كما في فهرست مكتبة المشكاة المهداة لجامعة طهران تحت رقم ٣ / ٨٥٥[٨].

٣٣ ـ ترجمة الزكاة: بالفارسية في ٢٦٠ بيت[٩].

٣٤ ـ ترجمة الشريعة: بالفارسيّة، فيه معنى الشريعة، فائدتها وكيفيّة سلوكها وبيان أقسام كل من الحسنات والسيئات في سبعمائة وعشرين بيتاً[١٠].

---

١ ـ الذريعة: ج٣، ص ١١٥ ـ ١١٦.
٢ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٩.
٣ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٩.
٤ ـ مفاتيح الشرائع: ج ١، ص ٢٣.
٥ ـ الذريعة: ج ٤، ص ٢٥.
٦ ـ ريحانة الادب: ج٣، ص ٢٤٣.
٧ ـ الذريعة: ج ٤، ص ٩٦.
٨ ـ مفاتيح الشرائع: ج ١، ص ٢٣.
٩ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٧.
١٠ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٨.

٣٥ ـ **ترجمة الصلاة**: ترجم فيه أذكار الصلاة بالفارسيّة في أربعمائة وخمسين بيتاً تقريباً، صنف في سنة ثلاث وأربعين بعد الألف ١٠٤٣ هـ[١].

٣٦ ـ **ترجمة الصيام**: وهو مثل ترجمة الزكاة، يقرب من ثلاثمائة بيت[٢].

٣٧ ـ **ترجمة الطهارة**: في فقه مايتعلق بها، بالفارسيّة، في مائتين وثمانين بيتاً[٣].

٣٨ ـ **ترجمة العقائد الدينيّة**: بالفارسيّة، يقرب من ستمائة وأربعين بيتاً[٤].

٣٩ ـ **التسنيم**: من مثنوياته كما ذكره في فهرست تصانيفه[٥].

٤٠ ـ **تسهيل السبيل في الحجة**: في انتخاب كشف المحجة للسيد ابن طاووس العلوي ﷺ يقرب من ستمائة بيت، ألّف في سنة أربعين بعد الألف ١٠٤٠ هـ[٦].

٤١ ـ **تشريح العالم**: في بيان هيئة العالم وأجسامه وأرواحه وكيفيّته، وحركات الافلاك والعناصر وأنواع البسائط والمركبات، في ثلاثة آلاف بيت[٧].

٤٢ ـ **التطهير**: وهو نخبة من النخبة، لبيان علم الأخلاق، يقرب من خمسمائة بيت[٨]. وفي الذريعة هو المنتخب من النخبة الفقهيّة[٩].

٤٣ ـ **تطهير السر**: ذكره في فهرست تصانيفه[١٠].

٤٤ ـ **تعليقات النخبة الصغرى**: فيها تفصيل ماأجملته وتبيين ما أبهمته[١١].

٤٥ ـ **تفسير الأمانة**: ذكره ﷺ في فهرست مصنفاته كما في ريحانة الأدب[١٢].

٤٦ ـ **تقويم المحسنين**: في معرفة الساعات والشهور والسنين، وسمّاه ثانياً بأحسن التقويم، كماله غنيمة الأيام ومعيار الساعات ايضاً في هذا الموضوع[١٣].

---

١ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٧.
٢ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٧.
٣ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٧.
٤ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٧.
٥ ـ الذريعة: ج ٤، ص ١٨١.
٦ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٦.
٧ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٤.
٨ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٣.
٩ ـ الذريعة: ج٤، ص ٢٠١.
١٠ ـ الذريعة: ج٤، ص ٢٠١.
١١ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٩.
١٢ ـ ريحانة الادب: ج٣، ص ٢٤٣.
١٣ ـ الذريعة: ج ٤، ص ٤٠٠ ـ ٤٠٣.

٤٧ ـ **تنفيس الهموم**: عده ﷺ من مثنوياته في فهرست تصنيفاته كما ورد في الذريعة[١].

٤٨ ـ **تنوير المذاهب**: وهو تعليقات على تفسير القرآن المنسوب إلى الكاشفي الموسوم بالمواهب العلية، يقرب من ثلاثة آلاف بيت[٢].

٤٩ ـ **التوحيد**: يوجد في مكتبة السيد راجه محمد مهدي في فيض آباد كما في فهرستها كما ورد في الذريعة[٣].

ـ ث ـ

٥٠ ـ **ثمرة الشجرة الإلهيّة**: عدّه ﷺ في فهرست مصنّفاته كما ورد في الذريعة[٤].

٥١ ـ **ثناء المعصومين** عليهم السلام: في إنشاء التحية والصلاة والسلام عليهم، وذكر بعض محامدهم. فرغ من كتابته ١٠٦٩ هـ[٥].

ـ ج ـ

٥٢ ـ **الجبر والإختيار**: ذكر صاحب الذريعة بأنّه طبع في ضمن مجموعة كلمات المحققين في سنة ١٣١٥ هـ[٦].

٥٣ ـ **الجبر والتفويض**: قال في الذريعة: منضم مع الجبر والتفويض للمير داماد[٧].

٥٤ ـ **جلاء العيون**: في بيان أذكار القلب في مائتي بيت[٨].

٥٥ ـ **جهاز الأموات**: وهي رسالة تشتمل علىٰ امهات المسائل الشرعيّة المتعلقة بالجنائز[٩].

٥٦ ـ **جواب الأبهري**: عن كيفية علم الله تعالى بالموجودات في الأزل، وأنّه هل كان عالماً بالأشياء قبل وجودها أم لا! كما ورد في الذريعة[١٠].

---

١ ـ الذريعة: ج ٤، ص ٤٥٩.

٢ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٥.

٣ ـ الذريعة: ج ٤، ص ٤٨١.

٤ ـ الذريعة: ج ١٣، ص ٢٩، ذيل رقم ٩٠.

٥ ـ الذريعة: ج ٥، ص ١٦.

٦ ـ الذريعة: ج٥، ص ٨٢.

٧ ـ الذريعة: ج ٥، ص ٨٥.

٨ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٤.

٩ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٩.

١٠ ـ الذريعة: ج ٥، ص ١٧٢.

٥٧ ـ جواب بعض الاخوان: رسالة أخلاقيّة اعتذر فيها عن عدم إهتمامه بقضاء حاجات المؤمنين متعرضاً بالمرسل إليه ومعاتباً له بنحو لطيف. رأيته ضمن مجموعة من رسائل الفيض هكذا ذكره صاحب الذريعة[١].

٥٨ ـ جواب مسألة الوجود: في بيان أنه مشترك لفظي أو معنوي، قال في الذريعة ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه[٢]

٥٩ ـ جواب من سأل عن البرهان على حقيقة مذهب الإماميّة من أهل مولطان: عدّه ﷺ في فهرست مصنّفاته كما جاء في مفاتيح الشرائع[٣].

٦٠ ـ جواب من سأل عن تجدد الطبائع وحركة الوجود الجسماني: ذكره في فهرست مصنّفاته كما ورد في الذريعة[٤].

٦١ ـ جواب من سأل عن محاكمة بين بعض المنسوبين: إلى العلم الرسمي، وبعض المتجردين للذكر الاسمي. ذكره في فهرست مصنفاته كما جاء في مفاتيح الشرائع[٥].

ـ ح ـ

٦٢ ـ الحاشية على الرواشيح السماوية: قال في الذريعة نقلاً عن الروضات: رأيتها بخط المحشي[٦].

٦٣ ـ الحقائق في أسرار الدين: ملخص كتاب المحجة ولبابه، في سبعة آلاف بيت، صنف في سنة تسعين وألف ١٠٩٠ هـ[٧].

ووِرد في روضات الجنات بانه وقع الفراغ منه سنة ١٠٤٦ هـ[٨].

٦٤ـ الحق المبين: في كيفيّة التفقه في الدين، قال في الذريعة: انه يقرب من ٢٥٠ بيت، وصنفه في سنة ١٠٦٨ هـ[٩].

---

١ ـ الذريعة: ج ٥، ص ١٧٨.
٢ ـ الذريعة: ج ٥، ص ١٩٣.
٣ ـ مفاتيح الشرائع: ج ١، ص ٢٥.
٤ ـ الذريعة: ج ٥، ص ١٨٢.
٥ ـ مفاتيح الشرائع: ج ١، ص ٢٥.
٦ ـ الذريعة: ج ٦، ص ٩٠.
٧ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٣.
٨ ـ روضات الجنات: ج ٦، ص ٨٩.
٩ ـ الذريعة: ج ٧، ص ٣٨.

- خ -

٦٥ ـ الخطب: يشتمل علىٰ ماءة خطبة ونيف لجـمعات السنة والعيدين يـقرب مـن أربعة آلاف بيت، وقد تم جمعه في سنة ١٠٦٧ هـ[١].

٦٦ ـ خلاصة الأذكار: يقرب من ألفي بيت وثلاثماءة بيت ٢٣٠٠ وقد صنف في سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف ١٠٣٣ هـ[٢].

- د -

٦٧ ـ دهر آشوب: قصائد فارسيّة ذكره في عداد مثنوياته في فهرست تصانيفه كما جاء في الذريعة[٣].

٦٨ ـ ديوان فيض كاشاني: مرتب علىٰ حروف القوافي في الغزل في ٤٣٦ صفحة كـما جاء في الذريعة[٤].

- ذ -

٦٩ ـ ذريعة الضراعة: في جميع الأدعية المتضمّنة للمناجاة المنقولة عن الأئمة عليهم السلام، يقرب من خمسة آلاف بيت، وقد صنف في سنة نيّف وخمسين بعد الألف[٥].

- ر -

٧٠ ـ راه صواب: رسالة فارسية ذكر فيها سبب اختلاف اهل الاسلام في المذاهب، والباعث لهم علىٰ تدوين الاصوليين وتحقيق معنىٰ الاجماع، في خمسمائة بيت، وقد صـنف في سنة نيف وأربعين وألف هـ[٦].

٧١ ـ رفع الفتنة: وهي رسالة في بيان شمة من حـقيقة العـلم والعـلماء، وأصـنافهما، وشمامة من معنى الزهد والعبادة وأصحابهما[٧].

---

١ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٧.
٢ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٦.
٣ ـ الذريعة: ج ٨، ص ٢٨٢.
٤ ـ الذريعة: ج ٩/٣، ص ٨٥٤.
٥ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٦.
٦ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٨.
٧ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٩.

٧٢ ـ الرفع والدفع: في رفع الآفات، ودفع البلّيات بالقرآن والدعاء، والعوذ والرقي، والعلاج والدواء، فارسي في أربعمائة وعشرين بيتاً[١].

-ز-

٧٣ ـ زاد الحج: فارسي يذكر فيها مناسك الحج والعمرة. عدّه في فهرسته كما جاء في مفاتيح الشرائع[٢].

٧٤ ـ زاد السالك: وهي رسالة يذكر فيها كيفية سلوك طريق الحق وشروطه وآدابه في ٢٠٠ بيت، الفت فيما بين الثلاثين والاربعين بعد الالف[٣].

٧٥ ـ زاد العقبي: في أعمال الاشهر الثلاثة، فارسي ذكره صاحب الذريعة[٤].

-س-

٧٦ ـ السانح الغيبي: رسالة في تحقيق معنى الايمان والكفر ومراتبهما[٥].

٧٧ ـ سفينة النجاة: في أن مأخذ الاحكام الشرعية ليس الا محكمات الكتاب والسنة، يقرب من الف وخمسمائة بيت، وقد صنف في سنة ١٠٥٨ هـ[٦].

٧٨ ـ السلسبيل: مثنوي. قال في الذريعة ذكره ﷺ في فهرست تصنيفاته[٧].

-ش-

٧٩ ـ الشافي: وهو منتخب من الوافي، وهو جزءان، جزء فيما هو من قبيل العقائد والاخلاق، وجزء هو من قبيل الشرائع والاحكام، في كل منهما اثني عشر كتاباً، يقرب من ستة وعشرين الف بيت، وقع الفراغ منه في سنة ١٠٨٢ هـ[٨].

٨٠ ـ الشجرة الإلهية: في اصول الدين باللغة الفارسية قال صاحب الذريعة: بانه ذكر في فهرست تصانيفه وانه ألفه لملك العصر[٩].

---

١ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٨.
٢ ـ مفاتيح الشرائع: ج ١، ص ٢٦.
٣ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٨.
٤ ـ الذريعة: ج ١٢، ص ٥.
٥ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٧.
٦ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٦.
٧ ـ الذريعة: ج ١٢، ص ٢١٥.
٨ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٢.
٩ ـ الذريعة: ج ١٣، ص ٢٩.

٨١ ـ **شراب طهور**: مثنوي ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه كما جاء في الذريعة[١].

٨٢ ـ **شرائط الايمان**: رسالة منتخب من «راه صواب» يقرب من ٢٥٠ بيت، وقد صنّف في سنة ١٠٦٢ هـ[٢].

٨٣ ـ **شرح الصحيفة السجادية**: شرح منها ما لعله يحتاج إلى الشرح بايجاز واختصار، يقرب من الف بيت وثمانين، صنّف في سنة خمس وخمسين بعد الألف ١٠٥٥ هـ[٣].

٨٤ـ **شرح الصدر**: رسالة تشتمل على مجمل ما مضى من الحالات والنوائب في أيام عمري من ظعني وإقامتي وإستفادتي وافادتي ومكارمي ومقاماتي وخمولي وشهرتي وخلوتي وصحبتي ومفارقة اخواني المحبوبين ومخالطة أصحابي المكرمين وهي نفثة من نفثاتي، وقد صنف في سنة ١٠٦٥ هـ[٤].

٨٥ ـ **شوق الجمال**: انتزعه من ديوانه «گلزار قدس» ذكره ﷺ في فهرسته كما ذكره صاحب الذريعة[٥].

٨٦ـ **شوق العشق**: انتزعه من ديوانه «گلزار قدس» ذكره ﷺ في فهرسته كما ذكره صاحب الذريعة[٦].

٨٧ ـ **شوق المهدي**: غزليات فارسيّة في ظهور المهدي عليه السلام والتشوق إليه عجل الله تعالى فرجه، وهو نحو من ستين غزلاً[٧].

٨٨ ـ **الشهاب الثاقب**: في تحقيق عينيّة وجوب صلاة الجمعة في زمن الغيبة. يقرب من أربعة آلاف بيت، وقد تم جمعه في سنة ١٠٦٧ هـ[٨].

ـ ص ـ

٨٩ ـ **الصافي في تفسير القرآن**: يقرب من سبعين ألف بيت فرغ من تأليفه في سنة

---

١ ـ الذريعة: ج ١٣، ص ٤٤.
٢ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٨.
٣ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٥.
٤ ـ لؤلؤة البحرين: ١٣٠.
٥ ـ الذريعة: ج ١٤، ص ٢٤٧.
٦ ـ الذريعة: ج ١٤، ص ٢٤٧.
٧ ـ الذريعة: ج ١٤، ص ٢٧٤.
٨ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٧.

١٠٧٥ هـ. وصدّره باثني عشرة فائدة في فضل القرآن ووجوهه، والمنع عن تفسيره بالرأي وتحريفه الى غير ذلك من مقدمات التفسير.

ـض ـ

٩٠ ـ **ضوابط الخمس**: رسالة في الأحكام الشك والسهو والنسيان في الصلاة[١].

٩١ ـ **ضياء القلب**: في تحقيق حقيقة الحكام الخمسة التي تحكم على الإنسان في باطنه، يقرب من خمسمائة بيت. صنّفت في سنة سبع وخمسين بعد الألف[٢].

ـع ـ

٩٢ ـ **علم اليقين في أُصول الدين**: أربعة عشر ألف بيت وخمسماءة تقريباً، صنف في سنة اثنتين وأربعين بعد الألف هـ ١٠٤٢ هـ[٣].

٩٣ ـ **عين اليقين**: في اصول الدين في اثنى عشر ألف بيت تقريباً صنّف في سنة ست وثلاثين بعد الألف ١٠٣٦ هـ[٤].

ـغ ـ

٩٤ ـ **غنية الأنام**: رسالة في معرفة الساعات والأيّام ممّا هو مستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام[٥].

ـف ـ

٩٥ ـ **فهرست تصانيف الفيض**: كتبه بنفسه في ذكر تصانيفه وعدد أبياته، وتاريخ فراغها، وله في هذا الموضوع تأليفان فرغ من الثانية سنة ١٠٩٠ هـ[٦].

٩٦ ـ **فهرست العلوم**: شرحت فيها أنواعها وأصنافها[٧].

ـق ـ

٩٧ ـ **قرّة العيون في أعزّ الفنون**: في ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت ألّف في سنة ١٠٣٨

---

١ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٩.

٢ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٥.

٣ و ٤ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٣.

٥ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٩.

٦ ـ الذريعة: ج ١٦، ص ٣٧٩.

٧ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٩.

هـ[١]. وفي الذريعة: فرغ منه سنة ١٠٨٨ هـ، وأنّه في ٦٠ كلمة في ١٢ مقالة في كلّ مقالة خمس كلمات في المعارف والحكم[٢].

ـ ك ـ

٩٨ ـ **الكلمات الرائعة**: انتزعه من كتابه «الكلمات المكنونة» وهو كأصله ملمّع في ثلاث مقاصد في كلّ مقصد سبع كلمات[٣].

٩٩ ـ **الكلمات السريّة**: المنتزعة من أدعية المعصومين عليهم السلام في ثلاثمائة وثلاثين بيتاً، صنّف في سنة ثمانين وألف ١٠٨٠ هـ[٤].

١٠٠ ـ **الكلمات الطريفة**: مئة كلمة في آخرها ختام في منشأ اختلاف الأُمّة في ألف بيت فرغ منها في ١٠٦٦ هـ[٥].

١٠١ ـ **الكلمات المخزونة**: وهي المنتزعة من المكنونة، يقرب من ألف بيت وسبعمائة بيت[٦].

١٠٢ ـ **الكلمات المضنونة**: في بيان التوحيد، في ثمانمائة بيت، صنّف في سنة تسعين بعد الألف ١٠٩٠ هـ[٧].

١٠٣ ـ **الكلمات المكنونة**: في علوم أهل المعرفة وأقوالهم، يقرب من أربعة آلاف وأربعمائة بيت، صنف في سنة سبع وخمسين بعد الألف ١٠٥٧ هـ[٨]

ـ گ ـ

١٠٤ ـ **گلزار قدس**: ديوان كبير شبه الكشكول في القصائد والغزليّات والرباعيّات وغيرها. ذكره في فهرسته بقمصر كاشان[٩].

---

١ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٣ ـ ١٢٤.
٢ ـ الذريعة: ج ١٧، ص ٧٥.
٣ ـ الذريعة: ج ١٨، ص ١١٤.
٤ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٤.
٥ ـ الذريعة: ج ١٨، ص ١١٦.
٦ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٤.
٧ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٤.
٨ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٤.
٩ ـ الذريعة: ج ١٨، ص ٢١٨.

- ل -

١٠٥ ـ اللئالي: طائفة مستخرجة من الكلمات المكنونة، عدّتها أحد وأربعون كلمة في ١٦٤٥ بيت[١].

١٠٦ ـ اللب: وهو لب القول في معنى حدوث العالم، في ثلاثمائة وسبعين بيتاً[٢].

١٠٧ ـ اللباب: وهو لباب القول في الإشارة إلى كيفيّة علم الله سبحانه بالأشياء في مائتي بيت[٣].

١٠٨ ـ لب الحسنات: مختصر منتخب من الأوراد مع ذكر ثوابها ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه، كتبه بأمر شاه عباس الثاني مرتب على ثلاثة أبواب في أدعية اليوم والليلة، وأدعية الأسابيع، وأدعية الشهور ألّفه سنة ١٠٧٣ هـ كما جاء في الذريعة[٤].

١٠٩ ـ متعلّقات النخبة الصغرى: تفسير ما أجملته وتبيين ما أبهمته، يقرب من الأصل في الحجم أو يزيد عليه كما ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه، قاله صاحب الذريعة[٥].

١١٠ ـ المحاكمة: رسالة تشتمل على محاكمة بين فاضلين من مجتهدي أصحابنا في معنى التقيّة في الدين[٦].

١١١ ـ المحجّة البيضاء في إحياء الإحياء: ومجموعه ثلاثة وسبعون ألف بيت تقريباً، وقع الفراغ منه في سنة ست وأربعين بعد الألف ١٠٤٦ هـ[٧].

١١٢ ـ مختصر الأوراد: ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه وهذا غير منتخب الأوراد الآتي. ألّفه سنة ١٠٣٤ هـ كما في مقدّمة الوافي[٨].

١١٣ ـ مرآة الآخرة: تنكشف فيه حقيقة الجنّة والنار ووجودهما الآن ومحلّهما من الدنيا، في تسعمائة بيت، وقد صنّف في سنة أربع وأربعين بعد الألف ١٠٤٤ هـ[٩].

---

١ ـ الذريعة: ج ١٨، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.
٢ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٥.
٣ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٥.
٤ ـ الذريعة: ج ١٨، ص ٢٨٦.
٥ ـ الذريعة: ج ٢٤، ص ٩٨.
٦ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٩.
٧ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٣.
٨ ـ مقدمة الوافي: ج ١، ص ٥٥.
٩ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٥.

١١٤ ـ المشواق: رسالة فارسيّة في تهييج الشوق والمحبّة لله والأنس به، وفيه الرد على بعض القشريين المنكرين لأهل الذوق، وشرح اصطلاحات الصوفيّة من «زلف، خال، شراب» وغيرها. ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه هكذا جاء في الذريعة[١].

١١٥ ـ المصفّى: مختصر من «الآصفي» الذي هو مختصر «الصافي» والتفاسير الثلاثة له، هكذا ذكره صاحب الذريعة[٢].

١١٦ ـ المعارف: وهو ملخص من كتاب علم اليقين في ستّة آلاف بيت تقريباً، ألّفه في سنة ١٠٨٣ هـ[٣].

١١٧ ـ معتصم الشيعة في أحكام الشريعة: قد خرج منه كتاب الصلاة ومقدماتها، مجلّد يقرب من أربعة عشر ألف وأربعمائة بيت، وقع الفراغ منه في سنة تسع وعشرين بعد الألف ١٠٢٩ هـ[٤].

١١٨ ـ معيار الساعات: رسالة قريبة من الغنية إلّا أنّها بالفارسيّة[٥].

١١٩ ـ مفاتيح الخير: في فقه ما يتعلّق بسوابق الصلاة ولواحقها بالفارسيّة، يقرب من ٢٥٠ بيتاً[٦].

١٢٠ ـ مفاتيح الشرائع: يقرب من خمسة عشر ألف بيت وقع الفراغ منه في سنة اثنين وأربعين بعد الألف ١٠٤٢ هـ[٧].

١٢١ ـ مكارم الأخلاق ومساويها: كما في فهرست مصنّفاته والنسخة منها موجودة عند الفاضل الفيضي من أحفاد المصنّف هكذا جاء في مقدّمة الوافي[٨].

١٢٢ ـ مناجات نامه أو منظومة في المناجاة مع الله سبحانه: عدّه ﷺ في فهرست تصانيفه. كما جاء في مفاتيح الشرائع ومقدّمة الوافي[٩].

---

١ ـ الذريعة: ج ٢١، ص ٦٧ ـ ٦٨.
٢ ـ الذريعة: ج ٢١، ص ١٣٠.
٣ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٣.
٤ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٣.
٥ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٩.
٦ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٩.
٧ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٣.
٨ ـ مقدّمة الوافي: ج ١، ص ٥٦.
٩ ـ مفاتيح الشرائع: ج ١، ص ٢٩. ومقدمة الوافي: ج ١، ص ٥٦.

١٢٣ ـ منازل السالكين: يقرب من ٢٠٠ بيت ضمن مجموعة فيها «زاد السالكين» هكذا ذكره صاحب الذريعة[١].

١٢٤ ـ منتخب الأوراد: يشتمل على الأذكار والدعوات المتكرّرة في اليوم والليلة والأُسبوع والسنة، يقرب من خمسة آلاف وخمسمائة بيت، وقع الفراغ من تصنيفه في سنة سبع وستين وألف ١٠٦٧ هـ[٢].

١٢٥ ـ منتخب رسائل اخوان الصفا: الإحدى والخمسين في الأخلاق، كما ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه في ألفي بيت كما جاء في الذريعة[٣].

١٢٦ ـ منتخب غزليّات شمس: ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه كما جاء في مقدّمة الوافي[٤].

١٢٧ ـ منتخب غزليّات المثنوي: في ثلاثة آلاف بيت ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه كما ورد في الذريعة[٥].

١٢٨ ـ منتخب فتوحات المكيّة: في أربعة آلاف بيت ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه كما ورد في الذريعة[٦].

١٢٩ ـ منتخب گلزار قدس: قال ﷺ: إنّ المنتخب إثنان: صغير وكبير، والمجموع ٢٠٠٠٠ بيت شرح فيها بعض مصطلحات الصوفيّة هكذا ورد في الذريعة[٧].

١٣٠ ـ منتخب مكاتيب قطب الدين محي: في أربعة آلاف بيت ذكره في فهرست تصانيفه كما ورد في الذريعة[٨].

١٣١ ـ منهاج النجاة: في بيان العلم الذي طلبه فريضة على كلّ مسلم، يقرب من ألفي بيت، صنّف في سنة ١٠٤٢ هـ[٩].

---

١ ـ الذريعة: ج ٢٢، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧.
٢ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٦ ـ ١٢٧.
٣ ـ الذريعة: ج ٢٢، ص ٤٠٦.
٤ ـ مقدّمة الوافي: ج ١، ص ٥٦.
٥ ـ الذريعة: ج ٢٢، ص ٤١٨.
٦ ـ الذريعة: ج ٢٢، ص ٤١٨.
٧ ـ الذريعة: ج ٢٢، ص ٤٢٦.
٨ ـ الذريعة: ج ٢٢، ص ٤٣٨.
٩ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٦.

١٣٢ ـ موجز في أحكام الشك والسهو: ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه كما جاء في مفاتيح الشرائع[١].

١٣٣ ـ ميزان القيامة: ذكر فيه تحقيق القول في كيفيّة ميزان يوم القيامة، يقرب من ستمائة بيت، صنّف في سنة أربعين بعد الألف ١٠٤٠ هـ[٢].

-ن-

١٣٤ ـ النخبة: يشتمل على خلاصة أبواب الفقه، في ثلاثة آلاف وثلاثمائة بيت تقريباً، ألّفه في سنة ١٠٥٥ هـ[٣].

١٣٥ ـ النخبة الصغرى: رسالة تشتمل على لباب فقه الطهارة والصلاة والصيام في وجيز لفظ وأعم نفع في ٣٦٠ بيت[٤].

١٣٦ ـ النخبة الكبرى: فصّل فيه ما أجمله، وبيّن ما أبهمه في «النخبة الصغرى» وهي كتعليقة تقرب من أصلها في الحجم أو يزيد عليها، ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه. كما ورد في الذريعة[٥].

١٣٧ ـ ندبة العارف: مثنوى ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه[٦].

١٣٨ ـ ندبة المستغيث: ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه[٧].

١٣٩ ـ نقد الأُصول الفقهيّة: يشتمل على خلاصة علم أُصول الفقه، صنف في عنفوان الشباب، وهو أوّل تصنيف له يقرب من ألفين وثلاثمائة بيت[٨].

١٤٠ ـ النوادر: في جمع الأحاديث غير المذكورة في الكتب الأربعة المشهورة في سبعة آلاف بيت[٩].

-و-

١٤١ ـ الوافي: خمسة عشر جزء، كل منها في كتاب برأسه، يقرب مجموعه من مائة

---

١ ـ مفاتيح الشرائع: ج ١، ص ٣٠.
٢ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٥.
٣ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٣.
٤ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٨.
٥ ـ الذريعة: ج ٢٤، ص ٩٨.
٦ و ٧ ـ الذريعة: ج ٢٤، ص ١٠٣.
٨ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٦.
٩ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٢.

وخمسين ألف بيت، وقع الفراغ من تصنيفه سنة ١٠٦٨ هـ[١]، هذا ومجموع الأحاديث الموجودة في الوافي مع البابين اللذين في خاتمته يبلغ خمسين ألف حديث (٥٠٠٠٠)، وتاريخ الفراغ من تصنيفه يطابق مادّة «جمعت الأحاديث» بحساب الجمل.

١٤٢ ـ وسيلة الإبتهال: عدّه ﷺ من مثنوياته في فهرست تصانيفه، قاله في «الذريعة»[٢].

١٤٣ ـ وصف الخيل: رسالة في ذكر ما ورد في اتخاذ الخيل ومعرفتها وعلامتها عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام، فارسيّة، تقرب من مائتي بيت، وقد صنّف في سنة سبع وستين وألف ١٠٦٧ هـ[٣].

ـ هـ ـ

١٤٤ ـ هديّة الأشراف: في تلخيص الإنصاف، قال في الذريعة: النسخة منها موجودة بمكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء[٤].

٨ ـ وفاته ومدفنه:

توفي (رحمه الله) بكاشان سنة ١٠٩١ هـ، وهو ابن أربع وثمانين، ودفن هناك وقبره مزار معروف وعليه لوحة مكتوب فيها هكذا «قبض المعتصم بحبل الله المؤمن المهيمن» محمد بن مرتضى المدعو بـ«محسن» سنة إحدى وتسعين وألف وهو ابن أربع وثمانين، حشره الله مع مواليه المعصومين.

٩ ـ مصادر الترجمة:

١ ـ أمل الآمل: للمحدّث الشيخ محمّد بن حسن الحر العاملي. منشورات مكتبة

---

١ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٢.

٢ ـ الذريعة: ج ٢٥، ص ٧٤.

٣ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٨.

٤ ـ الذريعة: ج ٢٥، ص ٢٠٥.

الأندلس، بغداد.

٢ ـ **بحار الأنوار**: للعلّامة الشيخ محمد باقر المجلسي. الطبعة الأُولى، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، ايران ـ طهران.

٣ ـ **جامع الرواة**: للعلّامة الأردبيلي، منشورات مكتبة المصطفوي، ايران ـ قم.

٤ ـ **ديوان الإمام علي أمير المؤمنين** عليه السلام: منشورات الشريف الرضي، ايران ـ قم.

٥ ـ **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**: للعلّامة آقا بزرگ الطهراني، منشورات دار الأضواء، بيروت.

٦ ـ **روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات**: للعلّامة محمد باقر الخوانساري، منشورات مكتبة إسماعيليّان، ايران ـ قم ١٣٩٢ هـ.

٧ ـ **رياض العلماء وحياض الفضلاء**: للأفندي ميرزا عبدالله، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ايران ـ قم ١٤٠١ هـ.

٨ ـ **ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب**: لميرزا محمّد علي المدرّس، ايران ـ قم.

٩ ـ **الكنى والألقاب**: للمحدّث القمّي، منشورات مكتبة الصدر، ايران ـ طهران.

١٠ ـ **لؤلؤة البحرين**: للمحدّث يوسف بن أحمد البحراني، منشورات مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ايران ـ قم.

١١ ـ **مستدرك الوسائل**: للمحدّث النوري، منشورات المكتبة الإسلاميّة ـ قم.

١٢ ـ **معادن الحكمة في مكاتيب الأئمّة**: للعلّامة علم الهدى محمّد بن محسن الكاشاني، منشورات مؤسسّة النشر الإسلامي، ايران ـ قم.

١٣ ـ **معجم المؤلفين**: لعمر رضا كحالة، منشورات دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٤ ـ **مفاتيح الشرائع**: للفيض الكاشاني، منشورات مجمع الذخائر الإسلاميّة، ايران ـ قم ١٤٠١ هـ.

١٥ ـ **الوافي**: للفيض الكاشاني، منشورات مكتبة أمير المؤمنين، ايران، اصفهان.

١٠ ـ منهج التحقيق:

لمّا كان الهدف الرئيسي في تحقيقنا منصبّاً على إخراج الكتاب سليماً من الأغلاط، بذلنا جهودنا في تصحيح الكتاب غير مهتمين بتسويد الهوامش وشحنها بالإشارة إلى النسخ المختلفة، واعتمدنا على نسخة خطيّة مصحّحة من مكتبة آية الله المرعشي النجفي تحت رقم ٥٩٦٤ في ٣٦٢ ورقة. وفي كل صفحة ٢٣ سطر بمقياس ٢٣ × ١٦ سم وقمنا بما يلي:

١ ـ تخريج الآيات القرآنيّة الكريمة المستشهد بها أثناء الحديث أو الإستدلال.

٢ ـ تخريج الأحاديث الشريفة الواردة في الكتاب.

٣ ـ تخريج الأقوال من مصادرها.

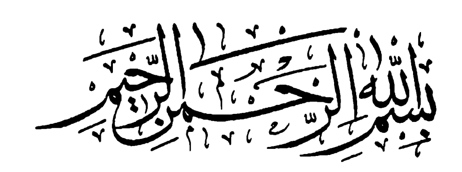
٤ ـ شرح الكلمات الغريبة مع ذكر المصدر.

وفي الختام نتقدّم بجزيل الشكر إلى مدير دار الكتب الإسلاميّة الأخ الكريم الحاج مرتضى الآخوندي لطبع هذا الكتاب وإخراجه بهذه الحلّة القشيبة راجين من الله سبحانه عزّ وجلّ التوفيق والسداد لإحياء تراث علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام.

السيّد محسن الحسيني الأميني

قم المشرّفة

١٤١٤هـ



نحمدُك يا من تجلّى لعباده في كتابه، بل في كلّ شيء، وأراهم نفسه في خطابه، بل في كلّ نور وفيء. دلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته[1]، كيف يستدلّ عليه بما هو في وجوده مفتقر إليه، بل متى غاب حتّى يحتاج إلى دليل يدلّ عليه، ومتى بعُد حتّى تكون الآثار هي التي تُوصل إليه، عَمِيَت عين لا تراه ولا يزال عليها رقيباً، وخَسِرَتْ صفقة عبد لم يجعل له من حبّه نصيباً[2]، تعرّف لكلّ موجود فما جهله موجود، وتعرّف إلينا بكلّ شاهد لنشاهده في كلّ مشهود، ﴿نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَـذِيراً﴾[3]. وأودع أسراره أهل البيت فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

أبلج[4] عن هدى نبيّه المرسل بنور كتابه المنزل، وكشف عن سرّ كتابه المنزل بعترة نبيّه المرسل، جعل الكتاب والعترة حبلين ممدودين بينه وبيننا ليخرجنا بتمسّكنا بهما من مهوى ضلالتنا، ويُذهب عنّا شيننا[5] لم يزل أقامهما فينا طرف منهما بيده وطرف بأيدينا، منّ

---

١ ـ مقتبس من قول أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصباح.

٢ ـ مقتبس من دعاء الحسين عليه السلام في يوم عرفة، راجع الإقبال: ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

٣ ـ الفرقان: ١.

٤ ـ البلوج: الإشراق. تقول: بَلَجَ الصّبْحُ يَبْلُجُ بالضمّ: أي أضاء. الصحاح: ج ١، ص ٣٠٠، مادة «بلج».

٥ ـ الشَيْنُ: خلاف الزين، يقال: شانه يشينه شيناً من باب باع: عابه. والشَيْنُ: ما يحدثُ في ظاهر الجلد من الخشونة يحصل به تشويه الخلقة. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٧٣، مادة «شين».

بهما علينا وحبّبهما بفضله إلينا، وهما الثقلان اللّذان تركهما النبي ﷺ فينا وخلّفهما لدينا، وقال: إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ حوضي[١].

فأخبرنا بأنّهما صاحبان مصطحبان، وأخوان مؤتلفان، وإنّ العترة تراجمة للقرآن، فمن الكشّاف عن وجوه عرائس أسراره ودقائقه، وهم قد خوطبوا به، ومن التبيان عند مشكلاته ولديه مجمع بيان معضلاته، ومنبع بحر حقائقه وهم أبو حسنه، ومن لشرح آيات الله وتيسير تفسيرها بالرموز والصراح إلّا من شرح الله صدره بنوره ومثّله بالمشكاة، والمصباح، ومن عسى يبلغ علمه بمعالم التنزيل والتأويل وفي بيوتهم كان ينزل جبرئيل، وهي البيوت التي أذن الله أن ترفع، فعنهم يؤخذ ومنهم يسمع إذ أهل البيت بما في البيت أدرى، والمخاطبون لمّا خوطبوا به أوعى، فأين نذهب عن بابهم، وإلى من نصير لا والله ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٢]، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٣] اللّهمّ فكما هديتنا للتمسّك بحبل الثقلين، وجعلت لنا المودّة في القربى قرّة عين، فاشرح صدورنا لأسرار كتابك لنرتقي من العلم إلى العين[٤]، ونوّر أفئدتنا بأنوار العترة لتخرجنا من ظلمات الغين[٥]، والرّين[٦]، وصلّ اللّهمّ على محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وعلى التسعة من ولد الحسين عليهم السلام وصن بياننا عن الشين[٧]، ولساننا عن المين[٨].

---

١ ـ بصائر الدرجات: ص٤٣٣، ح٣. ووسائل الشيعة: ج١٨، ص١٩، ح٩. وبحار الأنوار: ج٢٣، ص١٠٤ ـ ١٦٦، ح٧ و٩ و١١ و١٢ و٣٦. وغير ذلك. باب فضائل أهل البيت عليهم السلام والنص عليهم جملة من خبر الثقلين.

٢ ـ فاطر: ١٤.

٣ ـ البقرة: ٢٨٥.

٤ ـ وعين المتاع: خياره. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٨٧، أي لنرتقي بسبب العلم إلى ما هو أفضل الأشياء، فمن علم اليقين إلى عين اليقين.

٥ ـ الغين: الغيم، ويقال: شجر ملتفّ. النهاية لابن الأثير: ج ٣، ص ٤٠٣، فيكون المعنى لتخرجنا من ظلمات الكدورة والمعاصي الملتف حول القلب أحياناً.

٦ ـ الرَّيْن: الطبع والدنس. وقال الحسن: هو الذنب على الذنب حتّى يسود القلب. الصحاح: ج ٥، ص ٢١٢٩، مادة «رين».

٧ ـ الشين: خلاف الزين، والمشاين: المعايب والمقابح. الصحاح: ج ٥، ص ٢١٤٧، مادة «شين».

٨ ـ المين: الكذب. الصحاح: ج ٦، ص ٢٢١٠، مادة «مين».

أمّا بعد:

فيقول خادم علوم الدين، وراصد أسرار كتاب الله المبين، والفقير إلى الله في كلّ موقف وموطن، محمّد بن مرتضى المدعو بـ«محسن» حشره الله مع النبيّين، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين: هذا يا إخواني ما سألتموني من تفسير القرآن ممّا وصل إلينا من أئمتنا المعصومين، من البيان أتيتكم به مع قلّة البضاعة، وقصور يدي عن هذه الصناعة، على قدر مقدور فإنّ المأمور معذور، والميسور لا يترك بالمعسور[1] ولاسيّما كنت أراه أمراً مهمّاً وبدونه أرى الخطب مدلهمّاً[2]، فإنّ المفسّرين وإن أكثروا القول في معاني القرآن إلّا أنّه لم يأت أحد منهم فيه بسلطان، وذلك لأنّ في القرآن ناسخاً ومنسوخاً، ومحكماً ومتشابهاً، وخاصّاً وعامّاً، ومبيّناً ومبهماً، ومقطوعاً وموصولاً، وفرائض وأحكاماً، وسنناً وآداباً، وحلالاً وحراماً، وعزيمة ورخصة، وظاهراً وباطناً، وحدّاً ومطلعاً، ولا يعلم تمييز ذلك كلّه إلّا من نزل في بيته، وذلك هو النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، فكلّ ما لا يخرج من بيتهم فلا تعويل عليه، ولهذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحقّ فقد أخطأ[3].

وقد جاءت عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن وتأويله أخبار كثيرة إلّا أنّها خرجت متفرّقة عند أسئلة السائلين، وعلى قدر أفهام المخاطَبين، وبموجب إرشادهم إلى مناهج الدين، وبقيت بعد خبايا[4] في زوايا خوفاً من الأعداء وتقيّة من البعداء، ولعلّه ممّا برز وظهر لم يصل إلينا الأكثر لأنّ رواته كانوا في محنة من التقيّة، وشدّة من الخطر، وذلك بأنّه لما جرى في الصحابة ما جرى، وضلّ بهم عامّة الورى، أعرض الناس عن الثقلين، وتاهوا في بيداء ضلالتهم عن النجدين إلّا شرذمة من المؤمنين ونكثت العامّة بعد ذلك سنين، وعمهوا في غمرتهم حتّى حين، فآل الحال إلى أن نبذ الكتاب حَمَلته وتناساه حَفَظته فكان الكتاب وأهله

---

١ ـ الميسور: ضدّ المعسور. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٥٢١. مادة «يسر».

٢ ـ دلهم: المدلهم: الأسود، وليلة مُدْلَهِمَّة: أي مظلمة. لسان العرب: ج ٤، ص ٣٩٧، مادة «دهم».

٣ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٣، س ١٤، الفن الثالث.

٤ ـ خبأ الشيء يخبوه خبأً: ستره، الخبءُ: كل شيء غائب ومستور، وواحد الخبايا: خَبيئَة، مثل خطيئة وخطايا. لسان العرب: ج ٤، ص ٦.

في الناس وليسا في الناس، ومعهم وليسا معهم، لأنّ الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا، وكان العلم مكتوماً وأهله مظلوماً لا سبيل له إلى إبرازه إلّا بتعميته وألغازه[١]، ثمّ خلف من بعدهم خلف غير عارفين، ولا ناصبين لم يدروا ما صنعوا بالقرآن، وعمّن أخذوا التفسير والبيان، فعمدوا إلى طائفة يزعمون أنّهم من العلماء، فكانوا يفسّرونه لهم بالآراء، ويروون تفسيره عمّن يحسبونه من كبرائهم، مثل أبي هريرة، وأنس، وابن عمر، ونظائرهم، وكانوا يعدّون أمير المؤمنين عليه السلام من جملتهم، ويجعلونه كواحد من الناس، وكان خير من يستندون إليه بعده: ابن مسعود، وابن عبّاس ممّن ليس على قوله كثير تعويل، ولا له إلى لباب الحقّ سبيل، وكان هؤلاء الكبراء ربما يتقوّلون من تلقاء أنفسهم غير خائفين من مآله، وربما يستندونه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن الآخذين عنهم من لم يكن له معرفة بحقيقة أحوالهم لما تقرّر عنهم أنّ الصحابة كلّهم عدول، ولم يكن لأحد منهم عن الحقّ عدول، ولم يعلموا أنّ أكثرهم كانوا يبطنون النفاق، ويجترؤون على الله، ويفترون على رسول الله صلى الله عليه وآله في عزّة وشقاق.

هكذا كان حال الناس قرناً بعد قرن، فكان لهم في كلّ قرن رؤساء ضلالة، عنهم يأخذون وإليهم يرجعون، وهم بآرائهم يجيبون أو إلى كبرائهم يستندون، وربما يروون عن بعض أئمّة الحق عليهم السلام في جملة ما يروون عن رجالهم، ولكن يحسبونه من أمثالهم فتّباً لهم ولازب[٢] الرواية إذ ما رعوها حقّ الرعاية، نعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب، ونسوا الله ربّ الأرباب، راموا غير باب الله أبواباً، واتّخذوا من دون الله أرباباً، وفيهم أهل بيت نبيّهم، وهم أزمّة الحقّ، وألسنة الصدق، وشجرة النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، وعيبة العلم، ومنار الهدى، والحجج على أهل الدنيا، وخزائن أسرار الوحي والتنزيل، ومعادن جواهر العلم والتأويل، الأُمناء على الحقائق، والخلفاء على الخلائق، أُولوا الأمر الّذين أُمِروا بطاعتهم، وأهل الذكر الذين أُمِروا بمسألتهم، وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والراسخون في العلم الذين عندهم علم القرآن كلّه تأويلاً

---

١ ـ اللغز: من الكلام ما يشبه معناه، والجمع: ألغاز، مثل رطب وأرطاب. المصباح المنير: ص ٥٥٥.

٢ ـ لازب: ممتزج متماسك يلزم بعضه بعضاً. منه رحمه الله.

وتفسيراً، ومع ذلك كلّه يحسبون أنّهم مهتدون، إنّا لله وإنّا وإنّا إليه راجعون.

ولمّا أصبح الأمر كذلك، وبقي العلم مخزوناً هنالك، صار الناس كأنّهم أئمّة الكتاب، وليس الكتاب بإمامهم، فضربوا بعضه ببعض لترويج مرامهم، وحملوه على أهوائهم في تفاسيرهم وكلامهم، والتفاسير التي صنّفها علماء العامّة من هذا القبيل فكيف يصحّ عليها التعويل، وكذلك التي صنّفها متأخّروا أصحابنا فإنّها أيضاً مستندة إلى رؤساء العامّة، وشذّ ما نقل فيه حديث عن أهل العصمة عليهم السلام، وذلك لأنّهم إنّما نسجوا على منواهم، واقتصروا في الأكثر على أقوالهم، مع أنّ أكثر ما تكلّم به هؤلاء وهؤلاء فإنّما تكلّموا في النحو والصرف والإشتقاق واللّغة والقراءة وأمثالها ممّا يدور على القشر دون اللباب فأين هم والمقصود من الكتاب، وإنّما أورد كلّ طائفة منهم ما قويت فيه منّته وترك ما لا معرفة له به ممّا قصرت عنه همّته، ومنهم من أدخل في التفسير ما لا يليق به فبسط الكلام في فروع الفقه وأُصوله، وطوّل القول في اختلاف الفقهاء، أو صرف همّته فيه إلى المسائل الكلاميّة، وذكر ما فيها من الآراء، وأمّا ما وصل إلينا ممّا ألّفه قدماؤنا من أهل الحديث فغير تام، لأنّه إمّا غير منتهٍ إلى آخر القرآن، وإمّا غير محيط بجميع الآيات المفتقرة إلى البيان مع أنّ منه ما لم يثبت صحّته عن المعصوم عليه السلام لضعف رواته، أو جهالة حالهم، ونكارة بعض مقالهم، ومنه ما أورد جامعه في كثير من المواضع ما لا مدخل له في فهم القرآن، وترك فيه وفي مواضع أُخر ما لابدّ منه في التفسير والتبيان، لم يأت بنظم يليق ولا باسلوب أنيق، ومنه ما يشتمل مع ذلك على ما ثبت خلافه في العقل والأنباء كنسبة الكبائر والسفه إلى الأنبياء، ومنه ما يشتمل على التأويلات البعيدة التي تشمئزّ عنها الطباع، وتنفر عنه الأسماع، وتحجب عن البيان، وتزيد في حيرة الحيران ما يجب ردّه إليهم من غير إنكار كما وردت به الأخبار، ولعلّها إن صحّت فإنّما وردت لمصالح ومعان يقتضيها الوقت والزمان، ومنه ما يشتمل على ما يوهم التناقض[1] والتضاد

---

١ ـ وذلك كما ورد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ تارة بأنّ المراد بالغيب التوحيد، راجع تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٦٧، ح٣٤. وأُخرى أنّ المراد به الأنبياء الماضون، راجع تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٦٧، ح٣٤. وأُخرى أنّ المراد به القيامة، راجع تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٧، ⟸

لتخصيص المعنى تارة ببعض الأفراد كأنّه هو المراد، وتارة بفرد آخر كأنّ غيره لا يراد، من غير تعرّض للجمع والتوفيق، والإتيان بما هو التحقيق، وجلّه يشتمل على ما يوهم اختصاص آيات الرحمة بأشخاص بأعيانهم، كأنّها لا يجاوزهم إلى الغير، واختصاص آيات العذاب بأشخاص أُخر، كأنّهم خصّوا بالبعد عن الخير من غير تعرّض منهم لبيان المراد، وأن ليس المقصود بهما خصوص الآحاد والأفراد، كما يعرفه البصير في الدين، والخبير بأسرار كلام المعصومين، كيف ولو كان ذلك كذلك لكان القرآن قليل الفائدة، يسير الجدوى والعائدة، حاشاه عن ذلك، بل إنّما ورد ذلك على سبيل المثال، لإزاحة الخفاء أو ذكر الفرد الأكمل، أو الأخفى أو المنزل فيه، أو للإشارة إلى أحد بطون معانيه.

وأمّا ما في كتب الأخبار، ممّا يتعلّق بالتفسير فكان مع اشتماله على بعض هذه الأُمور متفرّقاً بحيث يعسر ضبطه وربطه بالآيات، مع أنّه لم يَف بأكثر المهمّات.

وبالجملة لم نَرَ إلى الآن في جملة المفسّرين مع كثرتهم وكثرة تفاسيرهم مَن أتى بتصنيف تفسير مهذّب صافٍ وافٍ كافٍ شافٍ، يشفي العليل، ويروي الغليل[1] يكون منزّهاً عن آراء العوام، مستنداً[2] من أحاديث أهل البيت عليهم السلام، وليس لهذا الأمر الخطير، والإتيان بمثل هذا التفسير إلّا ناقد بصير، ينظر بنور الله، ويؤيّده روح القدس بإذن الله ليشاهد صدق الحديث وصحّته من إشراق نوره، ويعرف كذبه وضعفه من لحن القول وزوره، فيصحّح الأخبار بالمتون دون الأسانيد، ويأخذ العلم من الله لا من الأساتيد، حتّى يتأتّى له تمييز الصافي من الكدر، وتخريج الشافي من المضرّ، فينقّر الأخبار التفسيريّة المعصوميّة نقراً حتّى تصفوا عمّا يوهم غباراً في البيان، ويبقرها بقراً إلى أن يخرج من خاصرتها ما يناسب فهم أبناء الزمان

⇐ ح ٣٤، ومجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٨. وأُخرى أنّ المراد به القائم عليه السلام، راجع تفسير البرهان: ج ١، ص ٥٣، ح ٤ و٥ و٦. وأُخرى أنّ المراد به الرجعة، راجع تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٠. إلى غير ذلك، وهذه الأخبار توهم التناقض، وليست بمتناقضة لأنّ المراد به الجميع دائماً خرجت على ما اقتضاه الحال وفي ما اقتضاه السؤال. منه قدس سره.

١ ـ الغليل: الضغن والحقد، مثل الغُلّ، الصحاح: ج ٥، ص ١٧٨٤، مادة «غلل».

٢ ـ وفي نسخة: [مستنبطاً].

يجمّع شتاتها من كتب متعدّدة، ويؤلّف متفرقاتها من مواضع متبدّدة، ويفرّدها من كلام كثير ليس لأكثره مدخل في التفسير، ويلفّقها من غير واحد بحذف الزوائد بحيث يزيل الإبهام، لا أن يزيد إبهاماً على إبهام على نحو لا يخرج عن مقصود الإمام عليه السلام ولا يفوت شيئاً من لطائف الكلام، وقد جاءت الرخصة عنهم عليهم السلام في نقل حديثهم بالمعنى إذا لم يخل بالمرام، وأن يعمّم في تفسيره المعنى والمفهوم في كلّ ما يحتمل الإحاطة والعموم، لأنّ التناقض والتضاد الموهومين في الأخبار إنّما يرتفعان بذلك في الغالب، وفهم أسرار القرآن يبتني على ذلك المطالب، فإنّ نظر أهل المعرفة إنّما يكون في العلوم إلى الحقائق الكليّة دون الأفراد، فما ورد في الأخبار من التخصيص فإنّما ورد للأفهام القاصرة، على خصوص الآحاد للإستيناس، إذ كان كلامهم مع الناس على قدر عقول الناس، وقد عمّم مولانا الصادق عليه السلام الآية التي وردت في صلة رحم آل محمّد صلى الله عليه وآله صلة كلّ رحم[1] ثمّ قال: ولا تكونن ممّن يقول في الشيء إنّه في شيء واحد.

وهذا نهي عن التخصيص، فضلاً عن الإذن في التعميم، وهذا هو المعنى بالتأويل كما يأتي بيانه نقلاً عن المعصوم عليه السلام، ثمّ تحقيق معناه ببسط من الكلام إن شاء الله، وأن يأتي بذكر القصص التي يتوقف عليها فهم الآيات، وتعاطيها دون ما لا مدخل له فيها، وأن يترك ما يبعد عن الأفهام في طي الأخبار، ويذره في سنبله من غير نقل ولا إنكار، امتثالاً لما ورد فيما رواه مولانا الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ حديث آل محمّد صلى الله عليه وآله صعب مستصعب، لا يؤمن به إلّا ملك مقرّب أو نبي مرسل، أو عبد إمتحن الله قلبه للإيمان، فما عرض عليكم من حديث آل محمّد فلانت له قلوبكم وعرفتموه فخذوه، وما اشمأزّت منه قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلى الله وإلى الرسول، وإلى العالم من آل محمّد صلى الله عليه وآله، وإنّما الهلاك أن يحدّث عليكم أحدكم بشيء منه لا يحتمله فيقول: والله ما كان هذا والله ما هذا بشيء، والإنكار هو الكفر[2].

وإذا أتى المفسّر بهذا كلّه فمرجوّ له أن يكون من أهل البشارة في قوله سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ

---

١ ـ البرهان في تفسير القرآن: ج ٤، ص ٢٨٨، ح ٣.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٠١، ح ١، باب فيما جاء أنّ حديثهم صعب مستصعب.

وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[1] وإنّي لأرجو من فضل الله وكرمه أن يكون هذا الكتاب هو ذلك التفسير مع إنّي ما بلغت معشار حسنة من حسنات ذلك الناقد البصير، إلّا أن بصّرني الله ربّي ونصرني وأيّدني وسدّدني، وآتاني فهماً في قرآنه ثمّ أطلق لساني ببيانه، وما ذلك يا إلـهي إلّا بيدك ولا يوصل إليه إلّا بمعونتك وقدرتك، ولا ينال إلّا بمشيّتك وإرادتك، ولا يتأتّى إلّا بتوفيقك وتسديدك، فهب لي منك تأييداً وتسديداً وتوفيقاً وتحقيقاً حتّى أستفيد ذلك من خزائنك على أيدي خزّانك الأُمناء على وحيك العلماء بكتابك فإنّك إن وكلتني إلى سواك وسواهم تهت، وإن تركتني ونفسي ولهت، وإن كنت لي فيما بيني وبينك فزت، وعن مواقع الهلكة جزت، وذلك هو الفوز العظيم، وهو المرجو منك يا كريم، وما ذلك عليك بعزيز.

وبالحري: أي يسمّى هذا التفسير بالصافي لصفائه عن كدورات آراء العامّة والممل والمحيّر والمتنافي، ونمهّد أوّلاً اثنتي عشرة مقدّمة مهمّات ثمّ نشرع إن شاء الله في تفسير الآيات.

المقدّمة الأُولى: في نبذ ممّا جاء في الوصيّة بالتمسّك بالقرآن، وفي فضله.

والثانية: في نبذ ممّا جاء في أنّ علم القرآن كلّه إنّما هو عند أهل البيت عليهم السلام.

والثالثة: في نبذ ممّا جاء في أنّ جلّ القرآن إنّما ورد فيهم، وفي أوليائهم، وفي أعدائهم، وبيان سرّ ذلك.

والرابعة: في نبذ ممّا جاء في معاني وجوه الآيات من التفسير، والتأويل، والظهر، والبطن، والحد، والمطّلع، والمحكم، والمتشابه، والناسخ، والمنسوخ، وغير ذلك، وتحقيق القول في معنى المتشابه وتأويله.

والخامسة: في نبذ ممّا جاء في المنع من تفسير القرآن بالرأي والسرّ فيه.

والسادسة: في نبذ ممّا جاء في جمع القرآن، وتحريفه، وزيادته، ونقصه، وتأويل ذلك.

والسابعة: في نبذ ممّا جاء في أنّ القرآن تبيان كلّ شيء، وتحقيق معناه.

والثامنة: في نبذ ممّا جاء في أقسام الآيات واشتمالها على البطون، والتأويلات، وأنواع اللغات، واختلاف القراءات والمعتبرة منها.

---

١ ـ الزمر: ١٧ ـ ١٨.

والتاسعة: في نبذ ممّا جاء في زمان نزول القرآن، وتحقيق ذلك.

والعاشرة: في نبذ ممّا جاء في تمثّل القرآن لأهله يوم القيامة، وشفاعته لهم وثواب حفظه وتلاوته.

والحادية عشرة: في نبذ ممّا جاء في كيفيّة التلاوة وآدابها.

والثانية عشرة: في بيان ما اصطلحنا عليه في تفسير الآيات ليكون الناظر فيه على بصيرة، ومن الله الإعانة، وإعطاء الفهم والبصيرة.

المقدّمة الأُولى

في نبذ ممّا جاء في الوصيّة بالتمسّك بالقرآن وفي فضله

روى محمّد بن يعقوب الكليني طاب ثراه، في الكافي بإسناده[١]، ومحمّد بن مسعود العيّاشي في تفسيره بإسناده عن الصادق، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أيّها الناس إنّكم في دار هدنة، وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار، والشمس والقمر، يبليان كلّ جيد، ويقرّبان كلّ بعيد، ويأتيان بكلّ موعود، فأعدوا الجهاد لبعد المجاز، قال: فقام المقداد بن الأسود، فقال: يا رسول الله وما دار الهدنة؟ فقال: دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع، وماحل[٢] مصدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له تخوم وعلى تخومه تخوم لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل على

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٩٨ ـ ٥٩٩، ح ٢، باب فضل القرآن. وفيه: «له نجوم وعلى نجومه نجوم».

٢ ـ أي أنّ القرآن سبب لثواب العامل به وعقاب العادل عنه، فكأنّه يشفع للأوّل فيشفّع، ويشكو من الآخر فيصدّق، والماحل هاهنا: الشاكي، وقد يكون أيضاً بمعنى الماكر، يقال: محل فلان بفلان: إذا مكر به.

المعرفة لمن عرف الصفة[١].

وزاد في الكافي: فليجل جالٍ بصره وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويخلص من نشب، فإنّ التفكّر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلّص وقلّة التربّص[٢].

أقول: ماحل: أي يمحل بصاحبه إذا لم يتبع ما فيه، أعني يسعى به إلى الله تعالى، وقيل: معناه خصم مجادل.

والأنيق: الحسن المعجب.

والتخوم بالمثنّاة الفوقانيّة، والمعجمة: جمع تخم بالفتح، وهو منتهى الشيء لمن عرف الصفة، أي صفة التعريف وكيفيّة الإستنباط.

والعَطَبُ: الهلاك.

والنشب: الوقوع فيما لا مخلص منه.

وروى العيّاشي بإسناده عن الحارث الأعور، قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت يا أمير المؤمنين إنّا إذا كنّا عندك سمعنا الذي نشدّ[٣] به ديننا، وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياءاً مختلفة مغموسة لا ندري ما هي؟ قال: أوقد فعلوها؟ قال: قلت: نعم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أتاني جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد صلى الله عليه وآله ستكون في اُمّتك فتنة، قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من ولّاه من جبّار فعمل بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، لا تزيغه الأهوية، ولا تلبسه الألسنة، ولا يخلق على الرد ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، وهو الذي لم تناه[٤] الجن إذا سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً * يَهْدِى إِلَىٰ

١ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٢ ـ ٣، ح ١.

٢ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٩٨ ـ ٥٩٩، ح ٢، باب فضل القرآن.

٣ـ وفي نسخة: [نسدّ]. ٤ـ وفي نسخة: [تلبث].

ٱلرُّشْدِ﴾[1]. من قال به صدّق، ومن عمل به أُجر، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم، وهو الكتاب العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2][3].

وبإسناديهما[4] عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: القرآن هدىً من الضلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأجداث[5]، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم وما عدل أحد من القرآن إلّا إلى النار[6].

وروى العيّاشي: بإسناده عنه عليه السلام قال: عليكم بالقرآن فما وجدتم آية نجا بها من كان قبلكم فاعملوا به، وما وجدتموه ممّا هلك بها ممّن كان قبلكم فاجتنبوه[7].

وفي تفسير الإمام أبي محمّد الزكي عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثق، والدرجة العليا، والشفاء الأشفى، والفضيلة الكبرى، والسعادة العظمى، من استضاء به نوّره الله، ومن عقد به أُموره عصمه الله، ومن تمسّك به أنقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن آثره على ما سواه هداه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضلّه الله، ومن جعله شعاره ودثاره أسعده الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدي به ومعوّله الذي ينتهي إليه آواه الله إلى جنّات النعيم، والعيش السليم[8].

وفي الكافي: بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معاشر قرّاء القرآن اتّقوا الله فيما حملكم من كتابه فإنّي مسؤول وإنّكم مسؤولون، إنّي مسؤول عن تبليغ الرسالة،

١ـ الجن: ١ ـ ٢.
٢ـ فصلت: ٤٢.
٣ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٣ ـ ٤، ح ٢.
٤ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٠٠، ح ٨، باب فضل القرآن. وفيه: «وضياء من الأحداث».
٥ـ الجدث: القبر، والجمع: أجدث وأجداث. الصحاح: ج ١، ص ٢٧٧، مادة «جدث».
٦ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٥، ح ٨. وفيه: «وضياء من الأحزان».
٧ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٥، ح ٦.
٨ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠، باب فضائل القرآن. وفيه: «أدّاه الله إلى جنّات النعيم».

وأمّا أنتم فتسألون عمّا حملتم من كتاب الله وسنّتي[١].

وبإسناده: عنه عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا أوّل وافد على العزيز الجبّار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي، ثمّ أُمّتي ثمّ أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي[٢].

وبإسناده[٣]: عن سعد الإسكاف، عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أُعطيت السور الطُّوَل مكان التوراة، وأُعطيت المئين مكان الإنجيل، وأُعطيت المثاني مكان الزّبور، وفضّلت بالمفصّل ثمان وستّون سورة، وهو مهيمن على سائر الكتب، فالتوراة لموسى عليه السلام والإنجيل لعيسى عليه السلام والزبور لداود عليه السلام[٤].

أقول: اختلفت الأقوال في تفسير هذه الألفاظ أقربها إلى الصواب وأحوطها لسور الكتاب، إنّ الطُّوَل كصُرَد: هي السبع الأُول بعد الفاتحة على أن تعد الأنفال والبراءة واحدة، لنزولها جميعاً في المغازي وتسميتها بالقرينتين، والمئين: من بني إسرائيل إلى سبع سور سمّيت بها لأنّ كلّاً منها على نحو مائة آية، والمفصّل من سورة محمّد صلى الله عليه وآله إلى آخر القرآن سمّيت به لكثرة الفواصل بينها، والمثاني بقيّة السور وهي التي تقصر عن المئين وتزيد على المفصّل، كأنّ الطُّوَل جعلت مبادي تارة والتي تليها مثاني لها، لأنّها ثنّت الطُّوَل أي تلتها، والمئين جعلت مبادي أُخرى والتي تليها مثاني لها.

المقدّمة الثانية

في نبذ ممّا جاء في أنّ علم القرآن كلّه إنّما هو عند أهل البيت عليهم السلام

روي في الكافي بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: وساق الحديث ـ إلى أن قال: ـ ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أقرأنيها وأملاها

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٠٦، ح ٩، باب فضل حامل القرآن.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٠٠، ح ٤، باب فضل القرآن.

٣ ـ روى العياشي هذا الحديث أيضاً إلى قوله عليه السلام ثمان وستون. وأورد مكان ـ ثمان ـ سبع. منه قدّس سرّه.

٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٠١، ح ١٠، باب فضل القرآن.

عليّ فكتبتها بخطّي، وعلّمني تأويلها، وتفسيرها، وناسخها، ومنسوخها، ومحكمها، ومتشابهها، ودعا الله لي أن يعلّمني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ فكتبته منذ دعا لي بما دعا، وما ترك شيئاً علّمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي كان أو يكون، ولا كتاب منزلٍ على أحد قبله من طاعة أو معصيةٍ إلّا علّمنيه وحفظته، فلم أنس منه حرفاً واحداً، ثمّ وضع يده على صدري ودعا الله أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكمةً ونوراً، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي مذ دعوتَ الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أو تتخوف عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لست أتخوّف عليك نسياناً ولا جهلاً[١].

ورواه العيّاشي في تفسيره[٢].

والصدوق في إكمال الدين: بتفاوت يسير في ألفاظه، وزيد في آخره، وقد أخبرني ربّي أنّه قد استجاب لي فيك، وفي شركائك الذين يكونون من بعدك، فقلت: يا رسول الله ومن شركائي من بعدي؟ قال: الذين قَرَنهم الله بنفسه وبي، فقال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٣]، فقلت: ومن هم؟ قال: الأوصياء منّي إلى أن يردوا عليّ الحوض، كلّهم هادين مهديّين، لا يضرّهم من خذلهم، هم مع القرآن، والقرآن معهم لا يفارقهم ولا يفارقونه، بهم تنصر أُمّتي، وبهم يمطرون، وبهم يدفع عنهم البلاء، وبهم يستجاب دعاؤهم، فقلت: يا رسول الله سمّهم لي، فقال: ابني هذا ووضع يده على رأس الحسن عليه السلام، ثمّ ابني هذا ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام، ثمّ ابن له يقال له: علي، وسيولد في حياتك فاقرأه منّي السلام، ثم تكمله اثني عشر من ولد محمّد صلى الله عليه وآله، فقلت له: بأبي أنت وأُمّي فسمّهم لي، فسمّاهم رجلاً رجلاً منهم، فقال: فيهم والله يا أخا بني هلال مهدي أُمّة محمّد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، والله إنّي لأعرف من يبايعه بين الركن والمقام، وأعرف أسماء

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٦٢ ـ ٦٤، ذيل ح ١، باب اختلاف الحديث.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٤ ـ ١٥، ح ٢، باب علم الأئمّة بالتأويل.

٣ ـ النساء: ٥٩.

آبائهم وقبائلهم[١].

وفي الكافي: بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ما ادّعى أحد من الناس أنّه جمع القرآن كلّه كما أُنزل إلّا كذّاب، وما جمعه وحفظه كما أنزل الله الّا علي بن أبي طالب عليه السلام، والأئمّة من بعده عليهم السلام[٢].

وبإسناده: عن أبي جعفر عليه السلام إنّه قال: ما يستطيع أحد أن يدّعي أنّ عنده جميع القرآن كلّه ظاهره وباطنه غير الأوصياء[٣].

وبإسناده: عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[٤]، قال: هم الأئمّة عليهم السلام[٥].

وبإسناده: عنه عليه السلام، قال: قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله تعالى، وفيه بدؤ الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء، وخبر الأرض، وخبر الجنّة والنار، وخبر ما كان، وما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفّي، إنّ الله تعالى يقول: ﴿فِيهِ تِبْيانُ كُلِّ شِيء﴾[٦][٧].

أقول: الولادة المشار إليها تشمل الولادة الجسمانيّة والروحانيّة، فإنّ علمه يرجع إليه كما أنّ نسبه يرجع إليه، فهو وارث علمه كما هو وارث ماله، ولهذا قال: وأنا أعلم كتاب الله تعالى، وفيه كذا وكذا يعني وأنا عالم بذلك كلّه.

وبإسناده: عنه عليه السلام قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم،

---

١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة. ج ١، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥، ح ٣٧، الباب الرابع والعشرون.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٢٨، ح ١، باب إنّه لم يجمع القرآن إلّا الأئمّة عليهم السلام. وفيه: «كما نزّله الله تعالى».

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٢٨، ح ٢، باب إنّه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الأئمّة عليهم السلام.

٤ ـ العنكبوت: ٤٩.

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ٢١٤، ح ٢، باب إنّ الأئمّة قد أُوتوا العلم وأُثبت في صدورهم.

٦ ـ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء﴾، النحل: ٨٩.

٧ ـ الكافي: ج ١، ص ٦١، ح ٨، باب الرد إلى الكتاب والسنّة.

ونحن نعلمه[١].

وبإسناده: عنه عليه السلام قال: نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله[٢].

وفي تفسير العيّاشي: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّا أهل بيت لم يزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوّله إلى آخره، وإنّ عندنا من حلال الله وحرامه ما يسعنا كتمانه ما نستطيع أن نحدّث به أحداً[٣].

وفي رواية: إنّ من علم ما أُوتينا تفسير القرآن، وأحكامه. لو وجدنا أوعية أو مستراحاً[٤] لقلنا والله المستعان[٥].

وفيه: عنه عليه السلام قال: إنّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم القرآن، وبها نوّهت الكتب ويستبين الإيمان، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقتدى بالقرآن وآل محمّد صلى الله عليه وآله وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: إنّي تارك فيكم الثّقلين، الثّقل الأكبر، والثّقل الأصغر، فأمّا الأكبر فكتاب ربّي، وأمّا الأصغر فعترتي أهل بيتي فاحفظوني فيهما فلن تضلّوا ما تمسّكتم بهما[٦].

وفي الكافي: بإسناده عن زيد الشحّام، قال: دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، فقال أبو جعفر عليه السلام: بلغني إنّك تفسّر القرآن! قال له قتادة: نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: بعلم تفسّره، أم بجهل؟ قال: لا بل بعلم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: فإن كنت تفسّره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك، قال قتادة: سل، قال:

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٦١، ح ٩، باب الرد إلى الكتاب والسنّة.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٢١٣، ح ١، باب أنّ الراسخين في العلم هم الأئمّة عليهم السلام.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٦، ح ٨، باب علم الأئمّة بالتأويل.

٤ ـ والمستراح: موضع الراحة. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٦٣.

٥ ـ بصائر الدرجات: ص ٢١٤، ح ١، باب ٧، في أنّ الأئمّة عليهم السلام أُعطوا تفسير القرآن. وإليك نصّه: قال مصعب: سمعت أبا عبدالله عليه السلام، يقول: إنّ من علم ما أُوتينا تفسير القرآن وأحكامه، وعلم تغيير الزمان، وحدثاته، وإذا أراد الله بقوم خيراً أسمعهم ولو أسمع من لم يسمع لولّى معرضاً كأن لم يسمع ثمّ أمسك هنيئة ثمّ قال: لو وجدنا وعاءاً ومستراحاً لعلّمنا والله المستعان.

٦ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٥، ح ٩، باب فضل القرآن.

أخبرني عن قول الله تعالى في سبأ: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ﴾[١]، فقال قتادة: ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يريد هذا البيت كان آمناً حتى يرجع إلى أهله، فقال أبو جعفر عليه السلام: نشدتك بالله تعالى يا قتادة هل تعلم أنّه قد يخرج الرجل من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته، ويُضْرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه، قال قتادة: اللّهمّ نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إن كنت إنّما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، ويحك يا قتادة ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يؤمّ هذا البيت عارفاً بحقّنا يهوانا قلبه كما قال الله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾[٢]، ولم يعن[٣] البيت فيقول إليه، فنحن والله دعوة إبراهيم عليه السلام التي من هوانا قلبه قبلت حجّته، وإلّا فلا، يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنّم يوم القيامة، قال قتادة: لا جرم والله لا فسّرتها إلّا هكذا، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إنّما يعرف القرآن من خوطب به[٤].

أقول: هكذا وجدنا هذا الحديث في نسخ الكافي ويشبه أن يكون قد سقط منه شيء وذلك لأنّ ما ذكره قتادة لا تعلّق له بقوله تعالى: ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ﴾[٥] لأنّه ما ذكر فيه ـ أين هي من الأرض ـ، وإنّما يتعلّق بقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِناً﴾[٦] وكذلك ما قاله الإمام عليه السلام وفيما ورد عن الصادق عليه السلام: من سؤال تفسير الآيتين عن أبي حنيفة دلالة أيضاً على ما ذكرناه من السقوط، وهو ما رواه في علل الشرائع بإسناده عنه عليه السلام إنّه قال لأبي حنيفة: أنت فقيه أهل العراق؟ فقال: نعم، قال: فَبِمَ تفتيهم؟ قال: بكتاب الله تعالى وسنّة نبيّه، قال: يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حقّ معرفته، وتعرف الناسخ من

---

١ ـ سبأ: ١٨. ٢ ـ إبراهيم: ٣٧.

٣ ـ أي لم يعن البيت فيقول: مكان تهوي إليهم، تهوي إليه، بل عني إيّاهم، فقال: تهوى إليهم أي أهل البيت عليهم السلام. منه قدّس سرّه.

٤ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣١١، ح ٤٨٥.

٥ ـ سبأ: ١٨. ٦ ـ آل عمران: ٩٧.

المنسوخ؟ فقال: نعم، فقال: يا أبا حنيفة لقد ادّعيت علماً، ويلك ما جعل الله ذلك إلّا عند أهل الكتاب الذي أنزله عليهم، ويلك وما هو إلّا عند الخاص من ذريّة نبيّنا وما أراك تعرف من كتابه حرفاً فإن كنت كما تقول، ولست كما تقول، فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ﴾[1] أين ذلك من الأرض؟ قال: أحسبه ما بين مكّة والمدينة، فالتفت أبو عبدالله عليه السلام إلى أصحابه فقال: تعلمون أنّ الناس يقطع عليهم ما بين المدينة ومكّة فيؤخذ أموالهم، ولا يُؤمَنُون على أنفسهم، ويقتلون، قالوا: نعم، فسكت أبو حنيفة فقال: يا أبا حنيفة أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِناً﴾[2] أين ذلك من الأرض؟ قال: الكعبة، قال: أفتعلم إنّ الحجّاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير في الكعبة فقتله كان آمناً فيها؟ فسكت[3].

ويأتي تفسير الآيتين في محلّهما إن شاء الله تعالى.

المقدّمة الثالثة
في نبذ ممّا جاء في أنّ جل القرآن إنّما نزل فيهم وفي أوليائهم وأعدائهم وبيان سرّ ذلك

في الكافي[4]، وتفسير العيّاشي: بإسنادهما عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل القرآن على أربعة أرباع، ربع فينا، وربع في عدوّنا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام، وزاد العيّاشي: ولنا كرائم القرآن[5].

وبإسنادهما[6]: عن الأصبغ بن نباتة، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نزل القرآن

---

١ ـ سبأ: ١٨. ٢ ـ آل عمران: ٩٧.
٣ ـ علل الشرائع: ج ١، ص ٨٩ ـ ٩١، ح ٥، باب ٨١ علّة المرارة في الأُذنين.
٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٢٨، ح ٤، باب النوادر.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٩، ح ١، باب في ما أُنزل القرآن.
٦ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٢٧، ح ٢، باب النوادر.

أثلاثاً، ثلث فينا وفي عدوّنا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام[١].

وروى العيّاشي بإسناده عن خيثمة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: القرآن نزل أثلاثاً، ثلث فينا وفي أحبّائنا، وثلث في أعدائنا وعدو من كان قبلنا، وثلث سنّة ومَثَلْ، ولو أنّ الآيـة إذا نزلت في قوم ثمّ مات أُولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكنّ القرآن يجري أوّله على آخره مادامت السماوات والأرض، ولكلّ قوم آية يتلونها وهم منها من خير، أو شرّ[٢].

أقول: لا تنافي بين هذه الأخبار لأنّ بناء هذا التقسيم، ليس على التسوية الحقيقيّة ولا على التفريق من جميع الوجوه، فلا بأس باختلافها بـالتثليث والتربـيع، ولا بـزيادة بـعض الأقسام على الثلث أو الربع أو نقصه عنهما، ولا دخول بعضها في بعض.

وبإسناده: عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لنا حقّ في كتاب الله تعالى المحكم لو محوه فقالوا: ليس من عند الله أولم يعلموا لكان سواء[٣].

أقول: إنّه قد وردت أخبار جمّة عن أهل البيت عليهم السلام في تأويل كثير من آيات القرآن بهم وبأوليائهم وبأعدائهم حتّى إنّ جماعة من أصحابنا صنّفوا كتباً في تأويل القرآن على هذا النحو، وجمعوا فيها ما ورد عنهم عليهم السلام في تأويل آية آية إمّا بهم أو بشيعتهم أو بعدوّهم على ترتيب القرآن، وقد رأيت منها كتاباً كاد يقرب من عشرين ألف بيت.

وقد روي في الكافي[٤]، وفي تفسيري العيّاشي[٥] وعلي بن إبراهيم القمّي[٦]، والتفسير المسموع من الإمام أبي محمّد الزكي[٧] أخبار كثيرة من هذا القبيل، وذلك مـثل مـا رواه في الكافي: عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٩، ح ٣، باب في ما انزل القرآن.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠، ح ٧، باب في ما انزل في القرآن.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣، ح ٢، باب ما عني به الأئمّة من القرآن.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٢، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣ ـ ١٤، باب ما عني به الأئمّة من القرآن.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ١٣.

٧ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٤٩ ـ ٤٥٢.

مِنَ ٱلْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[١]، قال: هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام[٢].

وفي تفسير العيّاشي: عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: يا محمّد إذا سمعت الله ذكر قوماً من هذه الأمّة بخير فنحن هم، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممّن مضى فهم عدوّنا[٣].

وفيه: عن عمر بن حنظلة، عن أبي عبدالله عليه السلام، سأله عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾[٤]، قال: فلمّا رآني أتتبع هذا وأشباهه من الكتاب، قال: حسبك كلّ شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا فهو في الأئمّة عنوا به[٥].

أقول: والسرّ فيه إنّما ينكشف ويتبيّن ببسط من الكلام، وتحقيق للمقام فنقول وبالله التوفيق: إنّه لمّا أراد الله سبحانه أن يعرّف نفسه لخلقه ليعبدوه، وكان لم تيسّر معرفته كما أراد على سنّة الأسباب إلّا بوجود الأنبياء والأوصياء، إذ بهم تحصل المعرفة التامّة، والعبادة الكاملة دون غيرهم، وكان لم تُيسر وجود الأنبياء والأوصياء إلّا بخلق سائر الخلق ليكون انساً لهم وسبباً لمعاشهم فلذلك خلق سائر الخلق، ثمّ أمرهم بمعرفة أنبيائه وأوليائه وولايتهم والتبرّي من أعدائهم وممّا يصدّهم عن ذلك ليكونوا ذوي حظوظ من نعيمهم، ووهب الكلّ معرفة نفسه على قدر معرفتهم بالأنبياء والأوصياء إذ بمعرفتهم إيّاهم يعرفون الله، وبولايتهم إيّاهم يتولّون الله، فكلّ ما ورد من البشارة والإنذار والأوامر والنواهي والنصائح والمواعظ من الله سبحانه فإنّما هو لذلك، ولمّا كان نبيّنا صلى الله عليه وآله سيّد الأنبياء، ووصيّه صلوات الله عليه سيّد الأوصياء، لجمعهما كمالات سائر الأنبياء والأوصياء، ومقاماتهم مع ما لهما من الفضل عليهم، وكان كلّ منهما نفس الآخر، صحّ أن ينسب إلى أحدهما من الفضل ما ينسب إليهم لإشتماله على

---

١ ـ الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٢، ح ١، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣، ح ٣، باب ما عنى به الأئمّة من القرآن.

٤ ـ الرعد: ٤٣.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣، ح ٨.

الكلّ، وجمعه لفضائل الكلّ، وحيث كان الأكمل يكون الكامل لا محالة، ولذلك خصّ تأويل الآيات بهما وبسائر أهل البيت عليهم السلام الذين هم منهما «**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ**»[١]، وجيء بالكلمة الجامعة التي هي الولاية، فإنّها مشتملة على المعرفة والمحبّة والمتابعة وسائر ما لابدّ منه في ذلك، وأيضاً فإنّ أحكام الله سبحانه إنّما تجري على الحقائق الكليّة والمقامات النوعيّة دون خصائص الأفراد والآحاد كما أشرنا إليه سابقاً، فحيث ما خوطب قوم بخطاب أو نسب إليهم فعل دخل في ذلك الخطاب وذلك الفعل ـ عند العلماء وأُولي الألباب ـ، كلّ من كان من سنخ أُولئك القوم وطينتهم، فصفوة الله حيثما خوطبوا بمكرمة أو نسبوا إلى أنفسهم مكرمة يشمل ذلك كلّ من كان من سنخهم وطينتهم من الأنبياء والأولياء، وكلّ من كان من المقرّبين إلّا مكرمة خصّوا بها دون غيرهم، وكذلك إذا خوطبت شيعتهم بخير أو نسب إليهم، خير أو خوطب أعداؤهم بسوء أو نسب إليهم سوء يدخل في الأوّل كلّ من كان من سنخ شيعتهم وطينة محبّيهم، وفي الثاني كلّ من كان من سنخ أعدائهم وطينة مبغضيهم من الأوّلين والآخرين، وذلك لأنّ كلّ من أحبّه الله ورسوله أحبّه كلّ مؤمن من ابتداء الخلق إلى إنتهائه، وكلّ من أبغضه الله ورسوله أبغضه كلّ مؤمن كذلك، وهو يبغض كلّ من أحبّه الله تعالى ورسوله، وكلّ مؤمن في العالم قديماً أو حديثاً إلى يوم القيامة فهو من شيعتهم ومحبّيهم، وكلّ جاحد في العالم قديماً أو حديثاً إلى يوم القيامة فهو من مخالفيهم ومبغضيهم.

وقد وردت الإشارة إلى ذلك في كلام الصادق عليه السلام في حديث المفضّل بن عمر وهو الذي رواه الصدوق طاب ثراه في كتاب علل الشرائع: بإسناده عن المفضّل بن عمر، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: بما صار علي بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنّة والنار؟ قال: لأنّ حبّه إيمان، وبغضه كفر، وإنّما خلقت الجنّة لأهل الإيمان، وخلقت النار لأهل الكفر، فهو عليه السلام قسيم الجنّة والنار، لهذه العلّة، والجنّة لا يدخلها إلّا أهل محبّته، والنار لا يدخلها إلّا أهل بغضه، قال المفضّل: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله فالأنبياء والأوصياء هل كانوا يحبّونه وأعداؤهم يبغضونه؟ فقال: نعم، قلت: فكيف ذلك؟ قال: أما علمت أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر: لأُعطينّ الراية غداً

---

١ ـ آل عمران: ٣٤.

رجلاً يحبّ الله تعالى ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، ما يرجع حتّى يفتح الله على يده. قلت: بلى، قال: أما علمت أنّ رسول الله ﷺ لمّا أُوتي بالطائر المشوي قال: اللّهمّ إئتني بأحبّ الخلق إليك يأكل معي هذا الطير وعني به عليّاً، قلت: بلى، قال: يجوز أن لا يحبّ أنبياء الله ورسله وأوصيائهم عليهم السلام مَنْ[1] يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله؟ فقلت: لا، قال: فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أُممهم لا يحبّون حبيب الله وحبيب رسوله ﷺ وأنبياءه عليهم السلام[2]؟ قلت: لا، قال: فقد ثبت أنّ جميع أنبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعلي بن أبي طالب عليه السلام محبّين، وثبت أنّ المخالفين لهم كانوا له ولجميع أهل محبّته مبغضين، قلت: نعم، قال: فلا يدخل الجنّة إلّا من أحبّه من الأوّلين والآخرين فهو إذن قسيم الجنّة والنار.

قال المفضّل بن عمر: فقلت له: يابن رسول الله فرّجت عنّي فرّج الله عنك فزدني ممّا علّمك الله تعالى، فقال: سل يا مفضّل.

فقلت: أسأل يابن رسول الله ﷺ فعلي بن أبي طالب عليه السلام يُدخِل محبّه الجنّة ومبغضه النار أو رضوان ومالك؟ فقال: يا مفضّل أما علمت أنّ الله تبارك وتعالى بعث رسوله وهو روح إلى الأنبياء عليهم السلام وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام.

قلت: بلى، قال: أما علمت أنّه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته واتباع أمره، ووعدهم الجنّة على ذلك، وأوعد من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار؟

فقلت: بلى، قال: أفليس النبي ﷺ ضامناً لما وعد وأوعد عن ربّه عزّ وجلّ؟ قلت: بلى، قال: أوليس علي بن أبي طالب عليه السلام خليفته وإمام أُمّته؟ قلت: بلى، قال: أوليس رضوان ومالك من جملة الملائكة والمستغفرين لشيعته الناجين بمحبّته؟

قلت: بلى، قال: فعلي بن أبي طالب عليه السلام إذن قسيم الجنّة والنار، عن رسول الله ﷺ، ورضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى، يا مفضّل خذ هذا فإنّه من مخزون

---

١ ـ وفي نسخة: [رجلاً].

٢ ـ وفي نسخة: [قال: فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أُممهم لا يحبّون حبيب الله وحبيب رسول الله ﷺ وأُمنائه عليهم السلام؟ قلت: لا، قال:].

العلم ومكنونه لا تخرجه إلّا إلى أهله[١].

أقول: وقد فتح هذا الحديث باباً من العلم انفتح منه ألف باب وسيأتي له مزيد انكشاف في المقدّمة الرابعة عند تحقيق القول في المتشابه وتأويله إن شاء الله تعالى، ومن هذا القبيل خطاب الله تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمان نبيّنا صلى الله عليه وآله بما فعل بأسلافهم أو فعلت أسلافهم كانجائهم من الغرق، وسقيهم من الحجر، وتكذيبهم الآيات إلى غير ذلك، وذلك لأنّ هؤلاء كانوا من سنخ أُولئك راضين بما رضوا به ساخطين بما سخطوا به، وأيضاً فإنّ القرآن إنّما نزل بلغة العرب، ومن عادة العرب أن تنسب إلى الرجل ما فعلته القبيلة التي هو منهم، وإن لم يفعل هو بعينه ذلك الفعل معهم، وقد ورد ذلك بعينه في كلام السجاد عليه السلام حيث سئل عن ذلك؟ فقال: إنّ القرآن بلغة العرب وخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم، أما تقول للرجل التميمي الذي قد أغار قومه على بلد وقتلوا منْ فيه: أغرتم على بلد كذا وفعلتم كذا؟ الحديث[٢].

وسرّ هذه العادة في لغتهم ما قلناه، وبهذا التحقيق انحلّ كثير من المشكلات والشبهات في تأويل الآيات الواردة عنهم عليهم السلام، بل كفينا مؤونة ذكر التأويلات في ذيل تلك الآيات، إذ لا يخفى بعد معرفة هذا الأصل إجراء تلك التأويلات في آية آية على أُولي الألباب، إلّا إنّا سنأتي بنبذ منها في محالّها إن شاء الله تعالى والحمد لله على ما أفهمنا ذلك وألهمناه.

المقدّمة الرابعة
في نبذ ممّا جاء في معاني وجوه الآيات، وتحقيق القول في المتشابه، وتأويله

روى العيّاشي: بإسناده عنَ جابر، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير

---

١ ـ علل الشرائع: ج ١، ص ١٦١ ـ ١٦٣، ح ١، باب ١٣٠ ـ العلّة التي من أجلها صار علي بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنّة والنار.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٧٢. وفيه: «فهو يخاطب فيه أهل اللسان».

القرآن فأجابني، ثمّ سألته ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب آخر غير هذا قبل اليوم، فقال لي: يا جابر إنّ للقرآن بطناً، وللبطن بطناً وظهراً، وللظهر ظهراً، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنّ الآية لتكون أوّلها في شيء وآخرها في شيء، وهو كلام متّصل يتصرّف على وجوه[١].

وبإسناده: عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ظهر القرآن: الذين نزل فيهم، وبطنه: الذين عملوا بمثل أعمالهم[٢].

وبإسناده: عن الفضيل بن يسار، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية ما في القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلّا وله حدّ، ولكلّ حدّ مطّلع ما يعني بقوله: لها ظهر وبطن؟ قال: ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما مضى، ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلّما جاء منه شيء وقع قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[٣]، نحن نعلمه[٤].

أقول: المطّلع بتشديد الطاء وفتح اللّام: مكان الإطّلاع من موضع عال، ويجوز أن يكون بوزن مصعد بفتح الميم، ومعناه أي مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، ومحصّل معناه قريب من معنى التأويل والبطن كما أنّ معنى الحد قريب من معنى التنزيل والظهر.

وبإسناده: عن مسعدة بن صدقة، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، قال: الناسخ: الثابت المعمول به، والمنسوخ: ما قد كان يعمل به ثمّ جاء ما نسخه، والمتشابه: ما اشتبه على جاهله[٥].

وفي رواية: الناسخ: الثابت، والمنسوخ: ما مضى، والمحكم: ما يعمل به، والمتشابه: الذي

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢، ح ٨، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١١، ح ٤، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

٣ ـ آل عمران: ٧.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١١، ح ٥، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١١ ـ ١٢، ح ٧، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

يشبه بعضه بعضاً[١].

وبإسناده: عن عبدالله بن سنان، قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن القرآن والفرقان؟ قال: القرآن: جملة الكتاب وأخبار ما يكون، والفرقان: المحكم الذي يعمل به، وكلّ محكم فهو فرقان[٢].

وبإسناده: عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ القرآن فيه محكم ومتشابه، فأمّا المحكم فنؤمن به ونعمل به وندين به، وأمّا المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به[٣].

وبإسناده: عن عبدالله بن بكير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نزل القرآن بـإيّاك أعني واسمعي يا جارة[٤].

أقول: هذا مثل يضرب لمن يتكلّم بكلامٍ ويريد به غير المخاطب، وهذا الحديث ممّا يؤيّد ما حقّقناه في المقدّمة السابقة.

وبإسناده: عن ابن أبي عمير، عمّن حدّثه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما عاتب الله نبيّه صلى الله عليه وآله فهو يعني به من قد مضى في القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾[٥] عني بذلك غيره[٦].

أقول: لعلّ المراد بمن قد مضى في القرآن: من مضى ذكره فيه من الّذين أسقط أسماءهم الملحدون في آيات الله كما يظهر ممّا يأتي ذكره في المقدّمة السادسة، وهذان الحديثان مرويّان في الكافي[٧] أيضاً.

ومن طريق العامّة عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّ للقرآن ظهراً؛ وبطناً؛ وحدّاً؛ ومطّلعاً[٨].

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠، ح ١، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٩، ح ٢، باب في ما أُنزل القرآن.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١١، ح ٦، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠، ح ٤، باب في ما أُنزل القرآن.

٥ ـ الإسراء: ٧٤.

٦ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠، ح ٥، باب في ما أُنزل القرآن.

٧ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٣٠ ـ ٦٣١، ح ١٤.

٨ ـ إحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٤١.

وعنه عليه السلام: إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف[١]، لكلّ آية منها ظهر، وبطن، ولكلّ حدّ مطّلع[٢].

وفي رواية: ولكلّ حرف حدّ، ومطّلع[٣].

وعنه صلى الله عليه وآله: إنّ للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن[٤].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: قال: ما من آية إلّا ولها أربعة معان: ظاهر، وباطن، وحدّ، ومطّلع، فالظاهر: التلاوة، والباطن: الفهم، والحدّ: هو أحكام الحلال والحرام، والمطّلع: هو مراد الله من العبد بها[٥].

ورووا أنّه عليه السلام سئل هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وآله شيء من الوحي سوى القرآن؟ قال: لا والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إلّا أن يعطي عبداً فهماً في كتابه[٦].

ورووا عن الصادق عليه السلام أنّه قال: كتاب الله على أربعة أشياء: العبارة، والإشارة، واللّطائف، والحقائق، فالعبارة: للعوام، والإشارة للخواص، واللّطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء[٧].

أقول: وتحقيق القول في المتشابه وتأويله يقتضي الإتيان بكلام مبسوط من جنس اللّباب، وفتح باب من العلم ينفتح منه لأهله ألف باب. فنقول وبالله التوفيق: إنّ لكلّ معنى من المعاني حقيقة وروحاً، وله صورة وقالب، وقد يتعدّد الصور والقوالب لحقيقة واحدة، وإنّما

---

١ ـ قال بعض أهل المعرفة: الوجه في انحصار الأحرف في السبعة إنّ لكلّ من الظهر والبطن طرفين فذاك حدود أربعة، وليس لحد الظهر الذي من تحت مطّلع لأنّ المطّلع لا يكون من فوق فالحد أربعة، والمطّلعَ ثلاثة والمجموع سبعة، منه قدس سره.

٢ ـ تفسير الطبري: ج ١، ص ٩، سطر ٢٣ بأدنى تفاوت.

٣ ـ كنز العمّال: ج ٢، ص ٥٣، ح ٣٠٨٦، وتفسير العيّاشي: ج ١، ص ١١، ح ٥، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

٤ ـ عوالي اللئالي: ج ٤، ص ١٠٧، ح ١٥٩، وفيه: «ولبطنه بطن». ومقدّمة تفسير البرهان: ص ٥، س ٣٠.

٥ ـ الميزان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ٧٤.

٦ ـ إحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٣٣، ومقدّمة البرهان: ص ١٧، س ١٢.

٧ ـ بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ١٠٣، ح ٨١؛ ومقدّمة البرهان: ص ١٧، س ٢٥.

وضعت الألفاظ للحقائق والأرواح، ولوجودهما في القوالب تستعمل الألفاظ فيهما على الحقيقة لاتحاد ما بينهما، مثلاً لفظ القلم إنّما وضع لآلة نقش الصور في الألواح من دون أن يعتبر فيها كونها من قصب أو حديد أو غير ذلك، بل ولا أن يكون جسماً، ولا كون النقش محسوساً أو معقولاً، ولا كون اللوح من قرطاس أو خشب بل مجرّد كونه منقوشاً فيه، وهذا حقيقة اللّوح وحدّه وروحه فإن كان في الوجود شيء يستطر بواسطته نقش العلوم في ألواح القلوب فأَخْلَقُ به أن يكون هو القلم، فإنّ الله تعالى قال: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]، بل هو القلم الحقيقي حيث وجد فيه روح القلم وحقيقته وحدّه، من دون أن يكون معه ما هو خارج عنه، وكذلك الميزان مثلاً فإنّه موضوع لمعيار يعرف به المقادير، وهذا معنى واحد هو حقيقته وروحه وله قوالب مختلفة وصور شتّى بعضها جسماني وبعضها روحاني، كما يوزن به الأجرام والأثقال مثل ذي الكفّتين، والقبّان، وما يجري مجراهما وما يوزن به المواقيت والإرتفاعات كالإسطرلاب، وما يوزن به الدوائر والقسّي كالفرجار، وما يوزن به الأعمدة كالشاقول، وما يوزن به الخطوط كالمسطرة، وما يوزن به الشعر كالعروض، وما يوزن به الفلسفة كالمنطق، وما يوزن به بعض المدركات كالحس والخيال، وما يوزن به العلوم والأعمال كما يوضع ليوم القيامة، وما يوزن به الكلّ كالعقل الكامل إلى غير ذلك من الموازين.

وبالجملة: ميزان كلّ شيء يكون من جنسه، ولفظة الميزان حقيقة في كلّ منها باعتبار حدّه وحقيقته الموجودة فيه، وعلى هذا القياس كل لفظ ومعنى وأنت إذا اهتديت إلى الأرواح صرت روحانيّاً، وفتحت لك أبواب الملكوت وأهلّت لمرافقة الملأ الأعلى وحسُن أُولئك رفيقاً، فما من شيء في عالم الحس والشهادة إلّا وهو مثال وصورة لأمر روحاني في عالم الملكوت، وهو روحه المجرّد وحقيقته الصرفة، وعقول جمهور الناس في الحقيقة أمثلة لعقول الأنبياء والأولياء فليس للأنبياء والأولياء أن يتكلّموا معهم إلّا بضرب الأمثال لأنّهم أُمروا أن يكلّموا الناس على قدر عقولهم، وقدر عقولهم أنّهم في النوم بالنسبة إلى تلك النشأة والنائم لا ينكشف له شيء في الأغلب إلّا بمثل، فلهذا من كان يعلم الحكمة غير أهلها رآى في المنام أنّه

---

١ ـ العلق: ٤ ـ ٥.

يعلّق الدرّ في أعناق الخنازير، ومن كان يؤذن في شهر رمضان قبل الفجر رآى أنّه يختم على أفواه الناس وفروجهم، وعلى هذا القياس، وذلك لعلاقة خفيّة بين النشئات «فالناس نيّام فإذا ماتوا انتبهوا»[١] وعلموا حقائق ما سمعوه بالمثال، وعرفوا أرواح ذلك، وعقلوا أنّ تلك الأمثلة كانت قشوراً، قال الله سبحانه: ﴿أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً﴾[٢]، فمثّل العلم: بالماء، والقلوب: بالأودية، والضلال: بالزبد، ثمّ نبّه في آخرها فقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ فكلّ ما لا يحتمل فهمك فإنّ القرآن يلقيه إليك على الوجه الذي كنت في النوم مطالعاً بروحك للّوح المحفوظ ليتمثّل لك بمثال مناسب، وذلك يحتاج إلى التعبير، فالتأويل يجري مجرى التعبير، فالمفسّر يدور على القشر، ولمّا كان الناس إنّما يتكلّمون على قدر عقولهم ومقاماتهم فما يخاطب به الكلّ يجب أن يكون للكلّ فيه نصيب، فالقشريّة من الظاهريّين لا يدركون إلّا المعاني القشريّة كما أنّ القشر من الإنسان وهو ما في الإهاب، والبشرة من البدن لا ينال إلّا قشر تلك المعاني، وهو ما في الجلد والغلاف من السواد والصور، وأمّا روحها وسرّها وحقيقتها فلا يدرك إلّا أُولوا الألباب، وهم الراسخون في العلم، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ في دعائه لبعض أصحابه حيث قال: اللّهمّ فقّهه في الدين وعلّمه التأويل[٣] ولكلّ منهم حظّ قلّ أم كثر، وذوق نقص أو كمل، ولهم درجات في الترقّي إلى أطوارها، وأغوارها، وأسرارها وأنوارها، وأمّا البلوغ للإستيفاء والوصول إلى الأقصى فلا مطمع لأحد فيه ولو كان البحر مداداً لشرحه، والأشجار أقلاماً ﴿قُلْ لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[٤].

وممّا ذكر يظهر سبب إختلاف ظواهر الآيات والأخبار الواردة في أُصول الدين وذلك لأنّها ممّا خوطب به طوائف شتّى وعقول مختلفة فيجب أن يكلّم كلّ على قدر فهمه ومقامه،

---

١ ـ عوائلي اللئالي: ج ٤، ص ٧٣، ح ٤٨.
٢ ـ الرعد: ١٧.
٣ ـ إحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٤٣، وجامع الأُصول في أحاديث الرسول: ج ٢، ص ٤.
٤ ـ الكهف: ١٠٩.

ومع هذا فالكلّ صحيح غير مختلف من حيث الحقيقة ولا مجاز فيه أصلاً واعتبر ذلك بمثال العميان والفيل وهو مشهور، وعلى هذا فكلّ من لم يفهم شيئاً من المتشابهات من جهة أنّ حمله على الظاهر كان مناقضاً بحسب الظاهر لأصول صحيحة دينيّة وعقائد حقّة يقينيّة عنده فينبغي أن يقتصر على صورة اللّفظ لا يبدلها، ويحيل العلم به إلى الله سبحانه والراسخين في العلم، ثم يرصد لهبوب رياح الرحمة من عند الله تعالى ويتعرّض لنفحات أيّام دهره الآتية من قبل الله تعالى، لعلّ الله يأتي له بالفتح أو أمر من عنده ويقضي الله أمراً كان مفعولاً، فإنّ الله سبحانه ذمّ قوماً على تأويلهم المتشابهات بغير علم فقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾[1].

المقدّمة الخامسة

في نبذ ممّا جاء في المنع من تفسير القرآن بالرأي والسر فيه

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحقّ فقد أخطأ[2].

وعنه صلى الله عليه وآله: من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار[3].

وعنه صلى الله عليه وآله وعن الأئمّة القائمين مقامه عليهم السلام: أنّ تفسير القرآن لا يجوز إلّا بالأثر الصحيح، والنصّ الصريح[4].

وفي تفسير العيّاشي: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم

---

١ ـ آل عمران: ٧.

٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٣، سطر ١٤، الفن الثالث. وتفسير التبيان: ج ١، ص ٤. ووسائل الشيعة: ج ١٨، ص ١٥١، ح ٧٩، باب ١٣.

٣ ـ عوالي اللئالي: ج ٤، ص ١٠٤، ح ١٥٤. ومقدمة تفسير البرهان: ص ١٦. وإحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٤١.

٤ ـ وسائل الشيعة: ج ١٨، ص ١٥١، ح ٧٨، باب ١٣. وتفسير مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٣، سطر ١٢. والتبيان: ج ١، ص ٤.

يؤجر، وإن أخطأ فهو أبعد من السماء[١].

وفيه[٢]، وفي الكافي: عن الصادق، عن أبيه عليهما السلام، قال: ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعضٍ إلّا كفر[٣].

أقول: لعلّ المراد بضرب بعضه ببعض تأويل بعض متشابهاته، إلى بعض بمقتضى الهوى من دون سماع من أهله أو نور وهدىً من الله، ولا يخفى أنّ هذه الأخبار تناقض بظواهرها ما مضى في المقدّمة الأُولى من الأمر بالإعتصام بحبل القرآن، والتماس غرائبه، وطلب عجائبه، والتعمّق في بطونه، والتفكّر في تخومه، وجولان البصر فيه، وتبليغ النظر إلى معانيه، فلابدّ من التوفيق والجمع.

فنقول وبالله التوفيق: إنّ من زعم أن لا معنى للقرآن إلّا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حدّ نفسه وهو مصيب في الإخبار عن نفسه، ولكنّه مخطيء في الحكم بردّ الخلق كافّة إلى درجته التي هي حدّه ومقامه، بل القرآن والأخبار والآثار تدلّ على أنّ في معاني القرآن لأرباب الفهم متّسعاً بالغاً ومجالاً رحباً.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[٥]، وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[٦]، وقال: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[٧].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: إذا جاءكم عنّي حديث فأعرضوه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط[٨].

وكيف يمكن العرض ولا يفهم به شيء.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧، ح ٤، باب في من فسّر القرآن برأيه.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨، ح ٢، باب كراهيّة الجدال في القرآن.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٣٢، ح ١٧، باب النوادر.

٤ ـ محمّد: ٢٤.

٥ ـ النحل: ٨٩.

٦ ـ الأنعام: ٣٨.

٧ ـ النساء: ٨٣.

٨ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٣، سطر ١٧، الفن الثالث. والتبيان: ج ١، ص ٥.

وقال ﷺ: القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إلّا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن[٢].

وقال عليه السلام: من فهم القرآن فسّر جمل العلم[٣]. أشار به إلى أنّ القرآن مشير إلى مجامع العلوم كلّها إلى غير ذلك من الآيات والأخبار فالصواب أن يقال: من أخلص الإنقياد لله ولرسوله ﷺ ولأهل البيت عليهم السلام وأخذ علمه منهم وتتبّع آثارهم، واطّلع على جملة من أسرارهم بحيث حصل له الرسوخ في العلم والطمأنينة في المعرفة، وانفتح عينا قلبه، وهجم به العلم على حقائق الأمور، وباشر روح اليقين، واستلان ما استوعره المترفون، وآنس بما استوحش منه الجاهلون، وصحب الدنيا ببدن روحه معلّقة بالمحلّ الأعلى فله أن يستفيد من القرآن بعض غرائبه ويستنبط منه نبذاً من عجائبه ليس ذلك من كرم الله تعالى بغريب، ولا من جوده بعجيب وليست السعادة وقفاً على قوم دون آخرين، وقد عدّوا عليهم السلام جماعة من أصحابهم المتّصفين بهذه الصفات من أنفسهم كما قالوا: سلمان منّا أهل البيت عليهم السلام، فمن هذه صفته لا يبعد دخوله في الراسخين في العلم العالمين بالتأويل، بل في قولهم: «نحن الراسخون في العلم»[٤] كما دريت في المقدّمة السابقة، فلابدّ من تنزيل التفسير المنهي عنه على أحد الوجهين.

الوجه الأوّل: أن يكون للمفسّر في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأوّل القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتجّ على تصحيح غرضه ومدّعاه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى، وهذا تارةً يكون مع العلم كالذي يحتجّ ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنّه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يُلبس به على خصمه، وتارةً يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه، ويترجّح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسّر القرآن برأيه، أي رأيه هو

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٣، سطر ٢٠. وعوالي اللئالي: ج ٤، ص ١٠٤، ح ١٥٣.

٢ ـ المحجّة البيضاء: ج ٢، ص ٢٤٢ و ٢٥٠. ومقدّمة البرهان: ص ١٧. وإحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٤١.

٣ ـ إحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٤٢. ومقدّمة البرهان: ص ١٧. وفي بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٩٠، وفيه: «فمن فهم فسّر جمل العلم».

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٢١٣، ح ١، باب إنّ الراسخين في العلم هم الأئمّة.

الّذي حمله على ذلك التفسير، ولولا رأيه لما كان يترجّح عنده ذلك الوجه، وتارةً قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن، ويستدلّ عليه بما يعلم أنّه أُريد به ذلك كمن يدعو إلى الإستغفار بالأسحار فيستدلّ عليه بقوله ﷺ: تسحّروا فإنّ السحور بركة[١] ويوهم أنّ المراد به التسحّر بالذكر، وهو يعلم أنّ المراد به الأكل، وكالذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول: قال الله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[٢]، ويشير إلى قلبه، ويومي إلى أنّه المراد بفرعون، وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعّاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع وهو ممنوع منه.

وقد يستعمله الباطنيّة في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس، ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزّلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أُمور يعلمون قطعاً أنّه غير مراد به، فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي.

الوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربيّة من غير إستظهار بالسماع. والنقل فيما يتعلّق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيها من الإختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، وفيما يتعلّق بالناسخ والمنسوخ، والخاصّ والعام، والرخص والعزائم، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك من وجوه الآيات فمن لم يحكم ظاهر التفسير ومعرفة وجوه الآيات المفتقرة إلى السماع وبادر إلى استنباط المعاني بمجرّد فهم العربيّة كثر غلطه، ودخل في زمرة من يفسّر بالرأي، فالنقل والسماع لابدّ منه في ظاهر التفسير أوّلاً ليتقي مواضع الغلط ثمّ بعد ذلك يتسع التفهم والإستنباط فإنّ ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللّغة التي لابدّ منها للفهم. وما لابدّ فيه من السماع فنون كثيرة:

منها: ما كان مجملاً لا ينبيء ظاهره عن المراد به مفصّلاً مثل قوله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٣] ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[٤]، فإنّه يحتاج فيه إلى بيان

---

١ ـ مستدرك الوسائل: ج ٧، ص ٣٥٧، ح ١٠، باب ٢.

٢ ـ طـه: ٢٤.

٣ ـ البقرة: ٤٣.

٤ ـ الأنعام: ١٤١.

النبي ﷺ بوحي من الله سبحانه فيبيّن تفصيل أعيان الصلوات، وأعداد الركعات، ومقادير النصب في الزكاة، وما تجب فيه من الأموال وما لا تجب، وأمثال ذلك كثيرة فالشروع في بيان ذلك من غير نصّ وتوقيف ممنوع منه.

ومنها: الإيجاز بالحذف والإضمار كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا﴾[١]، معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها. فالناظر إلى ظاهر العربيّة يظنّ أنّ المراد به أنّ الناقة كانت مبصرة، ولم تكن عمياء، ولا يدري أنّهم بماذا ظلموا أو أنّهم ظلموا غيرهم وأنفسهم.

ومنها: المقدّم والمؤخّر وهو مظنّة الغلط كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُّسَمىًّ﴾[٢]، معناه ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمّى لكان لزاماً[٣] وبه ارتفع الأجل، ولولاه لكان نصباً كاللزام[٤] إلى غير ذلك كما سنذكره في مواضعها.

روي عن أبي عبدالله محمّد بن إبراهيم بن جعفر النعماني أنّه روى في تفسيره بإسناده عن إسماعيل بن جابر، قال: سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام يقول: إنّ الله تبارك وتعالى بعث محمّداً فختم به الأنبياء فلا نبيّ بعده، وأنزل عليه كتاباً فختم به الكتب فلا كتاب بعده، أحلّ فيه حلالاً وحرّم حراماً، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فيه شرعكم، وخبر من قبلكم وبعدكم، وجعله النبي ﷺ علماً باقياً في أوصيائه، فتركهم الناس، وهم الشهداء على أهل كلّ زمان، وعدلوا عنهم، ثمّ قتلوهم واتّبعوا غيرهم وأخلصوا لهم الطاعة، حتّى عاندوا من أظهر ولاية ولاة الأمر، وطلب علومهم، قال الله

---

١ ـ الإسراء: ٥٩. ٢ ـ طه: ١٢٩.

٣ ـ لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازماً لهذه الكفرة، وأجل مسمّى عطف على كلمة أي ولولا العدّة بتأخير العذاب وأجل مسمّى لأعمارهم أو لعذابهم لكان العذاب إلزاماً، والفصل للدلالة على استقلال كلّ منهما بنفي اللزوم، وقال القمّي: اللازم الهلاك، وقال: وكان ينزل بهم العذاب ولكن قد أخرهم إلى أجل مسمّى. منه قدس سره.

٤ ـ اعلم إنّ قوله قدس سره: فلابدّ من تنزيل التفسير المنهي عنه على أحد الوجهين، إلى هنا مقتبس من كتاب إحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

سبحانه: ﴿وَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾[١]، وذلك أنّهم ضربوا بعض القرآن ببعض، واحتجّوا بالمنسوخ، وهم يظنّون أنّه الناسخ، واحتجّوا بالمتشابه، وهم يرون أنّه المحكم، واحتجّوا بالخاص، وهم يقدّرون أنّه العام، واحتجّوا بأوّل الآية وتركوا السبب في تأويلها ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام وإلى ما يختمه، ولم يعرفوا موارده ومصادره، إذ لم يأخذوه عن أهله فضلّوا، وأضلّوا.

واعلموا رحمكم الله: أنّه من لم يعرف من كتاب الله عزّ وجلّ الناسخ من المنسوخ، والخاصّ من العامّ، والمحكم من المتشابه، والرخص من العزائم، والمكّي والمدني، وأسباب التنزيل، والمبهم، من القرآن في ألفاظه المنقطعة والمؤلّفة، وما فيه من علم القضاء والقدر، والتقديم والتأخير، والمبيّن والعميق، والظاهر والباطن، والإبتداء من الإنتهاء، والسؤال والجواب، والقطع والوصل والمستثنى منه والجار فيه، والصفة لما قبل، ممّا يدلّ على ما بعد والمؤكّد منه، والمفصّل، وعزائمه ورخصه، ومواضع فرائضه وأحكامه، ومعنى حلاله وحرامه الذي هلك فيه الملحدون، والموصول من الألفاظ، والمحمول على ما قبله وعلى ما بعده فليس بعالم بالقرآن ولا هو من أهله ومتى ما ادّعى معرفة هذه الأقسام مدّع بغير دليل فهو كاذب مرتاب مفتر على الله الكذب ورسوله ومأواه جهنّم وبئس المصير[٢].

المقدّمة السادسة
في نبذ ممّا جاء في جمع القرآن وتحريفه وزيادته ونقصه وتأويل ذلك

روى علي بن إبراهيم القمّي في تفسيره بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: يا علي إنّ القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة، فانطلق علي عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر، ثمّ ختم

---

١ ـ المائدة: ١٣.

٢ ـ بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٣، باب ما ورد في أصناف آيات القرآن. نقلاً عن كتاب النعماني في تفسير القرآن.

عليه في بيته، وقال: لا أرتدي حتّى أجمعه، قال: كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتّى جمعه[١].

وفي الكافي: عن محمّد بن سليمان، عن بعض أصحابه، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، إنّا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها، ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم فهل نأثم؟ فقال: لا إقرأوا كما تعلّمتم فسيجيئكم من يعلّمكم[٢].

أقول: يعني به صاحب الأمر عليه السلام.

وبإسناده: عن سالم بن سلمة، قال: قرأ رجل على أبي عبدالله عليه السلام وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس فقال أبو عبدالله عليه السلام: كفّ عن هذه القراءة وإقرأ كما يقرأ الناس حتّى يقوم القائم عليه السلام، فإذا قام قرأ كتاب الله تعالى على حدّه وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام. وقال: أخرجه علي عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله كما أنزله الله على محمّد صلى الله عليه وآله وقد جمعته بين اللوحين، فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنّما كان عَلَيّ أن اُخبركم حين جمعته لتقرأوه[٣].

وبإسناده: عن البزنطي، قال: دفع إليّ أبو الحسن عليه السلام مصحفاً، وقال: لا تنظر فيه ففتحته وقرأت فيه «لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ» فوجدت فيه اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم، قال: فبعث إليّ إبعث إليّ بالمصحف[٤].

وفي تفسير العيّاشي: عن أبي جعفر عليه السلام قال: لولا أنّه زيد في كتاب الله ونقص فيه ما خفي حقّنا على ذي حجى[٥]، ولو قد قام قائمنا فنطق صدّقه القرآن[٦].

---

١ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ٤٥١.
٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦١٩، ح ٢، باب إنّ القرآن يرفع كما اُنزل.
٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٣٣، ح ٢٣، باب النوادر.
٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٣١، ح ١٦، باب النوادر.
٥ ـ الحجى: العقل، وأولي الحجى: أصحاب العقول. مجمع البحرين: ج ١، ص ٩٥ ـ ٩٦.
٦ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣، ح ٦، باب ما عني به الأئمّة من القرآن.

وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لو قرئ القرآن كما أُنزل لألفيتنا[١] فيه مسمّين[٢].

وفيه: عنه عليه السلام إنّ في القرآن ما مضى، وما يحدث، وما هو كائن، كانت فيه أسماء الرجال[٣] فالقيت وإنّما الإسم الواحد منه في وجوه لا تحصى يعرف ذلك الوصاة[٤].

وفيه: عنه عليه السلام إنّ القرآن قد طرح منه آي كثيرة ولم يزد فيه إلّا حروف قد أخطأت بها الكتبة وتوهّمتها الرجال[٥].

وروى الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي طاب ثراه في كتاب الإحتجاج في جملة إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على جماعة من المهاجرين والأنصار أنّ طلحة قال له عليه السلام في جملة مسائله عنه: يا أبا الحسن شيء أُريد أن أسألك عنه، رأيتك خرجت بثوب مختوم فقلت: أيّها الناس إنّي لم أزل مشتغلاً برسول الله صلى الله عليه وآله بغسله وكفنه ودفنه ثمّ اشتغلت بكتاب الله حتّى جمعته فهذا كتاب الله عندي مجموعاً لم يسقط عني حرف واحد ولم أر ذلك الذي كتبت وأُلّفت، وقد رأيت عمر بعث إليك أن أبعث به إليّ فأبيت أن تفعل فدعا عمر الناس فإذا شهد رجلان على آية كتبها، وإن لم يشهد عليها غير رجل واحد أرجأها فلم يكتب، فقال عمر وأنا أسمع: إنّه قد قتل يوم اليمامة قوم كانوا يقرأون قرآناً لا يقرأه غيرهم، فقد ذهب وقد جاءت شاة إلى صحيفة وكتاب يكتبون فأكلتها، وذهب ما فيها، والكاتب يومئذ عثمان، وسمعت عمر وأصحابه الّذين ألّفوا ما كتبوا على عهد عمر، وعلى عهد عثمان يقولون: إنّ الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة، وأنّ النور نيّف ومائة آية، والحجر تسعون ومائة آية، فما هذا؟ وما يمنعك

---

١ ـ ألفينا: أي جدنا. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٧٧.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣، ح ٤، باب ما عني به الأئمّة من القرآن.

٣ ـ لعل المراد بأسماء الرجال الملقاة أعلامهم وبالإسم الواحد: ماكنى به تارة عنهم، وتارة عن غيرهم من الألفاظ التي لها معان متعدّدة، وذلك كالذكر: فإنّه قد يراد به في القرآن: رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد يراد به أمير المؤمنين عليه السلام، وقد يراد به القرآن، وكالشيطان: فإنّه قد يراد به الثاني، وقد يراد به إبليس، وقد يراد به غيرهما، أراد عليه السلام أنّ الرجال كانوا مذكورين في القرآن تارة بأعلامهم فأُلقيت، وأُخرى بكناياتهم فالقيت فهم اليوم مذكورين بالكنايات بألفاظ لها معان أُخر يعرف ذلك الأوصياء عليهم السلام. منه قدّس سرّه.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢، ح ١٠، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن.

٥ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨٠، ح ٧٣.

يرحمك الله أن تخرج كتاب الله إلى الناس، وقد عهد عثمان حين أخذ ما ألّف عمر فجمع له الكتاب، وحمل الناس على قراءة واحدة فمزّق مصحف أُبي بن كعب، وابن مسعود، وأحرقهما بالنّار.

فقال له علي عليه السلام: يا طلحة إنّ كلّ آية أنزلها الله عزّ وجلّ على محمّد صلى الله عليه وآله عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وخط يدي، وتأويل كلّ آية أنزلها الله على محمّد صلى الله عليه وآله، وكلّ حلال وحرام أو حدّ أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأُمّة إلى يوم القيامة مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ يدي حتّى أرش الخدش.

قال طلحة: كلّ شيء من صغير أو كبير أو خاص أو عام كان أو يكون إلى يوم القيامة فهو عندك مكتوب؟ قال: نعم وسوى ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أسرّ إليّ في مرضه مفتاح ألف باب من العلم يفتح كلّ باب ألف باب، ولو أنّ الأُمّة منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله اتبعوني وأطاعوني لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وساق الحديث إلى أن قال: ثمّ قال طلحة: لا أراك يا أبا الحسن أجبتني عمّا سألتك عنه من أمر القرآن، ألا تظهره للناس؟

قال: يا طلحة عمداً كففت عن جوابك، فأخبرني عمّا كتب عمر وعثمان أقرآن كلّه أم فيه ما ليس بقرآن؟

قال طلحة: بل قرآن كلّه.

قال: إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنّة، فإنّ فيه حجّتنا، وبيان حقّنا، وفرض طاعتنا.

قال طلحة: حسبي أمّا إذا كان قرآناً فحسبي، ثمّ قال طلحة: فأخبرني عمّا في يديك من القرآن، وتأويله، وعلم الحلال والحرام إلى من تدفعه، ومن صاحبه بعدك؟

قال عليه السلام: إنّ الذي أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أدفعه إلى وصيّي وأولى الناس من بعدي بالنّاس ابني الحسن عليه السلام، ثمّ يدفعه ابني الحسن إلى ابني الحسين عليه السلام، ثمّ يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين عليهم السلام حتّى يرد آخرهم على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه، هم مع القرآن لا يفارقونه، والقرآن معهم لا يفارقهم، ألا أنّ معاوية وابنه سيليانها بعد عثمان، ثمّ يليها سبعة من

ولد الحكم بن أبي العاص واحد بعد واحد تكمّله إثنا عشر إمام ضلالة، وهم الذين رآى رسول الله ﷺ على منبره يردّون الأُمّة على أدبارهم القهقرى، عشرة منهم من بني أُميّة، ورجلان أسسا ذلك لهم، وعليهما مثل جميع أوزار هذه الأُمّة إلى يوم القيامة(١).

قال: وفي رواية أبي ذر الغفاري ﵁ أنّه لمّا توفّى رسول الله ﷺ جمع علي ﵇ القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ. فلمّا فتحه أبو بكر خرج في أوّل صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر، وقال: يا علي أُردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه علي ﵇ وانصرف، ثمّ أُحضر زيد بن ثابت ـ وكان قارئاً للقرآن ـ فقال له عمر: إنّ علياً ﵇ جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد أردنا أن تؤلّف لنا القرآن وتسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك، ثمّ قال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر علي القرآن الّذي ألّفه أليس قد بطل كلّ ما قد عملتم؟ قال عمر: فما الحيلة؟ قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة، فقال عمر: ما الحيلة دون أن نقتله ونستريح منه؟ فدبّر في قتله على يد خالد بن الوليد، فلم يقدر على ذلك، وقد مضى شرح ذلك(٢) فلمّا استخلف عمر سأل علياً أن يدفع إليهم القرآن فيحرّفوه فيما بينهم، فقال: يا أبا الحسن إن كنت جئت به إلى أبي بكر فأت به إلينا حتّى نجتمع عليه، فقال علي ﵇: هيهات ليس إلى ذلك سبيل، إنّما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجّة عليكم، ولا تقولوا يوم القيامة «إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ»(٣)، أو تقولوا ما جئتنا به، إنّ القرآن الذي عندي «لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ» (٤) والأوصياء من ولدي، فقال عمر: فهل لإظهاره وقت معلوم؟ قال علي ﵇: نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه فتجري السنّة به (٥).

---

١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٨، باب احتجاج أمير المؤمنين ﵇ على جماعة كثيرة من المهاجرين والأنصار لما تذاكروا فضلهم بما قال رسول الله ﷺ من النص عليه وغيره من القول الجميل.

٢ ـ قوله: «وقد مضى شرح ذلك» كأنّه من كلام صاحب الإحتجاج.

٣ ـ الأعراف: ١٧٢. ٤ ـ الواقعة: ٧٩.

٥ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨. وفيه: «إن جئت بالقرآن الذي كنت قد جئت به إلى أبي بكر حتّى نجتمع عليه».

وقال في إحتجاجه عليه السلام على الزنديق الذي جاء إليه مستدلاً بآي من القرآن متشابهة يحتاج إلى التأويل، وكان من سؤاله إنّي أجد الله قد شهر هفوات أنبيائه بقوله: ﴿وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[١].

وبتكذيبه نوحاً عليه السلام لمّا قال: ﴿إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي﴾[٢] بقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[٣].

وبوصفه إبراهيم عليه السلام بأنّه عبد كوكباً مرّةً، ومرّة قمراً، ومرّة شمساً[٤].

وبقوله في يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِ﴾[٥].

وبتهجينه موسى عليه السلام حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[٦]، الآية.

وببعثه إلى داود جبرئيل وميكائيل حيث ﴿تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾ إلى آخر القصّة[٧].

وبحبسه يونس في بطن الحوت حيث ﴿ذَّهَبَ مُغَـٰضِباً﴾ مذنباً[٨].

وأظهر[٩] خطايا الأنبياء وزللهم ثم وارى اسم من اغترّ وفتن خلقه وضلّ وأضلّ وكنّى عن أسمائهم في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً * يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً * لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾[١٠] فمن هذا الظالم الذي لم يذكر من اسمه ما ذكر من أسماء الأنبياء[١١].

ثمّ قال: وأجده قد بيّن فضل نبيّه على سائر الأنبياء، ثمّ خاطبه في أضعاف ما أثنى عليه في الكتاب من الإزراء عليه، وانخفاض محلّه وغير ذلك من تهجينه وتأنيبه ما لم يخاطب به أحداً من الأنبياء مثل قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ

---

١ ـ طه: ١٢١.
٢ ـ هود: ٤٥.
٣ ـ هود: ٤٦.
٤ ـ راجع الأنعام: ٧٦ ـ ٧٨.
٥ ـ يوسف: ٢٤.
٦ ـ الأعراف: ١٤٣.
٧ ـ راجع ص: ٢١ ـ ٢٦.
٨ ـ راجع الأنبياء: ٨٧.
٩ ـ وفي نسخة: [إظهار خطأ].
١٠ ـ الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩.
١١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾[١]، وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إِذاً لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾[٢]، وقوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَـٰهُ﴾[٣]، وقوله: ﴿مَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾[٤]، وهو يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[٥]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[٦]، فإذا كانت الأشياء تحصى في الإمام وهو وصي النبي صلى الله عليه وآله فالنبي صلى الله عليه وآله أولى أن يكون بعيداً من الصفة التي قال فيها: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم[٧].

وقال في جملة سؤاله: وأجده يقول: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَـٰمَى فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[٨]، وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولا كلّ النساء أيتام فما معنى ذلك[٩]؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وأمّا هفوات الأنبياء عليهم السلام وما بيّنه الله في كتابه، ووقوع الكناية عن أسماء من اجترم أعظم ممّا اجترمته الأنبياء ممّن شهد الكتاب بظلمهم فإنّ ذلك من أدلّ الدلائل على حكمة الله عزّ وجلّ الباهرة، وقدرته القاهرة وعزّته الظاهرة، لأنّه علم أنّ براهين أنبيائه تكبر في صدور أُممهم، وإنّ منهم من يتخذ بعضهم إلـٰهاً كالّذي كان من النصارى في ابن مريم فذكرها دلالة على تخلّفهم من الكمال الذي تفرّد به عزّ وجلّ، ألم تسمع إلى قوله في صفة عيسى عليه السلام حيث قال فيه، وفي أُمّه: ﴿كَانَا يَأْكُلاَنِ ٱلطَّعَامَ﴾[١٠] يعني أنّ من أكل الطعام كان له ثقل، ومن كان له ثقل فهو بعيد ممّا ادّعته النصارى لابن مريم، ولم يُكَنِّ عن أسماء

١ـ الأنعام: ٣٥. ٢ـ الإسراء: ٧٤ـ ٧٥.
٣ـ الأحزاب: ٣٧. ٤ـ الأحقاف: ٩.
٥ـ الأنعام: ٣٨. ٦ـ يـٰس: ١٢.
٧ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل. ٨ـ النساء: ٣.
٩ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٦، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل. ١٠ـ المائدة: ٧٥.

الأنبياء تجبّراً وتعزّزاً بل تعريفاً لأهل الإستبصار أنّ الكناية[١] عن أسماء ذوي الجرائر[٢] العظيمة من المنافقين في القرآن ليست من فعله تعالى، وإنّها من فعل المغيّرين والمبدّلين ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾[٣] واعتاضوا الدنيا من الدين وقد بيّن الله تعالى قصص المغيّرين بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِنْدِ ٱللهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾[٤]، وبقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَـٰبِ﴾[٥]، وبقوله: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[٦] بعد فقد الرسول ما يقيمون به أود[٧] باطلهم حسب ما فعلته اليهود والنصارى بعد فقد موسى وعيسى من تغيير التوراة والإنجيل وتحريف الكلم عن مواضعه بقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾[٨] يعني إنّهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله الله ليلبسوا على الخليفة فأعمى الله قلوبهم حتّى تركوا فيه ما دلّ على ما أحدثوه فيه، وحرّفوه منه وبيّن عن إفكهم وتلبيسهم وكتمان ما علموه منه ولذلك قال لهم: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِالْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾[٩]، وضرب مثلهم بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[١٠] فالزبد في هذا الموضع كلام الملحدين الّذين أثبتوه في القرآن، فهو يضمحل ويبطل ويتلاشى عند التحصيل، والذي ينفع الناس منه

---

١ ـ قوله: أنّ الكناية: مفعول للتعريف، أراد عليه السلام أنّ الله سبحانه صرّح في كتابه بأسماء المنافقين كما صرّح بأسماء الأنبياء وإنّما بدّلها المبدلون، وإنّما لم يكن من أسماء الأنبياء في مقام ذكر هفواتهم بل صرّح بها تجبّراً وتعزّزاً لئلا يتخذوا من دونه آلهة وليعرف أهل الإستبصار أنّ التكنية عن أسماء المنافقين ليست من فعله بل هو من فعل المغيرين وذلك لعلمه بأنّهم سيبدلونها ويبقى أسماء الأنبياء مصرّحاً بها، فلفظة بل ليست للاحزاب بل للترقي. منه رحمه الله.

٢ ـ الجريرة: هي الجناية والذنب، سمّيت بذلك لأنّها تجر العقوبة إلى الجاني. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٤٤، مادة «جرر».

٣ ـ الحجر: ٩١.

٤ ـ البقرة: ٧٩.

٥ ـ آل عمران: ٧٨.

٦ ـ النساء: ١٠٨.

٧ ـ الأَودْ: العوج. وأوِدَ الشيء بالكسر يأود أوداً. أي اعوجّ وتأوّد تعوّجَ. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٩، مادة «أود».

٨ ـ التوبة: ٣٢.

٩ ـ آل عمران: ٧١.

١٠ ـ الرعد: ١٧.

فالتنزيل الحقيقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقلوب تقبله، والأرض في هذا الموضع: هي محلّ العلم وقراره، وليس يسوغ مع عموم التقيّة التصريح بأسماء المبدّلين ولا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب لما في ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل والكفر والملل المنحرفة عن قبلتنا، وإبطال هذا العلم الظاهر الذي قد استكان له الموافق والمخالف، بوقوع الإصطلاح على الإئتمار لهم والرضا بهم، ولأنّ أهل الباطل في القديم والحديث أكثر عدداً من أهل الحق ولأنّ الصبر على ولاة الأمر مفروض لقول الله عزّ وجلّ لنبيّه ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[1] وإيجابه مثل ذلك على أوليائه وأهل طاعته بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2] فحسبك من الجواب عن هذا الموضع ما سمعت، فإنّ شريعة التقيّة تحظر التصريح بأكثر منه[3].

ثمّ قال ؑ: وأمّا ما ذكرته من الخطاب الدال على تهجين النبي ﷺ والإزراء به والتأنيب له مع ما أظهره الله تبارك وتعالى في كتابه من تفضيله إيّاه على سائر أنبيائه، فإنّ الله عزّ وجلّ جعل لكلّ نبيٍّ عدوّاً من المشركين كما قال في كتابه، وبحسب جلالة منزلة نبيّنا ﷺ عند ربّه كذلك عظم محنته بعدوّه الذي عاد منه إليه في حال شقاقه ونفاقه كلّ أذىً ومشقّة لدفع نبوّته وتكذيبه إيّاه، وسعيه في مكارهه، وقصده لنقض كلّ ما أبرمه، واجتهاده ومن مالأه على كفره وعناده ونفاقه وإلحاده في إبطال دعواه وتغيير ملّته ومخالفة سنّته ولم ير شيئاً أبلغ في تمام كيده من تنفيرهم عن موالاة وصيّه وإيحاشهم منه، وصدّهم عنه، وإغرائهم بعدواته، والقصد لتغيير الكتاب الذي جاء به، وإسقاط ما فيه من فضل ذوي الفضل، وكفر ذوي الكفر منه، وممّن وافقه على ظلمه وبغيه وشركه ولقد علم الله ذلك منهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَـٰتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾[4] وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُواْ كَلَـٰمَ ٱللهِ﴾[5]

---

١ ـ الأحقاف: ٣٥. ٢ ـ الأحزاب: ٢١.

٣ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١، باب احتجاج أمير المؤمنين ؑ على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل. ٤ ـ فصّلت: ٤٠.

٥ ـ الفتح: ١٥.

وقد احضروا الكتاب كملاً مشتملاً على التأويل والتنزيل والمحكم والمتشابه، والناسخ، والمنسوخ، لم يسقط منه حرف ألف ولا «لام»، فلمّا وقفوا على ما بيّنه الله من أسماء أهل الحقّ والباطل، وإنّ ذلك إن ظهر نقض ما عقدوه قالوا: لا حاجة لنا فيه نحن مستغنون عنه بما عندنا، ولذلك قال: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[1] ثمّ دفعهم إلى الاضطرار بورود المسائل عليهم عمّا لا يعلمون تأويله إلى جمعه وتأليفه وتضمينه من تلقائهم ما يقيمون به دعائم كفرهم، فصرّح مناديهم من كان عنده شيء من القرآن فليأتنا به ووكّلوا تأليفه ونظمه إلى بعض من وافقهم إلى معاداة أولياء الله فألّفه على اختيارهم، وما يدلّ للتأمّل على اختلال تمييزهم وافترائهم، وتركوا منه ما قدّروا أنّه لهم، وهو عليهم وزادوا فيه ما ظهر تناكره وتنافره، وعلم الله أنّ ذلك يظهر ويبيّن فقال ذلك مبلغهم من العلم وانكشف لأهل الاستبصار عوراهم وإفتراؤهم والّذي بدأ في الكتاب من الإزراء على النبي ﷺ من فرية الملحدين ولذلك قال: ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً﴾[2] ويذكر جلّ ذكره لنبيّه ﷺ ما يحدثه عدوّه في كتابه من بعده بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ ءَايَاتِهِ﴾[3] يعني إنّه ما من نبي تمنّى مفارقة ما يعانيه من نفاق قومه وعقوقهم والانتقال عنهم إلى دار الإقامة إلّا ألقى الشيطان المتعرض بعدواته عند فقده في الكتاب الذي أُنزل عليه ذمّه والقدح فيه والطعن عليه فينسخ الله ذلك من قلوب المؤمنين فلا تقبله ولا تصغي إليه غير قلوب المنافقين والجاهلين، ويحكم الله آياته بأن يحمي أولياءه من الضلال والعدوان ومشايعة أهل الكفر والطغيان الذين لم يرض الله أن يجعلهم كالأنعام حتّى قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[4] فافهم هذا واعلمه واعمل به[5].

---

١ ـ آل عمران: ١٨٧.
٢ ـ المجادلة: ٢.
٣ ـ الحج: ٥٢.
٤ ـ الفرقان: ٤٤.
٥ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٤، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل.

وقال عليه السلام في هذا الحديث بعد أن بيّن تأويل بعض المتشابهات: وإنّما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه وحججه في أرضه لعلمه بما يحدثه في كتابه المبدّلون من إسقاط أسماء حججه منه، وتلبيسهم ذلك على الأُمّة ليعينوهم على باطلهم، فأثبت فيه الرموز وأعمى قلوبهم وأبصارهم لما عليهم في تركها وترك غيرها من الخطاب الدال على ما أحدثوه فيه، وجعل أهل الكتاب المقيمين به والعاملين بظاهره وباطنه من شجرة: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[1] أي يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت وجعل أعداءها أصل[2] الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم فأبى الله إلّا أن يتمّ نوره، ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بيّنت لك تأويلها لأسقطوها مع ما أسقطوا منه، ولكنّ الله تبارك وتعالى اسمه ماضٍ حكمه بإيجاب الحجّة على خلقه كما قال الله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾[3] أعشى[4] أبصارهم، وجعل على قلوبهم أكنّة عن تأمّل ذلك فتركوه بحاله، وحجبوا عن تأكيد الملتبس بإبطاله، فالسعداء يتنبّهون عليه، والأشقياء يعمون عنه ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[5] ثمّ إنّ الله جلّ ذكره بسعة رحمته ورأفته بخلقه وعلمه بما يحدثه المبدّلون من تغيير كتابه قسّم كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، وقسماً لا يعرفه إلّا من صفا ذهنه، ولطف حسّه، وصحّ تمييزه ممّن شرح الله صدره للإسلام، وقسماً لا يعرفه إلّا الله وأُمناؤه الراسخون في العلم، وإنّما فعل ذلك لئلّا يدّعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم وليقودهم الإضطرار إلى الايتمار لمن والاه أمرهم فاستكبروا عن طاعته تعزّزاً وافتراءاً على الله عزّ وجلّ واغتراراً بكثرة من ظاهرهم وعاونهم وعاند الله عزّ وجلّ اسمه ورسوله فأمّا ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله صلى الله عليه وآله من كتاب الله فهو قول الله سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ

---

١ ـ إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥.
٢ ـ وفي نسخة: [أهل].
٣ ـ الأنعام: ١٤٩.
٤ ـ وفي نسخة: [أغشى].
٥ ـ النور: ٤٠.

ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللهَ﴾(١)، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِى يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾(٢)، ولهذه الآية ظاهر وباطن فالظاهر قوله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ والباطن قوله: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ أي سلّموا لمن وصّاه واستخلفه عليكم فضله وما عهد به إليه تسليماً، وهذا ممّا أخبرتك أنّه لا يعلم تأويله إلّا من لطُف حسّه، وصفا ذهنه، وصحّ تمييزه، وكذلك قوله: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِل يَاسِين﴾(٣) لأنّ الله سمّى النبي صلى الله عليه وآله بهذا الإسم حيث قال: ﴿يسٓ * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤) لعلمه بأنّهم يسقطون قول سلام على آل محمّد صلى الله عليه وآله كما أسقطوا غيره، وما زال رسول الله صلى الله عليه وآله يتألّفهم ويقرّبهم ويجلسهم عن يمينه وشماله حتّى أذن الله عزّ وجلّ له في إبعادهم بقوله: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾(٥)، وبقوله: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ(٦) * عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾(٧)(٨).

وقال: وأمّا ظهورك على تناكر قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾(٩) وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولا كلّ النساء أيتاماً فهو ممّا قدّمت ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن وبين القول في اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن، وهذا ما أشبهه ممّا ظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر والتأمّل، ووجد المعطّلون وأهل الملل المخالفة للإسلام مساغاً إلى القدح في القرآن، ولو شرحت لك كلّ ما أُسقط وحرّف وبدّل ممّا يجري هذا المجرى

١ـ النساء: ٨٠.	٢ـ الأحزاب: ٥٦.

٣ـ الصافات: ١٣٠.	٤ـ يس: ١ ـ ٤.

٥ـ المزمل: ١٠.

٦ـ قوله مهطعين: أي مسرعين، عزين: أي فرق شتّى، كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وآله حلقاً حلقاً. منه قدّس سرّه.	٧ـ المعارج: ٣٦ ـ ٣٩.

٨ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل.	٩ـ النساء: ٣.

لطال وظهر ما تخطر التقيّة إظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء[١].

أقول: المستفاد من مجموع هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام إنّ القرآن الذي بين أظهرنا بتمامه كما أُنزل على محمّد صلى الله عليه وآله بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغيّر ومحرّف وأنّه قد حذف عنه أشياء كثيرة.

منها: اسم علي عليه السلام في كثير من المواضع.

ومنها: لفظة آل محمّد صلى الله عليه وآله غير مرّة.

ومنها: أسماء المنافقين في مواضعها.

ومنها غير ذلك، وأنّه ليس أيضاً على الترتيب المرضي عند الله، وعند رسوله صلى الله عليه وآله، وبه قال علي بن إبراهيم رحمه الله قال في تفسيره: «وأمّا ما كان خلاف ما أنزل الله فهو قوله تعالى: ﴿كُنْتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَونَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[٢]، فقال أبو عبدالله عليه السلام لقاري هذه الآية: ﴿خير أُمّة﴾ يقتلون أمير المؤمنين، والحسين بن علي عليهما السلام، فقيل له: فكيف نزلت يابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: إنّما نزلت: «كُنْتُمْ خَيْرَ أَئِمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» ألا ترى مدح الله لهم في آخر الآية ﴿تَأْمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَونَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[٣]، ومثله أنّه قرئ على أبي عبدالله عليه السلام ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِيّـتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾[٤]، فقال أبو عبدالله عليه السلام: لقد سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتقين إماماً؟ فقيل له: يا ابن رسول الله كيف نزلت؟ فقال: إنّما نزلت: «وَاجْعَل لَنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ إِمَاماً»[٥]، وقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ﴾[٦]، فقال أبو عبدالله عليه السلام: كيف يحفظ الشيء من أمر الله؟ وكيف يكون المعقّب من بين يديه؟ فقيل له: وكيف ذلك يابن رسول الله

---

١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل.

٢ ـ آل عمران: ١١٠.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ١١٠.

٤ ـ الفرقان: ٧٤.

٥ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ١١٧.

٦ ـ الرعد: ١١.

فقال: إنّما انزلت: «لَهُ مُعَقّباتٌ مِنْ خَلْفِهِ وَرَقِيبٌ مَنْ بَيْنِ يَدَيْهِ يَحْفَظُونَهُ بِأَمْرِ ٱللهِ»[١]، ومثله كثير[٢].

قال: وأمّا ما هو محذوف عنه فقوله تعالى: «لكِنَّ ٱللهُ يَشْهَدُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ فِي عَلِيّ» كذا نزلت «أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ»، وقوله: «يَآ أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ فِي عَلِيّ فَإِنْ لَمْ تَفْعَل فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ»، وقوله: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ لَمْ يَكُن ٱللهُ لِيَغْفِرَ لَهُم»، وقوله: «سَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا آل مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون»، وقوله: «تَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ فِي غَمَراتِ الْمَوتِ»، ومثله كثير نذكره في مواضعه[٣] إن شاء الله.

قال: وأمّا التقديم والتأخير فإنّ آية عدّة النساء الناسخة التي هي «أَرْبَعَةَ أَشْهُر وَعَشْراً» قدّمت على المنسوخة التي هي سنة[٤]، وكان يجب أن يقرأ المنسوخة التي نزلت قبل، ثمّ الناسخة التي نزلت بعد، وقوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾[٥] وإنّما هو «وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ إِمَاماً وَرَحْمَةً وَمِن قَبْلِهِ كِتَـٰبُ مُوسَى»، وقوله: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلّا حَيَاتُنَا الدُّنيا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾[٦]، وإنّما هو «نحيي ونموت» لأنّ الدهريّة لم يقرّوا بالبعث بعد الموت، وإنّما قالوا: «نحيى ونموت»، فقدّموا حرفاً على حرف[٧]، ومثله كثير.

قال: وأمّا الآيات التي هي في سورة وتمامها في سورة أُخرى، فقول موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾[٨]، ﴿قَالواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٦٠.
٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ١٠.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ١٠ ـ ١١، وفيه: «وأمّا ما هو محرّف منه».
٤ ـ الآيتان متقاربتان في سورة البقرة. أمّا الناسخة المتقدّمة فهي قوله تعالى: «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا»، البقرة: ٢٣٤، وأمّا المنسوخة المتأخّرة فهي قوله تعالى: «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيّة لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج»، البقرة: ٢٤٠. منه ﷺ.
٥ ـ هود: ١٧.
٦ ـ الجاثية: ٢٤.
٧ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٨.
٨ ـ البقرة: ٦١.

مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾[١]، ونصف الآية في سورة البقرة ونصفها في سورة المائدة، وقوله: ﴿ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٢] فردّ الله عليهم ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِنْ كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[٣] فنصف الآية في سورة الفرقان، ونصفها في سورة العنكبوت، ومثله كثير، انتهى كلامه[٤].

أقول: ويرد على هذا كلّه إشكال وهو أنّه على هذا التقدير لم يبق لنا إعتماد على شيء من القرآن إذ على هذا يحتمل كلّ آية منه أن يكون محرّفاً ومغيّراً ويكون على خلاف ما أنزل الله فلم يبق لنا في القرآن حجّة أصلاً فتنتفي فائدته، وفائدة الأمر باتّباعه والوصيّة بالتمسّك به إلى غير ذلك، وأيضاً قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾[٥]، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ﴾[٦]، فكيف يتطرّق إليه التحريف والتغيير، وأيضاً قد استفاض عن النبي ﷺ والأئمّة عليهم السلام حديث عرض الخبر المروي على كتاب الله ليعلم صحّته بموافقته وفساده بمخالفته، فإذا كان القرآن الذي بأيدينا محرّفاً فما فائدة العرض، مع أنّ خبر التحريف مخالف لكتاب الله، مكذّب له فيجب ردّه، والحكم بفساده أو تأويله.

ويخطر بالبال في دفع هذا الإشكال، والعلم عند الله أن يقال: إن صحّت هذه الأخبار فلعلّ التغيير إنّما وقع فيما لا يخلّ بالمقصود كثير إخلال كحذف اسم علي وآل محمّد ﷺ وحذف أسماء المنافقين عليهم لعائن الله فإنّ الإنتفاع بعموم اللفظ باق، وكحذف بعض الآيات وكتمانه فإنّ الإنتفاع بالباقي باق، مع أنّ الأوصياء كانوا يتداركون ما فاتنا منه من هذا القبيل، ويدلّ على هذا قوله عليه السلام في حديث طلحة: «إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنّة فإنّ فيه حجّتنا وبيان حقّنا وفرض طاعتنا»[٧].

---

١ ـ المائدة: ٢٢. ٢ ـ الفرقان: ٥.
٣ ـ العنكبوت: ٤٨. ٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ١٠.
٥ ـ فصّلت: ٤١ ـ ٤٢. ٦ ـ الحجر: ٩.
٧ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٢٢٥، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على جماعة كثيرة من المهاجرين والأنصار لما تذاكروا فضلهم بما قال رسول الله ﷺ من النص عليه وغيره من القول الجميل.

ولا يبعد أيضاً أن يقال: إنّ بعض المحذوفات كان من قبيل التفسير والبيان، ولم يكن من أجزاء القرآن فيكون التبديل من حيث المعنى أي حرّفوه وغيّروه في تفسيره وتأويله أعني حملوه على خلاف ما هو به، فمعنى قولهم عليهم السلام: «كذا نزلت» أنّ المراد به ذلك، لا أنّها نزلت مع هذه الزيادة في لفظها فحذف منها ذلك اللّفظ. وممّا يدلّ على هذا ما رواه في الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنّه كتب في رسالته إلى سعد الخير، وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه، وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهّال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية[1]، الحديث.

وما روته العامّة أنّ عليّاً عليه السلام كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ[2] ومعلوم أنّ الحكم بالنسخ لا يكون إلّا من قبيل التفسير والبيان، ولا يكون جزءاً من القرآن فيحتمل أن يكون بعض المحذوفات أيضاً كذلك، هذا ما عندي من التفصّي عن الإشكال، والله يعلم حقيقة الحال.

وأمّا اعتقاد مشايخنا رحمهم الله في ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنّه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن، لأنّه روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي ولم يتعرّض لقدح فيها، مع أنّه ذكر في أوّل الكتاب أنّه كان يثق بما رواه فيه.

وكذلك استاذه علي بن إبراهيم القمّي رحمه الله فإنّ تفسيره مملوّ منه وله غلوّ فيه.

وكذلك الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي رحمه الله فإنّه أيضاً نسج على منوالهما في كتاب الإحتجاج.

وأمّا الشيخ أبو علي الطبرسي، فإنّه قال في مجمع البيان: أمّا الزيادة فيه فمجمع على بطلانه، وأمّا النقصان فيه فقد روى جماعة من أصحابنا، وقوم من حشويّة العامّة أنّ في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى رحمه الله واستوفى الكلام فيه غاية الإستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيّات[3]، وذكر في مواضع أنّ العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٥٣ ـ س ٥، ح ١٦. ٢ ـ لم نعثر عليه.

٣ ـ الطرابلسيّات: أي المرسلة إليه من مدينة طرابلس. منه قدس سره.

العرب المسطورة، فإنّ العناية اشتدّت والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت حدّاً لم تبلغه فيما ذكرناه لأنّ القرآن معجز النبوّة، ومأخذ العلوم الشرعيّة والأحكام الدينيّة وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتّى عرفوا كلّ شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً ومنقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد.

وقال أيضاً قدّس الله روحه: أنّ العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه في صحّة نقله كالعلم بجملته وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنّفة ككتاب سيبويه، والمزني فإنّ أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من جملتها حتّى لو أنّ مدخلاً أُدخل في كتاب سيبويه باباً في النحو ليس من الكتاب لعرف وميّز وعلم أنّه ملحق وليس من أصل الكتاب وكذلك القول في كتاب المزني، ومعلوم أنّ العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه، ودواوين الشعراء، وذكر أيضاً ﷺ أنّ القرآن كان على عهد رسول الله مجموعاً مؤلّفاً على ما هو عليه الآن، واستدلّ على ذلك بأنّ القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتّى عيّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له وأنّه كان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه، وأنّ جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود، وأُبي بن كعب، وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدّة ختمات، وكلّ ذلك يدلّ بأدنى تأمّل على أنّه كان مجموعاً مرتّباً غير مبتور ولا مبثوث، وذكر أنّ من خالف في ذلك من الإماميّة، والحشويّة لا يعتد بخلافهم، فإنّ الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنّوا صحّتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحّته[١].

أقول: لقائل أن يقول: كما أنّ الدواعي كانت متوفّرة على نقل القرآن وحراسته من المؤمنين كذلك كانت متوفّرة على تغييره من المنافقين المبدّلين للوصيّة المغيّرين للخلافة لتضمنّه ما يضاد رأيهم وهو أهم، والتغيير فيه إن وقع فإنّما وقع قبل إنتشاره في البلدان وإستقراره على ما هو عليه الآن، والضبط الشديد إنّما كان بعد ذلك فلا تنافي بينهما، بل لقائل أن يقول: إنّه ما تغيّر في نفسه، وإنّما التغيير في كتابتهم إيّاه وتلفظهم به فإنّهم ما حرّفوا إلّا عند

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٥، الفن الخامس.

نسخهم من الأصل وبقي الأصل على ما هو عليه عند أهله، وهم العلماء به فما كان عند العلماء ليس بمحرّف، وإنّما المحرّف ما أظهروه لأتباعهم، وأمّا كونه مجموعاً في عهد النبي صلى الله عليه وآله على ما هو عليه الآن فلم يثبت، وكيف كان مجموعاً، وإنّما كان ينزل نجوماً، وكان لا يتمّ إلّا بتمام عمره صلى الله عليه وآله وأمّا درسه وختمه فإنّما كانوا يدرسون ويختمون ما كان عندهم منه لا إتمامه.

وقال شيخنا الصدوق رئيس المحدّثين محمّد بن علي بن بابويه القمّي طيّب الله ثراه في اعتقاداته: اعتقادنا: أنّ القرآن الذي أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين، وما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، قال: ومن نسب إلينا إنّا نقول إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب[١].

وقال شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي رحمه الله في تبيانه: وأمّا الكلام في زيادته ونقصانه فمّا لا يليق به لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانه، والنقصان منه: فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى رحمه الله وهو الظاهر في الروايات غير أنّه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصّة والعامّة بنقصان كثير من آي القرآن[٢]، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع طريقها الآحاد التي لا توجب علماً فالأولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها لأنّه يمكن تأويلها ولو صحّت لما كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدفتين، فإنّ ذلك معلوم صحّته لا يعترضه أحد من الأُمّة ولا يدفعه، ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته والتمسّك بما فيه، وردّ ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه وعرضها عليه، فما وافقه عمل عليه، وما خالفه يجنّب ولم يلتفت إليه.

---

١ ـ اعتقادات الصدوق: ص ٥٩.

٢ ـ روي في الكافي: ج ٢، ص ٦٣٤، ح ٢٨، بإسناده عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ القرآن الذي جاء به جبرئيل عليه السلام إلى محمّد صلى الله عليه وآله سبعة عشر ألف آية.

ويقال: إنّ الموجود منه في أيدي الناس أقلّ من ذلك، والمشهور أنّه ستّة آلاف وستمائة وست وستون.

وفي مجمع البيان من طريق العامّة عن النبي صلى الله عليه وآله: إنّ القرآن ستّة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية.

وقد ذكر بعض أصحابنا عدد السور، والكلمات، والحروف، والفتحات، والضمّات، والكسرات، والهمزات، والتشديدات، والألفات، والباءات، إلى آخر حروف التهجّي، وأعتمد في عدد الآي على المشهور، ولعلّ بناء حديث العامّة على ما رواه من عدّ البسملات آية واحدة وعلى ما حصل لهم القطع بكونه آية فإنّ للقرّاء في تعيين الآيات اختلاف، والعلم عند الله. منه قدس سره.

وقد ورد عن النبي ﷺ رواية لا يدفعها أحد إنّه قال: «إنّي مخلّف فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[١] وهذا يدلّ على أنّه موجود في كلّ عصر، لأنّه لا يجوز أن يأمرنا بالتمسّك بما لا نقدر على التمسّك به كما أنّ أهل البيت عليهم السلام ومن يجب اتباع قوله حاصل في كلّ وقت. وإذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحّته، فينبغي أن نتشاغل بتفسيره، وبيان معانيه ونترك ما سواه[٢].

أقول: يكفي في وجوده في كلّ عصر وجوده جميعاً كما أنزله الله محفوظاً عند أهله ووجود ما احتجنا إليه منه عندنا وإن لم نقدر على الباقي كما إنّ الإمام عليه السلام كذلك فإنّ الثقلين سيّان في ذلك.

ولعلّ هذا هو المراد من كلام الشيخ، وأمّا قوله: «ومن يجب اتباع قوله» فالمراد به البصير بكلامه فإنّه في زمان غيبتهم قائم مقامهم لقولهم عليهم السلام أُنظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فاجعلوه بينكم حاكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً[٣]، الحديث.

المقدّمة السابعة

في نبذ ممّا جاء في أنّ القرآن تبيان كلّ شيء وتحقيق معناه

روى في الكافي بإسناده: عن مرازم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء حتّى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتّى لا يستطيع عبد، يقول: لو كان هذا أُنزل في القرآن إلّا وقد أنزله الله فيه[٤].

وبإسناده: عن عمرو بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: إنّ الله تعالى لم

---

١ ـ حديث الثقلين مورد وفاق بين الفريقين، وقد أخرجه العلّامة المجلسي بطرقه المختلفة في كتابه الكبير بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ١٠٤ ـ ١٦٦، ح ٧ و٩ و١١ و١٢، وغير ذلك، باب ٧ فضائل أهل البيت عليهم السلام والنص عليهم جملة من خبر الثقلين.

٢ ـ التبيان: ج ١، ص ٣ ـ ٤.

٣ ـ الكافي: ج ٧، ص ٤١٢، ح ٥، باب كراهيّة الإرتفاع إلى قضاة الجور.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٥٩، ح ١، باب الرد إلى الكتاب والسنّة.

يدع شيئاً تحتاج إليه الأُمّة إلّا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله صلى الله عليه وآله، وجعل لكلّ شيء حدّاً، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه، وجعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً[١].

وبإسناده: عن المعلّى بن خنيس، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما من أمر يختلف فيه إثنان إلّا وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال[٢].

وبإسناده: عن حمّاد، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سمعته يقول: ما من شيء إلّا وفيه كتاب أو سنّة[٣].

وبإسناده: عن سماعة، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: قلت له: أكلّ شيء في كتاب الله أو سنّة نبيّه صلى الله عليه وآله أو تقولون فيه؟ قال: بل كلّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله[٤].

وبإسناده عن أبي الجارود، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إذا حدّثتكم بشيء فاسئلوني أين هو من كتاب الله تعالى، ثمّ قال في بعض حديثه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال، فقيل له: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله أين هذا من كتاب الله؟ قال: إنّ الله تعالى يقول: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحِۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[٥]، وقال: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾[٦]، وقال: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٧][٨].

قال بعض أهل المعرفة ما ملخّصه: إنّ العلم بالشيء إمّا يستفاد من الحسّ برؤية أو تجربة أو سماع خبر أو شهادة أو اجتهاد أو نحو ذلك، ومثل هذا العلم لا يكون إلّا متغيّراً فاسداً محصوراً متناهياً غير محيط، لأنّه إنّما يتعلّق بالشيء في زمان وجوده علم وقبل وجوده علم

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٥٩، ح ٢، باب الرد إلى الكتاب والسنّة.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٦٠، ح ٦، باب الرد إلى الكتاب والسنّة.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٥٩، ح ٤، باب الرد إلى الكتاب والسنّة.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٦٢، ح ١٠، باب الرد إلى الكتاب والسنّة.

٥ ـ النساء: ١١٤.　　٦ ـ النساء: ٥.

٧ ـ المائدة: ١٠١.

٨ ـ الكافي: ج ١، ص ٦٠، ح ٥، باب الرد إلى الكتاب والسنّة.

آخر ويعد وجوده علم ثالث، وهكذا كعلوم أكثر الناس، وأمّا ما يستفاد من مبايه وأسبابه وغاياته علماً واحداً كليّاً بسيطاً محيطاً على وجه عقلي غير متغيّر فإنّه ما من شيء إلّا وله سبب ولسببه سبب وهكذا إلى أن ينتهي إلى مسبّب الأسباب، وكلّ ما عرف سببه من حيث يقتضيه ويوجبه فلابدّ وأن يعرف ذلك الشيء علماً ضرورياً دائماً، فمن عرف الله تعالى بأوصافه الكماليّة ونعوته الجلاليّة، وعرف أنّه مبدأ كلّ وجود، وفاعل كلّ فيض وجود، وعرف ملائكته المقرّبين ثمّ ملائكته المدبّرين المسخّرين للأغراض الكليّة العقليّة بالعبادات الدائمة، والنسك المستمرّة من غير فتور ولغوب الموجبة لأن يترشّح عنها صور الكائنات كلّ ذلك على الترتيب السببي والمسبّبي فيحيط علمه بكلّ الأمور وأحوالها ولواحقها علماً بريئاً من التغيير والشكّ والغلط فيعلم من الأوائل: الثواني، ومن الكليّات: الجزئيّات المترتّبة عليها، ومن البسائط: المركّبات، ويعلم حقيقة الإنسان وأحواله وما يكمّلها ويزكّيها، ويسعدها، ويصعدها إلى عالم القدس، وما يدنّسها، ويرديها، ويشقيها، ويهويها إلى أسفل السافلين، علماً ثابتاً غير قابل للتغيير ولا محتمل لتطرّق الريب فيعلم الأُمور الجزئيّة من حيث هي دائمة كليّة، ومن حيث لا كثرة فيه ولا تغيير، وإن كانت هي كثيرة متغيّرة في أنفسها، وبقياس بعضها إلى بعض، وهذا كعلم الله سبحانه بالأشياء، وعلم ملائكته المقرّبين، وعلوم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام بأحوال الموجودات الماضية والمستقبلة، وعلم ما كان، وعلم ما سيكون إلى يوم القيامة من هذا القبيل، فإنّه علم كلّي ثابت غير متجدّد بتجدّد المعلومات، ولا متكثّر بتكثّرها، ومن عرف كيفيّة هذا العلم عرف معنى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1] ويصدّق بأنّ جميع العلوم، والمعاني في القرآن الكريم عرفاناً حقيقيّاً، وتصديقاً يقينيّاً على بصيرة لا على وجه التقليد والسماع ونحوهما إذ ما من أمر من الأُمور إلّا وهو مذكور في القرآن إمّا بنفسه أو بمقوّماته وأسبابه ومباديه وغاياته، ولا يتمكّن من فهم آيات القرآن وعجائب أسراره وما يلزمها من الأحكام والعلوم التي لا تتناهى إلّا من كان

---

١ ـ النحل: ٨٩.

علمه بالأشياء من هذا القبيل انتهى كلامه أعلى الله مقامه[١] وينبّه عليه لفظة الأصل في رواية المعلى[٢].

المقدّمة الثامنة

في نبذ ممّا جاء في أقسام الآيات وإشتمالها على البطون والتأويلات وأنواع اللغات، واختلاف القراءات ، والمعتبرة منها

قد اشتهرت الرواية من طريق العامّة عن النبي ﷺ أنّه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف كلّها كافٍ شافٍ[٣].

وقد ادّعى بعضهم تواتر أصل هذا الحديث، إلّا أنّه اختلفوا في معناه على ما يقرب من أربعين قولاً، وروت العامّة عنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، وقصص، ومثل[٤].

وفي رواية أُخرى زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال[٥].

والمستفاد من هاتين الروايتين: إنّ الأحرف إشارة إلى أقسامه وأنواعه.

ويؤيّده ما رواه أصحابنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: إنّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كلّ قسم منها كافٍ، شافٍ، وهي: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، ومثل، وقصص[٦].

وروت العامّة أيضاً عن النبي ﷺ إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف لكلّ آية منها

---

١ ـ أي كلام بعض أهل المعرفة.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٦٠، ح ٦، باب الرد إلى الكتاب والسنّة.

٣ ـ كنز العمال: ج ٢، ص ٥٠ ـ ٥١، ح ٣٠٧٥، الفرع الأوّل من القراءات السبعة. وتفسير الطبري: ج ١، ص ١٥، سطر ٦. وسنن النسائي: ج ٢، ص ١٥٣ ـ ١٥٤.

٤ ـ التبيان: ج ١، ص ٧. وكنز العمّال: ج ٢، ص ٥٥، ح ٣٠٩٦. وتفسير الطبري: ج ١، ص ٢٤، سطر ٣.

٥ ـ التبيان: ج ١، ص ٧. وتفسير الطبري: ج ١، ص ٢٣، سطر ٢٧.

٦ ـ بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٤، باب ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في أصناف آيات القرآن وأنواعها.

ظهر، وبطن، ولكلّ حرف حدّ ومطلع[١].

وفي رواية أُخرى أنّ للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن[٢].

وربما يستفاد من هاتين الروايتين أنّ الأحرف إشارة إلى بطونه وتأويلاته ولا نصّ فيهما على ذلك لجواز أن يكون المراد بهما أنّ لكلّ من الأقساط ظهراً وبطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن.

ومن طريق الخاصّة: ما رواه في الخصال بإسناده: عن حمّاد، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام إنّ الأحاديث تختلف منكم، قال: فقال: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف وأدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه، ثمّ قال: ﴿هَذَا عَطَآؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣][٤].

وهذا نصّ في البطون، وتأويلاته، ورووا في بعض ألفاظ هذا الحديث: إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرأوا بما تيسر منه[٥].

وفي بعضها: قال النبي صلى الله عليه وآله لجبرئيل عليه السلام: إنّي بعثت إلى أُمّة أُميّين، فيهم الشيخ الفاني، والعجوز الكبيرة، والغلام، قال فمرهم فليقرأوا القرآنَ على سبعة أحرف[٦].

ومن طريق الخاصّة ما رواه في الخصال بإسناده: عن عيسى بن عبدالله الهاشمي، عن أبيه، عن آبائه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني آتٍ من الله عزّ وجلّ، فقال: إنّ الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت يا ربّ وسّع على أُمّتي، فقال: إنّ الله عزّ وجلّ يأمرك أن

---

١ ـ كنزالعمّال: ج٢، ص٥٣، ح٣٠٨٦، من النوع الأوّل في القراءات السبعة؛ وتفسيرالطبري: ج١، ص٩، س٢٣.

٢ ـ عوالي اللئالي: ج ٤، ص ١٠٧، ح ١٥٩، وفيه: «ولبطنه بطن». ومقدّمة تفسير البرهان: ص ٥.

٣ ـ صٓ: ٣٩. ٤ ـ الخصال: ص ٣٥٨، ح ٤٣، باب ٧ ـ نزل القرآن على سبعة أحرف.

٥ ـ كنزالعمّال: ج٢، ص٤٩، ح ٣٠٧٠، من الفرع الأوّل في القراءات السبعة. وجامع الأُصول: ج٢، ص٤٧٧ ـ ٤٧٨، ح٩٣٩. وصحيح مسلم: ج١، ص٥٦٠، ح٨١٨، باب٤٨. وسنن أبي داود: ج٢، ص ٧٥ ـ ٧٦، ح ١٤٧٥، باب أُنزل القرآن على سبعة أحرف. وسنن النسائي: ج٢، ص١٥٢. وسنن الترمذي: ج٥، ص١٧٧ ـ ١٧٨، ح ٢٩٤٣.

٦ ـ تفسير الطبري: ج ١، ص ١٢، سطر ٢١. وكنز العمّال: ج ٢، ص ٥٧، ح ٣١٠٧ مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ الحديث. وجامع الأُصول: ج ٢، ص ٤٨٢، ذيل ح ٩٤٠، بأدنى تفاوت. والترمذي: ج ٥، ص ١٧٨، ح ٢٩٤٤.

تقرأ القرآن على سبعة أحرف[١].

ويستفاد من هذه الروايات أنّ المراد بسبعة أحرف إختلاف اللغات كما قاله ابن الأثير في نهايته، فإنّه قال: في الحديث نزل القرآن على سبعة أحرفٍ كلّها شاف، كاف، أراد بالحرف اللّغة، يعني على سبع لغات من لغات العرب، أي أنّها متفرّقة في القرآن فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة الهوازن، وبعضه بلغة اليمن، قال: وممّا يبيّن ذلك قول ابن مسعود: إنّي قد سمعت القرّاء فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم إنّما هو كقول أحدكم هلّم وتعال وأقبل[٢].

وقال في مجمع البيان: إنّ قوماً قالوا: إنّ المراد بالأحرف: اللّغات ممّا لا يغيّر حكماً في تحليل ولا تحريم، مثل هلّم وأقبل وتعال، وكانوا مخيّرين في مبتدأ الإسلام في أن يقرؤوا بما شاؤوا منها، ثمّ أجمعوا على أحدها، وإجماعهم حجّة، فصار ما أجمعوا عليه مانعاً ممّا أعرضوا عنه[٣].

أقول: والتوفيق بين الروايات كلّها أن يقال: إنّ للقرآن سبعة أقسام من الآيات، وسبعة بطون لكلّ آية، ونزل على سبع لغات، وأمّا حمل الحديث على سبعة أوجه من القراءات ثمّ التكلّف في تقسيم وجوه القراءات على هذا العدد كما نقله في مجمع البيان[٤] عن بعضهم فلا وجه له، مع أنّه يكذّبه ما رواه في الكافي بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكنّ الإختلاف يجييء من قبل الرواة[٥].

وبإسناده عن الفضيل بن يسار، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ الناس يقولون: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، فقال: كذبوا أعداء الله، ولكنّه نزل على حرف واحد من عند الواحد[٦].

---

١ ـ الخصال: ج ٢، ص ٣٥٨، ح ٤٤، باب ٧ ـ نزل القرآن على سبعة أحرف.

٢ ـ النهاية لابن الأثير: ج ١، ص ٣٦٩.

٣ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٢.

٤ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٢.

٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٣٠، ح ١٢، باب النوادر.

٦ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٣٠، ح ١٣، باب النوادر.

ومعنى هذا الحديث معنى سابقه، والمقصود منهما واحد، وهو أنّ القراءة الصحيحة واحدة إلّا أنّه عليه السلام لمّا علم أنّهم فهموا من الحديث الذي رووه صحّة القراءات جميعاً مع اختلافها كذّبهم وعلى هذا فلا تنافي بين هٰذين الحديثين وشيء من أحاديث الأحرف أيضاً.

وبإسناده: عن عبدالله بن فرقد، والمعلّى بن خنيس، قالا كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام ومعنا ربيعة الرأي، فذكرنا فضل القرآن، فقال أبو عبدالله عليه السلام: إن كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضالّ، فقال ربيعة: ضالّ؟ فقال: نعم ضالّ، ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: أمّا نحن فنقرأ على قراءة أُبي[1].

والمستفاد من هذا الحديث[2] أنّ القراءة الصحيحة هي قراءة أُبي بن كعب وأنّها موافقة لقراءتهم عليهم السلام، إلّا أنّها غير مضبوطة إلى الآن عند أصحابنا، فكلّ ما وصل إلينا فيه قراءتهم كقراءة الجر في «أرجلكم» في آية الوضوء نتبعه، وما لم يصل إلينا فيه أنّهم عليهم السلام كيف يقرؤون فموسع علينا القراءة المعروفة، هذا مع أنّهم ورد عنهم عليهم السلام اختلاف القراءة في كلمة واحدة،

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٣٤، ح ٢٧، باب النوادر.

٢ ـ وفي نسخة: [لعل آخر الحديث ورد على المسامحة مع ربيعة مراعاة لحرمة الصحابة وتداركاً لما قاله في ابن مسعود، ذلك لأنّهم عليهم السلام لم يكونوا يتّبعون أحداً سوى آبائهم عليهم السلام لأنّ علمهم من الله، وفي هذا الحديث إشعار بأنّ قراءة أُبي كانت موافقة لقراءتهم عليهم السلام وكانت أوفق لها من قراءة غيره من الصحابة. ثمّ الظاهر إنّ الإختلاف المعتبر ما يسري من اللفظ إلى المعنى مثل مالك وملك دون ما لا يجاوز اللفظ أو يجاوزه ولم يخلّ بالمعنى المقصود سواءً كان بحسب اللّغة مثل كفوءً بالهمزة والواو ومخفّفاً ومثقّلاً، أو بحسب الصرف مثل يرتد ويرتدد، أو بحسب النحو مثل ما لا يقبل منها شفاعة بالتاء، والياء وما يسري إلى المعنى ولم يخلّ بالمقصود مثل الريح والرياح للجنس والجمع، فإنّ في أمثال هذه موسّع علينا القراءات المعروفة، وعليه يحمل ما ورد عنهم عليهم السلام من اختلاف القراءة في كلمة واحدة*.

* راجع الكافي: ج ٢، ص ٦٣٢، ح ٢٣، باب النوادر.

وما ورد أيضاً من تصويبهم القراءتين جميعاً كما يأتي في مواضعه، أو يحمل على أنّهم لمّا لم يتمكنوا أن يحملوا النّاس على القراءة الصحيحة جوّزوا القراءة بغيرها كما أُشير إليه بقولهم عليهم السلام اقرأوا كما تعلّمتم فسيجيئكم من يعلّمكم**.

** راجع الكافي: ج ٢، ص ٦١٩، ح ٢، باب أنّ القرآن يرفع كما أُنزل. وذلك كما جوّزوا قراءة أصل القرآن بما هو عند الناس دون ما هو محفوظ عندهم، وعلى التقديرين فنحن في سعة منها جميعاً، وقد اشتهر بين الفقهاء....].

وورد أيضاً تصويبهم القراءتين جميعاً كما يأتي في مواضعه، بل ورد عنهم جواز القراءة بكلّ ما اختلف القرّاء فيه كما ذكره في مجمع البيان[١] فلابدّ من تأويل نفي الإختلاف إلى ما يلائم ثبوته أو بالعكس، وكلّ منهما مشكل على أنّه لا مندوحة اليوم عن الإختلاف وغاية ما يمكن أن يقال: إنّ القراءة الصحيحة واحدة وهي مضبوطة عند الأئمّة عليهم السلام، كما أنّ القرآن الصحيح محفوظ عندهم، إلّا أنّهم عليهم السلام لمّا لم يتمكنوا أن يحملوا الناس عليها جوزوا القراءة بغيرها ممّا هو عند الناس كما أنّهم جوزوا قراءة أصل القرآن بما هو عند الناس والعلم عند الله.

وقد اشتهر بين الفقهاء وجوب التزام عدم الخروج عن القراءات السبع أو العشر المعروفة لتواترها وشذوذ غيرها.

والحقّ أنّ المتواتر من القرآن اليوم ليس إلّا القدر المشترك بين القراءات جميعاً دون خصوص آحادها إذ المقطوع به ليس إلّا ذاك فإنّ المتواتر لا يشتبه بغيره[٢]، ونحن نكتفي بذكر بعض القراءات المشهورة، ونطوي ذكر الشواذ إلّا نادراً، أو ما نسب منها إلى أئمتنا عليهم السلام، ونجعل الأصل قراءة الأكثرين في الأكثر، ثمّ نشير إلى سائرها إن شاء الله.

وأمّا ما دوّنوه في علم القراءة وتجويدها من القواعد والمصطلحات فكلّ ما له مدخل في تبيين الحروف وتمييز بعضها عن بعض لئلّا يشتبه أو في حفظ الوقوف بحيث لا يختلّ المعنى المقصود به أو في صحّة الإعراب وجودته لئلّا تصير ملحونة، أو مستهجنة، أو في تحسين الصوت وترجيعه بحيث يلحقها بألحان العرب وأصواتها الحسنة فله وجه وجيه.

وقد وردت[٣] الروايات المعصوميّة به، وإنّما ينبغي مراعاة ذلك فيما اتفقوا عليه لإتفاق

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٢.

٢ ـ وفي نسخة: [وأمّا نحن فنجعل الأصل في هذا التفسير أحسن القراءات كانت قراءة من كانت كالأخفّ على اللسان، والأوضح في البيان، والآنس للطبع السليم، والأبلغ لذي الفهم القويم، والأبعد عن التكلّف في إفادة المراد، والأوفق لأخبار المعصومين، فإن تساوت أو أشبهت قراءة الأكثرين في الأكثر ولا نتعرّض لغير ذلك إلّا ما يتغيّر به المعنى المراد تغيراً يعتدّ به أو يحتاج إلى التفسير، وذلك لأنّ التفسير إنّما يتعلّق بالمعنى دون اللّفظ، وضبط اللّفظ إنّما هو للتلاوة فيخصّ به المصاحف، وأمّا ما دونوه...].

٣ ـ وفي نسخة: [وقد وردت الإشارة إليه في الروايات المعصوميّة].

السلائق عليه دون ما اختلفوا فيه لإختلافها لديه.

المقدّمة التاسعة

في نبذ ممّا جاء في زمان نزول القرآن وتحقيق ذلك

روي في الكافي: عن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ﴾ وإنّما أُنزل القرآن في عشرين سنة بين أوّله وآخره؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: نزّل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ نزل في طول عشرين سنة، ثمّ قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: نُزِلَتْ صحف إبراهيم في أوّل ليلة من شهر رمضان، وأُنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان، وأُنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وأُنزل الزبور لثمان عشرة خلون من شهر رمضان، وأُنزل القرآن في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان[١].

وفيه[٢]، وفي الفقيه: بإسنادهما عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: نزلت التوراة في ست مضين من شهر رمضان، ونزّل الإنجيل في اثني عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، ونزّل الزبور في ليلة ثمان عشرة من شهر رمضان ونزّل القرآن في ليلة القدر[٣].

وفي بعض نسخ الفقيه: ونزّل الفرقان في ليلة القدر.

وبإسنادهما: عن حمران، إنّه سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾[٤]، قال: هي ليلة القدر، وهي في كلّ سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر، ولم ينزل القرآن إلّا في ليلة القدر، قال الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٥]، قال يقدّر في ليلة القدر كلّ شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل من خير أو شرٍّ أو طاعة أو

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٢٨ ـ ٦٢٩، ح ٦، باب النوادر.

٢ ـ الكافي: ج ٤، ص ١٥٧، ح ٥، باب في ليلة القدر.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٠٢، ح ٤٥٧/ ١٢، باب ٥٣ ـ الغسل في الليالي المخصوصة في شهر رمضان وما جاء في العشر الأواخر وفي ليلة القدر.

٤ ـ الدخان: ٣.

٥ ـ الدخان: ٤.

معصية أو مولود أو أجل أو رزق[١]، الحديث.

وبإسنادهما: عن يعقوب، قال: سمعت رجلاً يسأل أبا عبدالله عليه السلام عن ليلة القدر فقال: أخبرني عن ليلة القدر كانت أو تكون في كلّ عام؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: لو رفعت ليلة القدر لرفع القرآن[٢].

أقول: وذلك لأنّ في ليلة القدر ينزل كلّ سنة من تبيين القرآن وتفسيره ما يتعلّق بأُمور تلك السنة إلى صاحب الأمر عليه السلام، فلو لم تكن ليلة القدر لم ينزل من أحكام القرآن ما لابدّ منه في القضايا المتجدّدة، وإنّما لم ينزل ذلك إذا لم يكن من ينزل عليه وإذا لم يكن من ينزل عليه لم يكن قرآن لأنّهما متصاحبان لن يفترقا حتّى يردّا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه كما ورد في الحديث المتفق عليه[٣] وقد مضى معنى تصاحبهما.

والمستفاد من مجموع هذه الأخبار، وخبر الياس الذي أورده في الكافي: في باب شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها من كتاب الحجّة[٤] إنّ القرآن نزل كلّه جملة واحدة في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان إلى البيت المعمور[٥].

وكأنّه أُريد به نزول معناه على قلب النبي صلى الله عليه وآله كما قال الله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[٦]، ثمّ نزل في طول عشرين سنة نجوماً من باطن قلبه إلى ظاهر لسانه كلما آتاه جبرئيل عليه السلام بالوحي وقرأه عليه بألفاظه، وأنّ معنى إنزال القرآن في ليلة القدر في كلّ سنة

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٠١، ح ٤٥٥/ ١٠، باب ٥٣ ـ الغسل في الليالي المخصوصة في شهر رمضان وما جاء في العشر الأواخر وفي ليلة القدر؛ والكافي: ج ٤، ص ١٥٧ ـ ١٥٨، ح ٦، باب في ليلة القدر.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٠١، ح ٩، باب ٥٣ ـ الغسل في الليالي المخصوصة في شهر رمضان وما جاء في العشر الأواخر وفي ليلة القدر؛ والكافي: ج ٤، ص ١٥٨، ح ٧، باب في ليلة القدر.

٣ ـ وسائل الشيعة: ج ١٨، ص ١٩، ح ٩، باب صفات القاضي. وبحار الأنوار: ج ٢٣، ص ١٠٤ ـ ١٦٦، ح ٧ و٩ و١١ و١٢ و٣٦، وغير ذلك، باب ٧ ـ فضائل أهل البيت عليهم السلام والنص عليهم جملة من خبر الثقلين والسفينة وباب حطّة وغيرها.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٤٤، ح ١، س ٦، باب شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر.

٥ ـ راجع الكافي: ج ٢، ص ٦٢٨ ـ ٦٢٩، ح ٦، باب النوادر.

٦ ـ الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤.

إلى صاحب الوقت: إنزال بيانه بتفصيل مجمله، وتأويل متشابهه، وتقييد مطلقه، وتفريق محكمه من متشابهه.

وبالجملة: تتميم إنزاله بحيث يكون هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان كما قال الله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرءَانُ﴾ يعني في ليلة القدر منه ﴿هُدىً لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْـهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[1] تثنية لقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا أَنْـزَلْنَـٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[2]، أي محكم ﴿أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[3]. فقوله: «فيها يُفْرَقُ»، وقوله: «والفرقان»: معناهما واحد، فإنّ الفرقان هو المحكم الواجب العمل به، كما مضى في الحديث[4]، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ عَـلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ﴾[5]، أي حين أنزلناه نجوماً ﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ﴾ عليك ﴿فَاتَّبِعْ قُرءَانَهُ﴾[6]، أي جملته ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[7]، في ليلة القدر بإنزال الملائكة والروح فيها عليك وعلى أهل بيتك من بعدك بتفريق المحكم من المتشابه وبتقدير الأشياء وتبين أحكام خصوص الوقائع التي تصيب الخلق في تلك السنة إلى ليلة القدر الآتية.

قال في الفقيه: تكامل نزول القرآن ليلة القدر[8] وكأنّه أراد به ما قلناه، وبهذا التحقيق حصل التوفيق بين نزوله تدريجاً ودفعة، واسترحنا من تكلّفات المفسّرين.

المقدّمة العاشرة
في نبذ ممّا جاء في تمثل القرآن لأهله يوم القيامة وشفاعته لهم، وثواب حفظه، وتلاوته

روي في الكافي: بإسناده عن جابر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال يجيئ القرآن في أحسن

١ـ البقرة: ١٨٥.
٢ـ الدخان: ٣ـ ٤.
٣ـ الدخان: ٥.
٤ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٣٠، ح ١١، باب النوادر.
٥ـ القيامة: ١٧.
٦ـ القيامة: ١٨.
٧ـ القيامة: ١٩.
٨ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦١، باب ٢٨ ـ فضل شهر رمضان وثواب صيامه.

منظور إليه صورة فيمرّ بالمسلمين[١] فيقولون: هذا رجل منّا، فيجاوزهم إلى النبيّين فيقولون: هو منّا، فيجاوزهم إلى الملائكة المقرّبين فيقولون: هو منّا، حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة جلّ وعزّ فيقول: يا ربّ فلان بن فلان أظمأت هواجره، وأسهرت ليله في دار الدنيا، وفلان بن فلان، لم أظمأ هواجره ولم أسهر ليله، فيقول تعالى: أدخلهم الجنّة على منازلهم فيقوم فيتبعونه فيقول: للمؤمن إقرأ وأرقه، قال: فيقرأ ويرقى حتّى يبلغ كلّ رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها[٢].

وبإسناده: عن يونس بن عمّار، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان فيه النعم، وديوان فيه الحسنات، وديوان فيه السيّئات، فيقابل ديوان النعم وديوان الحسنات فتستغرق النعم عامّة الحسنات، ويبقى ديوان السيئات فيدعى يابن آدم المؤمن للحساب فيتقدم القرآن أمامه في أحسن صورة، فيقول: يا ربّ أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي، ويطيل ليله بترتيلي، وتفيض عيناه إذا تهجّد فأرضه كما أرضاني، قال: فيقول العزيز الجبّار: عبدي أبسط يمينك فيملأها من رضوان الله العزيز الجبّار، ويملأ شماله من رحمة الله، ثمّ يقال: هذه الجنّة مباحة لك فاقرأ واصعد فإذا قرأ آية صعد درجة[٣].

أقول: وفي هذا المعنى أخبار كثيرة، ومنها: ما هو أبسط من هذا، وقد أوردنا نبذاً منها في كتابنا الوافي وشرحناها هناك[٤].

---

١ ـ لمّا كان المؤمن في نيّته أن يعبد الله حق عبادته ويتلو كتابه حقّ تلاوته، ويسهر ليله بقراءته، والتدبر في آياته، وينصب بدنه للقيام به في صلواته إلّا أنّه لا يتيسر له ذلك كما يريد، ولا يأتي به كما ينبغي.

وبالجملة: لا يوافق عمله بما في نيّته بل يكون أنزل منه كما ورد في الحديث نيّة المؤمن خير من عمله. فالقرآن يتجلّى لكل طائفة بصورة من جنسهم إلّا أنّه أحسن في الجمال والبهاء، ومن الصورة التي لو كانوا يأتون بما في نيّتهم من العمل بالقرآن وزيادة الإجتهاد في الإتيان بمقتضاه لكان لهم تلك الصورة وإنّما لا يعرفونه كما ينبغي لأنّهم لم يأتوا بذلك كما ينبغي ولم يعملوا بما هو به حرّي، وإنّما يعرفونه بكونه منهم لأنّهم كانوا يتلونه في آناء الليل وأطراف النهار ويقرؤونه في الإعلان والأسرار، وإنّما يشفع لمن عمل به وإن كان مقصّراً لما كان في نيّته من العمل بمقتضاه كما ينبغي. منه رحمه الله.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٠١، ح ١١، باب النوادر.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٠٢، ح ١٢، باب النوادر.

٤ ـ انظر الوافي: ج ٥، ص ١٦٩٣ ـ ١٧٠٠، باب ٢٥٢.

وبإسناده: عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة[١].

وبإسناده: عن الزهري، قال: قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام: أي الأعمال أفضل؟ قال: الحال المرتحل، قلت: وما الحال المرتحل؟ قال: فتح القرآن وختمه كلّما جاء بأوّله إرتحل في آخره، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أعطاه الله القرآن فرآى إنّ أحداً أُعطي أفضل ممّا أُعطي فقد صغّر عظيماً وعظّم صغيراً[٢].

أقول: يشبه أن يكون قوله «جاء بأوّله» كان حلّ بأوّله فصحّف.

وبإسناده: عن حريز، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كلّ يوم خمسين آية[٣].

وبإسناده: عن محمّد بن بشير، عن علي بن الحسين عليهما السلام ومرسلاً عن أبي عبدالله عليه السلام قالا: من استمع حرفاً من كتاب الله تعالى من غير قراءة كتب الله تعالى له به حسنة، ومحا عنه سيئة ورفع له درجة، ومن قرأ نظراً من غير صوت كتب الله له بكلّ حرف حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجة، ومن تعلّم منه حرفاً ظاهراً كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات، قال: لا أقول بكلّ آية ولكن بكلّ حرف باءٍ أو ياءٍ أو شبههما، قال: ومن قرأ حرفاً وهو جالسٌ في صلاته كتب الله له خمسين حسنة ومحا عنه خمسين سيئة ورفع الله له خمسين درجة، ومن قرأ حرفاً وهو قائم في صلاته كتب الله له مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة ورفع له مائة درجة، ومن ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخّرة أو معجّلة، قال: قلت جعلت فداك ختمه كلّه؟ قال: ختمه كلّه[٤].

وبإسناده: عن ليث بن أبي سليم، رفعه، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله نوّروا بيوتكم بتلاوة

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٠٣، ح ٢، باب فضل حامل القرآن.
٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٠٥، ح ٧، باب فضل حامل القرآن.
٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٠٩، ح ١، باب في قراءته.
٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦١٢، ح ٦، باب ثواب قراءة القرآن.

القرآن، ولا تتّخذوها قبوراً كما فعلت اليهود والنصارى، صلّوا في الكنائس والبيع وعطّلوا بيوتهم فإنّ البيت إذا كثر فيه تلاوة القرآن كثر خيره، واتسّع أهله، وأضاء لأهل السماء كما تضيئ نجوم السماء لأهل الدنيا[١].

المقدّمة الحادية عشرة
في نبذ ممّا جاء في كيفيّة التلاوة وآدابها

روي في الكافي: بإسناده عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له جعلت فداك إنّي أحفظ القرآن عن ظهر قلبي فأقرأه عن ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف؟ فقال لي: لا بل إقرأه وانظر في المصحف فهو أفضل، أما علمت أنّ النظر في المصحف عبادة[٢]؟

وباسناده: عن محمّد بن عبدالله، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أقرأ القرآن في ليلة؟ قال: لا يعجبني أن تقرأ في أقل من شهر[٣].

وبإسناده: عن أبي بصير، أنّه قال لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك أقرأ القرآن في شهر رمضان في ليلة؟ فقال: لا، قال: ففي ليلتين؟ قال: لا، قال: ففي ثلاث؟ قال: ها، وأشار بيده، ثمّ قال: يا أبا محمّد إنّ لرمضان حقّاً وحرمة ولا يشبهه شيء من الشهور وكان أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله يقرأ أحدهم القرآن في شهر أو أقل إنّ القرآن لا يقرأ هذرمة، ولكن يرتّل ترتيلاً، وإذا مررت بآية فيها ذكر الجنّة فقف عندها، واسئل الله تعالى الجنّة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النّار فقف عندها وتعوّذ بالله من النّار[٤].

أقول: ها: كلمة إجابة، يعني بها نعم، ثمّ علّل جواز الختم في ثلاث ليال في شهر رمضان بحقّ الشهر وحرمته واختصاصه[٥] من بين الشهور، والهذرمة: السرعة في القرآن.

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦١٠، ح ١، باب البيوت التي يقرأ فيها القرآن.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦١٣ ـ ٦١٤، ح ٥، باب قراءة القرآن في المصحف.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦١٧، ح ١، باب في كم يقرأ القرآن ويختم.

٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦١٧، ح ٢، باب في كم يقرأ القرآن ويختم.

٥ ـ أُريد به مطلق الإختصاص لا اختصاصه بزيادة القرآن ولذا لم يقل اختصاصه بذلك. منه رحمه الله.

وبإسناده: عن عبدالله بن سنان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾[١]، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: بينه تبييناً ولا تهذّه هذّ الشعر، ولا تنثره نثر الرمل، ولكن فزّعوا قلوبكم القاسية، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة[٢].

أقول: الهذ: السرعة في القراءة، أي لا تسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر، ولا تفرّق كلماته بحيث لا تكاد تجتمع كذرّات الرمل، والمراد به الإقتصاد بين السرعة المفرطة، والبطء المفرط.

وفي رواية اُخرى: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن ترتيل القرآن، فقال: هو حفظ الوقوف، وبيان الحروف[٣].

وفسّر الأوّل بالوقف التام والحسن، والثاني بالإتيان بصفاتها المعتبرة من الجهر، والهمس، والإطباق، والإستعلاء، وغيرها.

وعن أبي عبدالله عليه السلام: هو أن تمكث وتحسّن به صوتك[٤].

وبإسناده: عنه عليه السلام قال: القرآن نزل بالحزن، فاقرأوه بالحزن[٥].

وبإسناده: عنه عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لكلّ شي حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن[٦].

وعنه عليه السلام، قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان السقاؤون يمرّون فيقفون ببابه يستمعون قراءته، وكان أبو جعفر عليه السلام أحسن الناس صوتاً[٧].

وبإسناده: عن علي بن محمّد النوفلي، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: ذكرت الصوت عنده، فقال: إنّ علي بن الحسين عليهما السلام كان يقرأ القرآن فربما مرّ به المار فصعق من حسن صوته، وإنّ

---

١ ـ المزمّل: ٤.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦١٤، ح ١، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن. وفيه: «أفزعوا قلوبكم».

٣ ـ المحجّة البيضاء: ج ٢، ص ٢٢٥.

٤ ـ مجمع البيان: ج ٩ ـ ١٠، ص ٣٧٨.

٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦١٤، ح ٢، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

٦ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦١٥، ح ٩، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

٧ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦١٦، ح ١١، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

الإمام عليه السلام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس من حسنه، قلت: ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي بالنّاس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحمل الناس من خلفه[1] ما يطيقون[2].

وبإسناده: عن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إذا قرأت القرآن فرفعت به صوتي جاءني الشيطان، فقال: إنّما ترائي بهذا أهلك والنّاس؟ قال: يا أبا محمّد إقرأ قراءة ما بين القراءتين تسمع أهلك، ورجّع القرآن بصوتك، فإنّ الله تعالى يحبّ الصوت الحسن يرجّع به ترجيعاً[3].

وبإسناده: عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إقرؤوا القرآن بألحان العرب وأصواتها، وإيّاكم ولحون أهل الفسوق وأهل الكبائر، فإنّه سيجيئ بعدي أقوام يرجّعون القرآن بترجيع الغناء والنوح والرهبانيّة، لا يجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة، وقلوب من يعجبه شأنهم[4].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: زيّنوا القرآن بأصواتكم[5].

وعنه عليه السلام: إنّ القرآن نزل بالحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنّوا به، فمن لم يتغنّ بالقرآن فليس منّا[6].

قال في مجمع البيان: تأوّل بعضهم تغنّوا به بمعنى استغنوا به، وأكثر العلماء على أنّه تزيين الصوت وتحزينه[7].

---

١ ـ يحتمل كلمة «من» أن تكون اسماً موصولاً بدلاً من الناس يعني كان يحمّل من كان يصلّي خلفه من الناس على ما يطيقون معه اتمام الصلاة من غير أن يخرجوا عن حدود التكليف، وذلك لمصالح تقتضيه فإنّه صلى الله عليه وآله كان مأمورً بالإقبال والإدبار جميعاً، ويحتمل أن يكون حرفاً قيداً للناس أو متعلّقاً بـ«يحمل»، فتبدر. منه قدس سره.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦١٥، ح ٤، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

٣ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦١٦، ح ١٣، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦١٤، ح ٣، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٦، الفن السابع؛ وسنن النسائي: ج ٢، ص ١٧٩؛ وإحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٢٩.

٦ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٦، الفن السابع، وإحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٢٧.

٧ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٦، الفن السابع.

أقول: المستفاد من هذه الأخبار جواز التغنّي بالقرآن والترجيع به بل إستحبابهما، فما ورد من النهي عن الغناء كما يأتي في محلّه إن شاء الله ينبغي حمله على لحون أهل الفسق والكبائر، وعلى ما كان معهوداً في زمانهم عليهم السلام في فسّاق الناس وسلاطين بني أُميّة، وبني العبّاس، من تغنّي القينات بين الرجال وتكلّمهنّ بالأباطيل، ولعبهنّ بالملاهي من العيدان والقضيب ونحوها.

قال في الفقيه: سأل رجل علي بن الحسين عليهما السلام عن شراء جارية لها صوت فقال: ما عليك لو اشتريتها فذكّرتك الجنّة، قال: يعني بقراءة القرآن، والزهد، والفضائل التي ليست بغناء، فأمّا الغناء فمحظور[١].

وفي الكافي[٢]، والتهذيب: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أجر المغَنِية[٣] التي تزفّ العرائس ليس به بأس، ليست بالتي تدخل عليها الرجال[٤].

وفي معناه أخبار أُخر، وكلام الفقيه[٥] يعطي أنّ بناء الحل والحرمة على ما يتغنّى به، والحديث الأخير يعطي أنّ لسماع صوت الأجنبيّة مدخلاً في الحرمة، فليتأمّل.

وفي مصباح الشريعة: عن الصادق عليه السلام: إنّه قال: من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق عليه، ولم ينشئ حزناً ووجلاً في سرّه فقد استهان بعظم شأن الله، وخسر خسراناً مبيناً، فقاري القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء، قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خال، فإذا أخشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم، وإذا تفرّغ نفسه من الأشياء تجرّد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده، وإذا اتخذ مجلساً خالياً أو اعتزل عن الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليتين إستأنس روحه، وسرّه بالله عزّ وجلّ، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين، وعلم لطفه بهم، ومقام اختصاصه لهم بقبول كراماته وبدائع إشاراته، فإذا شرب كأساً من هذا

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٤٢، ح ١٣٩ / ١١، باب ١١ ـ حد شر الخمر وما جاء في الغناء والملاهي.

٢ ـ الكافي: ج ٥، ص ١٢٠، ح ٣، باب كسب المغنية وشرائها.

٣ ـ القينة ـ بفتح القاف وتقديم الياء التحتانيّة على النون ـ: الأمة المغنيّة. منه قدّس سرّه.

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٣٥٧، ح ١٠٢٢ / ١٤٣، باب ٩٣ ـ المكاسب «أخبار بيع الكلب وثمن المغنية».

٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٤٢، ح ١٣٩ / ١١، باب ١١ ـ حد شرب الخمر وما جاء في الغناء والملاهي.

الشراب[١] فحينئذ لا يختار على ذلك الحال حالاً، ولا على ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كلّ طاعة وعبادة لأنّ فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة، فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك ومنشور ولايتك؟ وكيف تجيب أوامره ونواهيه؟ وكيف تمتثل حدوده؟ فإنّه كتاب عزيز ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٢]، فرتّله ترتيلاً، وقف عند وعده ووعيده، وتفكّر في أمثاله ومواعظه، واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده[٣].

وروي عنه عليه السلام إنّه قال: والله لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون[٤].

وقال أيضاً وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتّى خرّ مغشيّاً عليه فلمّا سري عنه: قيل له في ذلك: فقال: ما زلت أُردّد الآية على قلبي وعلى سمعي حتّى سمعتها من المتكلّم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته[٥].

أقول: وللتلاوة آداب أُخر، منها: ظاهرة كالطهارة والإستعاذة، وتعظيم المصحف، والدعاء أوّلاً، وآخراً وغير ذلك.

ومنها: باطنة كحضور القلب، والتدبّر والتفهّم، والتخلّي عن موانع الفهم، وتخصيص نفسه بكلّ خطاب، وتأثر قلبه بآثار مختلفة، والترقّي بقلبه إلى أن يسمع الكلام من الله لا من نفسه، والتبرّي من حوله وقوّته، ومن الإلتفات إلى نفسه بعين الرضا وإحضار عظمة الكلام والمتكلّم بقلبه إلى غير ذلك كما مرّت الإشارة إلى بعضها، وقد أوردناها جميعاً وبيّنّاها في كتابنا المسمّى بالمحجّة البيضاء[٦] من أرادها فليراجع إليه.

---

١ ـ وفي نسخة: [المشرب].
٢ ـ فصّلت: ٤٢.
٣ ـ مصباح الشريعة: ص ٢٨ ـ ٢٩.
٤ ـ المحجّة البيضاء: ج ٢، ص ٢٤٧. وأسرار الصلاة: ص ٢٠٤. وبحار الأنوار: ج ٨٩، ص ١٠٧. وإحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٣٩. ومفاتيح الغيب: ص ٦٧.
٥ ـ المحجّة البيضاء: ج ٢، ص ٢٤٨، الباب التاسع، الترقي. وإحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٣٩، التاسع الترقي.
٦ ـ المحجّة البيضاء: ج ٢، ص ٢٤٧، التاسع الترقّي.

المقدّمة الثانية عشرة
في بيان ما اصطلحنا عليه في التفسير

فنقول: كلّما يحتاج من الآيات إلى بيان وتفسير لفهم المقصود من معانيه، أو إلى تأويل لمكان تشابه فيه، أو إلى معرفة سبب نزوله المتوقّف عليه فهمه وتعاطيه، أو إلى تعرّف نسخ أو تخصيص أو صفة أُخرى فيه. وبالجملة: ما يزيد على شرح اللفظ والمفهوم ممّا يفتقر إلى السماع من المعصوم فإن وجدنا شاهداً من محكمات القرآن يدل عليه أتينا به. فإنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً، وقد اُمرنا من جهة أئمّة الحق عليهم السلام أن نرد متشابهات القرآن إلى محكماته، وإلّا فإنّ ظفرنا فيه بحديث معتبر عن أهل البيت عليهم السلام في الكتب المعتبرة من طرق أصحابنا رضوان الله عليهم أوردناه، وإلاّ أوردنا ما روينا عنهم عليهم السلام من طرق العامّة لنسبته إلى المعصوم، وعدم ما يخالفه.

نظيره في الأحكام ما روي عن الصادق عليه السلام: إذا نزلت بكم حادثة لا تجدون حكمها فيما يروى عنّا فانظروا إلى ما رووه عن علي عليه السلام فاعملوا به، رواه الشيخ الطوسي رحمه الله في العدّة[١].

وما لم نظفر فيه بحديث عنهم عليهم السلام أوردنا ما وصل إلينا من غيرهم من علماء التفسير إذا وافق القرآن وفحواه وأشبه أحاديثهم في معناه، فإن لم نعتمد عليه من جهة الإستناد إعتمدنا عليه من جهة الموافقة والشبه والسداد، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوا به، وما خالف كتاب الله فدعوه[٢].

وقال الصادق عليه السلام: ما جاءك في رواية من بر أو فاجر يوافق القرآن فخذ به، وما جاءك في رواية من بر أو فاجر يخالف القرآن فلا تأخذه[٣].

وقال الكاظم عليه السلام: إذا جاءك الحديثان المختلفان فقسهما على كتاب الله وعلى أحاديثنا، فإن أشبههما فهو حقّ وإن لم يشبههما فهو باطل[٤].

---

١ ـ عدّة الأُصول: ج ١، ص ٣٧٩.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٦٩، ح ١، باب الأخذ بالسنّة وشواهد الكتاب.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٨، ح ٣، باب ترك الرواية التي بخلاف القرآن.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٩، ح ٧، باب ترك الرواية التي بخلاف القرآن.

وما ورد فيه أخبار كثيرة فإن لم يكن فيها كثير اختلاف إقتصرنا منها على ما اشتمل على مجامعها وتركنا سائرها ممّا في معناه، روماً للإختصار وصوناً من الإكثار، وربما أشرنا إلى تعدّدها وتكثّرها إذا أهمّنا الإعتماد، وإن كانت مختلفة نقلنا أصحّها وأحسنها وأعمّها فائدة، ثمّ أشرنا إلى مواضع الإختلاف ما استطعنا وما لا يحتاج إلّا إلى شرح اللفظ والمفهوم والنكات المتعلّقة بعلوم الرسوم ممّا لا يفتقر إلى السماع من المعصوم أوردنا فيه ما ذكره المفسّرون الظاهريّون من كان تفسيره أحسن، وبيانه أوجز وأتقن كائناً من كان، إلّا أوائل السورة التي تذكر فيها البقرة فإنّ تفسير أكثرها وأكثر تفسيرها مأخوذ من التفسير المنسوب إلى مولانا الزكي أبي محمّد العسكري عليه السلام الذي منه ما هو من كلامه، ومنه ما يرويه عن آبائه عليهم السلام، ومنه ما أوردناه بألفاظه ومتونه، ومنه ما أوردناه بمعانيه ومضمونه، ومنه ما لفّقناه من غير موضع منه، ثمّ منه ما نسبناه إليه، ومنه ما لم ننسبه إليه، وما لم ننسبه إليه ولا إلى غيره. فهو منه إلّا نادراً من شرح لفظه. ولا يجري فيه إختلاف وإنّما النسبة للفصل من كلام الغير، فإن فصل بالقرآن فلا نسبة وذلك إلى حيث ما وجد منه من تفسير هذه السورة، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[1]، ثمّ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾[2].

فإن وجد منه تفسير آية أُخرى في ضمن تفسير هذه الآيات أو على حدة نسبناه إليه في محلّه إن شاء الله، وهو تفسير حسن لا سيّما ما يتعلّق منه بألفاظ القرآن ومعناه ممّا له مدخل في فهم القرآن وإن لم يقع موقع القبول عند جماعة من أصحابنا طاعنين في إسناده فإذا أردنا أن نأتي بمزيد بيان لآية أو حديث من لدّنا أو من قول بعض أهل العلم والمعرفة أو أردنا أن نجمع ونوفّق بين ما يوهم التناقض أو نحو ذلك صدّرنا كلامنا بقولنا أقول: أو قيل: ليفصل عن كلام المعصوم عليه السلام إلّا إذا كانت هناك قرينة تدل على ذلك، وما لا يحتاج إلى مزيد كشف وبيان إمّا لوضوحه واحكام معناه أو لما عرف ممّا سبق قريباً من تفسير ما يجري مجراه طوينا تفسيره أو

---

١ ـ البقرة: ١١٥.

٢ ـ البقرة: ١٥٩ ـ ١٨٠.

أحلنا على ما أسلفناه، وقلّما نتعرّض لأنحـاء النـحو وصروف الصرف وشـقوق الإشـتقاق واختلاف القراءات فيما لا يختلف به أصل المعنى لأنّ نظر أُولى الألباب إلى المعاني أكثر منه إلى المباني، وربما يحوجنا تمام الكشف من المقصود إلى ذكر شيء من الأسرار، فمن لم يكن من أهله فلا يبادر بالإنكار، وليتركه لأهله فإنّ لكلٍّ أهـلاً، وذاك أيـضاً مـن مخـزون عـلمهم الذي استفدناه من عباراتهم، ومكنون سرّهم الذي اسـتنبطناه مـن إشـاراتهـم بـإخلاص الولاء والحبّ، وبمصاص المخ واللبّ، ولله الحمد، وما نقلناه من كتب الأصحاب نسبناه إليها باقتصار في أسمائها كالاكتفاء بالمضاف عمّا أُضيف إليه كالمجمع، والجوامع، للشيخ أبي علي الطـبرسي، وكالتوحيد، والعيون، والعلل، والإكمال، والمعاني، والمجالس، والإعـتقادات، مـن تـصانيف الصدوق أبي جعفر محمّد بن بابويه رضي الله عنه، وكـالمناقب لمحـمّد بـن شهـرآشـوب المـازندراني، وكالتهذيب، والغيبة، والأمالي للشيخ أبي جعفر الطوسي (طاب ثراهم) وكنينا عن كتاب من لا يحضره الفقيه: بالفقيه، واكتفينا عن ذكر تفسيري علي بن إبراهيم القمّي، ومحمّد بن مسعود العيّاشي: واسميهما بالقمّي والعيّاشي، وعبّرنا عن تفسير الإمام أبي محمّد العسكري عليه السلام بتفسير الإمام، واقتصرنا في التعبير عن المعصوم على ذكر لقبه تعظيماً بعد التسمية، وحذراً عن الإشتباه بذكر الكنى لإشتراك بعضها، وطلباً للإختصار، وكلّما أضمرنا عن المعصوم بقولنا، عـنه عليه السلام فمرجع الضمير الإمام الذي سبق ذكره، وكلّما لم نسمّ الكتاب فالمروي عنه الكتاب الذي مضى اسمه أو اسم مصنّفه، إلّا ما صدر بروي: والقمي قد يسند إلى المعصوم عليه السلام وقد لا يسند، وربما يقول: قال: والظاهر أنّه أراد به الصادق عليه السلام فإنّ الشيخ أبا علي الطبرسي قد يروي عنه مـا أضمره ويسنده إلى الصادق عليه السلام، ونحن نروي ما أضمره على إضماره.

وحذفنا الأسانيد في الكل، لقلّة جدوى المعرفة بها في هذا العصر البعيد العهد عنها مع الإختلاف فيها والإشتباه.

على أنّا إنّما نصحّح الأخبار بنحو آخر غير الأسانيد إلّا قليلاً، ونستعين في ذلك كـلّه بالله وحده ولا نتخذ إلى غيره سبيلاً.

فيا إخواني: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُمْ بِقُوَّةٍ﴾[1] ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّنْ رَبِّكِمْ وَشِفاءٌ لِما فِي ٱلصّدُورِ﴾[2] ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَىٰ ٱلنُّورِ﴾[3].

* * *

١ ـ البقرة: ٦٣. ٢ ـ يونس: ٥٧.
٣ ـ المائدة: ١٦.

تَفسير الإستعاذة

في تفسير الإمام عليه السلام: عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿أعُوذُ﴾: أمتنع.

﴿بالله ٱلسَّميعِ﴾: لمقال الأخيار والأشرار، ولِكُلّ المسموعات من الإعلان والإسرار.

﴿ٱلعَليمِ﴾: بأفعال الأبرار والفجّار، وبكل شيء ممّا كان وما يكون ومما لا يكون أن لو كان كيف يكون.

﴿مِنَ الشَّيْطانِ﴾: البعيد من كلّ خير.

﴿ٱلرَّجِيْمِ﴾: المرجوم باللّعن، المطرود من بقاع الخَير[1].

وفي المعاني: عن الزكَي عليه السلام معنى «الرّجيم»: أنّه مرجوم باللّعن، مطرود من الخير، لا يذكره مؤمن إلّا لعنه وأنّ في علم الله السّابق إذا خرج القائم عليه السلام: لا يبقى مؤمن في زمانه إلّا رجمه بالحجارة كما كان قبل ذلك مرجوماً باللّعن[2].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: والإستعاذة هي ما قدر أمر الله بها عباده عند قرائتهم القرآن فقال: ﴿فَإذا قَرَأْتَ القُرءَانَ فَاسْتَعِذْ بِالله مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجيم * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَـٰنٌ عَلَىٰ ٱلّذينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبّهِم يَتَوَكّلوُن * إِنَّما سُلْطَـٰنُهُ عَلَىٰ ٱلّذينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَٱلّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[3][4].

أقول: الإستعاذة: تطهيرُ اللّسان عمّا جرى عليه من غير ذكر الله ليستعدّ لذكر الله والتّلاوة، وتنظيف للقلب من تلوّث الوَسْوَسَةِ ليتَهَيّأ للحُضُور لدى المذكور ويجد الحَلاوَةَ.

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٦.

٢ ـ معاني الأخبار: ص ١٣٩، ح ١، باب معنى الرجيم

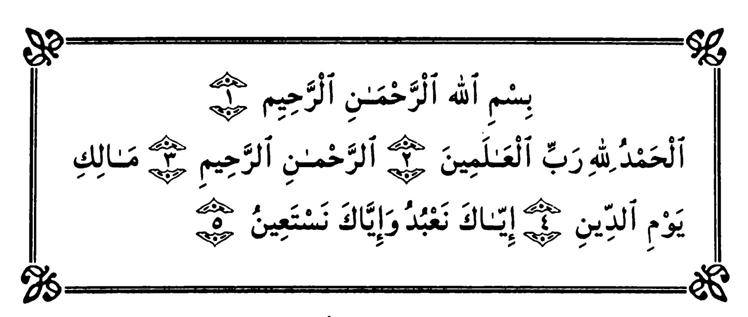
٣ ـ النحل: ٩٨ ـ ١٠٠.

٤ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٦، ح ٣.



سورة الفاتحة





سورة الفاتحة: مكيّة، وقيل: مدنيّة، وقيل: أُنزلت مرّتين: مرّة بمكة، ومرّة بالمدينة، وهي سبع آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:[1] في التّوحيد[2]، وتفسير الإمـام: عـن أمـير المؤمنين عليه السلام «الله»: هو الّذي يتألّه إليه كلّ مخلوق عند الحوائج والشّدائد إذا انقطع الرّجاء

---

١ ـ قيل: الوجه في كتابة البسملة بحذف الألف على خلاف وضع الخط: كثرة الإستعمال، وتطويل الباء عوض عنها منه مدّظلّه.

وروي إن قريشاً كانت تكتب في الجاهليّة: بسمك اللّهمّ حتّى نزلت سورة هود فيها «بِسْمِ ٱللهِ مَـجْرِيـٰهَا ومُرْسَـٰها» هود: ٤١. فأمر النبي صلى الله عليه وآله أن يكتب «بِسْمِ ٱلله» ثم نزل عليه بعد ذلك «قُـلْ ٱدْعُـواْ ٱللهَ أَوِ ٱدْعُـوا ٱلرَّحْمَـٰنَ أيّاً مَا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلأَسْمَـاءُ ٱلْحُسْنىٰ» الإسراء: ١١٠. فأمر صلى الله عليه وآله وسلم أن يكتب «بِسْمِ ٱللهِ الرَّحمـٰن»، فلّما نزلت سورة النمل «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ الله الَّرحمٰنِ الرَّحيم» النـمل: ٣٠. امـر صلى الله عليه وآله أن يكتب ذلك في صدور الكتب، وأوائل الرسائل، وهي آية من كل سورة.

وقولنا: «بسم الله» أي أبتدأ ببسم الله، أو إبتدائي ببسم الله فهو خبر مبتدأ محذوف واشتقاق الإسـم مـن السمّو، وهو العلو والرفعة، ومنه سما الزّرع أي: علا وارتفع، ومنه اشتقاق السَّماء لإرتفاعها وعلوها.

وقيل: هو مشتق من السمة التي هي العَلامة فكأنه علامة لما وضع له. منه مدّظلّه.

٢ ـ التوحيد: ص ٢٣٠ ـ ٢٣١، ح ٥، باب ٣١.

مِن كلّ مَن دونه، وتقطّع الأسباب من جميع ما سواه، يقول: بِسْم الله أي استعين على أُموري كلّها بالله الّذي لا تحقّ العبادة إلّا له المغيث إذا استغيث، والمجيب إذا دعي[١].

أقولُ: معنى يتألّه إليه: يفزع إليه، ويلتجأ، ويسكن.

وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام يعني بهذا الإسم أقرأ، وأعمل هذا العمل[٢].

وفي العيون[٣]، والمعاني: عن الرّضا عليه السلام، يعني بهذا اَسِمُ نفسي بسمة من سمات الله، وهي العبادة، قيل له: مَا السِّمِة؟ قال: العلامَة[٤].

وفي التّوحيد[٥]، وتفسير الامام عليه السلام: قال رجل للصّادق عليه السلام: ياابن رسول الله دلّني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيرّوني، فقال: يا عبدالله هل ركبت سفينة قطّ؟ قال: بلى قال: فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك قال: بلى قال: فهل تعلّق قلبك هناك إنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: بلى قال: الصّادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حين لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث[٦].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام «الله»: أعظم اسم من أسماء الله عزّ وجلّ لا ينبغي أن يتسمّى به غيره[٧].

ويأتي في معنى «الله»: حديث آخر في تفسير سورة الإخلاص إن شاء الله.

وعنه عليه السلام «اَلرَّحْمَـٰنُ»: الّذي يرحم بِبَسطِ الرّزق علينا[٨].

---

١ ـ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٢١ ـ ٢٢، ح ٥، وفيه: «مِن جميعَ من سواه، فيقول».

٢ ـ البرهان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٦٤.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١، ح ١٩، باب ٢٦ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتّى.

٤ ـ معاني الأخبار: ص ٣، باب آخر في معنىٰ بسم الله، والتوحيد: ص ٢٢٩، ح ١، باب ٣١.

٥ ـ التوحيد: ص ٢٣٠ ـ ٢٣١، ح ٥، باب ٣١، ومعاني الأخبار: ص ٤، ح ٢، باب معنىٰ الله.

٦ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٢، ح٦، وفيه: «حين لا مغيث».

٧ ـ التوحيد: ص ٢٣١، ح ٥، باب معنىٰ بسم الله الرحمن الرحيم.

٨ ـ التوحيد: ص ٢٣٢، ح٥، باب معنىٰ بسم الله الرحمن الرحيم.

وفي رواية العاطف على خلقه بالرّزق، لا يقطع عنهم موادّ رزقه وإن انقطعوا عن طاعته[١].

«ٱلرَّحِيْمِ»: بنا في أديانِنا ودنيانا وآخرتنا، خفّف علينَا الدّين وجعله سَهْلاً خفيفاً وهو يرحمنا بتمييزنا من أعدائِه[٢].

أقولُ: رزق كلّ مخلوق مابه قوام وجوده وكماله اللاّئق به، فالرّحمة الرّحمانيّة: تعمّ جميع الموجودات وتشمل كل النّعم كما قال الله سبحانه: «أَعْطَىٰ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ»[٣].

وأمّا الرَّحْمَةُ الرَّحيميّة: بمعنى التّوفيق في الدّنيا والدّين فهي مختصّة بالمؤمنين، وماورد من شمولها للكافرين فإنّما هي من جهة دعوتهم إلى الإيمان والدّين مثل ما في تفسير الإمام عليه السلام مِنْ قولهم عليهم السلام: الرّحيم بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعاته، وبعباده الكافرين في الرّفق في دعائهم إلى موافقته[٤].

ومِن ثَمّة قال الصّادق عليه السلام: «الرّحمـٰن»: اسم خاصّ لصفة عامّة، و«الرّحيم»: اسم عامّ لصفة خاصّة[٥].

وقال عيسى بن مريم عليه السلام: «الرّحمـٰنُ»: رحـٰمن الدّنيا، «والرّحيم»: رحيم الآخرة يعني في الأُمور الأُخرويّة رواهما في المجمع[٦]، وفي الكافي[٧]، والتّوحيد[٨]، والمعاني[٩]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام، «الباء»: بهاء الله و «السّين»: سناء الله و«الميم»: مجد الله[١٠].

---

١ ـ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٣٤، ح ١٢.
٢ ـ التوحيد: ص ٢٣٢، ح ٥، باب معنىٰ بسم الله الرحمن الرحيم.
٣ ـ طٰهٰ: ٥٠.
٤ ـ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ٣٤، ح ١٢.
٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢١.
٦ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢١.
٧ ـ الكافي: ج ١، ص ١١٤، ح ١.
٨ ـ التوحيد: ص ٢٣٠، ح ٢.
٩ ـ معاني الأخبار: ص ٣، ح ١، باب معنىٰ بسم الله الرحمن الرحيم.
١٠ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢، ح ١٨.

وفي رواية ملك الله[١] «والله»: إله كلّ شيء «الرّحمن»: بجميع خلقه، و«الرّحيم»: بالمؤمنين خاصّة[٢].

والقمي: عنه عليه السلام مثله بالرّواية الأخيرة فحسب[٣].

وروي في المشهور، وأورده في المجمع، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ لله عزّوجلّ مائة رحمة أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسّمها بين خلقه، فبها يتعاطفون ويتراحمون وأخّـرَ تسعاً وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة[٤].

وروي إنّ الله قابض هذه إلى تِلك فيكمّلها مائة يرحم بها عباده يوم القيامة[٥].

وفي تفسير الإمام عليه السلام معنى ما في الرّوايتين عن أمير المؤمنين عليه السلام[٦].

والتسمية في أوّل كلّ سورة آية منها، وإنّما كان يعرف إنقضاء السّورة بنزولها إبتداءً للأُخرى، وما أنزل الله كتاباً من السّماء إلّا وهي فاتحته كذا عن الصّادق عليه السلام رواه العيّاشي[٧].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام أوّل كل كتاب نزل من السّماء «بسم الله الرّحمن الرَّحيم» فإذا قرأتها فلا تبال ألّا تستعيذ فإذا قرأتها سترتك فيما بين السّماءِ والأرض[٨].

وفي العيون: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّها من الفاتحة، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤها ويعدّها آية منها، ويقول: فاتحة الكتاب هي السّبع المثاني[٩].

وفيه[١٠]، وفي العيّاشي: عن الرّضا عليه السلام إنّها أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها[١١].

---

١ ـ التوحيد: ص ٢٣٠، ح٣.

٢ ـ تفسير العياشي: ج١، ص ٢٢، ح ١٨.

٣ ـ تفسير القمي: ص ٢٨.

٤ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢١.

٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢١.

٦ ـ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٣٧، ح ١٣.

٧ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩، ح ٥.

٨ ـ الكافي: ج ٣، ص ٣١٣، ح٣.

٩ ـ عيون أخبار الرضا: ج١، ص ٣٠١، ح ٥٩، باب ٢٨ ـ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام من الأخبار المتفرّقة.

١٠ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٥، ح ١١، باب ٣٠ ـ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المنثورة.

١١ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١، ح ١٣.

ورواه في التهذيب: عن الصادق عليه السلام[١].

والقمّي: عنه عليه السلام إنّها أحقّ مايجهر به، وهي الآية الّتي قال الله عزّوجلّ: «وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَـٰرِهِم نُفُوراً»[٢][٣].

وفي الخصال: عنه عليه السلام إنّ الإجهار بها في الصلاة واجب[٤].

والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: مالهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنّها بدعة إذا أظهروها[٥].

أقول: يعني العامّة، وعن الباقر عليه السلام: سرقوا أكرم آية من كتاب الله «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، وينبغي الإتيان بها عند افتتاح كلّ أمر عظيم أو صغير ليبارك فيه[٦].

ففي الكافي: عن الصادق عليه السلام، قال: لاتدعها ولو كان بعده شعر[٧].

وفي التّوحيد[٨]، وتفسير الإمام: عنه عليه السلام من تركها من شعيتنا امتحنه الله بمكروه لينّبهه على الشّكر، والثّناء، ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه[٩].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حدّثني عن الله عزّ وجلّ إنّه قال: كلّ أمر ذي بال لم يذكر فيه بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ فهو أبتر[١٠].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلهِ﴾: يعني على ما أنعم الله به علينا، في العيون[١١]، وتفسير الإمام عليه السلام: عن أمير المؤمنين عليه السلام، انّه سئل عن تفسيرها، فقال: هو أنّ الله عرّف عباده بعض نعمه عليهم جملاً إذ لا يقدرون على معرفة جميعها بالتّفصيل لأنّها أكثر من أن تحصى أو تعرف، فقال: قولوا: الحمد لله على ما أنعم به علينا[١٢].

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٢٨٩، ح ١١٥٩.
٢ ـ الاسراء: ٤٦.
٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨.
٤ ـ الخصال: ص ٦٠٤، ح ٩.
٥ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١ ـ ٢٢، ح ١٦، وفيه تتمّة: «وهي بسم الله الرحمن الرحيم».
٦ ـ تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٦، ح ١٢. والبرهان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٤٢، ح ١٥.
٧ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٧٢، ح ١.
٨ ـ التوحيد: ص ٢٣١، ح ٥.
٩ ـ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٢٢، ح ٧.
١٠ ـ البرهان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٤٦.
١١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٨٢، ح ٣٠، باب ٢٨ ـ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليه السلام من الأخبار المتفرّقة.
١٢ ـ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٣٠، ح ١١.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام، ماأنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله إلّا أدّى شكرها[١].

﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: في العيون[٢]، وتفسير الإمام عليه السلام: عن أمير المؤمنين عليه السلام يعني مالك الجماعات من كلّ مخلوق، وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون يقلّب الحيوانات في قدرته، ويغذوها من رزقه، ويحوطها بكنفه، ويدبّر كلاًّ منها بمصلحته، ويمسك الجمادات بقدرته، ويمسك ما اتّصل منها عن التهافت، والمتهافت عن التّلاصق، والسّماءَ أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، والأرض ان تنخسف إلّا بأمره[٣].

﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: قيل: لعلّ تكريرهما للتّنبيه بهما في جملة الصّفات المذكورة على استحقاقه «للحَمْد»[٤].

﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: في تفسير الإمام عليه السلام: يعني القادر على إقامته، والقاضي فيه بالحقّ والدّين والحساب[٥]. وقرئ «مَـلِكِ يَـوْمِ الدّيـنِ»، روى العيّاشي: إنه قرأه الصّادق عليه السلام ما لا يحصى[٦].

وروي في تفسير الإمام عليه السلام: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أكيس الكيّسين: من حاسب نفسه، وعمل لما بعد الموت، وإنّ أحمق الحمقاء: من اتّبع نفسه هواه، وتمنّى على الله تعالى الأماني[٧].

وفي حديث آخر حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبُوا، وزنوها قبل أن توزنوا[٨].

أقولُ: وفيهما دلالة على أنّ لكلّ إنسان أن يفرغ من حسابه، ووزن عمله في دار الدّنيا بحيث لا يحتاج إليهما في الآخرة وهو كذلك عند أُولي الألباب.

﴿إِيَّـاكَ نَعْبُدُ﴾: في تفسير الإمام عليه السلام قال الله تعالى: «قُولوُا: يا أيّها الخلق المنعم

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٩٦، ح ١٤.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣، ح ٣٠

٣ ـ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٣٠، ح ١١.

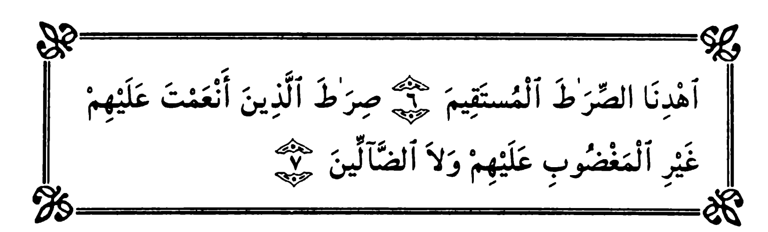
٤ ـ راجع روح المعاني: ج ١، ص ٨٢، سطر ٥.

٥ ـ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٣٨، ح ١٤.

٦ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢ ـ ٢٣، ح ٢٢.

٧ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٨، ح ١٤.

٨ ـ بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٧٣، ح ٢٦؛ والمحجة البيضاء: ج ٨، ص ١٦٥.



عليهم إيّاك نعبد أيّها المنعم علينا، نطيعك مخلصين موحّدين، مع التذلّل والخضوع بلا رياء ولا سمعة»[١].

وفي رواية عاميّة عن الصّادق عليه السلام يعني لا نريد منك غيرك، لا نعبدك بالعوض والبدل كما يعبدك الجاهلون بك المُغيَّبون عنك[٢].

أقول: إنّما انتقل العبد من الغيبة إلى الخطاب لأنّه كان بتمجيده لله سبحانه يتقرّب إليه متدرّجاً إلى أن يبلغ في القرب مقاماً كأنّ العلم صار له عياناً، والخبر شهوداً، والغيبة حضوراً.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: على طاعتك وعبادتك، وعلى دفع شرور أعدائك، وردّ مكائدهم، والمقام على ما أمرت كذا في تفسير الإمام عليه السلام[٣].

قيل: المستتر في نعبد ونستعين: للقاري، ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أو له ولسائر الموحّدين، أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلّها تقبل ببركتها، وتجاب إليها ولهذا شرعت الجماعة، وقدّم «ايّاك» للتّعظيم له، والإهتمام به، وللدّلالة على الحصر[٤].

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: في المعاني[٥]، وتفسير الإمام عن الصّادق عليه السلام،

---

١ ـ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٣٩، ح ١٥. ٢ ـ لم نعثر عليه.
٣ ـ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٤١، ح ١٨.
٤ ـ قيل: إنّما قدمت العبادة على الاستعانة لتوافق رؤوس الآي، ويعلم منه أنّ تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى إلى الإجابة، ولمّا نسب المتكلم العبادة إلى نفسه أوهم ذلك تبجحاً او اعتداداً منه بما يصدر عنه تعقبه بقوله: «واياك نستعين» ليدلّ على ان العبادة ايضاً مما لايتم الا بمعونة وتوفيق منه، منه «قدس سره».
٥ ـ معاني الاخبار: ص ٣٣، ح ٣.

يعني أرشدنا للزوم الطّريق المؤدّي إلى محبّتك، والمبلّغ إلى جنّتك، والمانع من أن نتّبع أهواءنا فنعطب أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: يعني أدم لنا توفيقك الّذي أطعناك به في ماضي أيّامنا حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا[٢].

أقولُ: لمّا كان العبد محتاجاً إلى الهداية في جميع أُموره آناً فآناً، ولحظةً فلحظةً فإدامة الهداية: هي هداية أُخرى بعد الهداية الأُولى، فتفسير الهداية بإدامتها ليس خروجاً عن ظاهر اللّفظ.

وعنه عليه السلام الصراط المستقيم في الدّنيا: ما قصر عن الغلّو، وارتفع عن التّفصير، واستقام، وفي الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنّة[٣].

وفي المعاني: عن الصّادق عليه السلام، وهي الطّريق إلى معِرفة الله، وهما صراطان: صراط في الدّنيا، وصراط في الآخرة فأمّا الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الّذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردّى في نار جهنّم[٤].

وعنه عليه السلام: إنّ الصراط: أمير المؤمنين عليه السلام[٥].

وزاد في رواية أُخرى: ومعرفته[٦].

وفي أُخرى إنّه معرفة الإمام[٧].

وفي أُخرى نحن الصِّراط المستقيم[٨].

والقمّي: عنه عليه السلام، الصراط: أدّق من الشّعر وأحدّ من السّيف، فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق، ومنهم من يمّر عليه مثل عدو الفرس، ومنهم من يمر عليه ماشياً، ومنهم من يمر عليه

---

١ ـ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٤٤، ح ٢٠.
٢ ـ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٤٤، ح ٢٠.
٣ ـ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٤٤، ح ٢٠.
٤ ـ معاني الأخبار: ص ٣٢، ح ١.
٥ ـ معاني الأخبار: ص ٣٢، ح٢.
٦ ـ معاني الاخبار: ص ٣٢، ح٣.
٧ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨.
٨ ـ معاني الأخبار: ص ٣٥، ح ٥.

حبواً[١]، ومنهم من يمرّ عليه متعلّقاً فتأخذ النّار منه شيئاً، وتترك منه شيئاً[٢].

وفي رواية أُخرى إنّه مظلم يسعى النّاس عليه على قدر أنوارهم[٣].

أقول: ومآل الكلّ واحد عند العارفين بأسرارهم، وبيانه على قدر فهمك إن لكلّ إنسان من إبتداء حدوثه إلى منتهى عمره انتقالات جبليّة باطنيّة في الكمال وحركات طبيعيّة ونفسانيّة تنشأ من تكرّر الأعمال، وتنشأ منها المقامات والأحوال فلا يزال ينتقل من صورة إلى صورة، ومن خلق إلى خلق، ومن عقيدة إلى عقيدة، ومن حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، ومن كمال إلى كمال، حتّى يتّصل بالعالم العقلي والمقرّبين، ويلحق بالملأ الأعلى والسابقين إن ساعده التوفيق وكان من الكاملين، أو بأصحاب اليمين إن كان من المتوسطين، أو يحشر مع الشياطين، وأصحاب الشمال أن ولّاه الشيطان وقارنه الخذلان في المآل، وهذا معنى الصراط، والمستقيم منه: ما إذا سلكه أوصله إلى الجنّة، وهو ما يشتمل عليه الشرع كما قال الله عزّ وجلّ: «وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ»[٤] صِرَاط الله: وهو: صراط التوحيد، والمعرفة، والتوسّط بين الأضداد في الأخلاق والتزام صوالح الأعمال.

وبالجملة صورة الهدى التي أنشأها المؤمن لنفسه مادام في دار الدّنيا مقتدياً فيه بهدى إمامه، وهو أدّق من الشّعر، وأحدّ من السّيف في المعنى، مظلم لا يهتدي إليه إلّا من جعل الله له نوراً يمشي به في النّاس، يسعى النّاس عليها على قدر أنوارهم.

وروي عن الصّادق عليه السلام: إنّ الصّورة الإنسانيّة هي الطّريق المستقيم إلى كلّ خير، والجسر الممدود بين الجنّة والنّار.

أقول: فالصراط والمارّ عليه شيء واحد في كلّ خطوة يضع قدمه على رأسه أعني يعمل على مقتضى نور معرفته التي هي بمنزلة رأسه بل يضع رأسه على قدمه أي يبني معرفته على نتيجة عمله الّذي كان بناؤه على معرفته السّابقة حتّى يقطع المنازل إلى الله وإلى

---

١ ـ حَبَا حُبُواً: مشىٰ علىٰ يديه وبطنه. لسان العرب: ج ٣، ص ٣٦، مادة «حبا».

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩.

٣ ـ لم نعثر عليه.

٤ ـ الشورىٰ: ٥٢.

الله المصير.

وقد تبيّن من هذا: إنّ الإمام هو الصّراط المستقيم، وإنّه يمشي سويّاً على الصّراط المستقيم، وانّ معرفته معرفة الصّراط المستقيم، ومعرفة المشي على الصّراط المستقيم، وانّ من عرف الإمام ومشى على صراطه سريعاً أو بطيئاً بقدر نوره ومعرفته إيّاه فاز بدخول الجنّة، والنّجاة من النّار، ومن لم يعرف الإمام لم يدر ما صنع فزلّت قدمه وتردّى في النّار[1].

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: في المعاني[2]، وتفسير الإمام: عن أمير المؤمنين عليه السلام أي قولوا: إهدنا صِراطَ الّذينَ اَنعَمْتَ عليهم بالتّوفيق لدينك وطاعتك، لا بالمال والصحة فإنّهم قد يكونون كفّاراً أو فساقاً، وقال: هم الّذين قال الله تعالى: «وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا»[3][4].

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: قال: هم اليهود الّذين قال الله فيهم: «مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ»[5].

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: قال: هم النّصارى الّذين قال الله فيهم: «قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا»[6]. و زاد في تفسير الإمام عليه السلام: ثمّ قال: أمير المؤمنين عليه السلام كلّ من كفر بالله فهو مغضوب عليه، وضالّ عن سبيل الله[7].

وفي المعاني عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «اَلَّذينَ اَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ» هم شيعة عليّ عليه السلام، يعني أنعمت عليهم بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم تغضب عليهم ولم يضلّوا[8].

---

١ ـ وإذا عرفت الصراط فجزها في الدنيا وخذ هذا ممّن يمرّ على الصراط متعلقاً قد اخذت منه النار، نجّاه الله من النار وحشره مع الأبرار والأخيار. منه «قدس سره».

٢ ـ معاني الأخبار: ص ٣٦، ح ٩.

٣ ـ النساء: ٦٩.

٤ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٧ ـ ٤٨، ح ٢٢.

٥ ـ المائدة: ٦٠.

٦ ـ المائدة: ٧٧.

٧ ـ تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٥٠، ح ٢٣.

٨ ـ معاني الأخبار: ص ٣٦، ح ٨.

وعن الصّادق عليه السلام: يعني محمّداً وذرّيّته[١].

والقمّي: عنه عليه السلام إنّ المغضوب عليهم: النصّاب، والضّالّين: أهل الشّكوك الّذين لا يعرفون الإمام[٢].

أقول: ويدخل في صراط المنعم عليهم: كلّ وسط واستقامة في إعتقاد أو عمل فهم الّذين «قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ»[٣]، وفي صراط المغضوب عليهم: كلّ تفريط وتقصير، ولا سيّما إذا كان عن علم كما فعلت اليهود بموسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله، وفي صراط الضّالّين: كلّ افراط وغلّو، لا سيّما إذا كان عن جهل كما فعلت النّصارى بعيسى، وذلك لأنّ الغضب يلزمه البعد والطّرد، والمقصّر هو المدبر المعرض فهو البعيد، والضّلال: هو الغيبة عن المقصود، والمفرط: هو المقبل المجاوز فهو الّذي غاب عنه المطلوب.

والعيّاشي: عن النّبي صلى الله عليه وآله إنّ أُمّ الكتاب أفضل سورة أنزلها الله في كتابه، وهي شفاء من كلّ داء إلّا السّام، يعني الموت[٤].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام: من لم يبرأه الحمد لم يبرأه شيء[٥].

وعن الصّادق عليه السلام: لو قرأت الحمد على ميّت سبعين مرّة ثمّ ردّت فيه الرّوح ما كان عجيباً[٦].

وفي رواية أنّها من كنوز العرش[٧].

وفي العيون[٨]، وتفسير الإمام عليه السلام: عن الصّادق عليه السلام، عن آبائه صلى الله عليهم، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قال الله عزّوجلّ: قسمّت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل. إذا قال العبد: «بِسْمِ ٱللَّهِ

---

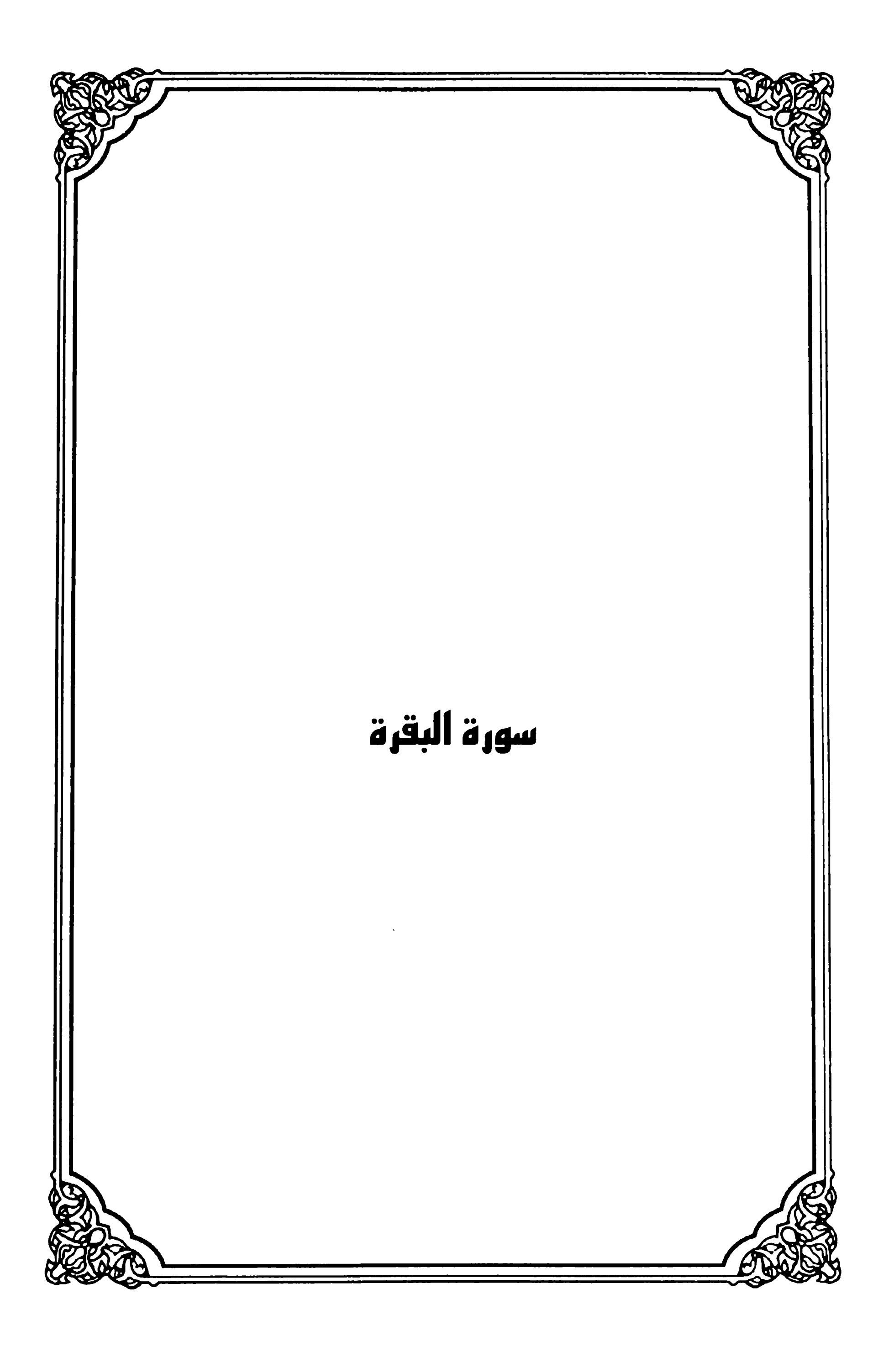
١ ـ معاني الاخبار: ص ٣٦، ح ٧.
٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩.
٣ ـ فصّلت: ٣٠.
٤ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٠، ح ٩.
٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٢٦، ح ٢٢.
٦ ـ الكافي: ج ٢، ص ٦٢٣، ح ١٦.
٧ ـ تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٥ ـ ٦، ح ١٠، ومستدرك الوسائل: ج ٤، ص ١٦٨، ح ١٦.
٨ ـ عيون اخبار الرضا: ج ١، ص ٣٠٠، ح ٥٩، باب ٢٨ ـ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار المتفرّقة.

الرَّحْمَـٰنِ الرَّحيمِ» قال اللهُ جلّ جلاله: بدأ عبدي باسمي وحقّ عليّ أن أُتمم له أُموره وأُبارك له في أحواله، فإذا قال: «ٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعـٰالَمينَ» قال الله جلّ جلاله: حمدني عبدي وعلم أنّ النّعم التي له من عندي، وأنّ البلايا التي اندفعت عنه فبتطوّلي اشهدكم إنّي أُضيف له إلى نعم الدّنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدّنيا، وإذا قال: «الرَّحْمَـٰنُ الرَّحيمُ» قال الله جلّ جلاله: شهد لي عبدي بأنّي الرحمـٰنُ الرّحيمُ أُشهِدُكم لأوفّرنّ من نعمتي حظّه ولأجزلنّ من عطائي نصيبه، فإذا قال: «مـٰالك يوم الدّينِ» قال الله تعالى: أُشهدكم كما اعترف بأني أنا الملك يوم الدين لأسهلّن يوم الحساب حسابه، ولأتقبلنّ حسناته، ولأتجاوزنَّ عن سيّئاته، فإذا قال العبد: «إِيّـٰاكَ نَعْبُدُ» قال الله عزّوجلّ: صدق عبدي إيّاي يعبد، أُشهدكم لأثيبنّه على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي، فإذا قال: «وإيّـٰاك نستعين» قال الله تعالى: بي استعان وإليّ إلتجأ أُشهدكم لأعينّنه على أمره، ولأُغيثنَّه في شدائده، ولآخذنّ بيده يوم نوائبه، فإذا قال: «إِهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيَم» إلى آخر السورة قال الله جلّ جلاله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل، فقد استجبت لعبدي، وأعطيته ما أمل، وآمنته ممّا منه وجل(١).

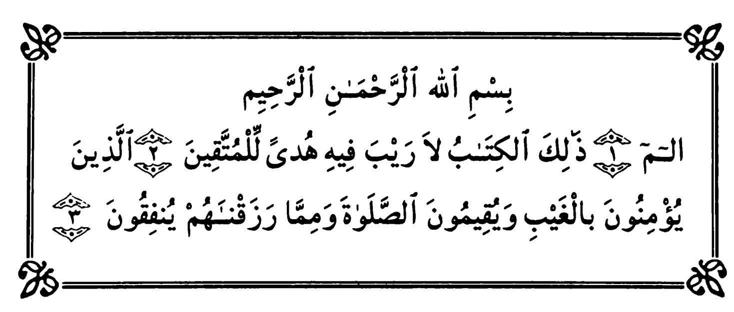


---

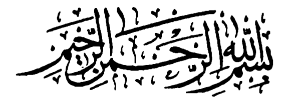
١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٥٨ ـ ٥٩، ح ٣٠.



سورة البقرة



سورة البقرة: مدنيّة كلها إلاّ آية واحدة منها، وهي: «ٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُون»[1] الآيـة. وهي ماءَتان وست وثمانون آية.



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: مضى تفسيرها[2].

﴿الٓمٓ﴾: في المعاني: عن الصادق عليه السلام «آلم»: وهو حـرف مـن حـروف اسـم الله الأعظم المقطّع في القرآن يؤلّفه النّبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام فإذا دعا به أُجيب[3].

أقول: فيه دلالة على انّ الحروف المقطّعات أسرار بين الله تعالى ورسوله، ورموز لم يقصد بها أفهام غيره، وغير الرّاسخين في العلم من ذرّيّته، والتّخاطب بالحروف المفردة سنّة الأحباب في سنن المحابّ، فهو سرّ الحبيب مع الحبيب، بحيث لا يطّلع عليه الرقيبْ شعر:

بين المحبّين سرّ ليس يفشيه　　　قول ولا قلم للخلق يحكيهِ

والدليل عليه أيضاً من القرآن قوله عزّوجلّ: «وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ»[4] إلى قوله: «وَمَا

---

١ ـ البقرة: ٢٨١.
٢ ـ تفسير الامام العسكري: ص ٥٨ ـ ٥٩، ح ٣٠.
٣ ـ معاني الاخبار: ص ٢٣، ح ٢.
٤ ـ آل عمران: ٧.

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ»[١].

ومن الحديث ما رواه العيّاشي: عن أبي لبيد المخزومي، قال: قال: أبو جعفر عليه السلام يابا لبيد إنّه يملك من ولد العبّاس إثنا عشر، يقتل بعد الثامن منهم أربعة تصيب أحدهم الذّبحة[٢] فتذبحه، فئة قصيرة أعمارهم، خبيثة سيرتهم، منهم الفويسق الملّقب بالهادي، والنّاطق، والغاوي، يابا لبيد إنّ لي في حروف القرآن المقطّعة لعِلْماً جمّاً إنّ الله تبارك وتعالى أنزل «الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ» فقام محمّد صلى الله عليه وآله حتى ظهر نوره، وثبتت كلمته، وولد يوم ولد وقد مضى من الألف السابع: مائة سنة وثلاث سنين، ثم قال: وتبيانه في كتاب الله في الحروف المقطّعة إذا عددتها من غير تكرار، وليس من حروف مقطّعة حرف تنقضي ايّامه إلّا وقائم من بني هاشم عند انقضائه، ثمّ قال: الألف: واحد، واللّام: ثلاثون، والميم: أربعون، والصاد: تسعون، فذلك مائة وواحد وستّون، ثمّ كان بدو خروج الحسين بن علي عليهما السلام «الٓمٓ الله»، فلما بلغت مدّته قام قائم من ولد العباس عند «الٓمٓصٓ» ويقوم قائمنا عند انقضائها بـ «الٓمٓرٓ» فافهم ذلك وعه واكتُمْهُ[٣].

وفي تفسير الإمام عليه السلام إنّ معنى «الٓمٓ» إنّ هذا الكتاب الّذي أنزلته هو الحروف المقطّعة الّتي منها: ـ ألف لام ميم ـ وهو بلغتكم، وحروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين[٤].

أقول: هذا أيضاً يدلّ على إنّها من جملة الرّموز المفتقرة إلى هذا البيان فيرجع إلى الأوّل، وكذا سائر ما ورد في تأويلها وهي كثيرة.

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قال: لكلّ كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب: حروف التهجّي[٥].

---

١ ـ آل عمران: ٧.

٢ ـ الذبحة بالضم والكسر: كهُمزةٍ وعِنَبَة: الخناق منه رحمه الله.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣، ح ٣.

٤ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٢: ح ٣٢.

٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٢.

أقول: ومن الأسرار الغريبة في هذه المقطّعات أنّها تصير بعد التركيب وحذف المكرّرات عليّ صراط حقّ نُمسكه، أو صراط عليّ حقّ نمسُكه.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: في تفسير الإمام عليه السلام يعني القرآن الّذي افتتح بـ«الٓمٓ» هو ذلك الكتاب الذي أخبرت به موسى عليه السلام ومن بعده من الأنبياء، وهم أخبروا بني اسرائيل انّي سأُنزله عليك يا محمّد صلى الله عليه وآله[1].

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شكّ فيه، لظهوره عندهم.

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام قال: كتاب عليّ لا ريب فيه[2].

أقول: ذلك تفسيره، وهذا تأويله، وإضافة الكتاب إلى عليّ بيانيّة، يعني إنّ ذلك إشارة إلى عليّ، والكتاب عبارة عنه، والمعنى إنّ ذلك الكتاب الّذي هو عليّ لا مرية فيه، وذلك لأنّ كمالاته مشاهدة من سيرته، وفضائله منصوص عليها من الله ورسوله، وإطلاق الكتاب على الإنسان الكامل شائع في عرف أهل الله وخواصّ أوليائه، قال: أمير المؤمنين عليه السلام: شعر

دواؤك فيك وما تشعر ... وداؤك منك وما تبصرُ
وأنت الكتاب المُبينُ الّذي ... بأحرفه يظهر المضمَرُ
وتَزعمُ انّكَ جرمٌ صغير ... وفيكَ انطوى العالَم الأَكبرُ[3]

وقال الصّادق عليه السلام: الصّورة الإنسانيّة هي أكبر حجّة الله على خلقه، وهي الكتاب الّذي كتَبَه. الحديث[4].

﴿هُدًى﴾: بيان من الضّلالة.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الّذينَ يتّقون الموبقات، ويتّقون تسليط السّفه[5] على أنفسهم حتّى إذا علِموُا ما يجب عليهم علمه عملوا بما يوجب لهم رضاء ربّهم.

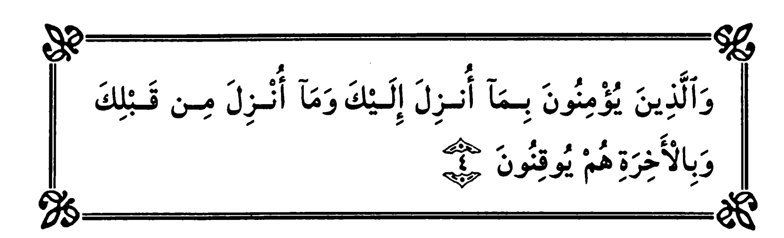
---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٢، ح٣٢. ٢ ـ تفسير العياشي: ج١، ص ٢٦.

٣ ـ راجع مرآة العقول: ج ١١، ص ٣٦١ ـ ٣٦٢. وديوان الإمام علي: ص ٤٥.

٤ ـ لم نعثر عليه.

٥ ـ السفه في الأصل: الخوف والطيش، والسفيه: الجاهل منه رحمه الله.



وفي المعاني[١]: والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام: المتّقون: شيعتنا[٢].

أقول: وإنّما خصّ المتّقين بالاهتداء به لأنّهم المنتفعُون به، وذلك لأنّ التّقوى شرط في تحصيل المعرفة الحقّة.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾: بما غابَ عن حواسّهم من توحيد الله، ونبوّة الأنبياء، وقيام القائم، والرّجعة، والبعث، والحساب، والجنّة، والنّار، وسائر الأُمور الّتي يلزمهم الإيمان بها ممّا لا يعرف بالمشاهدة، وإنّما يعرف بدلائل نصبها الله عزّ وجلّ عليه.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: باتمام ركوعها، وسجُودها، وحفظ مواقيتها، وحدودها، وصيانتها ممّا يفسدها أو ينقصها.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: من الأموال، والقوى، والأبدان، والجاه، والعلم.

﴿يُنفِقُونَ﴾: يتصدّقون يحتملون الكلّ، ويؤدّون الحقوق لأهاليها[٣]، ويقرضون، ويسعفون الحاجات، ويأخذون بأيدي الضّعفاء، يقودون الضّرائر، وينجّونهم من المهالك، ويحملون عنهم المتاع، ويحملون الرّاجلين على دوابّهم، ويؤثرون على من هو أفضل منهم في الإيمان على أنفسهم بالمال والنّفس، ويساوون من كان في درجتهم فيه بهما ويعلّمون العلم لأهله، ويروون فضائل أهل البيت عليهم السلام لمحبيهم، ولمن يرجون هدايته.

وفي المعاني[٤]، والمجمع[٥]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام: «وممّا علّمناهم يبثون»[٦].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: من القرآن والشريعة.

---

١ ـ معاني الأخبار: ص ٢٣، ح ٢.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦، ح ١.

٣ ـ اللام متعلق بالحقوق. لا بـ «يؤدون». منه رحمه الله.

٤ ـ معاني الأخبار: ص ٢٣، ح ٢، وفيه ينبؤون.

٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٩.

٦ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦، فيه ينبؤون.

أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: من التوراة والإنجيل والزبور، وصحف إبراهيم، وسائر كتب الله المنزلة.

﴿وَبِالْأَخِرَةِ﴾: أي الدار التي بعد هذه الدنيا التي فيها جزاء الأعمال الصالحة بأفضل ممّا عملوه، وعقاب الأعمال السيئة بمثل ما كسبوه.

﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾: لا يشكّون.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾: على بيان، وصواب، وعلمٍ بما أمرهم به.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الناجون ممّا منه يوجلون، الفائزون بما يؤمّلون.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بالله وبما آمن به هؤلاء المؤمنون.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾: خوّفتهم.

﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أخبر عن علمه فيهم.

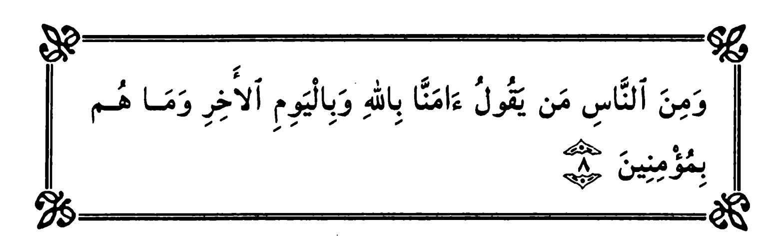
﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾: وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته وأوليائه إذا نظر إليها بأنّهم الذين لا يؤمنون.

في العيون: عن الرضا عليه السلام قال: الختم: هو الطبع على قلوب الكفّار، عقوبة على كفرهم، كما قال عزّ وجلّ: «بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً»[١](٢).

﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾: غطاء وذلك أنّهم لمّا أعرضوا عن النظر فيما كلّفوه

---

١ ـ النساء: ١٥٥. ٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٢٣، ح ١٦، باب ١١ ـ ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار في التوحيد.



وقصّروا فيما أُريد منهم جهلوا ما لزمهم الإيمان به فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه فإنّ الله عزّ وجلّ يتعالى عن العبث والفساد، وعن مطالبة العباد بما قد منعهم بالقهر منه.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: يعني في الآخرة العذاب المعد للكافرين وفي الدنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الإستصلاح لينبهه على طاعته أو من عذاب الإصطلام ليصيّره إلى عدله وحكمته.

أقول: الإصطلام بالمهملتين الإستيصال، والإستصلاح: إنّما يصحّ لمن لم يستحكم ختمه وغشاؤه، وكان ممّن يرجى له الخير بعد أو هو تنبيه من الله، وإتمام للحجّة وإن لم ينتفع هو به.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوِمِ ٱلأَخِرِ﴾: أقول: كابن أُبّي وأصحابه، وكالأوّل، والثاني، وأضرابهما من المنافقين الذين زادوا على الكفر الموجب للختم والغشاوة والنفاق، ولاسيّما عند نصب أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة والإمامة[١]. ويدخل فيه كلّ من ينافق في الدين إلى يوم القيامة وإن كان دونهم في النفاق، كما قال الباقر عليه السلام في حكم بن عتيبة: إنّه من أهل هذه الآية[٢].

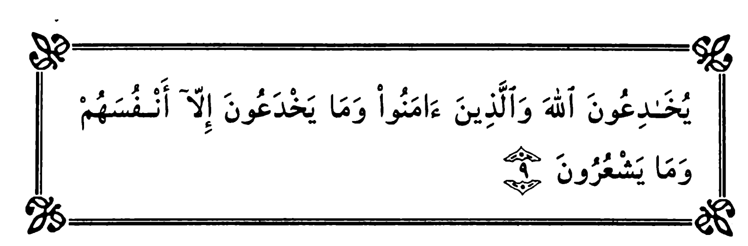
وفي تفسير الإمام عليه السلام: ما ملخّصه إنّه لما أمر الصحابة يوم الغدير بمبايعة أمير المؤمنين عليه السلام بإمرة المؤمنين وقام أبو بكر وعمر إلى تسعة من المهاجرين والأنصار فبايعوه بها ووكّد عليهم بالعهود والمواثيق، وأتى عمر بالبخبخة[٣] وتفرّقوا تواطأ قوم من متمرّديهم

---

١ ـ قال مجاهد: أربع آيات من أوّل السورة نزلت في المؤمنين، وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين، وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين. منه رحمه الله.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٣٩٩، ح ٤.

٣ ـ البخبخة: قوله: بخّ بخّ لك يا أبا الحسن. أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. منه رحمه الله.



وجبابرتهم بينهم لئن كانت بمحمّد صلى الله عليه وآله كائنة ليدفعنّ هذا الأمر عن علي عليه السلام ولا يتركونه له، وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون: لقد أقمت علينا أحبّ الخلق إلى الله وإليك وكفيتنا به مؤنة الظلمة لنا والجائرين في سياستنا، وعلم الله تعالى من قلوبهم خلاف ذلك، وإنّهم مقيمون على العداوة، ودفع الحقّ عن مستحقّه، فأخبر الله عنهم بهذه الآية[1].

﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾: بل تواطؤا على إهلاكك وإهلاك من أحبّك وتحبّه إذا قدروا، وعلى التمرّد عن أحكام الله خصوصاً خلافة من استخلفته بأمر الله على أُمّتك من بعدك لجحودهم خلافته وإمارته عليهم حسداً وعتواً.

قيل: أُخرج ذواتهم من عداد المؤمنين مبالغةً في نفي الإيمان عنهم رأساً[2].

﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: يخادعون رسول الله[3] بإبدائهم له خلاف ما في جوانحهم.

أقول: وإنّما أضاف مخادعة الرسول إلى الله[4] لأنّ مخادعته ترجع إلى مخادعة الله كما قال الله عزّ وجلّ: «مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ»[5].

وقال: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ»[6].

وقال: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ»[7].

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١١١، ح ٥٨.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٢، س ٢٨ باختلاف.

٣ ـ الظاهر أنّ هنا سقط. والصحيح أن يقال: يخادعون رسول الله بحذف المضاف بإبدائهم....

٤ ـ لم تورد إضافة المخادعة إلى رسول الله في أي مورد من الآيات حتّى يصح ما أفاده قدس سره من قوله: وإنّما أضاف مخادعة الرسول إلى الله لأنّ مخادعته....

٥ ـ النساء: ٨٠.

٦ ـ الفتح: ١٠.

٧ ـ الأنفال: ١٧.

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾

ولك أن تقول: معناه يعاملون الله معاملة المخادع كما يدلّ عليه مما رواه العيّاشي عن الصادق عليه السلام: إنّ النبي سئل فيما النجاة غداً؟ قال: إنّما النجاة أن لا تخادعوا الله فيخدعكم، فإنّ من يخادع الله يخدعه، ويخلع منه الإيمان ونفسه يخدع لو يشعر، قيل له: وكيف يخادع الله؟ قال: يعمل ما أمره الله عزّ وجلّ ثمّ يريد به غيره، فاتقوا الله والرياء فإنّه شرك بالله(١).

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾: ما يضرّون بتلك الخديعة، وقرئ يخادعون.

﴿إِلَّآ أَنْفُسَهُمْ﴾: فإنّ الله غنّي عنهم، وعن نصرتهم، ولولا إمهاله لهم لما قدروا على شيء من فجورهم وطغيانهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: إنّ الأمر كذلك وإنّ الله يطلع نبيّه على نفاقهم وكذبهم وكفرهم، ويأمره بلعنهم في لعنة الظالمين.

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: قيل: نفاق وشكّ(٢).

أقول: وذلك لأنّ قلوبهم تغلي على النبي صلى الله عليه وآله، والوصي، والمؤمنين حقداً وحسداً وغيظاً وحنقاً، وفي تنكير المرض وإيراد الجملة ظرفيّة إشارة إلى إستقراره ورسوخه، وإلّا لقال: قلوبهم مرضى.

﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً﴾: بحيث تاهت له قلوبهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾: أي عذاب مؤلم يبلغ إيجاعه غاية البلوغ بسبب كذبهم أو تكذيبهم على اختلاف القراءة، فإنّ وصف العذاب بالأليم إنّما يكون للمبالغة، وهو العذاب المعد للمنافقين، وهو أشد من عذاب الكافرين لأنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨٣، ح ٢٩٥.

٢ ـ قاله الطبرسي في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٤٨.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: باظهار النفاق لعباد الله المستضعفين فتشوّشوا عليهم دينهم وتحيّروهم في مذاهبهم.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: لأنّا لا[1] نعتقد ديناً فنرضى محمّداً ﷺ في الظاهر ونعتق أنفسنا من رقّه في الباطن، وفي هذا صلاح حالنا.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾: بما يفعلون في أُمور أنفسهم لأنّ الله يعرّف نبيّه نفاقهم فهو يلعنهم، ويأمر المسلمين بلعنهم ولا يثق بهم أيضاً أعداء المؤمنين لأنّهم يظنّون أنّهم ينافقوهم أيضاً كما ينافقون المؤمنين. فلا يرتفع لهم عندهم منزلة، ولهذا ردّ عليهم أبلغ ردّ[2].

﴿وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: قال لهم: خيار المؤمنين.

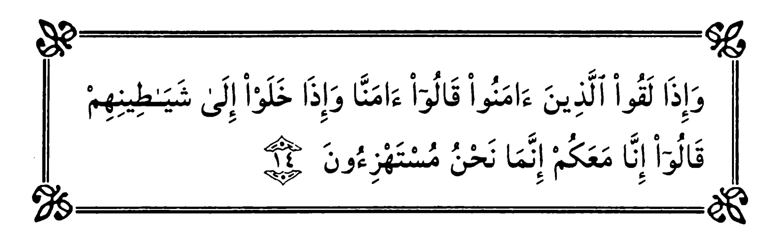
﴿ءَامِنُواْ﴾: قيل: هو من تمام النصح والإرشاد، فإنّ كمال الإيمان إنّما هو بالإعراض عمّا لا ينبغي[3] المقصود من قوله: «لا تفسدوا»، والإتيان بما ينبغي[4] المطلوب بقوله: «ءَامِنُواْ»[5].

---

١ ـ هكذا في الأصل. والظاهر أنّ لفظ «لا» زائد.

٢ ـ وما روته العامّة: إنّ سلمان رضي الله عنه قال: إنّ أهل هذه الآية لم يأتوا بعد. انظر أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٤، س ١٢. فلعلّه أراد أنّ الأصل فيها المسمّون زوراً بخلفاء رسول الله ﷺ. وهم لم يأتوا بإفسادهم بعد هذا، إن كان قوله هذا: قبل وفاة النبي ﷺ، وإلّا فأراد به أنّ أهلها ليس الذين كانوا فقط. بل وسيكون من بعد، أو من حاله حالهم. منه رحمه الله.   ٣ و ٤ ـ الظاهر أنّ في هذين الموردين سقط، والصحيح أن يقال: والإعراض عمّا لا ينبغي وهو المقصود من قوله: «لا تفسدوا»، والإتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله: «آمنوا».

٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٤، س ٢٦.



﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾: المؤمنون: كسلمان، والمقداد، وأبي ذر، وعمّار.

وقيل: أي الكاملون في الإنسانيّة العاملون بمقتضى العقل، أي آمنوا إيماناً مقروناً بالإخلاص مبرّأً عن شوائب النفاق «قالوا» في الجواب لمن يفيضون إليه: لا لهؤلاء المؤمنين فإنّهم لا يجسرون على مكاشفتهم بهذا الجواب[١].

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: المذلّون أنفسهم لمحمّد ﷺ حتّى إذا اضمحلّ أمره أهلكهم أعداؤه.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: الأخفّاء العقول والآراء الّذين لم ينظروا حقّ النظر فيعرفوا نبوّته وثبوت[٢] أمره وصحّة ما ناطه بوصيّه من أمر الدين والدنيا فبقوا خائفين من محمّد ﷺ وأصحابه، ومن مخاليفهم ولا يأمنون أيّهم يغلب فيهلكون معه فإنّ كلّاً من الفريقين يقدّر أنّ نفاقهم معه كنفاقهم مع الآخر.

﴿وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾: إنّ الأمر كذلك، وأنّ الله يطلع نبيّه على أسرارهم فيخسأهم ويسقطهم.

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفّار بعد بيان مذهبهم، وتمهيد نفاقهم فإنّهم كانوا يظهرون الإسلام[٣] لسلمان، وأبي ذر، ومقداد، وعمّار.

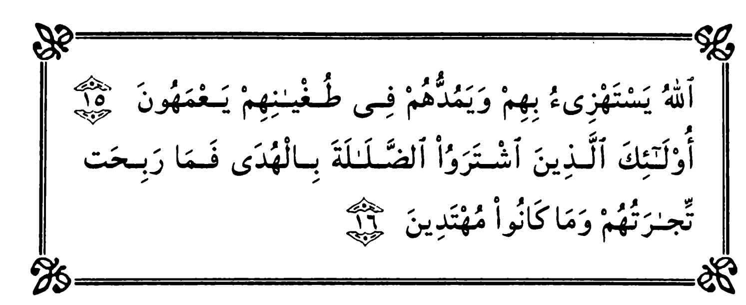
﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ﴾: أخدانهم[٤] من المنافقين المشاركين لهم في تكذيب الرسول.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٤ ـ ٢٥.

٢ ـ وفي نسخة: [ثبات]. ٣ ـ وفي نسخة: [الإيمان].

٤ ـ الأخدان: هم الأصدقاء في السر للزنا، واحدها خِدْن بالكسر. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٤٢.



﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾: أي في الدين والإعتقاد كما كنّا.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾: بالمؤمنين.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: يجازيهم جزاء من يستهزئ به، إمّا في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم، وأمره الرسول بالتعريض لهم حتّى لا يخفى من المراد بذلك التعريض، وإمّا في الآخرة فبما روي أنّه يفتح لهم وهم في النار باباً إلى الجنّة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سدّ عليهم الباب، وذلك قوله تعالى: «فَاليَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُون»[١]، رواه العامّة[٢].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: ما يقرب من معناه في حديث طويل[٣].

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: يمهلهم ويتأنّى[٤] بهم برفقه ويدعوهم إلى التوبة ويعدهم إذا أنابوا بالمغفرة.

﴿فِى طُغْيَـٰنِهِمْ﴾: قيل: في التعدّي عن حدّهم الذي كان ينبغي أن يكونوا عليه[٥].

﴿يَعْمَهُونَ﴾: لا يرعوون عن قبيح ولا يتركون أذى محمّد صلى الله عليه وآله.

قيل: تعمي قلوبهم، والعمه: عمى القلب، وهو التحيّر في الأمر[٦].

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾: باعوا دين الله واعتاضوا منه

---

١ ـ المطففين: ٣٤.
٢ ـ الدر المنثور: ج ١، ص ٣١. وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٦.
٣ ـ راجع تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٢٣ ـ ١٢٥.
٤ ـ وفي نسخة: [يتأتّى].
٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٦.
٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٦.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾

الكفر بالله.

﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾: ما ربحوا في تجارتهم في الآخرة لأنّهم اشتروا النار وأصناف عذابها بالجنّة التي كانت معدّة لهم لو آمنوا.

﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾: إلى الحق والصواب.

أقول: ولا لطرق التجارة لأنّ المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء أضاعوا رأس مالهم الذي هو الفطرة السليمة بما اعتقدوه من الضلالات ولم يربحوا.

﴿مَثَلُهُمْ﴾: حالهم العجيبة. قيل: إنّما يضرب الله الأمثال للناس في كتبه لزيادة التوضيح والتقرير فإنّها أوقع في القلب، وأقمع للخصم الألد، لأنّها تري[1] المتخيّل محقّقاً والمعقول محسوساً[2].

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَاراً﴾[3]: طلب سطوع النار ليبصر بها ما حوله.

﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾: قيل: أي النار ما حول المستوقد أو استضاءت الأشياء التي حوله إن جعلت أضاءت لازمة[4].

﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: بإرسال ريح أو مطر أطفأها، وذلك أنّهم أبصروا بظاهر الإيمان الحق والهدى، وأُعطوا أحكام المسلمين من حقن الدم وسلامة المال، فلمّا أضاء إيمانهم الظاهر ما حولهم أماتهم الله، وصاروا في ظلمات عذاب الله في الآخرة لا يرون منها

---

١ ـ هكذا في الأصل، والأصح: تريْك، كما في المصدر.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٧.

٣ ـ قيل: يعني بنور المستوقدين إن جعلت جواب «لمّا» وبنور المنافقين إن جعلت مستأنفاً أو بدلاً أو يكون جواب لمّا محذوفاً للإيجاز ومن الإلتباس كما في قوله تعالى: «فلمّا ذهبوا به» وإنّما لم يقل بنارهم على الأوّل لأنّ المقصود من إيقادها النور. منه ﷺ.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٧.

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِـهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

خروجاً ولا يجدون عنها محيصاً.

﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾: في العيون: عن الرضا عليه السلام: إنّ الله لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه، ولكنّه متى علم أنّهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعم المعاونة واللطف، وخلّى بينهم وبين اختيارهم[١].

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾: يعني في الآخرة كما قال عزّ وجلّ: «وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِم عُمْياً وَبكْماً وَصُمّاً»[٢].

أقول: وفي الدنيا أيضاً عمّا يتعلّق بالآخرة من العلوم والمعارف، ولذلك يحشرون يومئذ كذلك قال الله تعالى: «لَهُم قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا»[٣]، يعني أُمور الآخرة في الدنيا، وقال أيضاً: «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوب ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ»[٤]، وقال أيضاً: «وَتَريـٰهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ»[٥].

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: عن الضلالة إلى الهدى.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾[٦]: قيل: يعني أو مثل ما خوطبوا به من الحق والهدى كمثل مطر إذ به حياة القلوب كما بالمطر حياة الأرض[٧].

١ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٢٣، ح ١٦، باب ١١ ـ ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار في التوحيد.

٢ـ الإسراء: ٩٧.

٣ـ الأعراف: ١٧٩.

٤ـ الحج: ٤٦.

٥ـ الأعراف: ١٩٨.

٦ـ صيب: فيعل من الصواب بمعنى النزول. ويقال للمطر والسحاب. منه قدّس سرّه.

٧ـ انظر الكشاف: ج ١، ص ٧٩؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٩.

يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من العلوّ.

﴿فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ﴾: مثل للشبهات والمصيبات المتعلّقة به.

﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾: مثل للتخويف، والوعيد، والآيات الباهرة المتضمنة للتبصير والتسديد.

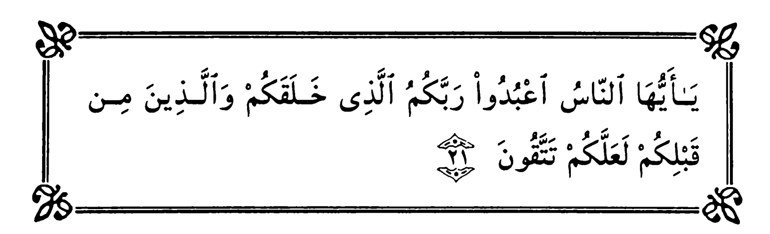
﴿يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾: لئلّا يخلع الرعد أفئدتهم أو ينزل البرق بالصاعقة[١] عليهم فيموتوا فإنّ هؤلاء المنافقين فيما هم فيه من الكفر والنفاق كانوا يخافون أن يعثر النبي ﷺ على كفرهم ونفاقهم فيقتلهم ويستأصلهم، فإذا سمعوا منه لعناً أو وعيداً لمن نكث البيعة جعلوا أصابعهم في أذانهم لئلّا يسمعوا فيتغيّر ألوانهم فيعرفهم المؤمنون أنّهم المعنيّون بذلك.

﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: مقتدر عليهم إن شاء أظهر لك نفاق منافقيهم، وأبدى لك أسرارهم، وأمرك بقتلهم.

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾: يذهب بها، وذلك لأنّ هذا مثل قوم ابتلوا ببرق فنظروا إلى نفس البرق ولم يغضّوا عنه أبصارهم، ولم يستروا منه وجوههم لتسلم عيونهم من تلألؤه، ولم ينظروا إلى الطريق الذي يريدون أن يتخلّصوا فيه بضوء البرق فهؤلاء المنافقون يكاد ما في القرآن من الآيات المحكمة الدالّة على صدق النبي ﷺ التي يشاهدونها، ولا يتبصّرون بها، ويجحدون الحقّ فيها يبطل عليهم سائر ما عملوه من الأشياء التي يعرفونها، فإنّ من جحد حقّاً أدّاه ذلك إلى أن يجحد كلّ حقّ فصار جاحده في

---

١ ـ الصاعقة: قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء إلّا حرّقته من الصعق. وهو شدّة الصوت. منه ﷺ.



بطلان سائر الحقوق عليه كالناظر إلى جرم الشمس في ذهاب نور بصره.

﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾: ظهر لهم ما اعتقدوه أنّه الحجّة.

﴿مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾: وهؤلاء المنافقين إذا رأوا ما يحبّون في دنياهم فرحوا ببيعتهم ويتمنّوا بإظهار طاعتهم.

﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾: وقفوا وتحيّروا، وهؤلاء المنافقين إذا رأوا في دنياهم ما يكرهون وقفوا وتشأموا ببيعتهم التي بايعوها.

قيل: مثل اهتزازهم لمّا يلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد يتطلّع إليه أبصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلّما أضاء لهم وتحيّرهم وتوقّفهم في الأمر حين تعرّض لهم شبهة أو تعنّ لهم مصيبة بتوّقفهم إذا أظلم عليهم[١].

وإنّما قال: مع الإضاءة «كلّما»، ومع الإظلام «إذا» لأنّهم حرّاص على المشي، كلّما صادفوا منه فرصة انتهزوها، ولا كذلك التوقّف.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾: حتّى لا يتهيّأ لهم الإحتراز من أن تقف على كفرهم أنت وأصحابك فتوجب قتلهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: لا يعجزه شيء.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: قيل: لمّا عدّد فرق المكلّفين، ذكر خواصهم، ومصارف أُمورهم، أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الإلتفات هزاً للسامع وتنشيطاً له وإهتماماً بأمر العبادة، وتفخيماً لشأنها، وجبراً لكلفة العبادة وإهتماماً بلذّة المخاطبة[٢].

---

١ و ٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣١.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشاً وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

وفي تفسير الإمام عليه السلام لها وجهان: أحدهما خلقكم، وخلق الذين من قبلكم لتتّقوا كما قال: «وَمَا خَلَقْتُ ٱلجِنَّ وَٱلْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»[١]، والوجه الآخر، «اُعْبُدُواْ رَبَّكُمْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» أي اعبدوه «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» النار، ولعلّ من الله واجب لأنّه أكرم من أن يعنّي عباده بلا منفعة، ويطمعه في فضله ثمّ يخيبه[٢].

أقول: «لعلّكم»[٣] على الوجه الأوّل: يتعلّق بخلقكم، ويراد بالتقوى: العبادة، وعلى الوجه الثاني: يتعلّق باعبدوا ويراد بالتقوى: الحذر، نبّه عليه السلام بقوله: لها وجهان على أنّ القرآن ذو وجوه، وأنّ حمله على الجمع صحيح، ويأتي نظائره في كلامهم عليهم السلام وكون الكلام ذا وجوه ممّا يزيد في بلاغته ولطافته.

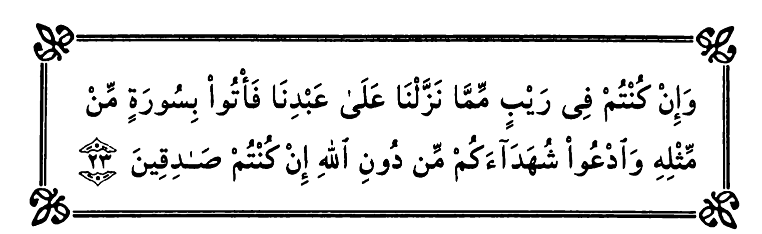
﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشاً﴾: جعلها ملائمة لطبائعكم، موافقة لأجسادكم، مطاوعة لحركتكم، وأبنيتكم، ودفن موتاكم، لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولاشديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولاشديدة النتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم وأبنيتكم، ودفن موتاكم، ولكنّه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون بها وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لدوركم وقبوركم، وكثير من منافعكم[٤].

---

١ ـ الذاريات: ٥٦. ٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٤٠ ـ ١٤٢.

٣ ـ لعلّ، وعيسى، وسوف، في مواعيد الملوك يكون كالجزم بها، وإنّما أُطلقت إظهاراً لوقارهم وإشعاراً بأن الرمز منهم كالصريح من غيرهم، وعليه جرى وعد الله، ووعيده. منه قدّس سرّه.

٤ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٤٢.



﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: سقفاً من فوقكم محفوظاً، يدير فيها شمسها وقمرها، ونجومها لمنافعكم[١].

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: يعني المطر ينزله من علاً ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم، ثمّ فرّقه رذاذاً، ووابلاً، وهطلاً، وطلّاً[٢] لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضيكم، وأشجاركم، وزروعكم، وثماركم[٣].

وعن النبي ﷺ قال: ينزل مع كلّ قطرة ملك يضعها في موضعها الذي أمره به ربّه عزّوجلّ[٤].

﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾: أقول: لمطعمكم ومشربكم وملبسكم وسائر منافعكم.

﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾: أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل، ولا تسمع، ولا تبصر، ولا تقدر على شيء[٥].

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنّها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربّكم[٦][٧].

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: حتّى تجحدوا أن يكون محمّد

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٤٣.

٢ ـ الهضبة: ما يقابل الوهدة. والرذاذ: المطر الضعيف. والوابل: المطر الشديد. والهطل: تتابع المطر. والطل: أضعف المطر. منه قدس سره.

٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٤٣.

٤ ـ بحار الأنوار: ج ٢٧، ص ٩٩؛ وتفسير الإمام العسكري: ص ١٥٠.

٥ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٤٣.

٦ ـ قيل: والمعنى وأنتم من أهل العلم والنظر. منه قدس سره.

٧ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٤٣.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

رسول الله ﷺ وأن يكون هذا المنزّل عليه كلامي مع إظهاري عليه بمكّة من الآيات الباهرات كالغمامة المظلّلة عليه، والجمادات المسلّمة عليه، وغير ذلك.

﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾: من مثل محمّد ﷺ رجل منكم لا يقرأ، ولا يكتب ولا يدرس كتاباً ولا اختلف إلى عالم، ولا تعلّم من أحد، وأنتم تعرفونه في أسفاره وحضره، بقي كذلك أربعين سنة ثمّ اُوتي جوامع العلم حتّى علم عِلْم الأوّلين والآخرين. أو من مثل هذا القرآن من الكتب السالفة في البلاغة والنظم. في الكافي: عن الكاظم عليه السلام ما معناه أنّه لمّا كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام أتاهم الله من مواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجّة عليهم كما أتى قوم موسى عليه السلام ما أبطل به سحرهم إذ كان الغالب عليهم السحر، وقوم عيسى عليه السلام الطب وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، إذ كان الغالب عليهم الزمانات[1].

﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أصنامكم التي تعبدونها أيّها المشركون، وشياطينكم أيّها اليهود والنصارى، وقرناءكم الملحدين يا منافقي المسلمين، من النصّاب لآل محمّد ﷺ الطيّبين الذين يشهدون بزعمكم أنّكم محقّون وتزعمون أنّهم شهداؤكم عند ربّ العالمين بعبادتكم، ويشفعون لكم إليه ليشهدوا لكم أنّ ما أتيتم مثله[2].

قيل: أو لينصرونكم على معارضته كما في قوله تعالى: «قُلْ لَّئِنْ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً»[3] فإنّ الشهيد جاء بمعنى الإمام، والناصر، والقائم بالشهادة والتركيب للحضور حسّاً أو خيالاً[4].

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: بأنّ محمّداً ﷺ تقوّله من تلقاء نفسه لم ينزله الله عليه.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾: هذا الذي تحديتكم به أيّها المقرّعون بحجّة ربّ العالمين.

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٤ ـ ٢٥، ح ٢٠.
٢ ـ اقتباس من تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٥٤.
٣ ـ الإسراء: ٨٨.
٤ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٥.

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَٰبِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾: ولا يكون هذا منكم أبداً ولن تقدروا عليه.

﴿فَاتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا﴾: حطبها.

﴿ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾: حجارة الكبريت لأنّها أشدّ الأشياء حرّاً.

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام لقد مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بجبل وإذا الدموع تخرج[1] من بعضه، فقال له: ما يبكيك يا جبل؟ فقال: يا رسول الله كان المسيح مرّ بي وهو يخوّف الناس بنار وقودها الناس والحجارة، فأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة، قال صلى الله عليه وآله له: لا تخف، تلك حجارة الكبريت، فقرّ الجبل وسكن وهدأ[2].

وقيل: المراد بها الأصنام التي نحتوها، وقرنوا بها أنفسهم، وعبدوها طمعاً في شفاعتها كما في قوله تعالى: «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ حَصَبُ جَهَنَّمُ»[3][4].

القمي: عن الصادق عليه السلام قال: إنّ ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنّم وقد أُطفأت سبعين مرّة بالماء ثمّ التهبت، ولولا ذلك لما استطاع آدمي أن يطفأها، وإنّها ليؤتى بها يوم القيامة حتّى توضع على النّار فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرّب، ولا نبي مرسل إلّا جثا على ركبتيه فزعاً من صرختها[5].

﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾: المكذّبين بكلامه ونبيّه.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن

١ـ وفي نسخة: [تسيل]. ٢ـ الإحتجاج: ج١، ص٣٢٦. ٣ـ الأنبياء: ٩٨.

٤ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦. ٥ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٦٦.

تَحْتِهَا﴾: من تحت أشجارها ومساكنها.

﴿ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾: روي أنّها نزلت في علي، وحمزة وجعفر، وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب[١].

أقول: وهذا لا ينافي عموم حكمها كما رويت[٢].

﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا﴾: من تلك الجنّات.

﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾: من ثمارها.

﴿رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾: في الدنيا فأسماؤه كأسمائه ولكنّها في غاية الطيب غير مستحيل إلى ما يستحيل إليه ثمار الدنيا من العذرة والصفراء والسوداء والدم إلّا العرق الذي يجري في أعراضهم أطيب ريحاً من المسك.

أقول: العرض بالكسر: الجسد.

﴿وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَـٰبِهاً﴾: شبّه[٣] بعضه بعضاً بأنّها كلّها خيار لا رذل فيها وبأنّ كل صنف منها في غاية الطيب واللّذة ليست كثمار الدنيا التي بعضها ني[٤] وبعضها متجاوز لحد النضج والإدراك إلى حدّ الفساد من حموضة ومرارة، وسائر صنوف المكاره ومتشابهات أيضاً متّفقات الألوان مختلفات الطعوم.

أقول: لمّا كانت المعرفة في الدنيا بذر المشاهدة في الآخرة جاز أن يكون أُشير بـ«هَـٰذا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْل» لأهل المعرفة إلى ثمرة علومهم ومعارفهم التي صارت عيناً وعياناً.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: من الحيض والنفاس وسائر أنواع الأقذار،

---

١ ـ تفسير فرات الكوفي: ص ٥٣، ح ١١.

٢ ـ وفي نسخة: [دريت].

٣ ـ وفي نسخة: [يشبه].

٤ ـ ناء الشيء واللحم ينييء نيئاً، بوزن ناع ينيع نيعاً: إذا لم تنضجه. لسان العرب: ج ١٤، ص ٣٤٥، مادة «نيأ».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٢٦﴾

والفواحش ولا ولّاجات، ولا خرّاجات، ولا دخّالات، ولا ختّالات، ولا متغايرات، ولا لأزواجهنّ فركات، ولا صخابات[١]، ولا عيّابات، ولا نخّاسات، ومن كلّ العيوب والمكاره بريئات.

أقول: الولّاجات والخرّاجات: اللواتي يكثرن الظرف، والإختيال، والدخّالات: الغاشّات، والختّالات: الخدّاعات، والمتغايرات: من الغيرة، وفركات: مبغضات، والصخّابات: الصيّاحات، والعيّابات: من العيب، والنخّاسات: الدفّاعات.

وفي الفقيه: عن الصادق عليه السلام لا يحضن، ولا يحدثن[٢].

﴿وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾: لأنّ نيّاتهم في الدنيا لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيّات خلّدوا، كذا في العلل عن الصادق عليه السلام[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً﴾: للحقّ، يوضحه به لعباده المؤمنين.

---

١ ـ بالمهملة ثمّ المعجمة ثمّ الموحدة. منه رحمه الله. والصخب: الصياح والضجّة. لسان العرب: ج ٧، ص ٢٩٤، مادة «صخب».

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٥٠، ح ٤/ ١٩٥، باب ٢٠ ـ غسل الحيض والنفاس.

٣ ـ علل الشرائع: ص ٥٢٣، ح ١، باب ٢٩٩.

﴿مَّا﴾: ما هو المثل.

أقول: يعني[١] أيّ مثل كان، فإنّ «ما» لزيادة الإيهام والشيوع في النكرة.

﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾: وهو الذباب ردّ بذلك على من طعن في ضربه الأمثال بالذباب، والعنكبوت، وبمستوقد النار، والصيب، في كتابه.

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام إنّما ضرب الله المثل بالبعوضة لأنّها على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق الله في الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين، فأراد الله أن ينبّه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه، وعجيب صنعه[٢].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾: إنّه المثل المضروب «الحقّ من ربّهم» أراد به الحق، وإبانته، والكشف عنه، وإيضاحه.

أقول: يعني يعلمون أنّ الحق[٣] في المثل أن يكون على وفق الممثّل له في الصغر، والعظم، والخسّة، والشرف، ليبيّنه، ويوضحه حتّى يصير في صورة المشاهد المحسوس دون الممثل.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلاً﴾: أي شيء أراد به من جهة المثل.

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾: قيل: هو جواب ماذا، أي إضلال كثير بسبب إنكاره، وهداية كثيرة من جهة قبوله، فهو يجري مجرى البيان للجملتين المتقدّمتين يعني إنّ كلا الفريقين موصوف بالكثرة، ولسببيّته لهما نسبا إليه[٤].

وفي تفسير الإمام عليه السلام يعني يقول الذين كفروا: لا معنى للمثل، لأنّه وإن نفع به من يهديه فهو يضرّ به من يضلّ به فردّ الله عليهم قولهم[٥] فقال:

---

١ ـ أي إنّ المراد من قوله سبحانه وتعالى: «إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلاً» أيُّ مثل كان.

٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٦٧.

٣ ـ وفي نسخة: [ان المعتبر في المثل].

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤١.

٥ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٠٦.

ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: الخارجين عن دين الله، الجانين على أنفسهم بترك تأمّله، وبوضعه على خلاف ما أمر الله بوضعه عليه.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾: المأخوذ عليهم لله بالربوبيّة، ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة، ولعلي عليه السلام بالإمامة، ولشيعتهما بالكرامة.

﴿مِن بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: أحكامه وتغليظه.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: من الأرحام والقرابات أن يتعاهدوهم ويقضوا حقوقهم، وأفضل رحم وأوجبهم حقّاً: رحم محمّد صلى الله عليه وآله فإنّ حقّهم بمحمّد صلى الله عليه وآله كما أنّ حقّ قرابات الإنسان بأبيه وأُمّه، ومحمّد صلى الله عليه وآله أعظم حقّاً من أبويه، وكذلك حقّ رحمه أعظم وقطيعته أقطع وأفضح[١].

أقول: ويدخل في الآية التفريق بين الأنبياء والكتب في التصديق، وترك موالات المؤمنين، وترك الجمعة والجماعات المفروضة، وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطي شر فإنّه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد التي هي المقصودة بالذات من كلّ وصل وفصل.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بسبب قطع ما في وصله نظام العالم وصلاحه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: الذين خسروا أنفسهم بما صاروا إلى النيران، وحرموا الجنان، فيالها من خسارة ألزمتهم عذاب الأبد، وحرمتهم نعيم الأبد.

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٠٦.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَٰتاً فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ﴾: الخطاب لكفّار قريش واليهود.

﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَٰتاً﴾: في أصلاب آبائكم وأرحام أُمهاتكم.

﴿فَأَحْيَـٰكُمْ﴾: أجرى فيكم الروح وأخرجكم أحياءاً.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: في هذه الدنيا ويقبركم.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: في القبور وينعّم فيها المؤمنين، ويعذّب الكافرين.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: في الآخرة بأن تموتوا في القبور بعد الإحياء، ثمّ تحيوا للبعث يوم القيامة ترجعون، إلى ما وعدكم من الثواب على الطاعات إن كنتم فاعليها، ومن العقاب على المعاصي إن كنتم مقارفيها.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً﴾: قال أمير المؤمنين عليه السلام: خلق لكم لتعتبروا به، وتتوصّلوا به إلى رضوانه، وتتوقّوا من عذاب نيرانه[١].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[٢]: أخذ في خلقها وإتقانها.

﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: قيل: عدّلهنّ مصونة عن العِوج والقصور، والضمير مبهم يفسّره ما بعده[٣].

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ١٢ ـ ١٣، ح ٢٩، باب ٣٠ ـ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المنثورة.

٢ ـ من قولهم: استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصداً مستوياً من غير أن يلوي على شيء. منه قدّس سرّه.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٤. وفيه: «عن العوج والفطور».

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾: الذين كانوا في الأرض مع إبليس وقد طردوا عنها الجن بني الجان وخفّفت للعبادة[١].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام إنّ ابليس كان بين الملائكة يعبد الله في السماء، وكانت الملائكة تظنّه منهم ولم يكن منهم، وذلك إنّ الله خلق خلقاً قبل آدم وكان إبليس حاكماً فيهم، فأفسدوا في الأرض وعَتَوْا وسفكوا بغير حقّ، فبعث الله عليهم الملائكة فقتلوهم، وأسروا إبليس ورفعوه معهم إلى السماء فكان مع الملائكة يعبد الله إلى أن خلق الله آدم فلمّا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وظهر ما كان من حسد إبليس له واستكباره علمت الملائكة أنّه لم يكن منهم، وقال إنّما دخل في الأمر لكونه منهم بالولاء ولم يكن من جنسهم[٢].

والعياشي: عنه عليه السلام إنّه سئل عن إبليس أكان من الملائكة أو هل يلي شيئاً من أمر السماء؟ قال: لم يكن من الملائكة، ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء، وكان من الجنّ، وكان مع الملائكة، وكانت الملائكة ترى أنّه منها، وكان الله يعلم أنّه ليس منها، فلمّا أمر بالسجود كان منه الذي كان[٣].

---

١ ـ يحتمل كون البناء للفاعل. والعبادة مفعولاً، والضمير المستتر للجان بني الجان، يعني قد طردهم الملائكة في حال إفسادهم في الأرض وتخفيفهم وتحقيرهم للعبادة وعدم اعتنائهم بها أو تقليلهم للعبادة بالنسبة إلى سابق الزمان. وكون البناء للمفعول: والعبادة نائب الفاعل، والفاعل الحقيقي أيضاً الجن بني الجان بأحد المعنين، أو للمفعول ونائب الفاعل مستتر يرجع إلى الملائكة والعبادة منصوب على أنّه مفعول ثانٍ. أي وقد خفّف الله على الملائكة العبادة بالنسبة إلى عبادتهم في عالم الملكوت. منه قدس سره.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٥ ـ ٣٦.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٣٤، ح ١٦.

وفي الكافي: عنه عليه السلام مثله إلى قوله: ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء، وزاد بعده ولا كرامة[١].

﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: بدلاً منكم، ورافعكم منها فاشتدّ ذلك عليهم لأنّ العبادة عند رجوعهم إلى السماء تكون أثقل عليهم[٢].

وفي رواية: «خليفة» تكون حجّة لي في أرض على خلقي كما يأتي[٣].

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾: كما فعلته الجنّ بني الجان الذين قد طردناهم عن هذه الأرض.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: ننزّهك عمّا لا يليق بك من الصفات.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: نطهّر أرضك ممّن يعصيك.

﴿قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من الصلاح الكامن فيه، ومن الكفر الباطن في من هو فيكم، وهو إبليس لعنه الله.

القمّي: عن الباقر، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام[٤].

ورواه في العلل أيضاً عنه عليه السلام على اختلاف في ألفاظه، قال: إنّ الله لمّا أراد أن يخلق خلقاً بيده وذلك بعدما مضى عن الجنّ والنسناس في الأرض سبعة آلاف سنة فرفع سبحانه حجاب السماوات وأمر الملائكة أن انظروا إلى أهل الأرض من الجنّ والنسنان فلمّا رأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق عظم ذلك عليهم وغضبوا لله تعالى، وتأسّفوا على أهل الأرض ولم يملكوا غضبهم، وقالوا ربّنا أنت العزيز القادر العظيم الشأن، وهذا خلقك الذليل الحقير المتقلّب في نعمتك المتمتع بعافيتك المرتهن في قبضتك، وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب ويفسدون في الأرض ولا تغضب ولا تنتقم لنفسك؟ وأنت تسمع وترى وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه لك، فقال جلّ جلاله: «إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً» تكون حجّة لي في أرضي على خلقي، قالت الملائكة: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٧٤، ح ٤١٣.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢١٥.

٣ ـ راجع تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٦.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٦.

يُفْسِدُ فِيهَا» كما أفسد هؤلاء «وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ» كما فعل هؤلاء، ويتحاسدون، ويتباغضون، فاجعل ذلك الخليفة منّا فإنّا لا نتحاسد ولا نتباغض ولا نسفك الدماء، ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك، قال تبارك وتعالى: «إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» إنّي أُريد أن أخلق خلقاً بيدي، وأجعل من ذرّيّته الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، وأئمّة مهديين، وأجعلهم خلفائي على خلقي في أرضي يهدونهم إلى طاعتي، وينهونهم عن معصيتي، وأجعلهم حجّة لي عليهم عذراً ونذراً وأبين النسناس عن أرضي وأُطهّرها منهم، وأنقل الجنّ المردة العصاة من بريتي وخيرتي من خلقي، وأسكنهم في الهواء وفي أقفار الأرض فلا يجاورون خلقي، وأجعل بين الجنّ وبين نسل خلقي حجاباً، ومن عصاني من نسل خلقي الذين اصطفيتهم أسكنتهم مسكن العصاة وأوردتهم مواردهم، فقالت الملائكة: «سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا» قال: فباعدهم الله عزّ وجلّ من العرش مسيرة خمسمائة عام فلاذوا بالعرش، وأشاروا بالأصابع فنظر الربّ جلّ جلاله إليهم ونزلت الرحمة فوضع لهم البيت المعمور فقال: طوفوا به ودعوا العرش، فإنّه لي رضاً، فطافوا به وهو البيت الذي يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً ووضع الله تعالى البيت المعمور توبة لأهل السماء، والكعبة توبة لأهل الأرض فقال الله تبارك وتعالى: «إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَراً مِن صَلْصَـٰلٍ مِن حَمَإٍ مَسْنُونٍ»[1]، قال: وكان ذلك من الله تعالى تقدمة في آدم قبل أن يخلقه، واحتجاجاً منه عليهم، قال: فاغترف جلّ جلاله من الماء العذب الفرات غرفة بيمينه وكلتا يديه يمين[2]

---

١ ـ الحجر: ٢٨. وروى العيّاشي هذه الرواية في سورة الحجر من قوله: قال الله تعالى: «إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً» إلى قوله: و «هما سلالة من طين». منه ﷺ. والصحيح أن يقال: إلى قوله: «ثمّ كفأهما قدّام عرشه». راجع تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١، ح ٧.

٢ ـ قال الجزري في النهاية: ج ٥، ص ٣٠١، ومنه الحديث الآخر: «وكلتا يديه يمين» أي أنّ يديه تبارك وتعالى بصفة الكمال لا نقص في واحدة منهما، لأنّ الشمال تنقص عن اليمين. وكلّ ما جاء في القرآن والحديث من إضافة اليد والأيدي، واليمين، وغير ذلك من أسماء الجوارح إلى الله تعالى فإنّما هو على سبيل المجاز والإستعارة، والله منزه عن التشبيه والتجسّم.

وقال العلّامة المجلسي ﷺ في بحار الأنوار: ج ٥، ص ٢٣٨: لمّا كانت اليد كناية عن القدرة، ويحتمل أن يكون المراد باليمين: القدرة على الرحمة والنعمة والفضل، وبالشمال: القدرة على العذاب والقهر ⇦

فصلصلها[١] فجمدت، وقال الله جلّ جلاله: منك أخلق النبيّين والمرسلين، وعبادي الصالحين، والأئمّة المهديين الدعاة إلى الجنّة وأتباعهم إلى يوم القيامة، «ولا أُسئل عمّا أفْعل وهم يُسألون»[٢]، ثمّ اغترف من الماء المالح الأُجاج غرفة فصلصلها فجمدت، فقال تعالى: «ومنك أخلق الفراعنة، والجبابرة، وإخوان الشياطين، والعتاة، والدعاة إلى النار، وأشياعهم إلى يوم القيامة» «ولا أُسأل عمّا أفعل وهم يسألون»، قال: وشرط في ذلك البداء فيهم ولم يشترط[٣] في أصحاب اليمين، ثمّ خلط الماءين جميعاً في كفّه فصلصلهما ثمّ كفأهما قدّام عرشه، وهما سلالة من طين، ثمّ أمر ملائكة الجهات: الشمال، والجنوب، والصبا، والدبور، أن يجولوا على هذه السلالة من الطين فأبرؤوها وأنشؤوها، ثمّ جزّؤوها وفصّلوها، وأجروا فيها الطبائع الأربع: المرتين والدم والبلغم، فجالت الملائكة عليها وأجروا فيها الطبائع الأربع: فالدم من ناحية الصبا، والبلغم من ناحية الشمال، والمرّة الصفراء من ناحية الجنوب، والمرّة السوداء من ناحية الدبور، فاستقلّت النسمة وكمل البدن فلزمه من جهة الريح حبّ النساء وطول الأمل والحرص، ومن جهة البلغم: حبّ الطعام والشراب والبر والحلم والرفق، ومن جهة المرّة الغضب والسفه والشيطنة والتجبّر والتمرّد والعجلة، ومن جهة الدم: حبّ الفساد واللّذات وركوب المحارم والشهوات، قال أبو جعفر عليه السلام: وجدنا هذا في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام[٤].

وزاد القمّي في روايته: فخلق الله آدم عليه السلام وبقي أربعين سنة مصوراً وكان يمرّ به إبليس اللعين فيقول: لأمر ما خلقت؟ قال العالم عليه السلام: فقال إبليس: لئن أمرني الله بالسجود لهذا عصيته، قال: ثمّ لمّا نفخ فيه الروح وبلغت دماغه عطس عطسةً وجلس منها مستوياً،

⇐ والإبتلاء، فالمعنى: أنّ عذابه وقهره وإمراضه وإماتته وسائر المصائب والعقوبات لطف ورحمة لاشتمالها على الحكم الخفيّة والمصالح العامّة، وبه يمكن أن يفسّر ما ورد في الدعاء: «والخير في يديك».

١ ـ الصلصال: الطين اليابس الذي لم يطبخ، إذا نقر به صوّت كما يصوّت الفخار، والفخار ما طبخ من الطين. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٠٦، مادة «صلل».

٢ ـ مقتبس من قوله تعالى: «لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ». الأنبياء: ٢٣.

٣ ـ وفي نسخة: [يشرط].

٤ ـ علل الشرائع: ص ١٠٤ ـ ١٠٦، باب ٩٦، ح ١.

فقال: الحمد لله، فقال الله عزّ وجلّ: يرحمك الله ربّك يا آدم، فقال الإمام عليه السلام: فسبقت له من الله الرحمة[١].

أقول: أكثر ما تضمّنه هذا الحديث قد روي في أخبار كثيرة عنهم عليهم السلام، وفي رواية العيّاشي: إنّ الملائكة منّوا على الله بعبادتهم إيّاه فأعرض عنهم، وأنّهم قالوا في سجودهم في أنفسهم: ما كنّا نظنّ أن يخلق الله خلقاً أكرم عليه منّا، نحن خزّان الله وجيرانه، وأقرب الخلق إليه، فلمّا رفعوا رؤوسهم قال الله: وأعلم ما تبدون من ردّكم عليّ، وما كنتم تكتمون من ظنّكم إنّي لا أخلق خلقاً أكرم عليّ منكم، فلمّا عرفت الملائكة أنّها وقعت في خطيئة لاذوا بالعرش، وأنّها كانت عصابة من الملائكة ولم يكن جميعهم[٢].

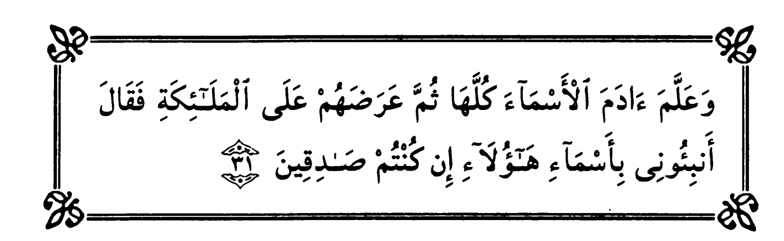
وعن الباقر عليه السلام: كان ذلك تعصيّاً منهم فاحتجب عنهم سبع سنين فلاذوا بالعرش، يقولون: لبيك ذا المعارج لبيك، حتّى تابع عليهم، فلمّا أصاب آدم الذنب طاف بالبيت حتّى قبل الله منه[٣].

وفي الكافي[٤]، والعيّاشي: عنه عليه السلام فغضب الله عليهم ثمّ سألوه التوبة فأمرهم أن يطوفوا بالضراح[٥] وهو البيت المعمور فمكثوا يطوفون به سبع سنين يستغفرون الله ممّا قالوا، ثمّ تاب الله عليهم من بعد ذلك، ورضي عنهم فكان هذا أصل الطواف ثمّ جعل الله تعالى البيت الحرام حذاء الضراح توبةً لمن أذنب من بني آدم وطهوراً لهم[٦].

وفي العلل: عن الصادق عليه السلام فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام[٧] فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم وتاب عليهم، وجعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤ ـ ٤١.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٠ ـ ٣١، ح ٧. بتفاوت.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٩ ـ ٣٠، ح ٥. وفيه: «كان ذلك من يعصي منهم».
٤ ـ الكافي: ج ٤، ص ١٨٨، ح ٢.
٥ ـ الضُراح: بضم الضاد المعجمة، ثمّ الراء، ثمّ الحاء المهملة. منه قدّس سرّه.
٦ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٠، ح ٦.
٧ ـ لعل سبعة آلاف سنة: كناية عن عمر الدنيا فإنّ هذه المدّة يتكامل هذا النوع وتنال الملائكة المسخرون له قسطهم من الكمال، ولعل البيت المعمور كناية عن ملكوت قلوب الأولياء وروحانيتها. منه قدّس سرّه.



فجعله مثابة لهم وأمناً، ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابةً للنّاس وأمناً، فصار الطواف سبعة أشواط أوجب على العباد لكلّ ألف سنة شوطاً[١].

أقول: لا منافاة بين السبع سنين وسبعة آلاف عام لأنّ مدّة السنين والأيّام تختلف باختلاف النشئات والعوالم، قال الله تعالى: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدارُهُ خمْسِينَ أَلْفَ سَنَة»[٢]، وقال: «وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعدُّونَ»[٣] فيجوز أن يكون تارة عدّه بسني نشأة، وأُخرى بسني أُخرى.

﴿**وَعَلَّمَ ءَادَمَ[٤] ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا**﴾: القمّي: قال عليه السلام: أسماء الجبال والبحار والأودية والنبات والحيوان[٥].

وفي المجمع[٦]، والعياشي: عن الصادق عليه السلام أنّه سئل ماذا علّمه؟ قال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية، ثمّ نظر إلى بساط تحته، فقال: وهذا البساط ممّا علّمه[٧].

وفي تفسير الإمام، عن السجاد عليه السلام: علّمه أسماء كلّ شيء[٨].

وفيه أيضاً: أسما أنبياء الله، وأوليائه، وعتاة أعدائه[٩].

أقول: تحقيق المقام والتوفيق بين روايتي الإمام يقتضي بسطاً من الكلام، وذكر نبذ

---

١ ـ العلل: ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧، باب ١٤٣، ح ١.
٢ ـ المعارج: ٤.
٣ ـ الحج: ٤٧.
٤ ـ في العلل: ص ٢ و١٤ عن الصادق عليه السلام إنّما سمّي آدم آدم لأنّه خلق من أديم الأرض. منه قدّس سرّه.
٥ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٤٥.
٦ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٧٦.
٧ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٢، ح ١١.
٨ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢١٧.
٩ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢١٧.

من الأسرار. فنقول وبالله التوفيق: ليس المراد بتعليم الأسماء تعليم الألفاظ الدالّة على معانيها فحسب، كيف وهو يرجع إلى تعليم اللغة، وليس هو علماً يصلح لأن يتفاخر به على الملائكة ويتفضّل به عليهم، بل المراد بالأسماء: حقائق المخلوقات الكائنة في عالم الجبروت المسمّاة عند طائفة بالكلمات وعند قوم بالأسماء وعند آخرين بالعقول.

وبالجملة: أسباب وجود المخلوقات وأرباب أنواعها التي بها خلقت، وبها قامت وبها رزقت فإنّها أسماء الله تعالى، لأنّها لا تدلّ على الله بظهورها في المظاهر دلالة الإسم على المسمّى، فإنّ الدلالة كما تكون بالألفاظ كذلك تكون بالذوات من غير فرق بينهما فيما يؤول إلى المعنى، وأسماء الله تعالى لا تشبه أسماء خلقه وإنّما أُضيفت في الحديث تارة إلى المخلوقات كلّها لأنّ كلّها مظاهرها التي فيها ظهرت صفاتها متفرّقة وأُخرى إلى الأولياء والأعداء لأنّهما مظاهرها التي فيها ظهرت صفاتها مجتمعة، أي ظهرت صفات اللّطف كلّها في الأولياء، وصفات القهر كلّها في الأعداء، وإلى هذا أُشير في الحديث القدسي الذي يأتي ذكره في تفسير آية سجود الملائكة لآدم عليه السلام من قوله سبحانه:«يا آدم هذه أشباح أفضل خلائقي وبريّاتي، هذا محمّد صلى الله عليه وآله وأنا الحميد المحمود في فعالي شققت له إسماً من إسمي، وهذا علي وأنا العليّ العظيم شققت له إسماً من اسمي»[١]، إلى آخر ما ذكر من هذا القبيل.

فإنّ معنى الإشتقاق في مثل هذا يرجع إلى ظهور الصفات وإنباء المظهر على الظاهر فيه أو هما سببان للإشتقاق أو مسبّبان عنه، وإنّما يقول بالسببيّة من لم يفهم العينيّة، والمراد بتعليم آدم الأسماء كلّها: خلقه من أجزاء مختلفة، وقوى متباينة حتّى استعدّ لإدراك أنواع المدركات من المعقولات، والمحسوسات، والمتخيلات، والموهومات، وإلهامه معرفة ذوات الأشياء وخوّاصها، وأُصول العلم، وقوانين الصناعات، وكيفيّة آلاتها، والتمييز بين أولياء الله وأعدائه فتأتي له بمعرفة ذلك كلّه مظهريته لأسماء الله الحسنى كلّها، وبلوغه مرتبة أحديّة الجمع التي فاق بها سائر أنواع الموجودات، ورجوعه إلى مقامه الأصلي الذي جاء منه وصار منتخباً لكتاب الله الكبير الذي هو العالم الأكبر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:وفيك

---

١ ـ بحار الأنوار: ج ١١، ص ١٥١.

انطوى العالم الأكبر[١].

إن قلت: ما نفقه كثيراً ممّا تقول فهب إنّ المراد بالأسماء الحقائق فأي مناسبة بين تعليم آدم أسماء المخلوقات، وبين خلقه مختلف القوى والأجزاء، وإلهامه معرفة ذوات الأشياء، والتمييز بين الأولياء والأعداء؟ فهل لك من تبيان أو تستطيع الإتيان فيه بسلطان لعل أن ينحل به هذا اللغز والمعمّى أو ينجلي به عن البصائر العمه[٢] والعمى؟

قلت: لعلّك نسيت ما حقّقناه في المقدّمة الرابعة في معنى المتشابه وتأويله، أو لم تستطع إجراءه فيما نحن بسبيله، فلنورد لك ذلك بتقير آخر يكون أظهر لك فيما نحن فيه ممّا قررناه هناك.

فنقول وبالله التوفيق: إنّ الإسم ما يدلّ على المسمّى، ويكون علامة لفهمه، فمنه ما يعتبر فيه صفة تكون في المسمّى وبذلك الإعتبار يطلق عليه، ومنه ما لا يعتبر فيه ذلك، فالأوّل: يدلّ على الذات الموصوفة بصفة معيّنة كلفظ «الرحمن»، فإنّه يدلّ على ذات متصفة بالرحمة، ولفظ «القهّار»: فإنّه يدلّ على ذات لها القهر إلى غير ذلك.

وقد يطلق الإسم بهذا المعنى على مظاهر صفة الذات باعتبار اتصافه بالصفة كالنبي الذي هو مظهر هداية الله سبحانه فإنّه اسم الله الهادي لعباده والأسماء الملفوظة بهذا الإعتبار هي أسماء الأسماء.

وسئل مولانا الرضا عليه السلام عن الإسم ما هو؟ قال: هو صفة لموصوف[٣].

وهذا اللفظ يحتمل المعنيين: اللفظ، والمظهر، وإن كان في المظهر أظهر، وقد يطلق الإسم على ما يفهم من اللفظ أي المعنى الذهني، وعليه ورد قول الصادق عليه السلام مَنْ عَبَدَ الله

---

١ ـ من الشعر المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

وتحسب أنّك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر

ديوان الإمام علي عليه السلام: ص ٤٥.

٢ ـ عمه في طغيانه، من باب تعب: إذا تردّد متحيّراً. المصباح المنير: ص ٤٣١. وقال الطريحي: العماية ـ بفتح العين ـ: الضلالة، والتعمية الإخفاء والتلبيس. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٠٨، مادة «عما».

٣ ـ معاني الأخبار: ص ٢، باب معنى الإسم، ح ١.

بالتوهم فقد كفر، ومن عَبَد الإسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه، ونطق به لسانه في سرائر وعلانيته فأُولئك هم المؤمنون حقّاً[١].

فإنّ المراد بالإسم هاهنا: ما يفهم من اللفظ لا اللفظ، فإنّ اللفظ لا يعبد، وبالمعنى: ما يصدق عليه اللفظ، فالإسم معنى ذهني والمعنى موجود عيني، وهو المسمّى، والإسم غير المسمّى لأنّ الإنسان مثلاً في الذهن ليس بإنسان، ولا له جسميّة ولا حياة ولا حسّ ولا حركة ولا نطق ولا شيء من خواص الإنسانيّة، فتدبّر فيه تفهم معنى الحديث ومن الله الإعانة.

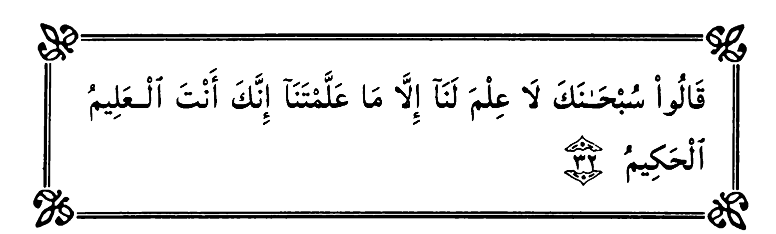
إذا تمهّد هذا فاعلم إنّ لكلّ اسم من الأسماء الإلـهيّة مظهراً من الموجودات باعتبار غلبة ظهور الصفة التي اشتمل عليها ذلك الإسم فيه، وهو اسم الله، باعتبار دلالته على الله من جهة اتصافه بتلك الصفة، وذلك لأنّ الله سبحانه إنّما يخلق ويدبّر كلّ نوع من أنواع الخلائق باسم من أسمائه، وذلك الإسم هو ربّ ذلك النوع، والله سبحانه رب الأرباب، وإلى هذا أُشير في كلام أهل البيت عليهم السلام في أدعيتهم بقولهم وبالإسم الذي خلقت به العرش، وبالإسم الذي خلقت به الكرسي، وبالإسم الذي خلقت به الأرواح[٢]، إلى غير ذلك من هذا النمط.

وعن مولانا الصادق عليه السلام: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا[٣].

وذلك لأنّهم عليهم السلام وسائل معرفة ذاته، ووسائط ظهور صفاته، وأرباب أنواع مخلوقاته، ولا يحصل لأحد العلم بالأسماء كلّها إلّا إذا كان مظهراً لها كلّها، ولا يكون مظهراً لها كلّها إلّا إذا كان في جبلّته استعداد قبول ذلك كلّه، وهو ما ذكرناه فافهم ترشد إن شاء الله تعالى.

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٨٧، ح ١، باب المعبود. ٢ ـ بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ٤٠٥، ح ٣٥.
٣ ـ الكافي: ج ١، ص ١٤٣ ـ ١٤٤، ح ٤، باب النوادر.



﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾: **أقول:** أي عرض أشباح المخلوقات فرداً فرداً في عالم الملكوت المسمّى عند قوم بعالم الروحانيّات المدلول عليها بذكر الأسماء إذ هي مظاهر الأسماء كلّها أو بعضها، ولهذا أورد بضمير ذوي العقول لأنّهم كلّهم ذوو عقل.

وفي الرواية الأخيرة، أي عرض أشباحهم وهم أنوار في الأظلّة، وهو صريح فيما قلناه.

﴿فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: **أقول:** يعني بأسماء الله التي بها خلقت هذه الأشباح فإنّها بتمامها كانت مستورة على الملائكة الأرضيّة إلّا نوعاً واحداً لكلّ صنف منهم، كما إنّها مستورة على سائر المخلوقات، سوى الأنبياء والأولياء.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: بأنّكم أحقّ[1] بالخلافة من آدم وأنّ جميعكم تسبحون وتقدسون وإنّ ترككم هاهنا أصلح من إيراد من بعدكم، أي: فكما لم تعرفوا غيب من في خلالكم ممّن ترون أشخاصها، فبالحري أن لا تعرفوا الغيب الذي لم يكن.

﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ﴾: بكلّ شيء.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: المصيب بكلّ فعل.

أقول: إنّما اعترفوا بالعجز والقصور لما قد بان لهم من فضل آدم، ولاحت لهم الحكمة في خلقه فصغر حالهم عند أنفسهم، وقلّ علمهم لديهم، وانكسرت سفينة جبروتهم، فغرقوا في بحر العجز، وفوّضوا العلم والحكمة إلى الله. وإنّما لم يعرفوا حقائق الأشياء كلّها لإختلافها وتباينها، وكونهم وحدانيّة الصفة إذ ليس في جبلّتهم خلط وتركيب، ولهذا لا

---

١ ـ وفي نسخة: [أحقاء].

قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

يفعل كلّ صنف منهم إلّا فعلاً واحداً، فالراكع منهم راكع أبداً، والساجد منهم ساجد أبداً، والقائم منهم قائم أبداً كما حكي الله عنهم بقوله: «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ»[١]. ولهذا ليس لهم تنافس وتباغض، بل مثالهم مثال الحواس، فإنّ البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات، ولا الشم يزاحمهما، ولا هما يزاحمان الشم، فلا جرم مجبولون على الطاعة، ولا مجال للمعصية في حقّهم «لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»[٢]، «يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ»[٣]. فكلّ صنف منهم مظهر لإسم واحد من الأسماء الإلهيّة لا يتعدّاه ففاقهم آدم بمعرفته الكاملة ومظهريّته الشاملة.

﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾: **أقول**: يعني أخبرهم بالحقائق المكنونة عنهم، والمعارف المستورة عليهم، ليعرفوا جامعيّتك لها، وقدرة الله تعالى على الجمع بين الصفات المتباينة، والأسماء المتناقضة، ومظاهرها بما فيها من التضاد في مخلوق واحد، كما قيل: ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد.

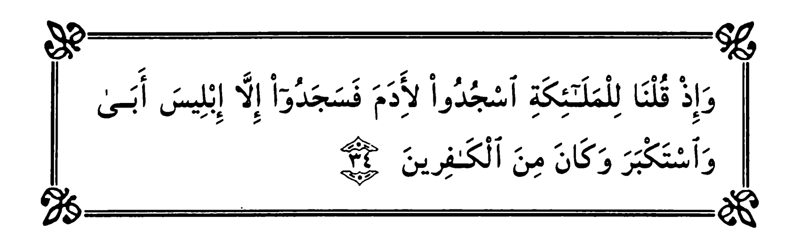
﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾: فعرفوها أخذ عليهم العهود والمواثيق للأنبياء والأولياء بالإيمان بهم، والتفضيل لهم على أنفسهم فعند ذلك.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: سرّهما.

﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: من ردّكم عليّ.

---

١ ـ الصافات: ١٦٤. ٢ ـ التحريم: ٦.
٣ ـ الأنبياء: ٢٠.



﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: من إعتقادكم أنّه لا يأتي أحد يكون أفضل منكم، وعزم إبليس على الإباء على آدم إن أُمر بطاعته، فجعل آدم حجّة عليهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾: وذلك لما كان في صلبه من أنوار نبينا ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، وكانوا قد فضّلوا على الملائكة باحتمالهم الأذى في جنب الله، فكان السجود لهم تعظيماً وإكراماً، ولله سبحانه عبوديّة، ولآدم طاعة.

قال علي بن الحسين عليهما السلام: حدّثني أبي، عن أبيه عليهما السلام، عن رسول الله ﷺ، قال: يا عباد الله، إنّ آدم عليه السلام لمّا رآى النور ساطعاً من صلبه، إذ كان الله قد نقل أشباحنا[1] من ذروة[2] العرش، إلى ظهره رأى النور ولم يتبيّن الأشباح، فقال: يا ربّ ما هذه الأنوار؟ فقال عزّ وجلّ: أنوار، وأشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح. فقال آدم: يا ربّ لو بيّنتها لي؟ فقال الله عزّ وجلّ:

---

١ ـ الأشباح ـ جمع شبح ـ بالتحريك وقد يسكن: وهو الشخص، مثل سبب وأسباب.
وسئل الشيخ الجليل محمّد بن النعمان ما معنى الأشباح؟ فأجاب: الصحيح من حديث الأشباح الرواية التي جاءت عن الثقات بأنّ آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع نورها، فسأل الله تعالى عنها فأوحى الله إليه أنّها أشباح رسول الله، وأمير المؤمنين، والحسن، والحسين، وفاطمة عليهم السلام، وأعلمه لولا الأشباح التي رآها ما خلقه الله ولا خلق سماء ولا أرضاً. ثمّ قال: والوجه فيما أظهره الله من الأشباح والصور لآدم عليه السلام أن دلّه على تعظيمهم وتبجيلهم وجعل ذلك إجلالاً لهم ومقدّمة لما يفرضه من طاعتهم، ودليلاً على أنّ مصالح الدين والدنيا لا تتم إلّا بهم، ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجسّمة، ولا أرواحاً ناطقة، ولكنّها كانت على صورهم في البشريّة تدل على ما يكونون عليه في المستقبل. وقد روي أنّ آدم عليه السلام لمّا تاب إلى الله وناجاه بقبول توبته سأله بحقّهم عليه ومحلّهم عنده فأجابه. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٧٨، مادة «شبح».
٢ ـ الذروة ـ بالكسر والضم من كلّ شيء ـ: أعلاه، مجمع البحرين: ج ١، ص ١٥٨، مادة «ذرء».

أُنظر يا آدم إلى ذروة العرش، فنظر آدم عليه السلام ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصافية فرأى أشباحنا، فقال: ما هذه الأشباح يا ربّ؟ فقال الله: يا آدم هذه أشباح أفضل خلائقي وبرياتي، هذا محمّد صلى الله عليه وآله وأنا الحميد المحمود في فعالي، شققت له إسماً من إسمي، وهذا علي وأنا العليّ العظيم، شققت له إسماً من إسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض، فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم أوليائي عمّا يعرّهم[1] ويشينهم، فشققت لها إسماً من إسمي، وهذا الحسن، وهذا الحسين، وأنا المحسن المجمل، شققت إسميهما من إسمي، هؤلاء خيار خليقتي، وكرام بريّتي بهم آخذ، وبهم أُعطي، وبهم أُعاقب، وبهم أُثيب، فتوسّل بهم إليّ يا آدم، وإذا دهتك داهية فاجعله إليء شفعاء؛ فإنّي آليت على نفسي قسماً حقّاً ألّا أُخيّب بهم آملاً ولا أردّ بهم سائلاً، فلذلك حين زلّت منه الخطيئة دعا الله عزّ وجلّ بهم فتيب عليه وغُفرت له[2].

﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾: في المعاني: عن الرضا عليه السلام كان اسمه الحارث وسمّي إبليس لأنّه أُبْلِسَ من رحمة الله[3].

﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾: أخرج ما كان في قلبه من الحسد.

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: في العيون: عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّه أوّل من كفر وأنشأ الكفر[4].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام مثله[5].

والقمّي: عنه عليه السلام، الإستكبار هو أوّل معصية عصي الله بها، قال عليه السلام، فقال إبليس: ربّ

---

١ ـ عَرَّ يَعُرُّ: الأمر القبيحح المكروه، والأذى. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٠٠، مادة «عرر». وفي نسخة: [يعيّرهم]، وعيّرته به: قبحته عليه ونسبته إليه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤١٨، مادة «عير».

٢ ـ بحار الأنوار: ج ١١، ص ١٥٠ ـ ١٥١، ذيل ح ٢٥. وفيه: «دعا الله عزّ وجلّ بهم فتاب عليه وغفر له».

٣ ـ معاني الأخبار: ص ١٣٨، باب معنى إبليس.

٤ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٤٤، ح ١، باب ٢٤ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشامي وما سأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٣٤، ح ١٧.

وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾

إعفني من السجود لآدم وأنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرّب ولا نبي مرسل، فقال جلّ جلاله: لا حاجة لي في عبادتك إنّما عبادتي من حيث أُريد لا من حيث تريد[١].

﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾: في الكافي[٢]، والعلل[٣]، والقمّي، عن الصادق عليه السلام إنّها كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس، والقمر، ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها أبداً، وزاد القمّي: ولم يدخلها إبليس[٤].

﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً﴾: واسعاً.

﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: بلا تعب.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾: العيّاشي: عن الباقر عليه السلام يعني: لا تأكلا منها[٥].

قيل: وإنّما علّق النهي بالقرب الذي هو من مقدّمات التناول مبالغة في تحريمه، ووجوب الإجتناب عنه، وتنبيهاً على أنّ القرب من الشيء يورث داعية وميلاناً يأخذ بمجامع القلب، ويلهيه عمّا هو مقتضي العقل والشرع[٦].

وفي تفسير الإمام: إنّها شجرة علم محمّد وآل محمّد صلّى الله عليه وآله آثرهم الله تعالى بها دون سائر خلقه فإنّها لمحمّد وآله خاصّة دون غيرهم ولا يتناول منها بأمر الله إلّا هم، ومنها ما كان يتناوله النبي صلّى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بعد إطعامهم المسكين، واليتيم، والأسير، حتّى لم يحسّوا بعد بجوع، ولا عطش ولا تعب، ولا نصب، وهي شجرة

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٤٢.
٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٤٧، ح ٢.
٣ ـ علل الشرائع: ص ٦٠٠، ح ٥٥.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٤٣.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٣٥، ح ٢٠.
٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ص ٤٩، وفيه: «وميلاً يأخذ بمجامع القلب».

تميّزت من بين سائر الأشجار بأنّ كلّا منها إنّما يحمل نوعاً من الثمار، وكانت هذه الشجرة وجنسها تحمل البرّ والعنب والتين والعنّاب، وسائر أنواع الثمار والفواكه والأطعمة.

فلذلك اختلف الحاكون بذكرها، فقال بعضهم: برّة، وقال آخرون: هي عنبة، وقال آخرون: هي تينة، وقال آخرون: هي عنّابة، قال الله تعالى: «وَلَا تَقْرَبا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ» تلتمسان بذلك درجة محمّد ﷺ وآل محمّد في فضلهم فإنّ الله عزّ وجلّ خصّهم بهذه الدرجة دون غيرهم. وهي الشجرة التي من تناول منها بإذن الله اُلهم علم الأوّلين والآخرين من غير تعلّم، ومن تناول بغير إذن الله خاب من مراده وعصى ربّه[١].

أقول: وفي رواية: أنّها شجرة الحسد[٢].

وفي رواية اُخرى: إنّها شجرة الكافور[٣].

وفي العيون: بإسناده إلى عبدالسلام بن صالح الهروي، قال: قلت للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله ﷺ أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحوّاء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروي إنّها الحنطة، ومنهم من يروي إنّها العنب، ومنهم من يروي إنّها شجرة الحسد، فقال: كلّ ذلك حقّ، قلت فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت إنّ شجرة الجنّة تحمل أنواعاً، وكانت شجرة الحنطة، وفيها عنب ليست كشجرة الدنيا، وإنّ آدم لمّا أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاده الملائكة[٤] له وبإدخاله الجنّة، قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل منّي؟ فعلم الله عزّ وجلّ ما وقع في نفسه فناداه إرفع رأسك يا آدم وانظر إلى ساق عرشي فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً: لا إله إلّا الله، محمّدٌ رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، فقال آدم: يا ربّ من هؤلاء؟ فقال عزّ وجلّ: هؤلاء من ذريّتك، وهم خير منك، ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك، ولا

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٢٢. وبحار الأنوار: ج ١١، ص ١٨٧، ح ٤٢.

٣ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٨٥. ٤ ـ وفي نسخة: [ملائكته].

خلقت الجنّة والنّار، ولا السماء ولا الأرض فإيّاك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأُخرجك عن جواري فنظر إليهم بعين الحسد، وتمنّى منزلتهم فتسلّط عليه الشيطان حتّى أكل من الشجرة التي نهى عنها، وتسلّط على حوّاء لنظرها إلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتّى أكلت من الشجرة كما أكل آدم، فأخرجهما الله تعالى عن جنّته وأهبطهما عن جواره إلى الأرض(١).

أقول: كما أنّ لبدن الإنسان غذاء من الحبوب والفواكه كذلك لروحه غذاء من العلوم والمعارف، وكما أنّ لغذاء بدنه أشجاراً تثمر فكذلك لروحه أشجار تثمرها ولكلّ صنف منه ما يليق به من الغذاء، فإنّ من الإنسان من يغلب فيه حكم البدن على حكم الروح، ومنه من هو بالعكس، ولهم في ذلك درجات يتفاضل بها بعضهم على بعض، ولأهل الدرجة العليا كلّ ما لأهل الدرجة السفلى وزيادة، ولكلّ فاكهة في العالم الجسماني مثال في العالم الروحاني مناسب لها كما مرّت الإشارة إليه في المقدّمة الرابعة، ولهذا فسّرت الشجرة تارة بشجرة الفواكه، وأُخرى بشجرة العلوم، وكان شجرة علم محمّد صلى الله عليه وآله إشارة إلى المحبوبيّة الكاملة، المثمرة لجميع الكمالات الإنسانيّة، المقتضية للتوحيد المحمّدي الذي هو الفناء في الله، والبقاء بالله المشار إليه بقوله صلى الله عليه وآله لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبي مرسل(٢) فإنّ فيها من ثمار المعارف كلّها، وشجرة الكافور: إشارة إلى برد اليقين الموجب للطمأنينة الكاملة المستلزمة للخلق العظيم الذي كان لنبيّنا صلى الله عليه وآله ودونه لأهل بيته عليهم السلام وهما متلازمان فلا منافاة بين الروايات ولا بينها وبين ما قاله أهل التأويل إنّها شجرة الهوى والطبيعة لأنّ قربها إنّما يكون بالهوى والشهوة والطبيعة، وهذا معنى ما ورد إنّها شجرة الحسد فإنّ الحسد إنّما ينشأ منها.

﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: بمعصيتكما والتماسكما درجة قد أوثر بها غيركما إذا رمتما بغير حكم الله.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧، ح ٦٧، باب ٢٨ ـ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار المتفرّقة.

٢ ـ بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ٢٤٣، ح ١. ومفاتيح الغيب: ص ٤٠.

فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا﴾: وقرئ «فَأزالهما الشيْطانُ عَنها» بوسوسته، وخديعته، وإيهامه، وعداوته، وغروره بأن بدأ بآدم عليه السلام فقال: «مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ»[1] إن تناولتما منها تعلمان الغيب، وتقدران على ما يقدر عليه من خصّه الله تعالى بالقدرة «أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ»[2] لا تموتان أبداً، «وَقَاسَمَهمَا»: حلف لهما «إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ»[3] وكان إبليس بين لحيي الحيّة أدخلته الجنّة، وكان آدم يظنّ أنّ الحيّة هي التي تخاطبه، ولم يعلم أنّ إبليس قد إختبأ بين لحييها، فردّ آدم على الحيّة أيّتها الحيّة هذا من غرور إبليس، كيف يخوننا ربّنا؟ أم كيف تعظمين الله بالقسم به وأنت تنسبينه إلى الخيانة، وسوء النظر وهو أكرم الأكرمين؟ أم كيف أروم التوْصّل إلى ما منعني منه ربّي وأتعاطاه بغير حكمة؟ فلمّا أيس إبليس من قبول آدم عليه السلام منه عاد ثانية بين لحيي الحيّة فخاطب حوّاء من حيث يوهمها إنّ الحيّة هي التي تخاطبها، وقال: يا حوّاء أرأيت هذه الشجرة التي كان الله عزّ وجلّ حرّمها عليكما فقد أحلّها لكما بعد تحريمها لما عرف من حسن طاعتكما له وتوقيركما إيّاه، وذلك أنّ الملائكة الموكّلين بالشجرة التي معها الحراب يدفعون عنها سائر حيوانات الجنّة لا تدفعك عنها إن رمتها فاعلمي بذلك إنّه قد أحلّ لك وابشري بأنّك إن تناولتها قبل آدم عليه السلام كنت أنت المتسلّطة عليه الآمرة الناهية فوقه، فقالت حوّاء: سوف أُجرّب هذا فرامت الشجرة فأرادت الملائكة أن يدفعوها عنها بحرابها فأوحى الله إليها إنّما تدفعون بحرابكم من لا عقل له يزجره، فأمّا من جعلته متمكناً مميزاً مختاراً

---

١ ـ الأعراف: ٢٠.　٢ ـ الأعراف: ٢٠.
٣ ـ الأعراف: ٢١.

فكلوه إلى عقله الذي جعلته حجّة عليه، فإن أطاع استحقّ ثوابي وإن عصى وخالف أمري استحقّ عقابي وجزائي، فتركوها ولم يتعرّضوا لها بعدما همّوا بمنعها بحرابهم، فظنّت أنّ الله نهاهم عن منعها لأنّه قد أحلّها بعدما حرّمها، فقالت: صدقت الحيّة، وظنّت أنّ المخاطب لها هي الحيّة فتناولت منها ولم تنكر من نفسها شيئاً، فقالت لآدم عليه السلام: ألم تعلم أنّ الشجرة المحرّمة علينا قد أُبيحت لنا؟ تناولت منها ولم يمنعني املاكها، ولم أُنكر شيئاً من حالي، فلذلك اغترّ آدم عليه السلام وغلط فتناول[١].

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: من النعم.

﴿وَقُلْنَا﴾: يا آدم، ويا حوّاء، ويا أيّتها الحيّة، ويا إبليس.

﴿ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: فآدم، وحوّاء وولدهما عدوّ للحيّة وإبليس، وإبليس والحيّة وأولادهما أعداؤهم، وكان هبوط آدم وحوّاء والحيّة من الجنّة فإنّ الحيّة كانت من أحسن دوابّها، وهبوط إبليس من حواليها، فإنّه كان يحرم عليه دخول الجنّة[٢].

أقول: لعلّه إنّما يحرم عليه دخول الجنّة بارزاً بحيث يعرف، وذلك لانّه دخلها مختفياً في فم الحيّة ليدليهما بغرور كما ورد في حديث آخر، وبهذا يرتفع التنافي بين هذا الحديث، وبين الحديث الذي مرّ إنّها لو كانت من جنان الخلد لم يدخلها إبليس، أراد به دخولها وهو في فم الحيّة، فليتدبّر.

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: منزل ومقرّ للمعاش.

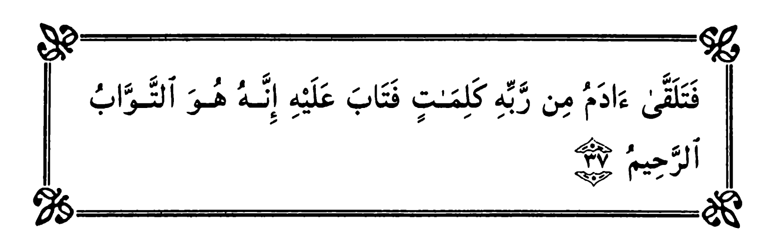
﴿وَمَتَـٰعٌ﴾: منفعة.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: حين الموت يخرج الله منها زروعكم وثماركم،وبها ينزهكم وينعمكم، وفيها بالبلايا يمتحنكم يلذّذكم بنعيم الدنيا تارة لتذكروا به نعيم الآخرة الخالص ممّا ينغّص نعيم الدنيا ويبطله ويزّهد فيه ويصغّره، ويمتحنكم تارة ببلايا الدنيا التي تكون في خلالها الزحمات وفي تضاعيفها النقمات ليحذّركم بذلك عذاب الأبد الذي لا يشوبه عافية.

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤.



وفي رواية القمّي: «إلى حين» يعني: إلى يوم القيامة[١].

أقول: لا منافاة بين الروايتين، لأنّ الموت هو القيامة الصغرى للأكثرين، والكبرى للآخرين، ولذا ورد من مات فقد قامت قيامته[٢].

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾: يقولها، فقالها، وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات.

﴿فَتَابَ﴾: الله.

﴿عَلَيْهِ﴾: بها.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾: الكثير القبول للتوبة.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: بالتائبين.

أقول: التوبة: بمعنى الرجوع والإنابة فإذا نسبت إلى الله تعالى تعدّت بـ«على»، وإذا نسبت إلى العبد تعدّت بـ«إلى»، ولعلّ الأوّل لتضمين معنى الإشفاق والعطف، ومعنى التوبة من العبد: رجوعه إلى الله بالطاعة والإنقياد بعدما عصى وعتا، ومعناها من الله: رجوعه بالعطف على عبده بإلهامه التوبة أولاً ثمّ قبوله إيّاها منه آخراً، فلله توبتان، وللعبد واحدة بينهما، قال الله تعالى: «ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِم لِيَتُوبُوا»[٣]، أي ألهمهم التوبة ليرجعوا، ثمّ إذا رجعوا قبل توبتهم لأنّ الله «هُوَ ٱلتوّاب ٱلرّحيم» ولهذه الآية معنى آخر يأتي في سورة التوبة إن شاء الله تعالى.

وفي الكافي: عن أحدهما عليهما السلام: إنّ الكلمات: لا إله إلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ، اللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٤٣.

٢ ـ بحار الأنوار: ج ٦١، ص ٧، باب ٤٢ ـ حقيقة النفس والروح وأحوالهما. وهكذا في ج ٧٣، ص ٦٧، ح ٣٤، باب ١٢٢ ـ حب الدنيا وذمّها. ومفاتيح الغيب: ص ٦٢٩.

٣ ـ التوبة: ١١٨.

عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِر لِي وَأَنْتَ خَيْرُ الغافِرينَ، لا إله إلّا أَنْتَ سُبحانك اللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي فاغْفِر لي وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحمين، لا إلهَ إلّا أَنْتَ سُبحانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التوّابُ الرَّحيم[١].

وفي رواية: بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيّ وَفاطِمَة وَالحسن والحسين[٢].

وفي أُخرى: بحقّ محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله[٣].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: لمّا زلّت من آدم الخطيئة، واعتذر إلى ربّه عزّ وجلّ، قال: يا ربّ تب عليّ واقبل معذرتي وأعدني إلى مرتبتي، وارفع لديك درجتي فلقد تبيّن نقص الخطيئة وذلّها بأعضائي وسائر بدني.

قال الله تعالى: يا آدم أما تذكر أمري إيّاك بأن تدعوني بمحمّد وآله الطيّبين عند شدائدك ودواهيك وفي النوازل التي تنهضك[٤]، قال آدم: يا ربّ بلى، قال الله عزّ وجلّ: فبهم بمحمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين خصوصاً صلوات الله عليهم فادعني أجبك إلى ملتمسك، وأزدك فوق مرادك، فقال آدم: يا ربّ إلهي وقد بلغ عندك من محلّهم إنّك بالتوسّل بهم تقبل توبتي، وتغفر خطيئتي وأنا الذي أسجدت له ملائكتك وأبحته جنّتك وزوّجته حوّاء أمتك وأخدمته كرام ملائكتك، قال الله تعالى: يا آدم إنّما أمرت الملائكة بتعظيمك بالسجود لك إذ كنت وعاءاً لهذه[٥] الأنوار، ولو كنت سألتني بهم قبل خطيئتك أن أعصمك منها وأن أُفطنّك لدواعي عدوّك إبليس حتّى تحترز منها لكنت قد جعلت ذلك، ولكنّ المعلوم في سابق علمي يجري موافقاً لعلمي فالآن فبهم فادعني لأُجيبك، فعند ذلك قال آدم عليه السلام: اللّهمّ بجاه محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الطيبين من آلهم لما تفضّلت

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥، ح ٤٧٢.

٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٠٥، ذيل ح ٤٧٢. وتفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٢٥.

٣ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٣٩١.

٤ ـ نَهَضَ كمنع نهضاً ونهوضاً: قام. وناهضه: قاومه. القاموس المحيط: ج ٢، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨، مادة «نهض». وفي نسخة: [التي تبهظك]. وبهضني الأمر ـ كمنع وأبهضني ـ: أي فدحني. القاموس المحيط: ج ٢، ص ٣٢٥، مادة «بهض».

٥ ـ وفي نسخة: [وعاء هذه].

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾

بقبول توبتي، وغفران زلّتي، وإعادتي من كراماتك إلى مرتبتي، فقال الله عزّ وجلّ: قد قبلت توبتك وأقبلت برضواني عليك وصرفت آلائي ونعمائي إليك وأعدتك إلى مرتبتك من كراماتي، ووفرت نصيبك من رحماتي فذلك قوله عزّ وجلّ: «فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَـلِمَـٰت فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوّابُ ٱلرَّحِيمُ»[١].

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً﴾: اُمروا أوّلاً بالهبوط، وثانياً بأن لا يتقدّم أحدهم الآخرين.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدىً فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: قيل: «ما» مزيدة لتأكيد الشرط ولذلك حسن النون وإن لم يكن فيه معنى الطلب، والشرط الثاني مع جوابه جواب للشرط الأوّل[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾: ولآلائنا.

﴿أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾: ذكر العيّاشي حديثاً طويلاً في محاجّة آدم ربّه في خطيئته، قال في آخره: بلى يا ربّ الحجّة لك علينا ظلمنا أنفسنا وعصينا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا نكن من الخاسرين[٣].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام أنّ آدم هبط على الصفا، وحوّاء على المروة، فمكث آدم أربعين صباحاً ساجداً يبكي على خطيئته وفراقه للجنّة، قال: فنزل جبرئيل على آدم عليه السلام وقال: يا آدم ألم يخلقك الله بيديه، ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته؟ قال: بلى، قال: وأمرك أن لا تأكل من تلك الشجرة فَلِمَ عصيته؟ فقال: يا جبرئيل إنّ إبليس حلف لي بالله أنّه

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

٢ ـ راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٠.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٣٥، ح ٢١، س ٢٠.

لي ناصح، وما ظننت أنّ أحداً خلقه الله يحلف بالله عزّ وجلّ كاذباً. فقال له جبرئيل عليه السلام: يا آدم تب إلى الله[١].

وعنه عليه السلام قال: سأل موسى ربّه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السلام فجمع فقال له موسى: يا أبَتِ ألم يخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأمرك أن لا تأكل من تلك الشجرة فلم عصيته؟

قال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة؟ قال: بثلاثين ألف سنة، قال: فهو ذلك، قال الصادق عليه السلام: فحجّ آدم موسى عليهما السلام[٢].

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام إنّ الله تعالى قال لهما: «لَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ» وأشار لهما إلى شجرة الحنطة، ولم يقل لهما: ولا تأكلا من هذه الشجرة، ولا ممّا كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة، وإنّما أكلا من غيرها لمّا أن وسوس الشيطان إليهما ثمّ قال: وكان ذلك من آدم قبل النبوّة، ولم يكن ذلك منه بذنب كبير استحقّ به دخول النار، وإنّما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي إليهم، فلمّا اجتباه الله تعالى وجعله نبيّاً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله تعالى: «وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ❊ ثُمَّ اجتَبَـٰهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ»[٣]، وقال: «إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ ءَادَمَ وَنُوحاً» الآية [٤][٥].

وفي رواية: إنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم حجّة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنّة، وكانت المعصية من آدم في الجنّة لا في الأرض ليتمّ مقادير أمر الله عزّ وجلّ فلمّا أُهبط إلى الأرض وجعل حجّة وخليفة عصم بقوله عزّ وجلّ: «إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ ءَادَمَ وَنُوحاً»[٦] الآية[٧].

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٤٣ـ ٤٤.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٤٤.
٣ ـ طـه: ١٢١ ـ ١٢٢.
٤ ـ آل عمران: ٣٣.
٥ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٩٦، ح ١، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.
٦ ـ آل عمران: ٣٣.
٧ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٩٢ ـ ١٩٣، ح ١، باب ١٤ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقالات، وما أجاب به علي بن محمّد بن الجهم في عصمة الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين.

﴿يَـٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾

والقمّي: عن الباقر عليه السلام كان عمر آدم منذ خلقه الله إلى أن قبضه تسعمائة وثـلاثين سنة، ودفن بمكّة، ونفخ فيه يوم الجمعة بعد الزوال، ثمّ برأ زوجته من أسفل أضلاعه وأسكنه جنّته من يومه ذلك، فما استقرّ فيها إلّا ستّ ساعات من يومه ذلك حتّى عصى الله فأخرجهما من الجنّة بعد غروب الشمس وما باتا فيها[(١)].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام إنّ الله تعالى نفخ في آدم روحه بعد زوال الشمس من يوم الجمعة، ثم برأ زوجته من أسفل أضلاعه الحديث كما مرّ، وزاد في آخره وصيّرا بفناء الجنّة حتّى أصبحا و««بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا... وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ»[(٢)] فاستحى آدم من ربّه فخضع وقال: «رَبَّنا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنا»[(٣)] واعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا، قال الله لهما: «اهبطا من سماواتي إلى الأرض فإنّه لا يجاورني في جنّتي عاصٍ ولا في سماواتي»، ثمّ قال عليه السلام: إنّ آدم لمّا أكل من الشجرة ذكر ما نهاه الله عنها فندم فذهب ليتنحّى من الشجرة فأخذت الشجرة برأسه فجرّته إليها وقالت له: أفلا كان فرارك من قبل أن تأكل منّي؟[(٤)].

﴿يَـٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: ولد يعقوب. في العلل: عن الصادق عليه السلام في حديث يعقوب هو إسرائيل، ومعنى إسرائيل: عبدالله، لأنّ اسرا: هو العبد، وايل: هو الله[(٥)].

وفي رواية اُخرى: اسرا: هو القوّة، وايل: هو الله[(٦)(٧)].

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٤٥.
٢ ـ الأعراف: ٢٢.
٣ ـ الأعراف: ٢٣.
٤ ـ تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠ ـ ١١، ح ١١.
٥ ـ علل الشرائع: ص ٤٣.
٦ ـ علل الشرائع: ص ٤٣.
٧ ـ وذكر العيّاشي: ج ١، ص ٤٤، ح ٤٣ و ٤٥، عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عن قول الله: «يا بنى إسـراءِيـل»، فقال: هم نحن خاصّة. وعن النبي صلّى الله عليه وآله: إنّه سمع يقول أنا عبدك اسمي أحمد، وأنا عبدالله اسمي إسرائيل، فما أمره فقد أمرني وما عناه فقد عناني. منه رحمه الله.

وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّـٰيَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾

﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: أن بعثت محمّداً وأقررته في مدينتكم ولم أُجشّمكم الحط والترحال إليه، وأوضحت علاماته، ودلائل صدقه كيلا يشتبه عليكم حاله.

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ﴾: الذي أخذه على أسلافكم أنبياؤهم وأمروهم أن يؤدّوه إلى أخلافهم ليؤمننّ بمحمّد العربي القرشيّ الهاشمي، المبان بالآيات، والمؤيّد بالمعجزات الذي من آياته علي بن أبي طالب عليه السلام شقيقه ورفيقه، عقله من عقله، وعلمه من علمه، وحلمه من حلمه، مؤيّد دينه بسيفه.

﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: الّذي أوجبت به لكم نعيم الأبد في دار الكرامة.

﴿وَإِيَّـٰيَ فَارْهَبُونِ﴾: في مخالفة محمّد صلى الله عليه وآله فإنّي القادر على صرف بلاء من يعاديكم على موافقتي، وهم لا يقدرون على صرف انتقامي عنكم إذا آثرتم مخالفتي.

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عن هذه الآية فقال: أوفوا بولاية علي فرضاً من الله، أوف لكم بالجنّة[1].

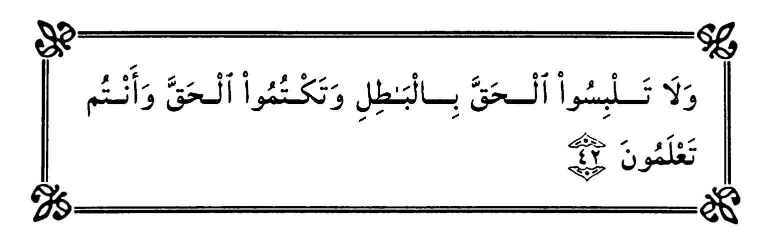
أقول: ويجري في كلّ عهد لله على كلّ أحد.

القمّي: قال رجل للصادق عليه السلام: يقول الله عزّ وجلّ: «ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ»[2] وإنّا ندعو فلا يستجاب لنا، فقال: إنّكم لا تفون لله تعالى بعهده فإنّه تعالى يقول: «أَوفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ» والله لو وفيتم لله سبحانه لوفى لكم[3].

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾: على محمّد من ذكر نبوّته صلى الله عليه وآله وإمامة أخيه، وعترته عليهم السلام.

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٢، ح ٣٠.
٢ ـ غافر: ٦٠.
٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٤٦.



﴿مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ﴾: فإنّ مثل هذا الذكر في كتابكم.

﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾[1]: قيل: تعريض بأنّ الواجب أن تكونوا أوّل من آمن به لأنّهم كانوا أهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشّرين بزمانه[2].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: هؤلاء يهود المدينة جحدوا نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وخانوه، وقالوا: نحن نعلم أنّ محمّداً نبي، وأنّ عليّاً وصيّه، ولكن لست أنت ذلك، ولا هذا ولكن يأتيان بعد وقتنا هذا بخمسمائة سنة[3].

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَناً قَلِيلاً﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية إنّ حييّ بن أخطب، وكعب بن أشرف، وآخرين من اليهود كان لهم مأكلة على اليهود في كلّ سنة فكرهوا بطلانها بأمر النبي صلى الله عليه وآله فحرّفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره فذلك الثمن الذي أُريد به في الآية[4].

﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾: في كتمان أمر محمّد صلى الله عليه وآله وأمر وصيّه عليه السلام.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: ولا تخلطوه به بأن تقرّوا به من وجه، وتجحدوه من وجه.

﴿وَتَكْتُمُوا۟﴾: عطف على النهي أو نصب بإضمار «أن».

﴿ٱلْحَقَّ﴾: من نبوّة هذا وإمامة هذا.

---

١ ـ أوّل أفعل لا فعل له، وقيل: أصله أوءل فأبدلت همزته واواً تخفيفاً بغير قياس، أو أوْلَ من آل يـؤول: أي رجع فقلبت همزته واواً فاُدغمت. منه رحمه الله.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٣.

٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٣٠.

٤ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٩٥.

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾

﴿وَأَنتُم تَعْلَمُونَ﴾: أنّكم تكتمونه، وتكابرون علومكم وعقولكم.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: المكتوبة التي جاء بها محمّد صلى الله عليه وآله، وأقيموا أيضاً الصلاة على محمّد وآله الطاهرين.

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: عن أموالكم إذا وجبت، ومن أبدانكم إذا الزمت، ومن معونتكم إذا التمست.

وفي الكافي: عن الكاظم عليه السلام أنّه سئل عن صدقة الفطرة أهي ممّا قال الله تعالى: «وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ»؟ فقال: نعم[١].

والعيّاشي: عنه عليه السلام مثله[٢].

وعن الصادق عليه السلام: هي الفطرة التي افترض الله على المؤمنين[٣].

وفي رواية: نزلت الزكاة وليست للناس الأموال وإنّما كانت الفطرة[٤].

﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: تواضعوا مع المتواضعين لعظمة الله في الإنقياد لأولياء الله، وقيل: أي في جماعاتهم للصلاة[٥].

أقول: وهذا فرد من أفراد ذاك.

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾: بالصدقات وأداء الأمانات.

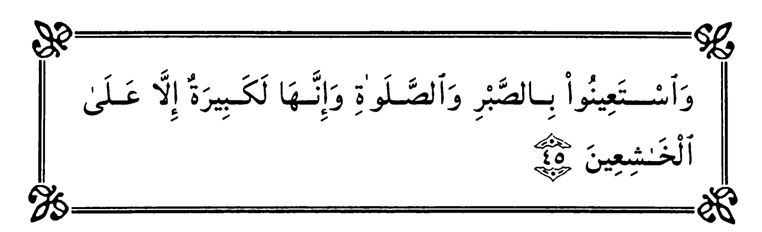
﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾: تتركونها.

---

١ ـ لم نعثر عليه في الكافي، بل ورد في تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٨٩، ح ٢٦٢.

٢ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٢، ح ٣٣. ٣ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٢، ح ٣٢.

٤ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٣، ح ٣٥. ٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٣.



﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التوراة الآمرة لكم بالخيرات الناهية عن المنكرات.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: ما عليكم من العقاب في أمركم بما به لا تأخذون وفي نهيكم عمّا أنتم فيه منهمكون، نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم المردة المنافقين المحتجنين[١] أموال الفقراء المستأكلين للأغنياء الذين كانوا يأمرون بالخير ويتركونه، وينهون عن الشر ويرتكبونه.

القمّي: نزلت في الخطباء[٢] والقصّاص، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: وعلى كلّ منبر منهم خطيب مصقّع[٣] يكذب على الله وعلى رسوله وعلى كتابه[٤].

أقول: وهي جارية في كلّ من وصف عدلاً وخالف إلى غيره.

وفي مصباح الشريعة: عن الصادق عليه السلام قال: من لم ينسلخ من هواجسه، ولم يتخلّص من آفات نفسه، وشهواتها، ولم يهزم الشيطان، ولم يدخل في كنف الله وأمان عصمته لا يصلح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّه إذا لم يكن بهذه الصفة، فكلّ ما أظهر يكون حجّة عليه ولا ينتفع الناس به، قال الله تعالى: «أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ»، ويقال له: يا خائن أتطالب خلقي بما خنت به نفسك، وأرخيت عنه عنانك[٥].

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾: عن الحرام على تأدية الأمانات، وعن الرياسات الباطلة

---

١ ـ الإحتجان: ضم الشيء واحتواؤه. منه رحمه الله.

٢ ـ وفي المجمع: عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مررت ليلة أُسري بي على أُناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء خطباء من أهل الدنيا ممّن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم. منه رحمه الله. راجع مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٩٨.

٣ ـ الصاقع: الكذّاب ـ صه صاقع ـ: تقوله العرب للرجل تسمعه يكذب، أي اسكت يا كذّاب. تاج العروس: ج ٢١، ص ٣٤١، مادة «صقع».

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٤٦.

٥ ـ مصباح الشريعة: ص ١٨.

على الإعتراف بالحقّ، واستحقاق الغفران والرضوان ونعيم الجنان.

أقول: وعن سائر المعاصي، وعلى أصناف الطاعات، وأنواع المصيبات، وعلى قرب الوصول إلى الجنان.

وفي الكافي[١]، والفقيه[٢]، والعياشي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية: إنّ الصبر: الصيام[٣].

وفيهما: وقال عليه السلام: إذا نزلت بالرجل النازلة الشديدة فليصم فإنّ الله تعالى يقول: «ٱسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ»، يعني الصيام[٤].

والعيّاشي: عن الكاظم عليه السلام مثله[٥].

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾: الصلوات الخمس، والصلاة على النبي وآله الطاهرين.

أقول: وكلّ صلاة فريضة أو نافلة لما روي في المجمع[٦]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: مايمنع أحدكم إذا دخل عليه غم من غموم الدنيا أن يتوضّأ، ثمّ يدخل مسجده فيركع ركعتين فيدعو الله فيهما، أما سمعت الله يقول: «وٱسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ»[٧].

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: كان علي عليه السلام إذا هاله شيء فزع إلى الصلاة، ثمّ تلا هذه الآية: «وٱسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ»[٨].

﴿وَإِنَّهَا﴾: القمّي: يعني الصلاة[٩]. وقيل: الإستعانة بهما[١٠].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: إنّ هذه الفعلة من الصلوات الخمس، والصلاة على محمّد وآله مع الإنقياد لأوامرهم، والإيمان بسرّهم وعلانيتهم، وترك معارضتهم بِلِمَ وكيف[١١].

---

١ ـ الكافي: ج ٤، ص ٦٣، ح ٧. ٢ ـ من لايحضره الفقيه: ج ٢، ص ٤٥، ح ٢٠١/٦، باب ٢٢ ـ فضل الصيام.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٣، ح ٤٠.

٤ ـ الكافي: ج ٤، ص ٦٣، ح ٧. ومن لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٤٥، ح ٢٠١/ ٦، باب ٢٢ ـ فضل الصيام. وفيه: «استعينوا بالصبر والصلاة».

٥ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٣، ح ٤١.

٦ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٠٠.

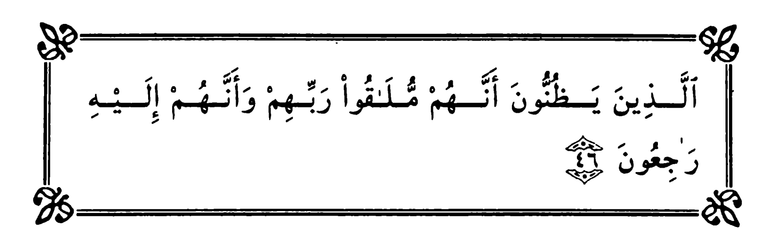
٧ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٣، ح ٣٩.

٨ ـ الكافي: ج ٣، ص ٤٨٠، ح ١.

٩ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٤٦.

١٠ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٤.

١١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٣٨.



﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: عظيمة.

أقول: يعني لثقيلة شاقّة كقوله تعالى: «كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ»[١].

﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾: الخائفين عقاب الله في مخالفته في أعظم فرائضه.

أقول: وذلك لأنّ نفوسهم مرتاضة بأمثالها متوقّعة في مقابلتها ما يستخفّ لأجله مشاقّها، ويستلذّ بسببه متاعبها، كما قال نبيّنا ﷺ: «جعلت قرّة عيني في الصلاة»[٢].

وكان يقول: «روّحنا أو أرحنا يا بلال»[٣].

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا رَبِّهِمْ﴾: في التوحيد[٤]، والإحتجاج[٥]، والعياشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: يوقنون أنّهم يبعثون، والظنّ منهم يقين[٦].

وفيهما[٧]: قال عليه السلام: اللّقاء البعث، والظنّ هنا اليقين[٨].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: يقدرون ويتوقعون أنّهم يلقون ربّهم اللقاء الذي هو أعظم كرامته لعباده[٩].

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: إلى كراماته ونعيم جنّاته، قال: وإنّما قال: يظنّون لأنّهم لا

---

١ ـ الشورى: ١٣. ٢ ـ الكافي: ج ٥، ص ٣٢١، ح ٧ و ٩. وفيه: «جعل». وراجع الكشاف: ج ١، ص ١٣٤.

٣ ـ الكشاف: ج ١، ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

٤ ـ التوحيد: ص ٢٦٧، ح ٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنوية والزنادقة.

٥ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٢، باب احتجاجه على زنديق جاء مستدلاً بآي من القرآن متشابهة. وفيه: «مبعوثون». ٦ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٤، ح ٤٢. وفيه: «مبعوثون».

٧ ـ التوحيد: ص ٢٦٧، ح ٥، باب ٣٦ ـ الرد على الثنوية والزنادقة.

٨ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٢، باب احتجاجه على زنديق جاء مستدلاً بآي من القرآن متشابهة.

٩ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٣٨.

يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّـى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾

يدرون بماذا يختم لهم، لأنّ العاقبة مستورة عنهم لا يعلمون ذلك يقيناً، لأنّهم لا يأمنون أن يغيّروا ويُبدلّوا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة، ولا يتيقّن الوصول إلى رضوان الله حتّى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له، الحديث[١].

ويأتي تمامه في سورة «حـٰم السجدة» إن شاء الله عند تفسير «إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ» الآية[٢].

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: إذ بعثت موسى وهارون إلى أسلافكم بالنبوّة فهدياهم إلى نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وإمامة وصيّه علي عليه السلام وإمامة عترته الطيبين الطاهرين[٣] عليهم السلام وأخذا عليهم بذلك العهود التي إن وفوا بها كانوا ملوكاً في الجنان.

﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: هناك أي فعلته بأسلافكم فضّلتهم في دينهم بقبول ولاية محمّد وآله عليهم السلام، وفي دنياهم بتظليل الغمام، وإنزال المنّ والسلوى، وسقيهم من الحجر ماءاً عذباً، وفلق البحر لهم وإنجائهم، وغرق أعدائهم، فضّلتهم بذلك على عالمي زمانهم الذين خالفوا طريقتهم وحادوا عن سبيلهم.

أقول: وإنّما خاطب الله الأخلاف بما فعل بالأسلاف أو فعلوه هم من الخير والشر لأنّ القرآن نزل بلغة العرب وهم يخاطبون بمثل ذلك، يقول الرجل للتميمي الذي أغار قومه على بلدة وقتلوا من فيها: أغرتم على بلدة كذا وفعلتم كذا وقتلتم أهلها وإن لم يكن هو معهم، مع أنّ الأخلاف راضون بما فعل بالأسلاف وفعلوه. كذا في تفسير الإمام عليه السلام[٤] عن

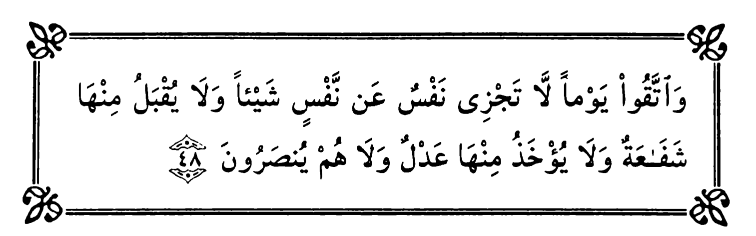
---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

٢ ـ فصلت: ٣٠.

٣ ـ وفي نسخة: [الطيّبين].

٤ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٧٢.



السجاد عليه السلام[١]، وقد مضى تحقيقه في المقدّمة الثالثة.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْماً﴾: وقت النزع.

﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾: لا تدفع عنها عذاباً قد استحقّته.

﴿وَلَا يُقْبَلُ﴾: وقرئ بالتاء.

﴿مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ﴾: بتأخير الموت عنها.

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: أي فداء مكانها تمات وتترك هي.

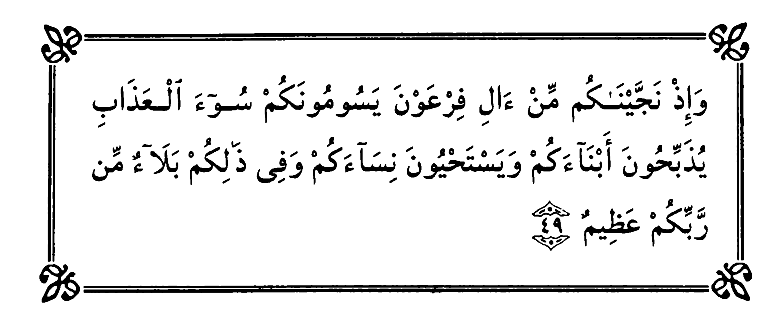
﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: **أقول**: يعني في دفع الموت والعذاب، وفي تفسير الإمام قال الصادق عليه السلام: هذا يوم الموت فإنّ الشفاعة والفداء لا يغني عنه فأمّا في القيامة، فإنّا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كلّ جزاء لنكوننّ على الأعراف بين الجنّة والنار «محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيّبون من آلهم عليهم السلام» فنرى بعض شيعتنا في تلك العرصات فمن كان منهم مقصّراً وفي بعض شدائدها فنبعث عليهم خيار شيعتنا كسلمان، والمقداد، وأبي ذر، وعمّار، ونظرائهم في العصر الذي يليهم، ثم في كلّ عصر إلى يوم القيامة، فينقضّون[٢] عليهم كالبزاة والصقور، ويتناولونهم كما يتناول البزاة والصقور صيدها، فيزفونهم إلى الجنّة زفّاً، وإنّا لنبعث إلى[٣] آخرين من محبّينا خيار شيعتنا كالحمام فيلتقطونهم من العرصات كما يلتقط الطير الحب، وينقلونهم إلى الجنان بحضرتنا، وسيؤتى بالواحد من مقصّري شيعتنا في أعماله بعد أن حاز الولاية والتقيّة وحقوق إخوانه ويوقف

---

١ ـ أورده عند قوله تعالى: «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَواْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ»، البقر: ٦٥. منه رحمه الله.

٢ ـ ينقضّون ـ بتشديد الضاء المعجمة ـ: أي يسقطون ويهوون. منه رحمه الله. وفي لسان العرب: ج ١١، ص٢٠٣، انقضّ الطائر: قيل: هو إذا هوى من طيرانه ليسقط على شيء.

٣ ـ وفي المصدر، وفي نسخة: [على].



بإزائه ما بين مائة وأكثر من ذلك إلى مائة ألف من النصّاب فيقال له: هؤلاء فداؤك من النّار، فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنّة وأولئك النصاب النّار. وذلك ما قال الله عزّ وجلّ: «رُبَما يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ» يعني بالولاية «لَو كَانُوا مُسْلِمين»[١]، في الدنيا منقادين للإمامة ليجعل مخالفوهم من النار فداؤهم[٢].

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم﴾: واذكروا إذ أنجينا أسلافكم.

أقول: هذا تفصيل لما أجمله في قوله: «واذكروا نعمتى».

﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: وهم الذين كانوا يدنون إليه بقرابته بدينه ومذهبه.

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: كانوا يعذّبونكم.

أقول: يعني يكلّفونكم العذاب، من سامة الأمر: كلّفه إيّاه وأكثر ما يستعمل في العذاب والشر.

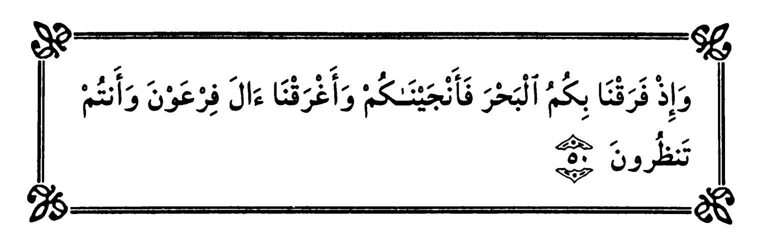
﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: شدّة العذاب وكان من عذابهم الشديد أنّه كان فرعون يكلّفهم عمل البناء والطين ويخاف أن يهربوا عن العمل فأمر بتقييدهم، وكانوا ينقلون ذلك الطين على السلاليم إلى السطوح فربمّا سقط الواحد منهم فمات أو زمن ولا يحفلون[٣] بهم إلى أن أوحى الله إلى موسى عليه السلام، قل لهم: لا يبتدأون عملاً إلّا بالصلاة على محمّد وآله الطيبين فيخفّف عليهم فكانوا يفعلون ذلك فيخفّف عليهم.

﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾: وذلك لما قيل لفرعون: إنّه يولد في بني إسرائيل مولود

---

١ ـ الحجر: ٢. ٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.

٣ ـ الحفل: المبالاة. ما أحْفِلُ بفلان: ما أُبالي به، لسان العرب: ج ٣، ص ٢٤٨، مادة «حفل».


وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾

يكون على يده هلاكك وزوال ملكك، فأمر بذبح أبنائهم[1].

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: يبقونهنّ ويتخذونهنّ إماءاً، ثمّ قال عليه السلام ما ملخصه: إنّه ربما يسلم أبناؤهم من الذبح وينشؤون في محلّ غامض بصلاتهم على محمّد وآله الطيبين، وكذلك نساؤهم يسلمن من الإفتراش بصلاتهنّ عليه وآله.

﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾: وفي ذلك: الإنجاء منهم.

﴿بَلَآءٌ﴾: نعمة.

﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: كبير. قال الله تعالى: «يا بنى إسرائيل اذكروا» إذ كان البلاء يصرف عن أسلافكم، ويخفّ[2] بالصلاة على محمّد وآله الطيبين، أفما تعلمون أنّكم إذا شاهدتموهم فأمنتم بهم كانت النعمة عليكم أعظم وأفضل، وفضل الله لديكم أجزل؟

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾: واذكروا إذ جعلنا ماء البحر فرقاً ينقطع بعضه من بعض.

﴿فَأَنْجَيْنَـٰكُمْ﴾: هناك.

﴿وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: فرعون وقومه.

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: إليهم وهم يغرقون، وذلك أنّ موسى لمّا انتهى إلى البحر أوحى الله إليه قل لبني إسرائيل: جدّدوا توحيدي وأقرّوا بقلوبكم ذكر محمّد سيّد عبيدي وإمائي وأعقدوا[3] على أنفسكم ولاية علي أخي محمّد وآله الطيبين، وقولوا اللّهمّ جوزنا على متن هذا الماء، فإنّ الماء يتحوّل لكم أرضاً. فقال لهم موسى ذلك، فقالوا: تورد علينا ما نكرهه وهل فررنا من فرعون إلّا من خوف الموت؟ وأنت تقتحم بنا هذا الماء الغمر بهذه الكلمات

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٤٣.   ٢ ـ وفي نسخة: [يخفف].

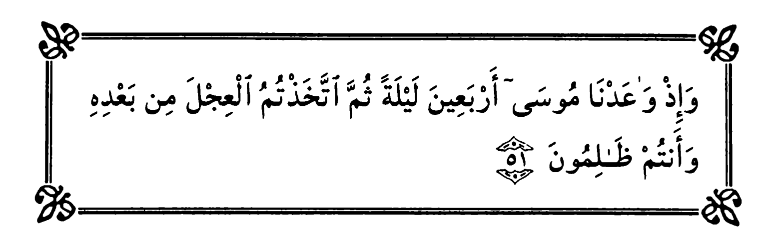
٣ ـ وفي المصدر، وفي نسخة أُخرى: [وأعيدوا].

وما يدرينا ما يحدث من هذه علينا؟ فقال لموسى كالب بن يوحنّا وهو على دابّة له وكـان ذلك الخليج أربعة فراسخ: يا نبي الله، الله أمرك بهذا أن نقوله وندخل؟ قال: نعم، قال: وأنت تأمرني به؟ قال: بلى، فوقف وجدّد على نفسه من توحيد الله ونبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وولاية علي والطيبين من آلهما ما أمره به، ثمّ قال: اللّهمّ بجاههم جوّزني على متن الماء، ثمّ أقحم فرسه فركض على متن الماء وإذا الماء من تحته كأرض ليّنة حتّى بلغ آخر الخليج ثمّ عاد راكضاً، ثمّ قال لبني إسرائيل: يا بني إسرائيل أطيعوا موسى فما هذا الدعاء إلّا مفتاح أبواب الجنان، ومغاليق أبواب النيران، ومستنزل الأرزاق والجالب على عباد الله وإمـائه رضـاء الرحـمن المهيمن الخلّاق، فأبوا وقالوا: نحن لا نسير إلّا عـلى الأرض، فأوحـى الله إلى مـوسى أن اضرب بعصاك البحر، وقل: اللّهمّ صلّ على محمّد وآله الطيبين لمّا فـلقته، فـفعل فـانفلق وظهرت الأرض إلى آخر الخليج، فقال موسى: اُدخلوها، قالوا: الأرض وحلة نـخاف أن نرسب فيها، فقال الله تعالى: يا موسى قل: اللّهمّ بحقّ محمّد وآله الطيبين جـفّفها، فـقالها، فأرسل الله عليها ريح الصبا فجفّت، وقال موسى: اُدخلوها، قالوا: يانبي الله نحن اثنتا عشرة قبيلة بنو اثني عشر أباً، فإن دخلنا رام كلّ فريق منّا تقدّم صاحبه، ولا نأمن وقوع الشر بيننا، فلو كان لكل فريق منّا طريق على حدة لأمنّا ممّا نخافه، فأمر الله موسى أن يضرب البحر بعددهم اثنتي عشرة ضربة في اثني عشر موضعاً إلى جانب ذلك، ويقول: اللّهمّ بجاه محمّد وآله الطيبين بيّن لنا الأرض، وأمط[1] الماء عنّا، فصار فيه تمام اثني عشر طريقاً وجفّ قرار الأرض بريح الصبا، فقال: اُدخلوها، قـالوا: كلّ فريق منّا يدخل سكّة من هـذه السكك، لا يدري ما يحدث على الآخرين، فقال الله عزّ وجلّ: فاضرب كلّ طود من المـاء بـين هـذه السكك، فضرب، وقال: اللّهمّ بجاه محمّد وآله الطيبين لمّا جعلت في هذا الماء طـيقاناً[2] واسعة يرى بعضهم بعضاً، ثمّ دخلوها فلمّا بلغوا آخرها جاء فرعون وقومه فدخل بعضهم فلمّا دخل آخرهم وهمّ بالخروج أوّلهم أمر الله تعالى البحر فانطبق عليهم فغرقوا، وأصحاب

---

١ ـ ماط: أي بعد وذهب. الصحاح: ج ٣، ص ١١٦٢، مادة «ميط».

٢ ـ الطاق: ما عطف من الأبنية، والجمع: الطاقات والطيقان، فارسي معرّب. الصحاح: ج ٤، ص ١٥١٩.



موسى ينظرون إليهم، قال الله عزّ وجلّ لبني إسرائيل في عهد محمّد ﷺ: فإذا كان الله فعل هذا كلّه بأسلافكم لكرامة محمّد ﷺ ودعاء موسى، دعاء تقرّب بهم أفما تعقلون إنّ عليكم الإيمان بمحمّد وآله صلّى الله عليهم إذ قد شاهدتموه الآن؟[1].

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾: وقرئ: وعدنا بغير ألف.

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِن بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: كان موسى بن عمران يقول لبني إسرائيل: إذا فرّج الله عنكم وأهلك أعداءكم أتيتكم بكتاب من ربّكم يشتمل على أوامره، ونواهيه، ومواعظه، وعبره، وأمثاله. فلمّا فرّج الله عنهم أمره الله عزّ وجلّ أن يأتي للميعاد ويصوم ثلاثين يوماً عند أصل الجبل وظنّ موسى أنّه بعد ذلك يعطيه الكتاب، فصام ثلاثين يوماً فلمّا كان في آخر الأيام استاك قبل الفطر فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى أما علمت أنّ خلوف[2] فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، صم عشراً اُخر ولا تستك عند الإفطار، ففعل ذلك موسى فكان وعد الله عزّ وجلّ أن يعطيه الكتاب بعد أربعين ليلة، فأعطاه إيّاه فجاء السامري فشبّه على مستضعفي بني إسرائيل.

وقال: وعدكم موسى أن يرجع إليكم بعد أربعين ليلة، وهذه عشرون ليلة وعشرون يوماً تمّت أربعون، أخطأ موسى ربّه وقد أتاكم ربّكم أراد أن يريكم أنّه قادر على أن يدعوكم إلى نفسه بنفسه وأنّه لم يبعث موسى لحاجة منه إليه فأظهر لهم العجل الذي كان

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧.

٢ ـ وفي نسخة: [خلوق]. والخلوف ـ بضم الخاء على الأصح، وقيل بفتحها ـ: هو رائحة الفم المتغيّر، من قولهم خلف فم الصائم خلوفاً، من باب قعد: أي تغيرت رائحة فمه. مجمع البحرين: ج٥، ص٥٣، مادة «خلف».

عمله فقالوا له: فكيف يكون العجل إلـٰهنا؟ قال لهم: إنّما هذا العجل يكلّمكم منه ربّكم كما كلّم موسى من الشجرة، فالإلـٰه في العجل كما كان في الشجرة، فضلّوا بذلك وأضلّوا، فقال موسى: يا أيّها العجل أكان فيك ربّنا كما يزعم هؤلاء؟ فنطق العجل، وقال: عزّ ربّنا عن أن يكون العجل حاوياً له أو شيء من الشجرة، والأمكنة عليه مشتملاً، لا والله يا موسى، ولكن السامري نصب عجلاً مؤخّره إلى حائط، وحفر في الجانب الآخر في الأرض وأجلس فيه بعض مردته فهو الذي وضع فاه على دبره وتكلّم بما تكلّم لمّا قال: «هـذا إلـٰـهكم وإلـٰـه موسى» يا موسى بن عمران ما خذل هؤلاء بعبادتي واتخاذي إلـٰهاً إلّا لتهاونهم بالصلاة على محمّد وآله الطيبين، وجحودهم لموالاتهم، ونبوّة النبي صلى الله عليه وآله ووصِيّة الوصي، قال الله تعالى: فإذا خذل عبدة العجل بتهاونهم بالصلاة على محمّد وعلي فما تخافون من الخذلان الأكبر في معاندتكم لهما، وقد شاهدتموهما وتبيّنتم آياتهما ودلائلهما[١]؟

والقمّي: إنّ بني إسرائيل لمّا ذهب موسى إلى الميقات ليأتيهم بألواح التوراة، ووعدهم بالرجعة بعد ثلاثين يوماً فعندما انتهت الثلاثون يوماً ولم يرجع موسى إليهم جاءهم إبليس في صورة شيخ، وقال لهم: إنّ موسى قد هرب ولا يرجع إليكم أبداً فاجمعوا إليّ حليّكم حتّى أتخذ لكم إلـٰهاً تعبدونه، وكان السامري يوم أغرق الله فرعون وأصحابه على مقدّمة موسى وهو من خيار من اختصّه موسى، فنظر السّامري إلى جبرئيل عليه السلام وهو على مركوب في صورة رمكة[٢] فكانت كلّما وضعت حافرها على موضع من الأرض تحرّك موضع حافرها، فجعل السامري يأخذ التراب من تحت حافر رمكة جبرئيل عليه السلام فصرّه في صرّة وحفظه وكان يفتخر به على بني إسرائيل، فلمّا اتخذ إبليس لهم العجل قال للسّامري: هات التراب الذي عندك، فأتاه به، فألقاه في جوف العجل، فتحرّك وخار ونبت له الوبر والشعر فسجد بنو إسرائيل للعجل، وكان عدد من سجد له سبعين ألفاً[٣].

---

١ ـ راجع تفسير العسكري عليه السلام: ص ٢٤٨ ـ ٢٥٢.

٢ ـ الرَمَك والرَمَكة ـ بالتحريك فيهما ـ: الأُنثى من البراذين. منه رحمه الله.

٣ ـ تفسير القمي: ج ٢، ص ٦١ ـ ٦٢.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣﴾

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي عفونا عن أوائلكم عبادتهم العجل لعلكم يا أيّها الكائنون في عصر محمّد ﷺ من بني إسرائيل تشكرون تلك النعمة على أسلافكم، وعليكم بعدهم، وإنّما عفا الله عزّ وجلّ عنهم لأنّهم دعوا الله بمحمّد وآله صلّى الله عليهم وجدّدوا على أنفسم الولاية بمحمّد ﷺ وعلي وآلهما الطاهرين فعند ذلك رحمهم وعفا عنهم[1].

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: واذكروا إذ آتينا موسى التوراة المأخوذ عليكم الإيمان به والإنقياد لما يوجبه.

﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾: آتيناه أيضاً فرّق ما بين الحقّ والباطل، وفرّق ما بين المحقّ والمبطل، وذلك أنّه لمّا أكرمهم الله بالكتاب والإيمان به أوحى الله إلى موسى هذا الكتاب قد أقرّوا به، وقد بقي الفرقان، فرق ما بين المؤمنين والكافرين، فجدّد عليهم العهد به، فإنّي آليت على نفسي قسماً حقّاً لا أتقبّل من أحد إيماناً ولا عملاً إلّا به.

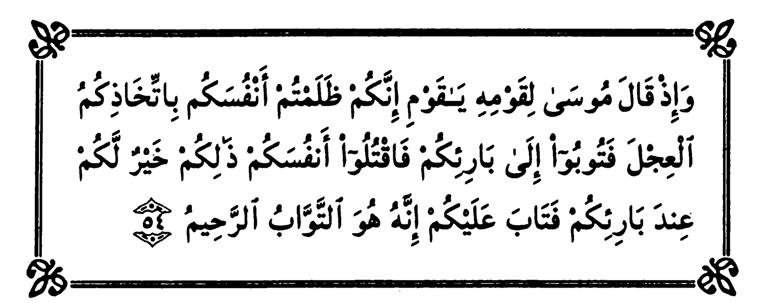
قال موسى: ما هو يا ربّ؟

قال الله: يا موسى تأخذ عليهم أنّ محمّداً ﷺ خير النبيّين، وسيّد المرسلين، وأنّ أخاه ووصيّه عليّاً خير الوصيّين، وأنّ أولياءه الّذين يقيمهم سادة الخلق، وأنّ شيعته المنقادين له ولخلفائه نجوم الفردوس الأعلى وملوك جنّات عدن.

قال: فأخذ عليهم موسى ذلك، فمنهم من اعتقده حقّاً، ومنهم من اعتقده[2] بلسانه دون قلبه.

قال: فالفرقان: النور المبين الذي كان يلوح على جبين من آمن بمحمّد وعلي

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٥٢.
٢ ـ وفي نسخة: [أعطاه].



وعترتهما وشيعتهما، وفقده من جبين من أعطى ذلك بلسانه دون قلبه[١].

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: أي لعلّكم تعلمون أنّ الذي يشرّف العبد عند الله هو اعتقاد الولاية كما تشرّف به أسلافكم.

وقيل: أُريد بالكتاب: التوارة، وبالفرقان: المعجزات الفارقة بين المحقّ والمبطل في الدعوى، وبالإهتداء: الإهتداء بتدبّر الكتاب، والتفكّر في الآيات[٢].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾: واذكروا يابني إسرائيل إذ قال موسى لقومه عبدة العجل.

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾: أضررتم بها.

﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾: الذي برأكم[٣] وصوّركم.

قيل: فأعزموا على التوبة والرجوع إلى من خلقكم[٤].

﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: يقتل بعضكم بعضاً، يقتل من لم يعبد العجل من عبده.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: ذلك القتل.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾: لأنّه كفّارتكم فهو خير من أن تعيشوا في الدنيا ثمّ تكونوا في النار خالدين.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: قبل توبتكم، قبل استيفاء القتل

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٦.

٣ ـ يعني من خلقكم برئياً من التفاوت مميزاً بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة، وأصل تركّب برئ خلوص الشيء من غيره. منه قدس سره.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٦ ـ ٥٧.

لجماعتكم، وقبل اتيانه على كافّتكم وأمهلكم للتوبة واستبقاكم للطاعة، وذلك أنّ موسى عليه السلام لمّا أبطل الله عزّوجلّ على يديه أمر العجل فأنطقه بالخبر عن تمويه السامري، وأمر موسى عليه السلام أن يقتل من لم يعبده مَنْ عَبده، تبرّأ أكثرهم، وقالوا: لم نعبده، ووشى بعضهم ببعض، فقال الله عزّ وجلّ لموسى عليه السلام: أبرد هذا العجل المذهّب بالحديد برداً[١] ثمّ ذره في البحر، فمن شرب ماءه اسودّ شفتاه وأنفه إن كان أبيض اللون، وابيضّا إن كان أسود وبان ذنبه، ففعل فبان العابدون فأمر الله الاثنى عشر ألفاً أن يخرجوا على الباقين شاهرين السيوف ويقتلونهم ونادى مناديه: ألا لعن الله أحداً اتقاهم بيد أو رجل، ولعن الله من تأمّل المقتول لعلّه تبيّنه حميماً أو قريباً فيتعدّاه إلى الأجنبي، فاستسلم المقتولون، فقال القاتلون: نحن أعظم مصيبة منهم، نقتل بأيدينا آباءنا وأبناءنا وإخواننا وقراباتنا، ونحن لم نعبد فقد ساوى بيننا وبينهم في المصيبة فأوحى الله إلى موسى: يا موسى إنّي إنّما امتحنتهم بذلك لأنّهم ما اعتزلوهم لمّا عبدوا العجل، ولم يهجروهم، ولم يعادوهم على ذلك، قل لهم: من دعا الله بمحمّد صلى الله عليه وآله وآله الطيبين يسهّل عليه قتل المستحقّين للقتل بذنوبهم، فقالوها فسهّل عليهم ولم يجدوا لقتلهم ألماً، فلمّا استمر[٢] القتل فيهم وهم ستمائة ألف إلّا اثنى عشر ألفاً وفق الله الذين عبدوا العجل بمثل هذا التوسّل، فتوسّلوا بهم واستغفروا لذنوبهم فأزال الله القتل عنهم[٣].

والقمّي: إنّ موسى لمّا رجع من الميقات وقد عبد قومه العجل، قال لهم بعد الغضب عليهم والعتب لهم: «توبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم»، قالوا: وكيف نقتل أنفسنا؟ قال لهم: ليعمد[٤] كل واحد منكم إلى بيت المقدس ومع سيف أو سكّين فإذا صعدت المنبر تكونوا أنتم متلثّمين لا يعرف أحدكم صاحبه، فاقتلوا بعضكم بعضاً، فاجتمع الذين عبدوا العجل وكانوا سبعين ألفاً، فلمّا صلىّ بهم موسى عليه السلام وصعد المنبر أقبل بعضهم يقتل بعضاً حتى نزل الوحي: قل لهم يا موسى: ارفعوا القتل، فقد تاب الله عليكم، وكان قد قتل منهم عشرة آلاف[٥].

---

١ ـ البرادة السحالة بالمهملتين، وهي فتات الذهب والفضّة، والمبرد بكسر الميم: السوهان. منه رحمه الله. والسوهان: كلمة فارسيّة.

٢ ـ وفي نسخة: [استحرّ]، أي اشتد. منه رحمه الله.

٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

٤ ـ وفي نسخة: [ليعد].

٥ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٤٧.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾: قال أسلافكم.

﴿يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾: عياناً.

﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾: أخذتهم.

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: وهم ينظرون إلى الصاعقة تنزل بهم.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: بسبب الصاعقة. **أقول**: قيّد البعث بالموت لأنّه قد يكون عن إغماء ونوم وفيه دلالة واضحة على جواز الرجعة التي قال بها أصحابنا نقلاً عن أئمّتهم، وقد احتجّ بهذه الآية أمير المؤمنين عليه السلام على ابن الكوّا حين أنكرها كما رواه عنه الأصبغ بن نباتة[١].

والقمّي: وهذا دليل على الرجعة في اُمّة محمّد صلى الله عليه وآله فإنّه قال: لم يكن في بني إسرائيل شيء إلّا وفي اُمّتي مثله، يعني دليل على وقوعها[٢].

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعلّ أسلافكم يشكرون الحياة التي فيها يتوبون ويقلعون وإلى ربّهم ينيبون، لم يدم عليهم ذلك الموت فيكون إلى النّار مصيرهم وهم فيها خالدون.

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام إنّهم السبعون الذين اختارهم موسى وصاروا معه إلى الجبل، فقالوا له: إنّك قد رأيت الله فأرناه كما رأيته، فقال لهم إنّي لم أره، فقالوا له: «لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة»[٣]، ويأتي تمام القصّة إن شاء الله تعالى في سورة الأعراف.

---

١ ـ البرهان في تفسير القرآن: ج ١، ص ١٠٠، ح ٣.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٤٧.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٠٠، ح ١، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

وفي تفسير الإمام عليه السلام: إنّ موسى لمّا أراد أن يأخذ عليهم عهد الفرقان فرّق ما بين المحقّين والمبطلين لمحمّد صلى الله عليه وآله بنبوّته ولعلي والأئمّة عليهم السلام بإمامتهم، قالوا: لن نؤمن لك إنّ هذا أمر ربّك حتّى نرى الله عياناً يخبرنا بذلك، فأخذتهم الصاعقة معاينة، فقال موسى عليه السلام للباقين الذين لم يصعقوا: أتقبلون وتعترفون؟ وإلّا فأنتم بهؤلاء لاحقون، فقالوا: لا ندري ما حلّ بهم فإن كانت إنّما أصابتهم لردّهم عليك في أمر محمّد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام فاسئل الله ربّك بمحمّد وآله الطيبين أن يحييهم لنسألهم لماذا أصابهم ماأصابهم فدعا الله موسى عليه السلام فأحياهم فسألوهم، فقالوا: أصابنا ما أصابنا لإبائنا إعتقاد إمامة علي عليه السلام بعد إعتقاد نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله لقد رأينا بعد موتنا هذا ممالك ربّنا من سماواته وحجبه وعرشه وكرسيّه وجنانه ونيرانه، فما رأينا أنفذ أمراً في جميع الممالك وأعظم سلطاناً من محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وانّا لمّا متنا بهذه الصاعقة ذهبنا إلى النيران فناداهم محمّد وعلي كفّوا عن هؤلاء عذابكم فإنّهم يحيون بمسألة سائل سأل ربّنا عزّ وجلّ بنا وبآلنا الطيبين، قال الله عزّ وجلّ لأهل عصر محمّد صلى الله عليه وآله فإذا كان بالدعاء بمحمّد وآله الطيبين نشر ظلمة أسلافكم المصعوقين بظلمهم فإنّما يجب عليكم أن لا تتعرضوا لمثل ما هلكوا به إلى أن أحياهم الله[1].

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾: لمّا كنتم في التيه يقيكم من حرّ الشمس وبرد القمر.

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ﴾: الترنجبين كان يسقط على شجرهم فيتناولونه.

﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: السماني أطيب طير كان يسترسل بهم فيصطادونه.

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾: قال الله تعالى: «كلوا»، والقمّي: لمّا عبر بهم موسى البحر نزلوا في مفازة، فقالوا: يا موسى أهلكتنا وأخرجتنا من العمران إلى مفازة لا ظلَّ فيها ولا شجر ولا ماء فكانت تجيء بالنهار غمامة تظلّهم من الشمس وتنزل عليهم باللّيل المنّ فيأكلونه، وبالعشي يجيء طائر مشوي فيقع على موائدهم فإذا أكلوا وشبعوا طار عنهم، وكان مع موسى عليه السلام حجر يضعه في وسط العسكر ثم يضربه بعصاه فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً فيذهب الماء إلى كلّ سبط، وكانوا اثنا عشر سبطاً فلمّا طال عليهم ملّوا، وقالوا: يا موسى «لن نصبر على طعام واحد»[١].

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: لمّا بدّلوا وغيّروا ما به اُمروا، ولم يفوا بما عليه عوهدوا، لأنّ كفر الكافر لا يقدح سلطاننا وممالكنا كما أنّ إيمان المؤمن لا يزيد في سلطاننا.

﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: يضرّون بها بكفرهم وتبديلهم.

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ««وَمَا ظَلَمُونَا» قال: إنّ الله أعظم وأعزّ وأجلّ وأمنع من أن يظلم، ولكنّه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته حيث يقول: ««إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ»[٢] يعني الأئمّة منّا[٣].

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾: واذكروا يا بني إسرائيل إذ قلنا لأسلافكم.

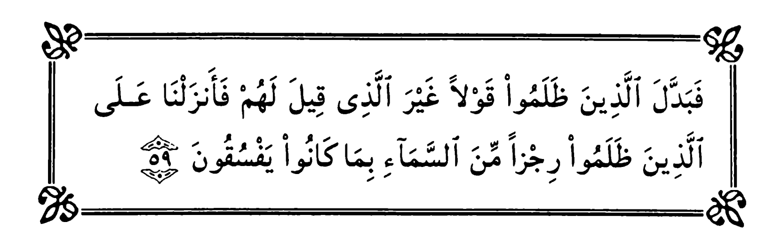
﴿ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: وهي إريحا من بلاد الشام، وذلك حين خرجوا من التيه.

﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً﴾: واسعاً بلا تعب.

---

١ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٤٨. ٢ ـ المائدة: ٥٥.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ١٤٦، ح ١١.



﴿وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ﴾: باب القرية.

﴿سُجَّداً﴾: مثّل الله تعالى على الباب مثال محمّد وعلي وأمرهم أن يسجدوا تعظيماً لذلك، ويجدّدوا على أنفسهم بيعتهما وذكر موالاتهما، ويذكروا العهد والميثاق المأخوذين عليهم لهما.

﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾: وقولوا: سجودنا لله تعظيماً للمثال، وإعتقادنا الولاية حطّة لذنوبنا، ومحو لسيئاتنا.

﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾: السالفة، ونزيل عنكم آثامكم الماضية، وقرئ بضم الياء وفتح الفاء.

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: من لم يقارف منكم الذنب، وثبت على عهد الولاية ثواباً.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾: لم يسجدوا كما أُمروا، ولا قالوا ما أُمروا، بل دخلوها بأستاههم[1]، وقالوا: ما معناه حنطة حمراء نتقوّتها أحبّ إلينا من هذا الفعل وهذا القول[2].

وفي موضع آخر من تفسير الإمام عليه السلام وكان خلافهم أنّهم لمّا بلغوا الباب رأوا باباً مرتفعاً قالوا: ما بالنا نحتاج أن نركع عند الدخول هاهنا ظنّنا أنّه باب متطامن[3] لابدّ من

---

١ ـ الأس: العجز، ويراد به حلقة الدبر، والأصل: سَتَهٌ بالتحريك، ولهذا يجمع على أستاه مثل سبب وأسباب. المصباح المنير: ص ٢٦٦. وسَتَهْ بفتح السين المهملة وفتح التاء الفوقانيّة، أصل الأُست جمعه أستاة. منه رحمه الله.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٦٠.

٣ ـ المتطامن: المنخفض، قال صاحب القاموس: طأطأ رأسه: طامنه وخفضه، القاموس المَحيط: ج١، ص٢١، مادة «طأطأ». وقال أيضاً في ضمن طمأن ظهره: طامنه، القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٤٥، مادة «طمن». منه رحمه الله. وفي لسان العرب: ج ٨، ص ٢٠٤، طامن ظهره: إذا حنى ظهره.

وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنْفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

الركوع فيه وهذا باب مرتفع، وإلى متى يسخر بنا هؤلاء يعنون موسى عليه السلام، ثمّ يوشع بن نون، ويسجدوننا في الأباطيل، وجعلوا أستاهم نحو الباب، وقالوا بدل قولهم حطّة ما معناه: حنطة حمراء، فذلك تبديلهم(١).

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: وبدّلوا ما قيل لهم، ولم ينقادوا لولاية محمّد صلّى الله عليه وآله، وعلي عليه السلام وآلهما، قيل: كرره مبالغة في تقبيح أمرهم، وإشعاراً بأنّ الإنزال عليهم بظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه، أو بظلمهم على أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب هلاكها(٢).

﴿رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: قيل: أي عذاباً مقدّراً من السماء، وهو في الأصل لما يعاف عنه كالرجس(٣).

﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾: يخرجون من أمر الله وطاعته، والرجز الذي أصابهم أنّه مات منهم بالطاعون في بعض يوم مائة وعشرون ألفاً، وهم الذين كان في علم الله أنّهم لا يؤمنون، ولا يتوبون ولم ينزل على من علم أنّه يتوب أو يخرج من صلبه ذريّة طيّبة.

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام قال: نزل جبرئيل بهذه الآية: فبدّل الذين ظلموا آل محمّد صلّى الله عليه وآله حقّهم غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا آل محمّد صلّى الله عليه وآله حقّهم رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون(٤).

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ﴾: واذكروا اذ استسقى.

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٤٥. ٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٨.
٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٨. ٤ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٥، ح ٤٩.

﴿مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾: طلب لهم السقيا لمّا عطشوا في التيه ضجّوا إليه بالبكاء.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾: أي فضربه بها داعياً بمحمّد وآله الطيبين فانفجرت.

وفي المجمع[1]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام نزلت ثلاثة أحجار من الجنّة: مقام إبراهيم، وحجر بني إسرائيل، والحجر الأسود[2].

وفي الكافي[3]، والإكمال: عنه عليه السلام إذا خرج القائم عليه السلام من مكّة ينادي مناديه: ألا لا يحملنّ أحد طعاماً ولا شراباً، وحمل معه حجر موسى بن عمران وهو وقر[4] بعير، ولا ينزل منزلاً إلّا انفجرت منه عيون، فمن كان جائعاً شبع، ومن كان ظمآناً روى، ورويت دوابّهم حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة[5].

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: كلّ قبيلة من بني أب من أولاد يعقوب.

﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾: ولا يزاحم الآخرين في مشربهم.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾: قال الله تعالى: «كلوا واشربوا».

﴿مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾: الذي آتاكموه.

قيل: أي من المنّ، والسلوى، والماء[6].

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: ولا تسعوا فيها وأنتم مفسدون عاصون، قيل: هو من العثو بمعنى الإعتداء، ويقرب منه العيث، غير أنّه يغلب على ما يدرك بالحس[7].

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٠٣.
٢ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٩، ح ٩٤.
٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٣١، ح ٣.
٤ ـ الوقر ـ بالكسر ـ: الحمل. يقال: جاء يحمل وقره، وقد أوقر بعيره. وأكثر ما يستعمل الوقر في حمل البغل والحمار، والوسق في حمل البعير. الصحاح: ج ٢، ص ٨٤٨، مادة «وقر».
٥ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٦٧٠ ـ ٦٧١، ح ١٧.
٦ ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ١، ص ١٤٤.
٧ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٩.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾: واذكروا إذ قال أسلافكم.

﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾: أي: المنّ، والسلوى، ولابدّ لنا من خلط معه.

﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام[١]، والقمّي: الفوم: الحنطة[٢]. وقيل: هو الثوم[٣].

﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾: أتستدعون الأدون؟

﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾: ليكون لكم بدلاً من الأفضل.

﴿ٱهْبِطُوا﴾: من هذه التيه.

﴿مِصْراً﴾: من الأمصار.

﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾: الجزية، والفقر.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٢٢.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٤٨.
٣ ـ راجع الكشاف: ج ١، ص ١٤٥.

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾: احتملوا الغضب، واللّعنة.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: **أقول**: يعني ورجعوا وعليهم الغضب كما يأتي في مثله في هذه السورة، فالمذكور هنا محصّل المعنى.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: بلا جرم منهم، إليهم ولا إلى غيرهم، وقرئ النبيئين بالهمزة حيث وقع في سائر تصاريفها أجمع.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾: يتجاوزون أمر الله إلى أمر إبليس.

قيل: جرّهم العصيان والإعتداء فيه إلى الكفر بالآيات، وقتل النبيّين فإنّ صغار الذنوب يؤدّي إلى كبارها كما إنّ صغار الطاعات تؤدّي إلى كبارها[1].

وفي تفسير الإمام عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله يا عباد الله فاحذروا الإنهماك في المعاصي والتهاون بها، فإنّ المعاصي يستولي بها الخذلان على صاحبها حتّى توقعه فيما هو أعظم منها، فلا يزال يعصي ويتهاون ويخذل ويوقع فيما هو أعظم ممّا جنى حتّى توقعه في ردّ ولاية وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع نبوّة نبي الله، ولا يزال أيضاً بذلك حتّى توقعه في دفع توحيد الله، والإلحاد في دين الله[2].

قيل: المراد بآيات الله: المعجزات والكتب المنزلة وما فيها من نعت نبيّنا صلى الله عليه وآله، وبقتل النبيّين: قتل شعيب، وزكريّا، ويحيى، وغيرهم[3].

وفي الكافي[4]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام إنّه تلا هذه الآية، فقال: والله ما ضربوهم بأيديهم، ولا قتلوهم بأسيافهم، ولكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأُخذوا عليها، فقتلوا فصار قتلاً واعتداءاً ومعصية[5].

---

١ ـ راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٦٠.
٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٦٤.
٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٦٠.
٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٧١، ح ٦.
٥ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٥، ح ٥١.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بالله وبما فرض عليهم الإيمان به.

﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: اليهود.

﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾: الذين زعموا أنّهم في دين الله متناصرون. وفي العيون: عن الرضا عليه السلام إنّهم من قرية اسمها ناصرة من بلاد الشام نزلتها مريم، وعيسى بعد رجوعهما من مصر[1].

﴿وَٱلصَّـٰبِئِينَ﴾: الّذين زعموا أنّهم صَبَوْا إلى دين الله، وهم كاذبون.

أقول: صَبَوْا أي: مالوا إن لم يهمز، وخرجوا: إن قرئ بالهمزة.

والقمّي: إنّهم ليسوا من أهل الكتاب ولكنّهم يعبدون الكواكب والنجوم[2].

﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾: منهم ونزع عن كفره.

﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: في الآخرة حين يخاف الفاسقون.

﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: إذا حزن المخالفون.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٧٩، ح ١٠، باب ٣٢ ـ في ذكر ما جاء عن الرضا عليه السلام من العلل.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٤٨.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾: واذكروا إذ أخذنا.

﴿مِيثَـٰقَكُمْ﴾: عهودكم أن تعلموا بما في التوراة، وما في الفرقان[١] الذي أعطيته موسى مع الكتاب، وتقرّوا بما فيه من نبوّة محمّد ﷺ ووصيّه علي، والطيبين من ذريتهما، وأن تؤدّوه إلى أخلافكم قرناً بعد قرن، فأبيتم قبول ذلك واستكبرتموه.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجبل أمرنا جبرئيل أن يقلع من جبل فلسطين[٢] قطعة على قدر معسكر أسلافكم فرسخاً في فرسخ فقطعها، وجاء بها فرفعها فوق رؤوسهم.

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم﴾: فقال لهم موسى: إمّا أن تأخذوا بما أُمرتم به فيه، وإمّا أن ألقي عليكم هذا الجبل، فأُلجؤوا إلى قبوله كارهين إلّا من عصمه الله من العناد فإنّه قبله طائعاً مختاراً، ثمّ لمّا قبلوه سجدوا وعفّروا وكثير منهم عفّر خدّيه لا لإرادة الخضوع لله ولكن نظراً إلى الجبل هل يقع أم لا.

﴿بِقُوَّةٍ﴾: من قلوبكم ومن أبدانكم . في المحاسن[٣]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: أنّه سئل عن هذه الآية أقوّة في الأبدان أم قوّة في القلوب؟ فقال: فيهما جميعاً[٤].

﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾: من جزيل ثوابنا على قيامكم به وشديد عقابنا على إبائكم له.

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام واذكروا ما في تركه من العقوبة[٥].

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لتتّقوا المخالفة الموجبة للعقاب، فتستحقّوا بذلك الثواب.

١ـ وفي نسخة: [القرآن].

٢ـ فَلسطُون وفِلسطين، قد يفتح فاؤهما: كورة بالشام، وبلدة بالعراق، تقول في حال الرفع: بالواو، وفي النصب والجر: بالياء، أو تلزمها الياء في كلّ حال، والنسبة فَلِسْطيٌ. القاموس المحيط: ج ٢، ص ٣٧٨.

٣ـ المحاسن: ج ١، ص ٤٠٧، ح ٩٢٣/ ٣٢٥، باب ٣٣ـ النيّة.

٤ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٤٥، ح ٥٢.

٥ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٢٨.

ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُم فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قال أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: يعني تولّى أسلافكم.

﴿مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: عن القيام به والوفاء بما عوهدوا عليه.

﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: بإمهالكم للتوبة، وإنظاركم للإنابة.

﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾: المغبونين.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُم فِى ٱلسَّبْتِ﴾: لمّا اصطادوا السموك فيه.

﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾: مبعدين عن كلّ خير.

﴿فَجَعَلْنَـٰهَا﴾: أي المسخة التي أخزيناهم ولعنّاهم بها.

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام فجعلنا الأمة[1].

﴿نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾: عقوبة لما بين يدي المسخة من ذنوبهم الموبقات التي استحقّوا بها العقوبة، وردعاً للّذين شاهدوهم بعد مسخهم، وللّذين يسمعون بها من بعدها لكي يرتدعوا عن مثل أفعالهم.

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: وسيأتي قصّتهم في سورة الأعراف إن شاء الله.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾: واذكروا إذ قال موسى.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٣٠.

﴿لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾: تضربون ببعضها هذا المقتول بين أظهركم ليقوم حيّاً سويّاً بإذن الله عزّ وجلّ، ويخبركم بقاتله وذلك حين أُلقي القتيل بين أظهركم فألزم موسى عليه السلام أهل القبيلة بأمر الله أن يحلف خمسون من أماثلهم بالله القوي الشديد إله بني إسرائيل مفضّل محمّد وآله الطيبين على البرايا أجمعين إنّا ما قتلناه ولا علمنا له قاتلاً فإن حلفوا ذلك غرموا ديّة المقتول، وإن نكلوا نصّوا على القاتل أو أقرّ القاتل فيقاد منه، فإن لم يفعلوا حبسوا في محبس ضنك إلى أن يحلفوا أو يقرّوا أو يشهدوا على القاتل، فقالوا: يا نبي الله أما وَقَت إيماننا أموالنا، ولا أموالنا إيماننا، قال: لا، هذا حكم الله، وكان السبب إنّ إمرأةً حسناء ذات جمال وخلق كامل وفضل بارع، ونسب شريف، وستر ثخين، كثر خطّابها، وكان لها بنو أعمام ثلاثة فرضيت بأفضلهم علماً، وأثخنهم ستراً وأرادت التزويج به فاشتدّ حسد ابني عمّه الآخرين له وغبطاه عليها لإيثارها إيّاه فعمدا إلى ابن عمّها المرضي فأخذاه إلى دعوتهما، ثمّ قتلاه وحملاه إلى محلّة تشتمل على أكثر قبيلة من بني إسرائيل، فألقياه بين أظهرهم ليلاً، فلمّا أصبحوا وجدوا القتيل هناك، فعرف حاله فجاء ابنا عمّه القاتلان له فمزّقا على أنفسهما، وحثيا التراب على رؤسهما، واستعديا عليهم، فأحضرهم موسى عليه السلام وسألهم فأنكروا أن يكونوا قتلوه وعلموا قاتله، فقال: فحكم الله عزّ وجلّ على من فعل هذه الحادثة ما عرفتموه فالتزموه، فقالوا: يا موسى أي نفع في إيماننا إذا لم تدرأ عنّا الغرامة الثقيلة؟ أم أي نفع في غرامتنا إذا لم تدرأ عنّا الإيمان؟ فقال موسى عليه السلام: كلّ النفع في طاعة الله، والإئتمار[1] لأمره، والإنتهاء عمّا نهى عنه، فقالوا: يا نبي الله غرم ثقيل ولا جناية لنا، وإيمان غليظة ولا حقّ في رقابنا، لو أنّ الله عزّ وجلّ عرّفنا قاتله بعينه وكفانا مؤنته فادع لنا ربّك أن يبين لنا هذا القاتل لينزل به ما يستحقّه من العذاب وينكشف أمره لذوي الألباب، فقال موسى عليه السلام: إنّ الله قد بيّن ما أحكم به في هذا، فليس لي أن أقترح عليه غير ما حكم، ولا أعترض عليه فيما أمر، ألا ترون أنّه لمّا حرّم العمل في يوم السبت، وحرم لحم الجمل لم يكن لنا أن نقترح عليه أن نغيّر ما حكم به علينا من ذلك، بل علينا أن

---

١ ـ وفي نسخة: [والإيمان].

نسلّم له حكمه، ونلتزم ما ألزمناه، وهمّ بأن يحكم عليهم بالذي كان يحكم به على غيرهم في مثل حادثتهم، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه يا موسى: أجبهم إلى ما اقترحوا، وسلني أن أبيّن لهم القاتل ليقتل، ويسلم غيره من التهمة والغرامة، فإنّي إنّما أُريدبإجابتهم إلى ما اقترحوا توسعة الرزق على رجل من خيار أُمّتك، دينه الصلاة على محمّد وآله الطيبين والتفضيل لمحمّد صلى الله عليه وآله وعلي بعده على سائر البرايا، وأُغنيه في الدنيا في هذه القضيّة ليكون بعض ثوابه عن تعظيمه لمحمّد صلى الله عليه وآله فقال موسى: يا ربّ بيّن لنا قاتله، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه، قل لبني إسرائيل إنّ الله يبيّن لكم ذلك بأن يأمركم أن تذبحوا بقرة فتضربوا ببعضها المقتول فيحيى، أفتسلمون لربّ العالمين ذلك، وإلّا فكفّوا عن المسألة والتزموا ظاهر حكمي فذلك ما حكى الله عزّ وجلّ «وإذ قال موسى لقومه إنّ الله يأمركم» أي سيأمركم «أن تذبحوا بقرة» إن أردتم الوقوف على القاتل[١].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام إنّ رجلاً من خيار بني إسرائيل وعلمائهم خطب إمرأة منهم فأنعمت له، وخطبها ابن عمّ لذلك الرجل وكان فاسقاً فردّته فحسد ابن عمّه الذي أنعموا له فقعد ردوه[٢] وقتله غيلة ثمّ حمله إلى موسى عليه السلام فقال: يا نبي الله إنّ هذا ابن عمّي قد قتل، فقال: من قتله؟ قال: لا أدري، وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً جدّاً، فعظم قتل ذلك الرجل على موسى عليه السلام، فاجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا: ما ترى يا نبي الله؟ وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة، وكان له ابن بارّ وكان عند ابنه سلعة، فجاء قوم يطلبون سلعته، وكان مفتاح بيته في تلك الحال تحت رأس أبيه، وهو نائم فكره ابنه أن ينبّهه، وينغّص عليه نومه، فانصرف القوم ولم يشتروا سلعته، فلمّا انتبه أبوه قال: يا بني ما صنعت في سلعتك؟ قال: هي قائمة لم أبعها لأنّ المفتاح كان تحت رأسك فكرهت أن أزعجك من رقدتك وأُنغّص عليك نومك، قال له أبوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عمّا فاتك من ربح سلعتك، وشكر الله للإبن ما فعل بأبيه،

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٧٣ ـ ٢٧٥.

٢ ـ هكذا في الأصل، وفي المصدر: «أنعموا له فقعد له فقتله». وفي نسخة: [ابن عمّه الذي أنعمت إليه فرصده وقتله].

قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

فأمر الله جلّ جلاله موسى عليه السلام أن يأمر بني إسرائيل بذبح تلك البقرة بعينها، ليظهر قاتل ذلك الرجل الصالح، فلمّا اجتمع بنو إسرائيل إلى موسى وبكوا وضجّوا، قال لهم موسى: «إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة» فتعجبوا وقالوا: «أتتّخذنا هزواً» نأتيك بقتيل فتقول اذبحوا بقرة[1].

﴿قَالُوٓاْ﴾: يا موسى.

﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾: سخريةً تزعم أنّ الله يأمر بذبح[2] بقرة وتأخذ قطعة من ميّت وتضرب بها ميّتاً فيحيى أحد الميّتين بملاقاة بعض الميّت له فكيف يكون هذا؟ وقرئ بإسكان الزاي وبغير همز.

﴿قال﴾: موسى.

﴿أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾: أنسب إلى الله ما لم يقل لي أعارض أمر الله بقياسي على ما شاهدت دافعاً لقول الله عزّ وجلّ وأمره، ثمّ قال موسى: أوليس ماء الرجل نطفة ميّتة وماء المرأة كذلك ميّتان يلتقيان فيحدث الله من إلتقاء الميّتين بشراً حيّاً سويّاً؟ أوليس بذوركم التي تزرعونها في أرضكم تتفسّخ في أرضكم وتتعفّن، وهي ميّتة، ثمّ يخرج منها هذه السنابل الحسنة البهيجة، وهذه الأشجار الباسقة المونقة فلمّا بهرهم موسى[3].

﴿قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾: ما صفتها لنقف عليها؟ وفي رواية

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٤٩.

٢ ـ في المصدر: «يأمرنا أن نذبح بقرة». وفي نسخة: [يأمر أن نذبح بقرة ونأخذ قطعة من ميّت ونضرب بها].

٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾

القمّي: فعلموا أنّهم قد أخطأوا[١].

﴿قَالَ إِنَّهُۥ﴾: إنّ الله.

﴿يَقُولُ﴾: بعدما سأل ربّه.

﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾: لا كبيرة.

﴿وَلَا بِكْرٌ﴾: ولا صغيرة.

﴿عَوَانٌۢ﴾: وسط.

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: بين الفارض والبكر.

﴿فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾: إذا أُمرتم به.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾: أي لون هذه البقرة التي تريد أن تأمرنا بذبحها.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ﴾: إنّ الله يقول.

﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾: حسنة الصفرة ليس بناقص يضرب إلى البياض، ولا بمشبع يضرب إلى السواد.

﴿تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ﴾: إليها لبهجتها وحسنها وبريقها.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾: ما صفتها يزيد في صفتها.

﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾: وفي الحديث النبوي: لو لم يستثنوا لما بيّنت لهم آخر الأبد[٢].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٤٩.

٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٣٥.

قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾: لم تذلل لاثارة الأرض، ولم تُرَض بها.

﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾: ولا هي ممّا تجرّ به الدلاء للزرع، ولا تدير النواعير، قد أعفيت من ذلك أجمع.

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: من العيوب كلّها.

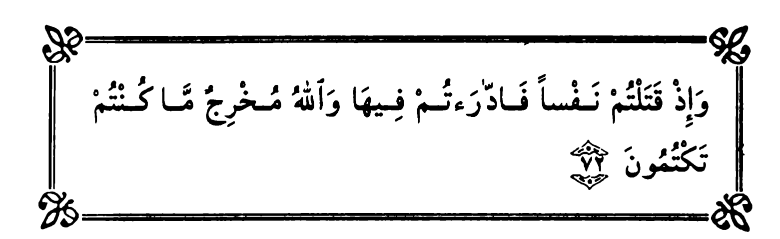
﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾: من غيرها، في العيون[1]، والعيّاشي: عن الرضا عليه السلام لو عمدوا إلى أي بقرة أجزأهم، ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم[2].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: فلمّا سمعوا هذه الصفات، قالوا: يا موسى أفقد أمرنا ربّنا بذبح بقرة هذه صفتها؟ قال: بلى، ولم يقل موسى في الإبتداء: إنّ الله قد أمركم، بل قال: يأمركم، لأنّه لو قال: إنّ الله أمركم لكانوا إذ قالوا أُدع لنا ربّك يبيّن لنا ما هي وما لونها؟ كان لا يحتاج أن يسأله ذلك عزّ وجلّ، ولكن كان يجيبهم هو بأن يقول: أمركم ببقرة فأي شيء وقع عليه اسم البقرة فقد خرجتم من أمره إذا ذبحتموها، فلمّا استقرّ الأمر عليهم طلبوا هذه البقرة فلم يجدوها إلّا عند شاب من بني إسرائيل أراه الله في منامه محمّداً وعليّاً وطيّبي ذريتهما عليهم السلام فقالا له: إنّك كنت لنا محبّاً مفضّلاً، ونحن نريد أن نسوق إليك بعض جزائك في الدنيا، فإذا راموا شراء بقرتك فلا تبعها إلّا بأمر أُمّك فإنّ الله يلقنها ما يغنيك به

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ١٣، ح ٣١، باب ٣٠ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المنثورة. وفيه: «أي بقرة أجزأتهم».

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٤٦، ح ٥٧.



وعقبك، ففرح الغلام، وجاء القوم يطلبون بقرته فقالوا بكم تبيع بقرتك هذه؟ قال: بدينارين والخيار لأُمّي، قالوا: رضينا بدينار، فسألها، فقالت: بأربعة، فأخبرهم، فقالوا: نعطيك دينارين، فأخبر أُمّه، فقالت: ثمانية، فمازالوا يطلبون النصف[1] ممّا تقول أُمّه ويرجع إلى أُمّه، فتضعف الثمن حتّى بلغ ثمنها ملئ مسك ثور أكبر ممّا يكون،ملئ دنانير فأوجبت لهم البيع ثمّ ذبحوها[2].

﴿قَالُواْ ٱلْـٰٔنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾: في رواية القمّي: عرفناها هي بقرة فلان، فذهبوا ليشتروها فقال: لا أبيعها إلّا بملئ جلدها ذهباً، فرجعوا إلى موسى فأخبروه، فقال لهم موسى: لابدّ لكم من ذبحها بعينها، فاشتروها بملئ جلدها ذهباً[3].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: إنّه بلغ خمسمائة آلاف ألف دينار[4].

﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾: فأرادوا أن لا يفعلوا ذلك من عظم ثمن البقرة، ولكن اللّجاج حملهم على ذلك، واتهامهم موسى حداهم عليه.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّرَءتُمْ فِيهَا﴾: اختلفتم وتدارأتم، ألقى بعضكم ذنب القتل على بعض، وأدرأه عن نفسه وذويه.

﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: من خبر القاتل وإرادة تكذيب موسى

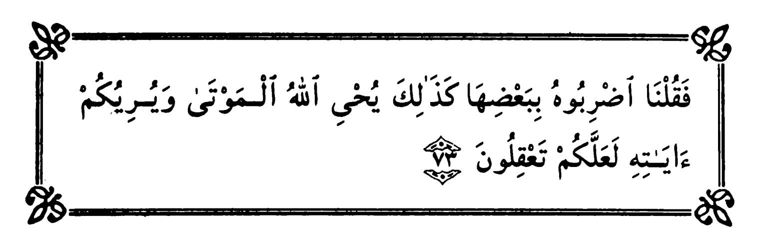
---

١ ـ هكذا في الأصل، وفي المصدر ونسخة أُخرى: [على النصف].

٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٥٠.

٤ ـ هكذا في الأصل. والصحيح: خمسة آلاف ألف دينار. كما ورد في المصدر. تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٧٩.



باقتراحكم عليه ما قدّرتم أنّ ربّه لا يجيبه إليه.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾: اضربوا الميّت ببعض البقرة ليحيى، وقولوا له: من قتلك؟ فأخذوا الذنب وضربوه به.

والعيّاشي: عن الرضا عليه السلام إنّ الله أمرهم بذبح بقرة، وإنّما كانوا يحتاجون بذنبها فشدّدوا فشدّد الله عليهم(١).

وفي تفسير الإمام عليه السلام: أخذوا قطعة وهي عجز(٢) الذنب الذي منه خلق ابن آدم، وعليه يركّب إذا أُعيد خلقاً جديداً، فضربوا بها، وقالوا: اللّهم بجاه محمّدٍ وعليّ والطّيبين من آلهما(٣) لما أحييت هذا الميّت، وأنطقته ليخبر عن قاتله، فقام سالماً سويّاً، وقال:يا نبي الله قتلني هذان ابنا عمّي حسداني على بنت عمّي فقتلاني، وألقياني في محلّة هؤلاء ليأخذا ديّتي، فأخذ موسى الرجلين فقتلهما(٤).

وفي رواية القمّي: ابن عمّي فلان بن فلان الذي جاء به(٥).

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٤٧، ح ٥٨. وفيه: «يحتاجون إلى ذنبها».

٢ ـ عجز الذنب، ويقال: عجب الذنب بالتسكين، وهو العظم الذي في أسفل الصلب عند العجز. وفي الحديث النبوي: «كل ابن آدم يبلى إلّا عجب الذنب»، وكأنّه كناية عمّا يقوم به البدن. منه رحمه الله. راجع الجامع الصغير: ج ٢، ص ٢٧٥، ح ٦٢٧٠، وفيه: «كل ابن آدم يأكله التراب....»، وفي مصابيح السنة: ج ٣، ص ٥٢٢، ح ٤٢٧٦: «وليس من الإنسان شيء لا يبلى إلّا عظماً واحداً وهو عجب الذنب...».

٣ ـ هكذا في الأصل. وفي المصدر ونسخة أُخرى: [بجاه محمّد وآله الطيبين لما].

٤ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٧٨.

٥ ـ هكذا في الأصل، وفي نسخة: [قتلني ابن عمّي فلان بن فلان]. وفي المصدر: «قالوا من قتلك يا فلان؟ فقال: فلان بن فلان ابن عمّي الذي جاء به». تفسير القمّي: ج ١، ص ٥٠.

﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: في الدنيا والآخرة كما أحيى الميّت بملاقاة ميّت آخر له أمّا في الدنيا، فيلاقي ماء الرجل ماء المرأة فيحي الله الذي كان في الأصلاب والأرحام حيّاً، وأمّا في الآخرة: فإنّ الله ينزّل بين نفختي الصور بعد ما ينفخ النفخة الأولى من دوين[1] السماء من البحر المسجور الذي قال الله: «وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ»[2] وهو[3] مني كمني الرجال فيمطر ذلك على الأرض فيلقى[4] الماء المني مع الأموات البالية، فينبتون من الأرض ويحييون.

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: سوى هذه من الدلالات على توحيده، ونبوّة موسى، وفضل محمّد صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام على سائر خلق الله أجمعين.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: وتتفكّرون أنّ الذي يفعل هده العجائب لا يأمر الخلق إلّا بالحكمة، ولا يختار محمّداً وآله عليهم السلام إلّا لأنّهم أفضل أُولي الألباب[5].

وقيل: لكي يكمل عقلكم وتعلموا أنّ من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس كلّها[6].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: إنّ المقتول المنشور توسّل إلى الله سبحانه بمحمّد وآله أن يبقيه في الدنيا متمتعاً بابنة عمّه، ويجزي عنه[7] أعداءه، ويرزقه رزقاً كثيراً طيّباً فوهبه الله له سبعين سنة بعد أن كان قد مضى عليه ستون سنة، قبل قتله صحيحة حواسّه فيها قويّة شهواته، فتمتّع بحلال الدنيا وعاش ولم يفارقها ولم تفارقه، ومات جميعاً معاً، وصارا إلى الجنّة، وكانا زوجين فيها ناعمين[8].

وإنّ أصحاب البقرة ضجّوا إلى موسى، وقالوا إفتقرت القبيلة وانسلخنا بلجاجنا عن قليلنا وكثيرنا، فأرشدهم موسى عليه السلام إلى التوسّل بنبيّنا وآله عليهم السلام، فأوحى الله إليه ليذهب

---

١ ـ دوين: مصغّر دون. وهو نقيض فوق. منه رحمه الله.
٢ ـ الطور: ٦.
٣ ـ في المصدر ونسخة أُخرى: [وهي].
٤ ـ وفي نسخة: [فيلتقي].
٥ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣، وفيه: «أفضل ذوي الألباب».
٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٦٣.
٧ ـ وفي نسخة: [يخزي].
٨ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٨٠.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧٤﴾

رؤساؤهم إلى خربة بني فلان، ويكشفوا عن موضع كذا ويستخرجوا ما هناك، فإنّه عشرة آلاف ألف دينار، ليردّوا على كلّ من دفع في ثمن هذه البقرة ما دفع لتعود أحوالهم على ما كانت، ثمّ ليتقاسموا بعد ذلك ما يفضل، وهو خمسة آلاف ألف دينار على قدر ما دفع كلّ واحد منهم في هذه المحنة، كذا في نسخة من تفسير الإمام عليه السلام ليتضاعف أموالهم جزاءً على توسّلهم بمحمّد وآله عليهم السلام واعتقادهم لتفضيلهم[1].

﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾: غلظت، وجفّت، ويبست من الخير والرحمة.

﴿قُلُوبُكُم﴾: معاشر اليهود.

﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: من بعد ما تبيّنت الآيات الباهرات في زمن موسى عليه السلام، والمعجزات التي شاهدتموها من محمّد صلى الله عليه وآله.

﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾: اليابسة لا يترشّح برطوبة ولا ينتفض[2] منها ما ينتفع به أي أنّكم لا حقّ الله تؤدون، ولا من أموالكم ولا من مواشيها تتصدقون، ولا بالمعروف تتكرّمون وتجودون، ولا الضيف تقرون[3] ولا مكروباً تغيثون، ولا بشيء من الإنسانيّة

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٨١ ـ ٢٨٢.

٢ ـ نفضت الثوب والشجر أنفضه نفضاً، إذا حركته لينتفض. والنفض بالتحريك: ما تساقط من الورق والثمر. الصحاح: ج ٣، ص ١١٠٩، مادة «نفض».

٣ ـ وقريت الضيف قرىً، مثال قليته قلىً، وقراءً: أحسنت إليه. إذا كسرت القاف قصرت، وإذا فتحت مددت. الصحاح: ج ٦، ص ٢٤٦١.

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

تعاشرون وتعاملون.

﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾: أبهم على السامعين أوّلاً، ثمّ بيّن ثانياً إنّ قلوبهم أشد قسوة من الحجارة بقوله:

﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾: فيجيء بالخير والنبات لبني آدم.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾: وهو ما يقطر منه الماء دون الأنهار، وقلوبكم لا يجييء منها الكثير من الخير ولا القليل.

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾: إذا أُقسم عليها باسم الله وبأسماء أوليائه محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهم.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: بل عالم بها يجازيكم بالعدل، وقرئ بالياء.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾: يا محمّد ﷺ أنت وأصحابك.

﴿أَنْ يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾: هؤلاء اليهود، ويصدقوكم بقلوبهم.

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾: طائفة من أسلافهم.

﴿يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾: في أصل جبل طور سيناء، وأوامره ونواهيه.

﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾: عمّا سمعوه إذا أدّوه إلى من ورائهم من سائر بني إسرائيل.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فهموه بعقولهم.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنّهم في تقوّلهم كاذبون، قيل: معنى الآية إنّ أحبار هؤلاء ومقدّميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهّالهم؟[١].

---

١ ـ راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٦٤.

وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: كسلمان، وأبي ذرّ، ومقداد.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: كإيمانكم، وأخبروهم بما بيّن الله لهم من الدلالات على نعت محمّد ﷺ.

﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا﴾: أي كبراؤهم أيّ شيء صنعتم؟

﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: من الدلالات الواضحة على صدقه.

﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾: بأنّكم قد علمتم هذا وشاهدتموه فلِمَ لم تُؤمنوا به ولم تطيعوه؟ وقد رأوا بجهلهم أنّهم إن لم يخبروهم بتلك الآيات لم تكن لهم عليه حجّة في غيرها.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: إنّ هذا الّذي تخبرونهم به حجّة عليكم عند ربّكم.

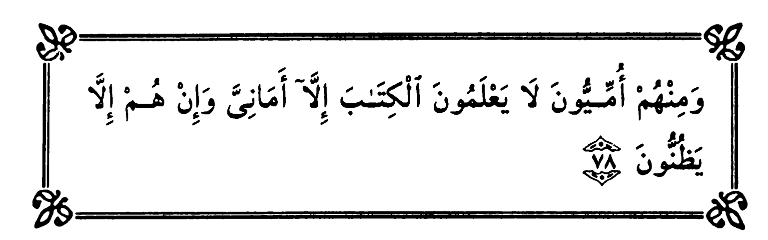
﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾: هؤلاء القائلون لإخوانهم أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾: من عداوة محمّد ﷺ وإنّ إظهارهم الإيمان به أمكن لهم من اصطلامه وإبادة أصحابه.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: من الإيمان به ظاهراً ليونسوهم ويقفوا به على أسرارهم، ويذيعوها بحضرة من نَصَرهم(١).

---

١ ـ هكذا في الأصل، وفي المصدر ونسخة أُخرى: [يضرّهم].



﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾: لا يقرأون الكتاب، ولا يكتبون، والأُمّي: منسوب إلى الأُمّ أي هو كما خرج من بطن اُمّه لا يقرأ ولا يكتب.

﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: المنزل من السماء، ولا المكذّب به لا يميّزون بينهما.

﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: إلّا أن يقرأ عليهم ويقال لهم: هذا كتاب الله وكلامه لا يعرفون إنّ ما قرئ من الكتاب خلاف ما فيه.

أقول: هو استثناء منقطع، يعني إلّا ما يقدرونه في أنفسهم من منى أخذوها تقليداً من المحرّفين للتوراة واعتقدوها ولم يعرفوا إنّه خلاف ما في التوراة.

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: ما يقلّدونه من رؤسائهم مع أنّه محرّم عليهم تقليدهم، قال عليه السلام: قال رجل للصادق عليه السلام: فإذا كان هؤلاء العوامّ من اليهود لا يعرفون الكتاب إلّا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره فكيف ذمّهم بتقليدهم؟ والقبول من علمائهم وهل عوامّ اليهود إلّا كعوامّنا يقلّدون علماءهم؟ فإن لم يجز لأُولئك القبول من علمائهم لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم، فقال عليه السلام: بين عوامّنا وعلمائنا وبين عوامّ اليهود وعلمائهم فرق من جهة، وتسوية من جهة، أمّا من حيث استووا فإنّ الله قد ذمّ عوامّنا بتقليدهم علماءهم كما قد ذمّ عوامّهم، وأمّا من حيث افترقوا فلا، قال: بيّن لي ذلك يابن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ عوامّ اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح[1]، وبأكل الحرام والرشا وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات[2]، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم، وأنّهم إذا تعصّبوا أزالوا حقوق من تعصّبوا عليه، وأعطوا ما

---

١ ـ هكذا في الأصل والمصدر. وفي نسخة أُخرى: [الصريح].

٢ ـ المصانعة: الرشوة، والمداهنة، والمداراة. منه رحمه الله.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾

لا يستحقّه من تعصّبوا له من أموال غيرهم وظلموهم من أجلهم، وعرفوهم يقارفون المحرّمات واضطرّوا بمعارف قلوبهم إلى أنّ من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز أن يصدّق على الله، ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله. فلذلك ذمّهم لمّا قلّدوا من قد عرفوا، ومن قد علموا أنّه لا يجوز قبول خبره، ولا تصديقه في حكايته، ولا العمل بما يؤدّيه إليهم عمّن لم يشاهدوه، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله ﷺ إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى، وأشهر من أن لا تظهر لهم، وكذلك عوامّ اُمّتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر، والعصبيّة الشديدة، والتكالب[1] على حطام الدنيا وحرامها، وإهلاك من يتعصّبون عليه، وإن كان لإصلاح أمره مستحقّاً وبالترفّق بالبرّ والإحسان على من تعصّبوا له، وإن كان للإذلال والإهانة مستحقاً فمن قلّد من عوامّنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمّهم الله بالتقليد لفسقة فقهائهم، فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه، وذلك لا يكون إلّا في بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم، فإنّ من يركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامّة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً ولا كرامة لهم[2].

﴿فَوَيْلٌ﴾: شدّة من العذاب في أسوء بقاع جهنّم.

﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾: يحرّفون من أحكام التوراة.

﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ﴾: وذلك أنّهم كتبوا صفة زعموا أنّه صفة

---

١ ـ هم يتكالبون على كذا، أي: يتواثبون. منه ﵀.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري ﵇: ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ ٱللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ ٱللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٠﴾

النبي صلى الله عليه وآله وهو خلاف صفته، وقالوا للمستضعفين: هذه صفة النبي المبعوث في آخر الزمان إنّه طويل عظيم البدن والبطن أصهب[1] الشعر، ومحمّد صلى الله عليه وآله بخلافه، وإنّه يجيء بعد هذا الزمان بخمسمائة سنة[2].

﴿لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾: لتبقى لهم على ضعفائهم رياستهم، وتدوم[3] لهم منهم إصاباتهم، ويكفّوا أنفسهم مؤونة خدمة رسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: يعني المحرّف.

﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ﴾: شدّة من العذاب ثانية مضافة إلى الأُولى.

﴿مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾: من الأموال التي يأخذونها إذا ثبتوا عوامّهم على الكفر.

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾: لمّا قال لهم ذووا أرحامهم: لم تفعلون هذا النفاق الذي تعلمون أنّكم به عند الله مسخوط عليكم معذّبون؟ أجابهم هؤلاء اليهود: بأنّ مدّة العذاب الذي نعذّب به لهذه الذنوب أيّام معدودة وهي التي عبدنا فيها العجل وهي تنقضي ثمّ نصير بعده في النعمة في الجنان ولا نستعمل[4] المكروه في الدنيا للعذاب الذي هو بقدر أيّام ذنوبنا فإنّها تفني وتنقضي ونكون قد حصلنا لذّات الحريّة من الخدمة

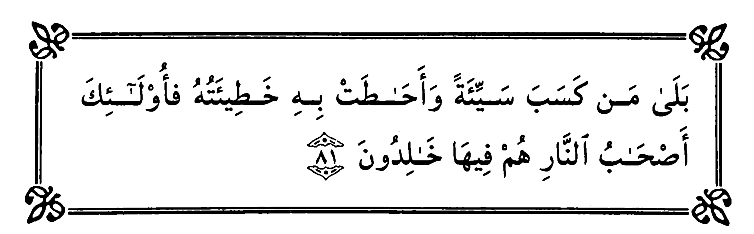
---

١ ـ الصهبة: الشقرة في شعر الرأس. الصحاح: ج ١، ص ١٦٦. والشقرة: لون الأشقر، وهي في الإنسان حُمْرَةٌ صافية وبَشَرَتُهُ مائلة إلى البياض. الصحاح: ج ٢، ص ٧٠١.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٠٢.

٣ ـ أي تدوم للرؤساء «منهم» أي من ناحية الضعفاء إصابتهم. أي مقاصدهم وحوائجهم وأمانيهم، والمراد بالضعفاء: الضعفاء في الرأي. منه قدس سره.

٤ ـ وفي نسخة: [ولا نستعجل].



ولذّات نعمة الدنيا، ثمّ لا نبالي بما يصيبنا بعد فإنّه إذا لم يكن دائماً فكأنّه قد فنى.

﴿قُلْ﴾: يا محمّد.

﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾: إنّ عذابكم على كفركم منقطع غير دائم.

﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾: يعني: إن اتّخذتم عهداً فلن يخلف الله عهده.

﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: إتّخذتم عهداً؟ أم تقولون؟ بل أنتم في أيّهما إدّعيتم كاذبون، إذ ما هو إلّا عذاب دائم لا نفاد له[١].

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾: وقرئ خطيئاته بالجمع، قيل: أي استولت عليه وشملت جملة أحواله حتّى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه[٢].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: السيئة المحيطة به: أن تخرجه عن جملة دين الله، وتنزعه عن ولاية الله، ولا تؤمنه من سخط الله، وهي الشرك بالله والكفر به، وبنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله، وولاية علي عليه السلام وخلفائه عليهم السلام، كلّ واحدة من هذه سيئة تحيط به، أي تحيط بأعماله فتبطلها وتمحقها[٣].

قيل: وتحقيق ذلك إنّ من أذنب ذنباً ولم يقلع عنه استجرّه إلى معاودة مثله، والإنهماك فيه، وارتكاب ما هو أكبر منه حتّى يستولى عليه الذنب، ويأخذه بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلاً إلى المعاصي مستحسناً إيّاها، معتقداً أن لالذّة سواها، مبغضاً لمن يمنعه عنها، مكذّباً لمن

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٦٦.

٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

ينصحه فيها، كما قال الله تعالى: «ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ»[1][2].

﴿فأُوْلَٰٓئِكَ﴾: أي عاملوا[3] هذه السيئة المحيطة.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: لأنّ نيّاتهم في الدنيا أن لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، فبالنيّات خلّدوا، كذا في الكافي عن الصادق عليه السلام[4].

وفي التوحيد: عن الكاظم عليه السلام لا يخلّد الله في النّار إلّا أهل الكفر، والجحود، وأهل الضلال، والشرك[5].

وفي الكافي: عن أحدهما عليهما السلام قال: إذا جحدوا إمامة أمير المؤمنين عليه السلام فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون[6].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا﴾: واذكروا إذ أخذنا.

---

١ ـ الروم: ١٠.
٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٦٦.
٣ ـ هكذا في الأصل، والأصح «عاملو» اسم مضاف إلى ما بعده ـ هذه السيئة المحيطة ـ وليس بفعل.
٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٨٥، ح ٥، باب النيّة.
٥ ـ التوحيد: ص ٤٠٧، ح ٦.
٦ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢٩، ح ٨٢.

﴿مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: عهدهم المؤكّدِ عليهم.

أقول: وهو جار في أخلافهم لمّا أدّى إليهم أسلافهم قرناً بعد قرن، وجار في هـذه الأُمّة أيضاً كما يأتي بيانه في ذي القربى.

﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾: وقرئ بالياء.

﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾: لا تشبّهوه بخلقه ولا تجوزوه[١] في حكمه، ولا تعملوا ما يراد به وجهه تريدون به وجه غيره.

قال: قال رسول الله ﷺ: «من شغلته عبادة الله عن مسألته أعطاه الله أفضل ما يعطي السائلين»[٢].

وقال الصادق عليه السلام: ما أنعم الله على عبد أجلّ من أن لا يكون في قلبه مع الله غيره[٣].

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: وإن تحسنوا بهما إحساناً مكافأةً على إنعامهما عـليهم، وإحسانهما إليهم، واحتمال المكروه الغليظ فيهم لترفيههم.

وفي الكافي: سئل الصادق عليه السلام ما هذا الإحسان؟ قال: أن تحسن صحبتهما، وأن لا تكلّفهما أن يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه وإن كانا مستغنين أليس[٤] الله يقول: «لَنْ تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُواْ مِمّا تُحِبُّونَ»[٥][٦].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: أفضل والديكـم، وأحـقّهما بشكـركم محمّد ﷺ وعلي عليه السلام[٧].

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وعلي أبوا هذه الأُمّة،

---

١ ـ وفي نسخة: [تجوروه]. ٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٢٧.

٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٢٨.

٤ ـ لعله وجه الإستشهاد بالآية: إنّ ممّا يحب الإنسان لنفسه الرفاهيّة والدعة، وفراغ البال ممّا يهمه، ورعاية حال الوالدين بحيث لا يسألانه شيئاً ممّا يحتاجان إليه، وإن كانا مستغنين لا يقتضي تفقد حالهما في كل حال، والإهتمام بشأنهما في جميع الأحوال فهذا انفاق مما يجب. منه رحمه الله.

٥ ـ آل عمران: ٩٢. ٦ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٥٧، ح ١، باب البرّ بالوالدين.

٧ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٣٠.

ولحقّنا عليهم أعظم من حق أبوي ولادتهم، فإنّا ننقذهم إن أطاعونا من النار إلى دار القرار، ونلحقهم من العبوديّة بخيار الأحرار[١].

أقول: ولهذه الأبوّة صار المؤمنون إخوة كما قال الله عزّ وجلّ: «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»[٢].

﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: وأن تحسنوا بقراباتهما لكرامتهما، وقال: أيضاً هم قراباتك من أبيك وأُمّك، قيل: لك أعرف حقّهم كما أخذ العهد به على بني إسرائيل، وأخذ عليكم، معاشر أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله بمعرفة حقّ قرابات محمّد الّذين هم الأئمّة بعده، ومن يليهم بعد من خيار أهل دينهم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله من رعى حقّ قرابات أبويه أُعطي في الجنّة ألف ألف درجة، ثمّ فسّر الدرجات، ثمّ قال: ومن رعى حقّ قربى محمّد وعلي أُوتي من فضائل الدرجات وزيادة المثوبات على قدر زيادة فضل محمّد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام على أبوي نسبه[٣].

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾: الّذين فقدوا آباءهم الكافين لهم أُمورهم السائقين إليهم قوتهم وغذائهم المصلحين لهم معاشهم، قال عليه السلام: وأشدّ من يتم هذا اليتيم من يتم عن إمامه لا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلي به من شرائع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا، وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلّمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى حدّثني بذلك أبي، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله[٤].

﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾: هو سكن من الضرّ، والفقر: حركته، قال: ألا فمن واساهم بحواشي ماله وسّع الله عليه جنانه وأناله غفرانه ورضوانه، ثمّ قال عليه السلام: إنّ من محبّي محمّد مساكين مواساتهم أفضل من مواساة مباكين الفقر، وهم الّذين سكنت جوارحهم، وضعفت قواهم عن مقابلة[٥] أعداء الله الّذين يعيّرونهم بدينهم، ويسفّهون أحلامهم ألا فمن قوّاهم بفقهه وعلمه حتّى أزال مسكنتهم، ثمّ سلّطهم على الأعداء الظاهرين من النواصب، وعلى

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٣٠.
٢ ـ الحجرات: ١٠.
٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤.
٤ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٣٩.
٥ ـ وفي المصدر ونسخة أُخرى: [مقاتلة].

الأعداء الباطنين إبليس ومردته حتّى يهزموهم عن دين الله، ويذودوهم عن أولياء آل رسول الله حوّل الله تعالى تلك المسكنة إلى شياطينهم، وأعجزهم عن إضلالهم، قضى الله بذلك قضاءاً حقّاً على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ﴾: الّذين لا مؤونة لهم عليكم.

﴿حُسْناً﴾: وقرئ بفتحتين، عاملوهم بخلق جميل، قال: قال الصادق عليه السلام: «قولوا للناس حسناً» كلّهم مؤمنهم ومخالفهم، أمّا المؤمنون فيبسط لهم وجهه، وبشره، وأمّا المخالفون فيكلّمهم بالمداراة لاجتذابهم إلى الإيمان، فإن ييأس من ذلك، يكف شرورهم عن نفسه وإخوانه المؤمنين[٢].

ثمّ قال عليه السلام: إنّ مداراة أعداء الله من أفضل صدقة المرء على نفسه وإخوانه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في منزله إذ استأذن عليه عبدالله بن أبي بن سلول، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بئس أخو العشيرة ائذنوا له، فلمّا دخل أجلسه وبشّر في وجهه فلمّا خرج قالت له عائشة: يا رسول الله صلى الله عليه وآله قلت فيه ما قلت، وفعلت فيه من البِشر ما فعلت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عويش يا حميراء إنّ شرّ النّاس عند الله يوم القيامة من يكرم اتّقاء شرّه[٣].

وفي الكافي[٤]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية: «قولوا للناس حسناً» أحسن ما تحبّون أن يقال لكم، فإنّ الله يبغض اللعّان السبّاب الطعّان على المؤمنين المتفحّش السائل الملحف[٥]، ويحبّ الحيي الحليم الضعيف المتعفف[٦].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: لا تقولوا إلّا خيراً حتّى تعلموا ما هو[٧].

وفيه[٨]، وفي التهذيب[٩]، والخصال عنه[١٠]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: أنّها نزلت

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٤٦.
٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤.
٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٥٤.
٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٦٥، ح ١٠.
٥ ـ الحَفَ في المسألة يلحف إلحافاً: إذا ألح فيها ولزمها. منه قدس سره.
٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٤٨، ح ٦٣.
٧ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٦٤، ح ٩.
٨ ـ الكافي: ج ٥، ص ١٠، ح ٢.
٩ ـ تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٣٦، ح ٢٣٠.
١٠ ـ الخصال: ص ٢٧٥، ح ١٨، باب بعث الله النبي صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾

في أهل الذمّة ثمّ نسخها قوله تعالى: «قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِـالْيَوْمِ ٱلْأَخِـرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ وَرَسُوله وَلَا يدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَة عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُون»[1][2].

والقمّي: نزلت في اليهود ثـمّ نسـخت بـقوله تـعالى: «فـاقْتُلوا ٱلْـمُشْرِكينَ حَـيْثُ وَجَدتُمُوهم»[3][4].

أقول: إن قيل: فما وجه التوفيق بين نسخها، وبقاء حكمها؟ قلنا: إنّما نسخت في حقّ اليهود وأهل الذمّة المأمور بقتالهم وبقي حكمها في سائر الناس.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: بإتمام ركوعها، وسجودها وحفظ مواقيتها وأداء حقوقها التي إذا لم تؤد لم يتقبّلها ربّ الخلائق، أتدرون ما تلك الحقوق؟ هو اتّباعها بالصلاة على محمّد وعلي وآلهما منطوياً على الإعتقاد بأنّهم أفضل خيرة الله، والقوّام بحقوق الله، والنصّار لدين الله.

قال عليه السلام: وأقيموا الصلاة على محمّد وآله عند أحوال غضبكم، ورضاكم، وشدّتكم، ورخاكم، وهمومكم المعلّقة بقلوبكم[5].

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: من المال، والجاه، وقوّة البدن.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أيّها اليهود عن الوفاء بالعهد الذي أدّاه إليكم أسلافكم.

﴿إِلَّا قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾: عن ذلك العهد تاركين له غافلين عنه.

---

١ ـ التوبة: ٢٩.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٤٨، ح ٦٦.
٣ ـ التوبة: ٥.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٥٠.
٥ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٢٧.

ثُمَّ أَنْتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَـٰرِهِمْ تَـظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ﴾: واذكروا يا بني إسرائيل حين أخذنا ميثاقكم على أسلافكم، وعلى كلّ من يصل إليه الخبر بذلك من أخلافكم الّذين أنتم فيهم.

﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَـآءَكُمْ﴾: لا يسفك بعضكم دماء بعض.

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾: لا يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم.

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾: بذلك الميثاق كما أقرّ به أسلافكم، والتزمتموه كما التزموه.

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: بذلك على أسلافكم وأنفسكم.

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾: معاشر اليهود.

﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: قيل: هو خبر أنتم على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك: أنت ذلك الرجل الذي فعل كذا، استبعاداً لما ارتكسوه[1] بعد الميثاق، والإقرار به، والشهادة عليه.

---

١ ـ ركست الشيء ركساً ـ من باب قتل ـ: أي قلّبته ورددت أوّله على آخره، والركس: هو رد الشيء مقلوباً. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٧٦. مادة «ركس».

﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾: يقتل بعضكم بعضاً.

﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَـٰرِهِمْ﴾: غضباً وقهراً عليهم.

﴿تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾: تظاهر بعضكم بعضاً على إخراج من تخرجونه من ديارهم، وقتل من تقتلونه منهم بغير حقّ، وقرئ بتشديد الظّاء، والتظاهر: التعاون.

﴿بِالْاثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: بالتعدّي تتعاونون وتتظاهرون.

﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ﴾: يعني هؤلاء الذين تخرجونهم، أي ترومون إخراجهم وقتلهم ظلماً أن يأتوكم.

﴿أُسَـٰرَىٰ﴾: قد أسرهم أعداؤكم وأعداؤهم، وقرئ: أسرى.

﴿تُفَـٰدُوهُمْ﴾: من الأعداء بأموالكم، وقرئ: تفدوهم بفتح التاء بغير ألف.

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾: أعاد قوله: «إخراجهم» لئلّا يتوهّم أنّ المحرّم إنّما هو مفاداتهم.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: وهو الذي أوجب عليكم المفاداة.

﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾: وهو الذي حرّم عليكم قتلهم وإخراجهم، فإذا كان قد حرّم الكتاب قتل النفوس والإخراج من الديار كما فرض فداء الأُسراء[1] فما بالكم تطيعون في بعض، وتعصون في بعض؟ كأنّكم ببعض كافرون وببعض مؤمنون.

﴿فَمَا جَزَآءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ﴾: معاشر اليهود.

﴿إِلَّا خِزْيٌ﴾: ذلّ.

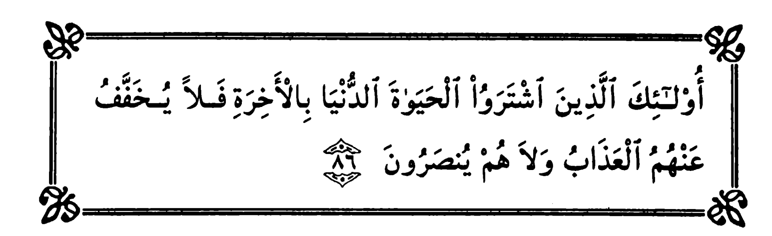
﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: جزية تضرب عليه فيذلّ بها.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾: إلى جنس أشدّ العذاب يتفاوت ذلك على قدر تفاوت معاصيهم.

﴿وَمَا ٱللهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: يعمل هؤلاء اليهود، وقرئ بالياء.

---

١ ـ وفي نسخة: [الأسرى].



﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ﴾: رضوا بـالدّنيا وحـطامها بدلاً من نعيم الجنان المستحقّ بطاعات اللّه.

﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: لا ينصرهم أحد يدفع عنهم العذاب قال عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا نزلت الآية في اليهود، أي الّذين نقضوا عهد الله وكذّبوا رسل الله، وقتلوا أولياء الله، أفلا أنبّئكم بمن يضاهيهم[١] من يهود هذه الأمّة، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: قوم من أمّتي ينتحلون بأنّهم من أهل ملّتي، يقتلون أفاضل ذرّيتي وأطائب ارومتي[٢] ويبدّلون شريعتي وسنّتي، ويقتلون ولديّ الحَسَن والحسين عليهما السلام، كما قتل أسلاف اليهود زكريّا ويحيى ألا وإنّ الله يلعنهم كما لعنهم، ويبعث على بقايا ذراريهم قبل يوم القيامة هادياً مهدياً من ولد الحسين المظلوم عليه السلام يحرّفهم[٣] بسيوف أوليائه إلى نار جهنّم[٤].

والقمّي: إنّها نزلت في أبي ذر رضي الله عنه، وفيما فعل به عثمان بن عفّان، وكان سبب ذلك أنّه لما أمر عثمان بنفي أبي ذرّ رضي الله عنه إلى الرّبذة دخل عليه أبو ذرّ، وكان عليلاً وهو متكيء على عصاه، وبين يدي عثمان مأة ألف درهم أتته من بعض النّواحي، وأصحابه حوله ينظرون إليه ويطمعون أن يقسّمها فيهم، فقال أبو ذر لعثمان: ما هذا المال؟ فقال: حمل إلينا من بعض الأعمال مائة ألف درهم أريد أن أضمّ إليها مثلها، ثمّ أرى فيها رأيي، قال أبو ذرّ: يا عثمان أيّما أكثر مائة ألف درهم أم أربعة دنانير؟ قال عثمان: بل مائة ألف درهم، فقال: أما تذكر إذ

---

١ ـ فلان ضهي فلان: أي نظيره وشبيهه. يضاهون: أي يشابهون. لسان العرب: ج ٨، ص ٩٧، مادة: «ضها».

٢ ـ الاروم، بفتح الهمزة: أصل الشجرة، والقرن. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٦٠.

٣ ـ التحرّف: الميل إلىٰ حرفٍ أي طرف. وحرف كل شيء: طرفه، وشفيره، وحدّه. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٦، مادة «حرف».

٤ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩.

أنا وأنت دخلنا على رسول اللّه صلى الله عليه وآله عشاءاً فوجدناه كئيباً حزيناً فسلّمنا عليه، ولم يرد علينا السّلام، فلمّا أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكاً مستبشراً، فقلت له: بأبي أنت وأمّي دخلنا عليك البارحة فرأيناك كئيباً حزيناً وعدنا إليك اليوم فرأيناك ضاحكاً مستبشراً، فقال: نعم كان قد بقي عندي من فئ المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسّمتها، وخفت أن يدركني الموت وهي عندي وقد قسّمتها اليوم فاسترحت، ونظر عثمان إلى كعب الأحبار فقال له: يا أبا اسحق ما تقول في رجل أدّىٰ زكاة ماله المفروضة هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيء؟[١] فقال: لا، ولو اتّخذ لبنة من ذهب ولبنة من فضّة ما وجب عليه شيء، فرفع أبو ذر عصاه فضرب بها رأس كعب، وقال: يا بن اليهوديّة المشركة ما أنت والنّظر في أحكام المسلمين؟ قول اللّه عزّ وجلّ: أصدق من قولك حيث قال: «ٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» إلى قوله: «فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ»[٢].

قال عثمان: يا أبا ذر إنّك شيخ قد خرفت، وذهب عقلك، ولولا صحبتك لرسول الله صلى الله عليه وآله لقتلتك، فقال: كذبت يا عثمان ويلك أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لا يفتنونك يا أبا ذر ولا يقتلونك. أمّا عقلي فقد بقى منه ما أذكرني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله قاله: فيك وفي قومك، قال: وما سمعتَ من رسول اللّه صلى الله عليه وآله فيّ وفي قومي؟ قال: سمعته يقول: وهو قوله صلى الله عليه وآله: إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً صيّروا مال اللّه دولاً[٣] وكتاب اللّه دغلاً[٤]، وعباد اللّه خولاً[٥]، والصّالحين حرباً، والفاسقين حزباً، قال عثمان: يا معشر أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله هل سمع أحد منكم هذا الحديث من رسول اللّه صلى الله عليه وآله قالوا: لا ما سمعنا

---

١ ـ وفي نسخة: [هل يجب عليه فيها بعد ذلك شيء؟].

٢ ـ التوبة: ٣٤ ـ ٣٥.

٣ ـ الدولة بالضم: في المال، يقال: صار الغني دولة بينهم يتداولونه، يكون مرّة لهذا ومرة لهذا، والجمع دولات ودول الصحاح: ج ٤، ص ١٦٩٩ ـ ١٧٠٠.

٤ ـ الدغل بالتحريك: الفساد، مثل الدَخَلَ. يقال: قد أدغَلَ في الأمر، إذا أدخل فيه ما يخالفه ويفسده. الصحاح: ج ٤، ص ١٦٩٧.

٥ ـ الخول بالتحريك: ما أعطاك اللّه من النعم والعبيد والاماء وغيرهم. دخول الرجل: حشمه وقيل: هو مأخوذ من التخويل، وهو التمليك: الصحاح: ج ٤، ١٦٩٠.

هذا من رسول الله ﷺ. فقال عثمان: اُدعوا علياً عليه السلام فجاءه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عثمان: يا أبا الحسن اسمع ما يقول هذا الشيخ الكذّاب؟ فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: مه يا عثمان لا تقل كذّاب، فإنّي قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ، قال أصحاب رسول الله: صدق عليّ، سمعنا هذا القول من رسول الله ﷺ فعند ذلك، بكى أبو ذرّ، وقال: ويلكم كلكم قد مدّ عنقه إلى هذا المال ظننتم إنّي أكذب على رسول الله ﷺ، ثمّ نظر إليهم، فقال: من خيركم[1]؟ فقالوا: أنت تقول إنّك خيرنا؟ قال: نعم، خلّفت حبيبي رسول الله ﷺ في هذه الجبّة، وهي عليّ بعد، وأنتم قد أحدثتم أحداثاً كثيرةً، والله سائلكم عن ذلك ولا يسألني، فقال عثمان: يا أبا ذر أسألك بحقّ رسول الله ﷺ إلّا ما أخبرتني عمّا أنا سائلك عنه، فقال أبو ذرّ: والله لو لم تسألني بحقّ رسول الله ﷺ أيضاً لأخبرتك، فقال: أيّ البلاد أحب إليك أن تكون فيها؟ فقالَ: مكّة حرم الله وحرم رسوله ﷺ أعبد الله فيها حتّىٰ يأتيني الموت، فقال: لا ولا كرامة لك، قال: المدينة حرم رسول الله ﷺ، فقال لا ولا كرامة لك، قال: فسكت أبو ذرّ رضي الله عنه فقال: أيّ البلاد أبغض إليك أن تكون بها؟ قال: الرّبذة الّتي كنت بها على غير دين الإسلام، فقال عثمان: سر إليها، فقال أبو ذرّ رضي الله عنه قد سألتني فصدّقتك، وأنا أسألك فأصدقني.

قال:نعم، قال:أخبرني لو أنّك بعثتني فيمن بعثت من أصحابك إلى المشركين فأسروني وقالوا: لا نفديه إلاّ بثلث ما تملك، قال: كنت أفديك، قال: فإن قالوا: لا نفديه إلّا بنصف ما تملك، قال: كنت أفديك، قال: فإن قالوا: لا نفديه إلّا بكلّ ما تملك، قال: كنت أفديك، فقال أبو ذرّ رضي الله عنه: الله أكبر، قال لي حبيبي رسول الله ﷺ يوماً: يا أبا ذر كيف أنت إذا قيل لك: أيّ البلاد أحبّ إليك أن تكون فيها؟ فتقول مكّة حرم الله وحرم رسوله ﷺ أعبد الله فيها حتّى يأتيني الموت، فيقال: لا ولا كرامة لك، فتقول: فالمدينة حرم رسول الله ﷺ، فيقال: لا ولا كرامة لك، ثمّ يقال لك: فأيّ البلاد أبغض اليك أن تكون فيها؟ فتقول: الرّبذة الّتي كنت فيها على غير دين الإسلام، فيقال لك: سِر إليها، فقلت: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ فقال ﷺ:

---

١ ـ الظاهر هنا سقط والصحيح كما في المصدر فقالوا: من خيرنا؟ فقال: أنا فقالوا: أنت تقول إنّك خيرنا.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسىٰ ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَىٰ ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰه بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوىٰ أَنفُسُكُمْ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾

أي والّذي نفسي بيده إنه لكائن، فقلت: يا رسول الله ﷺ أفلا أضع سيفي على عاتقي فأضرب به قدماً قدماً، قال: لا، اسمع واسكت ولو لعبد حبشي، وقد أنزل الله تعالى فيك وفي عثمان خصمك آية فقلت: وما هي يا رسول الله ﷺ؟ فقال: قول الله تعالى وتلا هذه الآية[١].

وفي الكافي: عن الصّادق عليه السلام في حديث وجوه الكفر في القرآن، قال: الرّابع من الكفر ترك ما أمر اللّه، وهو قول اللّه عزّ وجلّ، وتلا هذه الآية قال: فكفّرهم بترك ما أمر اللّه، ونسبهم إلى الإيمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده[٢].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسىٰ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التّوراة المشتملة على أحكامنا، وعلى ذكر فضل محمّد ﷺ وأهل بيته، وإمامة عليّ عليه السلام، وخلفائه عليهم السلام بعده، وشرف أحوال المسلمين له وسوء أحوال المخالفين[٣] عليه.

﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾: جعلنا رسولاً في أثر رسول.

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَىٰ ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾: أعطيناه الآيات الواضحات كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والإنباء بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم.

﴿وَأَيَّدْنَـٰه بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: وقرىء مخفّفاً وهو جبرئيل، وذلك حين رفعه من روزنة بيته إلى السّماء، وألقىٰ شبهه على من رام قتله، فقتل بدلاً منه، وقيل: هو المسيح[٤].

١ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٥١ـ ٥٤.
٢ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٩٠، ح ١، باب وجوه الكفر.
٣ـ وفي نسخة: [المنافقين].
٤ـ قاله ابن عباس كما جاء في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٥٦.

أقول: وفي رواية أُخرى أنّه أُلقي شبهه على رجل من خواصّه آثر حياته على حياة نفسه كما يأتي[١].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام أُلقي شبهه على رجل من خواصّه ليقتل فيكون معه في درجته[٢] كما يأتي في سورة آل عمران[٣] إن شاء اللّٰه.

﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ﴾: أيّها اليهود.

﴿رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوىَ أَنفُسُكُمْ﴾: أخذ عهودكم ومواثيقكم بما لا تحبّون من اتّباع النّبي صلى الله عليه وآله وبذل الطّاعة لأولياء اللّٰه.

﴿اَسْتَكْبَرْتُمْ﴾: على الإيمان والإتّباع.

﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ﴾: كموسى، وعيسى.

﴿وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾: قتل أسلافكم زكريّا ويحيىٰ، وأنتم رمتم قتل محمّد، وعليّ عليهما السلام فخيّب اللّٰه سعيكم، وردّ كيدكم في نحوركم فمعنىٰ تقتلون: قتلتم كما تقول لمن توبّخه ويلك لم تكذب ولا تريد ما يفعله بعد وانّما تريد لم فعلت وأنت عليه موطن[٤].

ثمّ قال عليه السلام: ولقد رامت الفجرة الكفرة ليلة العقبة قتل رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله على العقبة، ورام من بقي من مردة المنافقين بالمدينة قتل عليّ بن أبي طالب صلوات اللّٰه عليه، فما قدروا على مغالبة ربّهم، حملهم على ذلك حسدهم لرسول اللّٰه صلى الله عليه وآله في عليّ لمّا فخّم أمره وعظّم شأنه[٥]، ثم ذكر القصّة بطولها، وسيأتي ذكر ملخصها من طريق آخر من المجمع في سورة التوبة إن شاء اللّٰه.

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام قال: ضرب اللّٰه مثلاً لأمّة محمّد صلى الله عليه وآله، فقال لهم: فإن جاءكم محمّد صلى الله عليه وآله بما لا تهوي أنفسكم بموالاة عليّ استكبرتم، ففريقا من آل محمّد صلى الله عليه وآله كذّبتم، وفريقاً تقتلون، قال: فذلك تفسيرها في الباطن[٦].

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٧٢.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ١٠٣.
٣ ـ ذيل الآية: ٥٥.
٤ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٣٧٩.
٥ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٨٠.
٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٤٩، ح ٦٨.

وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُ﴾: أي أوعية للخير، والعلوم قد أحاطت بها واشتملت عليها ثم هي مع ذلك لا نعرف لك يا محمّد صلى الله عليه وآله فضلاً مذكوراً في شيء من كتب اللّه ولا على لسان أحد من أنبياء اللّه، فردّ اللّه عليهم بقوله[1].

﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾: أبعدهم من الخير.

﴿فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: يعني فإيماناً قليلاً يؤمنون ببعض ما أنزل اللّه، ويكفرون ببعض. قال عليه السلام: واذا قرىء غلف[2] فانّهم قالوا: قلوبنا في غطاء فلا نفهم كلامك، وحديثك كما قال اللّه تعالىٰ: «وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْه وَفِيٓ ءَاذانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ»[3] قال: وكلتا القراءتين حقّ وقد قالوا: بهذا وهذا جميعاً[4].

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾: يعني اليهود.

﴿كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: القرآنُ.

﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ : من التّوراة الّتي بيّن فيها أنّ محمّداً الأميّ من ولد اسماعيل المؤيّد بخير خلق اللّه بعده عليّ ولي اللّه.

﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ﴾: أن ظهر محمّد بالرّسالة.

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٩٠.

٢ ـ كأنّ القراءة الأولى بضم اللام: جمع غلاف، والثانية بسكون اللام جمع اغلف، مستعار من الأغلف الذي لم يختتن. منه رحمه الله.

٣ ـ فصلت: ٥.

٤ ـ تفسير الامام العسكري: ص ٣٩٠.

﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يسألون اللّٰه الفتح والظّفر.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: من أعدائهم وكان اللّٰه يفتح لهم وينصرهم.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾: من نعت محمّد وصفته.

﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾: جحدوا نبوّته حسداً له، وبغياً عليه.

﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: في الكافي[1]، والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام: أنّه قال في هذه الآية: كانت اليهود تجد في كتبها أنّ مهاجر محمّد صلى الله عليه وآله ما بين عَيْر وأُحُد فخرَجوا يطلبون الموضع، فمرّوا بجبل يسمّىٰ جُبَيْل وَبجَبَلٍ يسمّىٰ حداد ـ بالفتح ـ قرية بين مكّة وحدّة، وكانت تُسمّى حدأ حداد، فقالوا: حداد وأُحد سواء فتفرّقوا عنده فنزل بعضهم بتيماء[2] وبعضهم بفدك، وبعضهم بخيبر، فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم فمرّ بهم أعرابيّ من قيس فتكاروا منه، وقال:أمرّ بكم ما بين عَيْر[3] وأُحُد؟ فقالوا له: إذا مرَرت بهما فأذنّا بهما فلمّا توسّط بهم أرض المدينة، قال لهم: ذلك عَيْر وهذا أُحُد، فنزلوا عن ظهر إبله،وقالوا: قد أصبنا بغيتنا فلا حاجة لنا في إبلك فاذهب حيث شئت، وكتبوا إلى إخوانهم الّذين بفدك وخيبر انّا قد أصبنا الموضع فهلّموا إلينا، فكتبوا إليهم إنّا قد استقرّت بنا الدّار، واتّخذنا الأموال، وما أقربنا منكم فلمّا كان ذلك فما أسرعنا إليكم فاتّخذوا بأرض المدينة الأموال فلمّا كثرت أموالهم بلغ تبّع[4] فغزاهم فتحصّنوا منه فحاصرهم وكانوا يرقّون لضعفاء أصحاب تبّع فيلقون إليهم باللّيل التّمر والشّعير فبلغ ذلك تبّع فرقّ لهم، وأمنهم فنزلوا إليه فقال لهم: انّي قد استطبت بلادكم ولا أراني إلّا مقيماً فيكم، فقالوا له: إنّ ذاك ليس لك إنّها مهاجر نبيّ وليس ذلك لأحد حتّى يكون ذلك، فقال لهم: انّي مخلّف فيكم من أُسرتي من

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٠٨، ح ٤٨١.
٢ ـ تيماء: اسم موضع. الصحاح: ج ٤، ص ١٨٨٠.
٣ ـ وعير: جبل بالمدينة. وفي الحديث «انه حرّم مابين عير أبي ثور» الصحاح: ج ٢، ص ٧٦٣.
٤ ـ تُبَّع: كَسُكَّر. واحد التبابعة من ملوك حمير،سُمّي تبَّعالكثرةاتباعه،وقيل:سُمّوا تبابعةلأن الأخير يتبع الأول في الملك. وهم سبعون تبعاً ملكوا جميعالأرض، ومن فيها من العرب والعجم وكان تبع الأوسط مؤمناً مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٠٥.

إذا كان ذلك ساعده ونصره فخلّف حيّين الأوس[١] والخزرج[٢] فلمّا كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود وكانت اليهود تقول لهم: أما لو قد بعث محمّد فيكم[٣] لنخرجنّكم من ديارنا وأموالنا، فلمّا بعث اللّه محمّداً صلى الله عليه وآله آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود، وهو قول اللّه عزّ وجلّ «وَكَانُواْ مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَىٰ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ ٱللهِ عَلَىٰ ٱلْكَافِرِينَ»[٤].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن هذه الآية فقال: كان قوم فيما بين محمّد صلى الله عليه وآله وعيسى عليه السلام وكانوا يتوعّدون أهل الأصنام بالنبي صلى الله عليه وآله ويقولون: ليخرجنّ نبيّ فليكسرنّ أصنامكم، وليفعلنّ بكم، فلمّا خرج رسول اللّه صلى الله عليه وآله كفروا به[٥].

والقمّي: كانت اليهود يقولون للعرب قبل مجيء النّبي صلى الله عليه وآله: أيّها العرب هذا أوان نبيّ يخرج من مكّة، وكانت مهاجرته بالمدينة، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوّة، يلبس الشّملة[٦]، ويجتزي بالكِسرةُ[٧] والتّميرات، ويركب الحمار العريّ، وهو الضّحوك القتّال، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر، لنقتلنّكم به يا معشر العرب قتل عاد، فلمّا بعث اللّه نبيّه بهذه الصّفة حسدوه وكفروا به كما قال اللّه: «وكانوا من قبل»[٨] الآية.

وفي تفسير الإمام عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ اللّه تعالىٰ أخبر رسوله صلى الله عليه وآله بما كان من إيمان اليهود بمحمّد صلى الله عليه وآله قبل ظهوره، ومن استفتاحهم على أعدائهم بذكره، والصلاة عليه وآله، قال: وكان اللّه عزّ وجلّ أمر اليهود في أيّام موسىٰ عليه السلام وبعده إذا دهمهم أمر أو

---

١ ـ الأوس: أبو قبيلة من اليمن. وهو أوس بن قيلة. أخو الخزرج وأُمهما قيلة. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٤٩ وفي الصحاح: وهما ابنا حارثة بن ثعلبة من اليمن.

٢ ـ الخزرج: قبيلة من الأنصار هي الأوس. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٩٥.

٣ ـ وفي نسخة: [أما لو قد بعث الله فيكم محمّداً].

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٤٩ ـ ٥٠، ح ٦٩.

٥ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣١٠، ح ٤٨٢.

٦ ـ والشملة: كِساءٌ يشتمل به. الصحاح: ج ٥، ص ١٧٣٩.

٧ ـ والكسرة: القطعة من الشيء المكسور، والجمع كِسَرٌ مثل قطعة وقطع. الصحاح: ج ٢، ص ٨٠٦.

٨ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص: ١٨٠ و ١٩١.

دهمتهم داهية أن يدعوا اللّٰه عزّ وجلّ بمحمّد وآله الطّيبين، وأن يستنصروا بهم، وكانوا يفعلون ذلك حتى كانت اليهود من أهل المدينة قبل ظهور محمّد ﷺ بسنين كثيرة يفعلون ذلك فيُكْفَوْنَ البلاءَ والدّهماء والدّاهية، وكانت اليهود قبل ظهور محمّد ﷺ بعشر سنين يعاديهم أسد، وغطفان[١]، وقوم من المشركين، ويقصدون أذاهم فكانوا يستدفعون شرورهم، وبلاءهم بسؤالهم ربّهم بمحمّد وآله الطّيبين حتّىٰ قصدهم في بعض الأوقات أسد وغطفان في ثلاثة آلاف فارس إلى بعض قرى اليهود حوالي المدينة فتلقّاهم اليهود، وهم ثلاثمأة فارس، ودعوا اللّٰه بمحمّد وآله فهزموهم وقطّعوهم، وقال أسد، وغطفان بعضهما لبعض: تعالوا نستعين عليهم بسائر القبائل فاستعانوا عليهم بالقبائل وأكثروا حتّىٰ اجتمعوا قدر ثلاثين ألفا وقصدوا هؤلاء الثلثمأة في قريتهم فألجأوهم إلى بيوتها وقطعوا عنها المياه الجارية التي كانت تدخل إلى قراهم ومنعوا عنهم الطعام، واستأمن اليهود منهم فلم يؤمّنوهم، وقالوا: لا، إلّا أن نقتلكم، ونسبيكم وننهبكم، فقالت اليهود بعضها لبعض: كيف نصنع؟ فقال لهم: أماثلهم وذوو الرأي منهم: أمَا أمر موسى ﷺ أسلافكم فمن بعدهم بالإستنصار بمحمّد وآله الطّيبين؟ أما أمركم بالابتهال إلى الله عزّ وجلّ عند الشّدائد بهم؟ قالوا: بلى، قالوا: فافعلوا، فقالوا: اللّهم بجاه محمّد وآله الطّيبين لمّا سقيتنا، فقد قطعت الظّلمة عنّا المياه حتّىٰ ضعف شبّاننا، وتماوت ولداننا، وأشرفنا على الهلكة. فبعث اللّٰه لهم وابلاً[٢]، هطلاً[٣]، صبّاً، متتابعاً، ملأ حياضهم وآبارهم وأنهارهم، وأوعيتهم، وظروفهم، فقالوا: هذه احدىٰ الحسنيين، ثم أشرفوا من سطوحهم على العساكر المحيطة بهم، فإذا المطر قد آذاهم غاية الأذىٰ، وأفسد أمتعتهم وأسلحتهم وأموالهم فانصرف عنهم لذلك بعضهم، وذلك أنّ المطر أتاهم في غير أوانه في حمَارَة[٤] القيظ حين لا يكون مطر، فقال الباقون من العساكر:

---

١ ـ غطفان: بالغين المعجمة والطاء المهملة والفاء: أبو قبيلة. منه ﷺ. وقال الطريحي: غطفان: أبو قبيلة، وهو غَطَفَان بن سعد بن قيس عيلان مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٠٦. مادة «غطف».

٢ ـ الوابل: المطر الشديد: الصحاح: ج ٥، ص ١٨٤٠، مادة «وبل».

٣ ـ الهطل: تتابع المطر والدمع وسيلانه. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٤٠، مادة «هطل».

٤ ـ حمارة: القيظ ـ بالحاء المهملة والزاي ـ شدة الحر. منه ﷺ.

هبكم سقيتم فمن أين تأكلون؟، ولئن انصرف عنكم هؤلاء فلسنا ننصرف حتّى نقهركم على أنفسكم وعيالاتكم وأهاليكم وأموالكم ونشفي غيظنا منكم، فقالت اليهود: إنّ الّذي سقانا بدعائنا بمحمّد ﷺ قادر على أن يطعمنا، وإنّ الّذي صرف عنّا من صرفه قادر أن يصرف الباقين، ثم دعوا الله بمحمّد وآله أن يطعمهم ، فجاءَت قافلة عظيمة من قوافل الطعام قدر ألفي جمل وبغل وحمار موقرة[1] حنطة، ودقيقاً، وهم لا يشعرون بالعساكر فانتهوا إليهم وهم نيام ولم يشعروا بهم، لأنّ الله تعالى ثقّل نومهم حتّى دخلوا القرية ولم يمنعوهم، وطرحوا فيها أمتعتهم وباعوها منهم فانصرفوا وأبعدوا، وتركوا العساكر نائمة وليس في أهلها عين تطرف فلمّا أُبعدوا انتبهوا، ونابذوا اليهود الحرب وجعل يقول بعضهم لبعض: الوَحا الوَحا[2] فإنّ هؤلاء اشتدّ بهم الجوع وسيذلّون لنا.

قال لهم اليهود: هيهات بل قد أطعمنا ربّنا وكنتم نياماً جاءَنا من الطّعام كذا وكذا، ولو أردنا قتلكم في حال نومكم لهيّأ لنا ولكنا كرهنا البغي عليكم فانصرفوا عنّا وإلاّ دعونا عليكم بمحمّد وآله واستنصرنا بهم أن يخزيكم كما قد أطعمنا وسقانا، فأبوا إلّا طغياناً فدعوا الله بمحمّد وآله واستنصروا بهم، ثم برز الثلاثمائة إلى الثلاثين ألفا فقتلوا منهم وأسروا وطَحْطَحوهم[3] واستوثقوا منهم بأُسرائهم فكان لا يبدأهم مكروه من جهتهم لخوفهم على من لهم في أيدي اليهود، فلمّا ظهر محمّد ﷺ حسدوه إذ كان من العرب، وكذّبوه ثم قال رسول الله ﷺ: هذه نصرة الله تعالى لليهود على المشركين بذكرهم لمحمّد وآله ألا فاذكروا يا أُمّة محمّد ﷺ محمّداً وآله عند نوائبكم وشدائدكم لينصر الله به ملائكتكم على الشياطين الّذين يقصدونكم، فإنّ كلّ واحد منكم معه ملك عن يمينه يكتب

---

١ ـ الوِقْرُ ـ بالكسر ـ الحِمْلُ. يقال: جاء يحمل وقره وقد أوقر بعيره، واكثر مايستعمل الوقر في حمل البغل والحمار. وهذه امرأة موقورة ـ بفتح القاف ـ إذا حملت حملاً ثقيلاً. الصحاح: ج ٢، ص ١ / ٨٤، مادة «وقر».

٢ ـ الوحا الوحا، بالمدّ والقصر: العجلة. منه ﷺ. وفي مجمع البحرين وهو منصوب بفعل مضمر. أي السرعة السرعة مجمع البحرين: ج ١، ص ٤٣٢ مادة «وحا».

٣ ـ طحطحهم: أي مزّقه. منه ﷺ. وفي الصحاح: طاح يطوح ويطيح: هلك وسقط، وكذلك إذا تاه في الأرض. الصحاح: ج ١، ص ٣٨٩. مادة: «طوح».

بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنْزَلَ ٱللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾

حسناته، وملك عن يساره يكتب سيّئاته، ومعه شيطانان من عند ابليس يغويانه، فإذا وسوسا في قلبه ذكر الله تعالى، وقال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، وصلّى الله على محمّد وآله خنس[١] الشّيطانان واختفيا[٢] الحديث.

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾: ذمّ الله اليهود، وعاب فعلهم في كفرهم بمحمّد صلى الله عليه وآله يعني اشتروا أنفسهم بالهدايا والفضول الّتي كانت تصل إليهم، وكان اللّه أمرهم بشرائها من اللّه بطاعتهم له ليجعل لهم أنفسهم والانتفاع بها دائماً في نعيم الآخرة فلم يشتروها، بل اشتروها بما أنفقوه في عداوة رسول اللّه صلى الله عليه وآله، ليبقىٰ لهم عزّهم في الدّنيا ورياستهم على الجهال، وينالوا المحرّمات وأصابوا الفضولات من السّفلة، وصرفوهم عن سبيل الرّشاد ووقفوهم على طريق الضلالات[٣].

﴿أَنْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنْزَلَ ٱللَّهُ﴾: على موسى من تصديق محمّد صلى الله عليه وآله.

﴿بَغْياً﴾: لبغيهم وحسدهم.

﴿أَنْ يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾: وقرىء مخففاً.

﴿مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: يعني تنزيل القرآن على محمّد صلى الله عليه وآله الّذي أبان فيه نبوّته وأظهر به آيته ومعجزاته[٤] وفضائل أهل بيته عليهم السلام.

---

١ ـ خَنَسَ عنه يخنُسُ بالضم: أي تأخَّر. وأخْنَسَهُ غيره: إذا خلَّفه ومضىٰ عنه. الصحاح: ج ٣، ص ٩٢٥.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٩٣ ـ ٣٩٦.

٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٠١ ـ ٤٠٢.

٤ ـ وفي نسخة: [ومعجزته].

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنْزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنْـزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ ٱللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

وفي الكافي[١]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: قال: بما أنزل اللّه في علي بغياً[٢].

﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾: يعني رجعوا وعليهم الغضب من اللّه في أثر غضب فالغضب الأوّل: حين كذّبوا بعيسى بن مريم فجعلهم قردةً خاسئين، ولعنهم على لسان عيسى عليه السلام، والغضب الثّاني: حين كذّبوا بمحمّد صلى الله عليه وآله فسلّط عليهم سيوف أصحابه حتّى ذلّلهم بها، فإمّا دخلوا في الاسلام طائعين، وإمّا أُعطوا الجزية صاغرين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: من سئل عن علم فكتمه حيث يجب إظهاره ويزول عنه التقيّة جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار[٣].

﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: يعني لهم أظهر، لينبئ عن السبب كذا قيل[٤]، وله نظائر كثيرة في القرآن.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنْزَلَ ٱللَّهُ﴾: على محمّد صلى الله عليه وآله من القرآن.

﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾: وهو التّوراة.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ﴾: ما سواه، لا يُؤمنون به.

﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾: لأنّه هو النّاسخ للمنسوخ الّذي تقدّمه.

﴿مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ﴾: وهو التّوراة.

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٧، ح ٢٥، واليك نصّه: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية على محمّد صلى الله عليه وآله هكذا: «بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنْزَلَ ٱللَّهُ (في علي) بَغْيَاً».

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٠، ح ٧٠.

٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٠٢.

٤ ـ راجع تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٢٩.

وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾: فلم كنتم تقتلون ؟ لم كان يقتل أسلافكم.

﴿أَنْبِيَاءَ ٱللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: بالتّوراة فإنّ فيها تحريمَ قتل الأنبياء، وفيها الأمر بالإيمان بمحمّد ﷺ والقرآن فمَا آمنتم بعد بالتّوراة.

والعيّاشي: عن الصّادق عليه السلام: إنّما نزل هذا في قوم من اليهود، كانوا على عهد رسول الله ﷺ لم يقتلوا الأنبياء بأيديهم ولا كانوا في زمانهم، وإنّما قتل أوائلهم الّذين كانوا من قبلهم فجعلهم الله منهم وأضاف إليهم فعل أوائلهم بما تبعوهم وتولّوهم[١].

أقول: قد مضى تحقيق ذلك في المقدّمة الرابعة.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾: إلـٰهاً.

﴿مِنْ بَعْدِهِۦ﴾: من بعدإنطلاقه إلى الجبل، وخالفتم خليفته عليه السلام الّذي نصّ عليه، وتركه عليكم وهو هارون.

﴿وَأَنْتُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾: بمَا فعلتم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ﴾: واذكروا إذ أخذنا ميثاق أسلافكم.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾: فعلنا بهم ذلك لمّا أبوا من قبول ما جاءهم به موسىٰ من دين الله وأحكامه وفرض تعظيم محمّد وآله.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥١، ح ٧٢.

﴿خُذُواْ﴾: قلنا لهم خذوا.

﴿مَا ءَاتَيْنَـٰكُمْ﴾: ما أعطيناكم من الفرائض.

﴿بِقُوَّةٍ﴾: قد أعطيناكموها، ومكنّاكم بها، وأزحنا عللكم في تركيبها فيكم.

﴿وَٱسْمَعُواْ﴾: ما يقال لكم وتؤمرون به.

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا﴾: قولك.

﴿وَعَصَيْنَا﴾: أمرك أي إنّهم عصوا بعد واضمروا في الحال أيضاً العصيان: قالوا: سمعنا بآذاننا وعصينا بقلوبنا فأمّا في الظّاهر فاعطوا كلّهم الطّاعة داخرين[1] صاغرين.

﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾: أُمروا بشرب العجل الّذي كان قد ذرّيت[2] سحالته[3] في الماء الّذي أُمروا بشربه ليتبيّن مَنْ عبده ممّن لم يعبده كما مرّ في تفسير قوله تعالى: «فَاقْتُلُواْ أَنْفُسَكُمْ»[4] قال عليه السلام: عرضوا لشرب العجل الّذي عبدوه حتّى وصل ما شربوه من ذلك إلى قلوبهم[5].

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾: لأجل كفرهم أُمروا بذلك.

أقول: لا تنافي بين هذا التّفسير، وما هو المشهور في تفسير الآية، وهو أن معناه تداخلهم حبّه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم[6] به كما يتداخل الصّبغ الثّوب والشّراب أعماق البدن، لجواز الجمع بين الأمرين، وأن يكون الشّرب ظاهراً سبباً للحبّ باطناً، وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى: «إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِم نَارَاً»[7].

---

١ ـ الداخر: الصاغر الذليل. يقال: دخر الرجل ـ كمنع وفرح ـ: أي ذلّ وصغر. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٠٠، مادة «دخر».

٢ ـ ذرّيت: بالذال المعجمة والراء المهملة بعده ياء تحتيّة من الذري: أي تفرقت منه. منه رحمه الله.

٣ ـ السحالة: ماسقط من الذهب والفضة ونحوهما كالبرادة. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٩٤، مادة «سحل».

٤ ـ البقرة: ٥٤.

٥ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٢٥.

٦ ـ الشغف ـ بفتحتين: الحب، وفلان مشغوف بفلانة: أي ذهب به الحب إلى أقصى المذاهب. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٧٦ مادة «شغف»، وفي نسخة [شعفهم]. والشَّعَفُ ـ محركة ـ: شدة الحب. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٧٥. مادة «شعف».

٧ ـ النساء: ١٠.

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلأَخِرَةُ عِنْدَ ٱللهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام قال: لمّا ناجى موسى ربّه أوحى اللّٰه تعالى إليه أن يا موسى قد فتنت قومك، قال: بماذا يا ربّ ؟ قال: بالسّامري، قال: وما السّامري؟ قال: قد صاغ لهم من حليّهم عجلاً، قال: يا ربّ إنّ حليّهم لا يحتمل أن يصاغ منه غزال، أو تمثال، أو عجل فكيف فتنتهم، قال: إنّه صاغ لهم عجلاً فخار، قال: يا ربّ ومن أخاره؟ قال: أنا، فقال عندها موسى: «إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَآءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَآءُ»[1]. قال: فلمّا انتهى موسى إلى قومه ورآهم يعبدون العجل ألقىٰ الألواح من يده فكسرت، قال أبو جعفر عليه السلام: كان ينبغي أن يكون ذلك عند اخبار اللّٰه تعالى إيّاه، قال: فعمد موسىٰ فبرد العجل من أنفه إلى طرف ذنبه ثمّ أحرقه بالنّار فذرّه في اليمّ، قال: فكان أحدهم ليقع في الماء وما به إليه من حاجة فيتعرّض بذلك الرّماد فيشربه، وهو قول الله تعالى: «وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِم»[2].

أقول: وعلى هذه الرّواية يشبه أن يكون حبّهم للعجل صار سبباً لشربهم ايّاه بالعكس ممّا مرّ.

﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَـٰنُكُمْ﴾: بموسى والتوراة أن تكفروا بي.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: كما تزعمون بموسى والتوراة ولكن معاذ الله لا يأمركم أيمانكم بموسى والتوراة الكفر بمحمّد صلى الله عليه وآله.

﴿قُلْ﴾: يا محمّد صلى الله عليه وآله لهؤلاء اليهود القائلين بأنّ الجنّة خالصة لنا من دونك ودون أهل بيتك، وانّا مبتلون بكم، وممتحنون، ونحن أولياء اللّٰه المخلصون، وعباد اللّٰه الخيّرون، ومستجاب دعاؤنا، غير مردود علينا شيء من سؤالنا.

---

١ ـ الاعراف: ١٥٥.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥١، ح ٧٣.

﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلأَخِرَةُ﴾: الجنّة ونعيمها.

﴿عِنْدَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾: محمد وأهل بيته ومؤمني اُمّته.

﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾: للكاذب منكم، ومن مخالفيكم، فإنّ محمّداً وعليّاً وذويهما[١] يقولون: إنّهم أولياء الله من دون الناس الّذين هم يخالفونهم في دينهم وهم المجاب دعاؤهم فإن كنتم معاشر اليهود تدّعون ذلك، فقولوا: اللّهم أمت الكاذب منّا، ومن مخالفينا، ليستريح منّا الصّادقون ولتزداد حجّتك وضوحاً بعد أن وضحت.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: بأنكم أنتم المحقّون المجاب دعاؤكم على مخالفيكم، ثم قال رسول الله بعدما عرض هذا عليهم: لا يقولها أحد منكم إلّا غصّ بريقه فمات مكانه، وكانت اليهود علماء[٢] بأنّهم الكاذبون وأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وأصحابه هم الصّادقون فلم يجسروا أن يدعوا به[٣].

أقول: المشهور أنّ المراد بتمنّيهم الموت: تمنّيه لأنفسهم لدعواهم أنّهم أولياء الله وأحبّاؤه، وقولهم: «لَنْ يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً»[٤] فإنّ في التّوراة مكتوب إنّ أولياء الله يتمنّون الموت ولا يرهبونه، والوجه في ذلك أنّ من أيقن أنّه من أهل الجنّة اشتاقها وأحبّ التخلص إليها من الدار ذات الشّوائب كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا اُبالي وقعت على الموت أو وقع عليّ الموت[٥].

وقال عمار بصفين:

ألآن اُلاقي الأحبّة ... محمداً وحزبه[٦]

وفي الخصال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام بماذا أحببت لقاء ربك؟ قال: لمّا رأيته قد

---

١ ـ وفي نسخة: [وذريتهما].

٢ ـ وفي بحار الأنوار: ج ١٧، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١، ح ٢٤، «وكانت اليهودد عالمين».

٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٤٣.

٤ ـ البقرة: ١١١.

٥ ـ مستدرك الوسائل: ج ١١، ص ٢٠١، ح ١٨/١٢٧٣٩، باب ٧ ـ وجوب اليقين بالله في الرزق والعمر والنفع والضرر. وتفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٣٢، وتفسير البحر المحيط: ج ١، ص ٣١١، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٧٠.

٦ ـ تفسير ابي السعود: ج ١، ص ١٣٢، وتفسير البحر المحيط: ج ١، ص ٣١١، وانوار التنزيل: ج ١، ص ٧٠.

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ ۝٩٥ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ ٱلعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾

اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه علمت بأنّ الّذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقائه[١].

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: من موجبات النّار كالكفر بمحمّد وآله، والقرآن وتحريف التّوراة.

﴿وَٱللهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ﴾: تهديد لهم وتنبيه على أنهم ظالمون في دعوىٰ ما ليس لهم ونفيه عمّن هو لهم، كذا قيل[٢].

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾: ليأسهم عن نعيم الآخرة لانهماكهم في كفرهم الّذي يعلمون انّه لاحظّ لهم معه في شيء من خيرات الجنّة.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾: وأحرص من الّذين أشركوا يعني المجوس الّذين لا يرون النعيم إلّا في الدّنيا، ولا يأملون خيراً في الآخرة.

قيل: إفرادهم بالذّكر للمبالغة فإنّ حرصهم شديد إذ لم يعرفوا إلّا الحيَاة العاجلة وللزيادة[٣] في التّوبيخ والتّقريع فإنّهم لمّا زاد حرصهم وهم مقرّون بالجزاء على حرص المنكرين دلّ ذلك على علمهم بأنّهم صائرون إلى النار[٤].

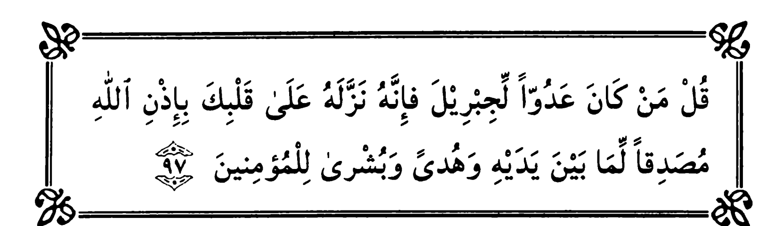
---

١ ـ الخصال: ج ١، ص ٣٣، ح١، باب الاثنين ـ معرفة التوحيد بخصلتين، والتوحيد: ص ٢٨٨، ح ٦.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٧١.

٣ ـ وفي نسخة: [أو للزيادة].

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٧١.



﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ﴾: أي التّعمير ألف سنة.

﴿بِمُزَحْزِحِه﴾: مباعده.

﴿مِنَ ٱلعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾: إنّما أبدل من الضّمير وكرّر التّعمير لئلّا يتوهّم عوده إلى التمني.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: فعلى حسبه يجازيهم ويعدل عليهم ولا يظلمهم.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيْلَ﴾: وقرىء بفتح الجيم وكسر الرّاء من غير همز، وبفتحهما مهموزاً بياء بعد الهمزة وبغير ياء.

﴿فإِنَّهُ﴾: فانّ جبريل.

﴿نَزَّلَهُ﴾: نزّل القرآن.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: يامحمّد وهذا كقوله سبحانه: «نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ»(١).

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بأمره.

﴿مُصَدِقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من كتب اللّه.

﴿وَهُدىً﴾: من الضّلالة.

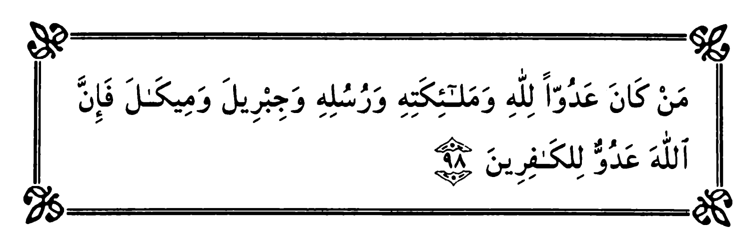
﴿وَبُشْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: بنبوّة محمّد صلّى الله عليه وآله وولاية عليّ عليه السلام، ومن بعده من الأئمّة عليهم السلام بأنّهم أولياء اللّه حقّاً.

قال: شيعة محمّد صلّى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام ومن تبعهم من أخلافهم وذراريهم(٢).

---

١ ـ الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤.

٢ ـ القائل هو الإمام العسكري عليه السلام في تفسيره: ذيل الآية «وبشرى للمؤمنين»، ص ٤٥١.



مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلّٰهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾

﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلّٰهِ﴾: بأن يخالفه عناداً لانعامه على المقرّبين من عباده.

﴿وَمَلَـٰٓئِكَتِهِ﴾: المبعوثين لنصرتهم.

﴿وَرُسُلِهِ﴾: المخبرين عن فضلهم الدّاعين إلى متابعتهم.

﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ﴾: خصوصاً وقرىء بغير همزة ولا ياء وبهمزة من غير ياء.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾: بهم وذلك قول من قال من النّصاب لمّا قال النّبي صلّى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام: جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، واسرافيل من خلفه، وملك الموت أمامه، والله تعالىٰ من فوق عرشه ناظر بالرّضوان إليه ناصره، قال بعض النواصب: أنا أبرء من الله وجبرئيل واسرافيل وميكائيل والملائكة الّذين حالهم مع عليّ ما قاله محمّد صلّى الله عليه وآله فقال الله: من كان عدوّاً لهؤلاء تعصّباً على عليّ عليه السلام فإنّ الله يفعل بهم ما يفعل العدوّ بالعدو[1].

والقمّي: انّها نزلت في اليهود الّذين قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وآله لو كان الملك الّذي يأتيك ميكائيل لآمنّا بكَ، فإنّه ملك الرّحمة وهو صديقنا، وجبرئيل ملك العذاب، وهو عدوّنا[2].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: انّ الله ذمّ اليهود في بغضهم لجبرئيل الّذي كان ينفّذ قضاء الله فيهم فيما يكرهون، كدفعه عن بخت نصّر أن يقتله دانيال عليه السلام من غير ذنب جنىٰ بخت نصّر حتّىٰ بلغ كتاب الله في اليهود أجله، وحلّ بهم ما جرىٰ في سابق علمه وذمّهم أيضاً، وذمّ النّواصب في بغضهم لجبرئيل وميكائيل وملائكة الله النّازلين لتأييد عليّ بن أبي طالب عليه السلام

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٤٥١.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٥٤.

على الكافرين حتّىٰ أذلّهم بسيفه الصّارم[١].

وفيه[٢] وفي الاحتجاج: قال أبو محمّد: قال جابر بن عبدالله: لمّا قدم النّبي صلى الله عليه وآله المدينة أتوه بعبدالله بن صوريا غلام أعور يهودي تزعم اليهود انّه أعلم يهوديّ بكتاب الله وعلوم أنبيائه، فسأله عن أشياء فأجابه عنها رسول الله صلى الله عليه وآله بما لم يجد عن إنكار شيء منه سبيلاً، إلى أن قال: بقيت خصلة إن قلتها آمنت بك واتّبعتك، أيّ ملك يأتيك بما تقوله عن الله؟ قال: جبرئيل عليه السلام.

قال ابن صوريا: ذاك عدوّنا من بين الملائكة ينزل بالقتل والشدّة والحرب، ورسولنا ميكائيل يأتي بالسّرور والرّخاء، فلو كان ميكائيل هو الّذي يأتيك آمنّا بكَ، وميكائيل كان يشدّ ملكنا، وجبرئيل كان يهلك ملكنا فهو عدوّنا، قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ويحك أجهلت أمر الله وما ذنب جبرئيل أن أطاع الله فيما يريده بكم أرأيتم الآباء والأُمّهات إذا أُوجروا الأولاد الدّواء الكريه لمصالحهم يجب أن يتّخذهم أولادهم أعداء من أجل ذلك لا ولكنّكم بالله جاهلون، وعن حكمه غافلون، أشهد أن جبرئيل وميكائيل بأمر الله عاملان، وله مطيعان، وانّه لا يعادي أحدهما إلّا من عادى الآخر، وأنّه من زعم أنّه يحبّ أحدهما ويبغض الآخر فقد كذب، وكذلك محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ أخوان فمن أحبّهما فهو من أولياء الله، ومن أبغضهما فهو من أعداء الله، ومن أبغض أحدهما وزعم أنه يحبّ الآخر فقد كذب، وهما منه بريئان، والله تعالىٰ وملائكته وخيار خلقه منه براء.

قال الإمام عليه السلام فقال: له سلمان الفارسي رضي الله عنه فما بدء عداوته لكم قال: نعم يا سلمان عادانا مراراً كثيرة، وكان من أشدّ ذلك علينا إنّ الله أنزل على أنبيائه أنّ بيت المقدس يخرب على يد رجل يقال له: بخت نصّر وفي زمانه أخبرنا بالخبر الّذي يخرب به، والله يحدث الأمر بعد الأمر فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء فلمّا بلغنا ذلك الخبر الّذي يكون

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٤٨.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٤٥٣ ـ ٤٥٦.

فيه هلاك بيت المقدس بعث أوائلنا رجلاً من أقوياء بني اسرائيل وأفاضلهم كان يعدّ من أنبيائهم يقال له: دانيال في طلب بخت نصّر ليقتله فحمل معه وقرة[1] مال لينفقه في ذلك، فلمّا انطلق في طلبه لقيه ببابل غلاماً ضعيفاً مسكيناً ليس له قوّة ولا منعة فأخذه صاحبنا ليقتله، فدفع عنه جبرئيل، وقال لصاحبنا: إن كان ربّكم هو الّذي أمر بهلاككم فإنّه لا يسلّطك عليه وإن لم يكن هذا فعلى أيّ شيء تقتله؟ فصدّقه صاحبنا وتركه، ورجع إلينا فأخبرنا بذلك، وقوي بخت نصّر وملك وغزانا وخرّب بيت المقدس فلهذا نتّخذه عدوّاً، وميكائيل عدوّ لجبرئيل.

فقال سلمان: يا ابن صوريا بهذا العقل المسلوك به غير سبيله ضللتم، أرأيتم أوايلكم كيف بعثوا من يقتل بخت نصّر؟ وقد أخبر الله تعالى في كتبه على ألسنة رسله أنّه يملك ويخرّب بيت المقدس أرادوا بذلك تكذيب أنبياء الله في خبرهم واتّهموهم في أخبارهم أو صدّقوهم في الخبر عن الله، ومع ذلك أرادوا مغالبة الله هل كان هؤلاء ومن وجّهوه إلّا كفاراً بالله وأيّ عداوة يجوز أن يعتقد لجبرئيل، وهو يصدّه عن مغالبة الله عزّ وجلّ وينهى عن تكذيب خبر الله تعالى.

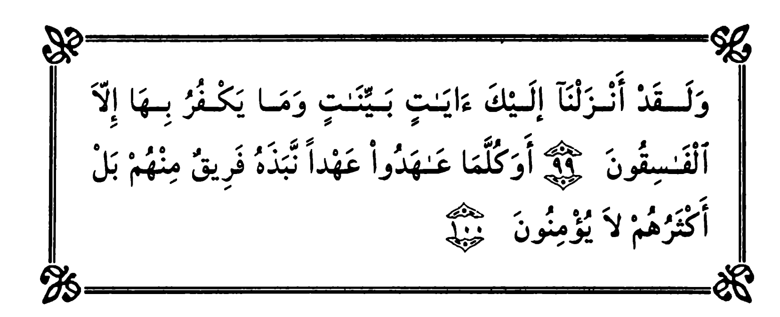
فقال ابن صوريا: قد كان الله أخبر بذلك على ألسن أنبيائه ولكنّه يمحو ما يشاء ويثبت.

قال سلمان: فإذاً لا تثقوا بشيء ممّا في التّوراة من الأخبار عمّا مضىٰ وما يستأنف فإنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت، وإذاً لعلّ الله قد كان عزل موسىٰ وهارون عن النبوّة وأبطلا في دعواهما «لأنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت»، أولعلّ كلّ ما أخبراكم أنّه يكون لايكون، وما أخبراكم أنّه لا يكون يكون، وكذلك ما أخبراكم عمّا كان[2] لعلّه لم يكن وما أخبراكم أنّه لم

---

١ ـ الوقر ـ بالكسر ـ الحِمل، يقال: جاء يحمل وقره. الصحاح: ج ٢، ص ٨٤٨، مادة «وقر».

٢ ـ أُريد «بالإخبار عمّا كان ومالم يكن»: الإخبار عمّا غاب عن الحسن بغير طريق الإحساس بكونه، أو عدم كونه. منه ﷺ».



يكن لعلّه كان، ولعلّ ما وعده من الثواب يمحوه، ولعلّ ما توعدّه به من العقاب يمحوه، «فإنّه يمحو ما يشاء ويثبت»، وانّكم جهلتم معنىٰ «يمحو الله ما يشاء ويثبت»، فلذلك كنتم أنتم بالله كافرون، ولأخباره عن الغيوب مكذّبون، وعن دين الله منسلخون.

ثم قال سلمان: فإنّي أشهد أنّ من كان عدوّاً لجبرئيل، فإنّه عدوّ لميكائيل، وإنّهما جميعاً عدوّان لمن عاداهما، سِلْمَان لمن سالمهما، فأنزل الله تعالىٰ عند ذلك موافقاً لقول سلمان رضي الله عنه: «قل من كان عدوّاً لجبريل» الآية[1].

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ﴾: دالات على صدقك في نبوّتك وإمامة عليّ عليه السلام أخيك موضّحات عن كفر من شكّ فيكما.

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾: الخارجون عن دين الله وطاعته من اليهود والكاذبين من النّواصب المتسمّين بالمسلمين.

﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟﴾: واثقوا وعاقدوا.

﴿عَهْدًا﴾: ليكوننّ لمحمّد صلى الله عليه وآله طائعين ولعليّ عليه السلام بعده مؤتمرين، وإلى أمره صائرين.

﴿نَّبَذَهُۥ﴾: نبذ العهد.

﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾: وخالفه.

---

١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٤٨ ـ ٥٠.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾: بل أكثر هؤلاء اليهود والنّواصب.

﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾: في مستقبل أعمارهم. لا يَرعُون ولا يتوبون مع مشاهدتهم الآيات ومعاينتهم الدّلالات.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ[١] مِّنْ عِنْدِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: قال عليه السلام: قال الصّادق عليه السلام: ولمّا جاءهم جاء اليهود، ومن يليهم من النّواصب كتاب من عند الله القرآن مشتملاً على وصف محمّد وعلي، وايجاب ولايتهما وولاية أوليائهما، وعداوة أعدائهما[٢].

أقول: إنّما فسّر عليه السلام الرّسول بالكتاب لإستلزامه ايّاه دون العكس، وليوافق ما سبق في نظيره ولموافقة المنبوذ.

﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ﴾: التّوراة وسائر كتب انبيائه.

﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾: تركوا العمل بما فيها حسداً لمحمّد صلى الله عليه وآله على نبوّته ولعلي عليه السلام على وصيّته، وجحدوا على ما وقفوا عليه من فضائلهما[٣].

﴿كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾: فعلوا فعل من لا يعلم مع علمهم بأنّه حقّ.

---

١ ـ يعني ان فسر الرسول بالرسول لم تفد هذه الفائدة ولم يفهم منه الكتاب. منه قدس سره.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٧١.

٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٧١.

وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنْزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾: ما يقرأوه كفرة الشّياطين من السّحر، والنّيرنجات.

﴿عَلَىٰ[1] مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾: على عهده وزعموا أن سليمان كان كافراً ساحراً ماهراً به، وبذلك السّحر والنّيرنجات نال ما نال، وملك ما ملك، وقدر على ما قدر، وقالوا: ونحن أيضاً به نظهر العجائب حتّى ينقاد لنا النّاس ونستغني عن الإنقياد لمحمّد صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام[2].

القمّي[3]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام قال: لما هلك سليمان وضع ابليس السّحر ثم كتبه في كتاب فطواه، وكتب على ظهره هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود عليه السلام من ذخائر كنوز العلم من أراد كذا وكذا فليعمل[4] كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير، ثم استبان[5] لهم فقرأه فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان إلّا بهذا، وقال المؤمنون: بل هو

---

١ ـ «على» بمعنى «في» كما في قوله تعالى في سورة القصص: «وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَة عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا» الآية: ١٥.

٢ ـ تفسير الامام العسكري، ص ٤٧١ ـ ٤٧٢.

٣ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٥٥.

٤ ـ وفي نسخة [فليفعل] وفي المصدر [فليقل].

٥ ـ وفي نسخة [استشار] وفي المصدر [استشاره].

عبدالله ونبيّه، فقال الله في كتابه: «واتّبعوا ما تتلو الشّيَاطين على ملك سليمان» أي السحر[١].

وفي الإحتجاج: عن الصادق عليه السلام في حديث قال السائل: فمن أين علم الشياطين السحر؟ قال: من حيث عرف الأطبّاء الطبّ بعضه تجربة وبعضه علاج[٢].

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾: ولا استعمل السحر كما قال هؤلاء الكافرون.

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ﴾: وقرىء: «ولكن» بتخفيف النون ورفع ما بعده.

﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾: يعني كفروا بتعليمهم الناس السحر الذي نسبوه إلى سليمان بن داود.

﴿وَمَآ أُنْزِلَ عَلَىٰ ٱلْمَلَكَيْنِ﴾: وبتعليمهم إيّاهم ما أُنزل على الملكين.

﴿بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾: اسم الملكين، قال عليه السلام: قال الصادق عليه السلام: وكان بعد نوح قد كثر السحرة والمموّهون، فبعث الله تعالى ملكين إلى نبيّ ذلك الزمان بذكر ما يسحر به السحرة، وذكر ما يبطل به سحرهم، ويردّ به كيدهم فتلقاه النّبي صلى الله عليه وآله عن الملكين وأدّاه إلى عباد الله بأمر الله عزّ وجلّ، وأمرهم أن يقفوا به على السحر وأن يبطلوه، ونهاهم أن يسحروا به الناس، وهذا كما يدلّ على السمّ ما هو وعلى ما يدفع به غائلة السمّ، ثم يقال لمتعلّم ذلك: هذا السمّ فمن رأيته سمّ فادفع غائلته بكذا وكذا وإيّاك أن تقتل بالسّمّ أحداً قال: وذلك النّبي أمر الملكين أن يظهرا للناس بصورة بشرين ويعلّماهم ما علّمهما الله من ذلك ويعظاهم[٣].

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾: ذلك السّحر وإبطاله.

﴿حَتَّىٰ يَقُولآ﴾: للمتعلّم

﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: امتحان للعباد، وليطيعوا اللّه عزّ وجلّ فيما يتعلّمون من هذا ويبطلوا به كيد السحر ولا يسحرو .

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٢، ح ٧٤.

٢ ـ الإحتجاج: ج ٢، ص ٨٢، باب فيما احتجّ الصادق عليه السلام على الزنديق.

٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٤٧٣.

﴿فَلاَ تَكْفُرْ﴾: باستعمال هذا السحر وطلب الإضرار به ودعاء الناس إلى أن يعتقدوا أنّك به تحيي وتميت، وتفعل ما لا يقدر عليه إلّا اللّه فانّ ذلك كفر.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾: يعني طالبي السحر.

﴿مِنْهُمَا﴾: يعني ممّا تتلو الشياطين على ملك سليمان من النيرنجات[1] وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت يتعلّمون من هذين الصنفين.

﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرءِ وَزَوْجِهِ﴾: هذا من يتعلّم للإضرار بالناس يتعلّمون التفريق بضروب من الحيل والتمائم[2] والإيهام أنّه قد دفن في موضع كذا، وعمل يغضّب قلب المرأة على الرجل، وقلب الرجل على المرأة، ويؤدي إلى الفراق بينهما[3].

﴿وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ﴾: أي ما المتعلّمون لذلك بضارّين به من أحد.

﴿إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: يعني بتخلية اللّه وعلمه فانّه لو شاء لمنعهم بالجبر والقهر.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ﴾: لأنّهم إذا تعلّموا ذلك السحر ليسحروا به ويضرّوا، فقد تعلّموا ما يضرّهم في دينهم ولا ينفعهم فيه، بل ينسلخون عن دين اللّه بذلك.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾: علم هؤلاء المتعلّمون.

﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾: بدينه الذي ينسلخ عنه بتعلّمه.

﴿مَا لَهُ فِى ٱلأَخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾: من نصيب في ثواب الجنّة. في العيون: عن الصادق عليه السلام: لأنّهم يعتقدون أن لا آخرة، فهم يعتقدون أنّها إذا لم تكن آخرة فلا خلاق لهم في دار بعد الدنيا، وان كانت بعد الدنيا آخرة فهم مع كفرهم بها لا خلاق لهم فيها[4].

﴿وَلَبِئسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾: رهنوها بالعذاب.

﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾: أنّهم قد باعوا الآخرة وتركوا نصيبهم من الجنّة، لأنّ

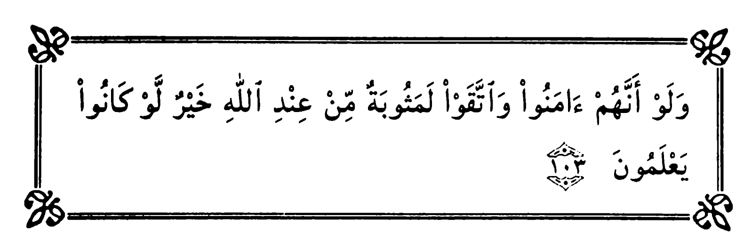
---

١ ـ النيرنج ـ بالكسر ـ: أخذ كالسحر وليس به، والنيرج النمّام القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٠٩. مادة «النورج».

٢ ـ التميمة: عوذة تعلق على الإنسان. الصحاح: ح ٥، ص ١٨٧٨.

٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٧٤.

٤ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩، ح ١، باب ٢٧ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام في هاروت وماروت.



المتعلّمين لهذا السحر هم الذين يعتقدون أن لا رسول ولا إلـه ولا بعث ولا نشور.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾:

قال الراوي قلت لأبي محمّد عليه السلام: فإنّ قوماً عندنا يزعمون أنّ هاروت وماروت ملكان إختارتهما الملائكة لمّا كثر عصيان بني آدم، وأنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدنيا، وأنّهما افتتنا بالزهرة، وأرادا الزنا بها، وشربا الخمر، وقتلا النّفس المحرّمة، وإنّ الله تعالى يعذّبهما ببابل، وانّ السحرة منهما يتعلّمون السحر، وانّ الله مسخ تلك المرأة هذا الكوكب الذي هو الزهرة، فقال الإمام: معاذ الله من ذلك، إنّ ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بألطاف الله تعالى، قال الله عزّ وجلّ فيهم: «لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»[1] وقال: «وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ» يعني الملائكة «لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۞ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ»[2] وقال في الملائكة أيضاً: «بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۞ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ»[3] إلى قوله «مُشْفِقُونَ» [4][5].

وفي العيون: عن الصّادق عليه السلام مثل ما في تفسير الإمام عليه السلام: من قوله: «وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ» إلى هنا بزيادة أشرنا إليها في محلّها[6].

وعن الرضا عليه السلام انّه سئل عمّا يرويه الناس من أمر الزهرة، وأنّها كانت إمرأة فتن بها هاروت وماروت، وما يروونه من أمر سهيل وأنّه كان عشّاراً باليمن فقال عليه السلام: كذبوا في

---

١ ـ التحريم: ٦.
٢ ـ الأنبياء: ١٩ ـ ٢٠.
٣ ـ الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧.
٤ ـ الانبياء: ٢٨.
٥ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٧٥.
٦ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩، ح ١، باب ٢٧ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام في هاروت وماروت.

قولهم: إنّهما كوكبان وإنّما كانتا دابّتين من دوابّ البحر، فغلط الناس وظنّوا أنّهما الكوكبان، وما كان الله عزّ وجلّ ليمسخ أعداءه أنواراً مضيئة ثم يبقها ما بقيت السموات والأرض، وأنّ المسوخ لم يبق أكثر من ثلاثة أيّام حتّى ماتت، وما تناسل منها شيء وما على وجه الأرض اليوم مسخ، وإنّ الّتي وقع عليها اسم المسوخيّة مثل القرد والخنزير والدبّ وأشباهها إنّما هي مثل ما مسخ الله عزّ وجلّ على صورها قوماً غضب الله عليهم ولعنهم بإنكارهم توحيد الله وتكذيبهم رسله، وأمّا هاروت وماروت فكانا ملكين علّما الناس السحر ليحترزوا به عن سحر السحرة، ويبطلوا به كيدهم، وما علّما أحداً من ذلك شيئا إلّا قالا له: «إنّما نحن فتنة فلا تكفر»، فكفر قوم باستعمالهم لِما أمروا بالإحتراز منه وجعلوا يفرّقون بما تعلّموه بين المرء وزوجه[١].

أقول: وأمّا ما كذّبوه عليهم السلام من أمر هاروت وماروت ومسخ زهرة وقصّتهم المشتهرة بين الناس، فقد ورد عنهم عليهم السلام في صحّتها أيضاً روايات، والوجه في الجمع والتوفيق أن يحمل روايات الصحّة على كونها من مرموزات الأوائل وإشاراتهم وأنّهم عليهم السلام لمّا رأوا أنّ حكاتها كانوا يحملونها على ظاهرها كذّبوها ولا بأس بايرادها وحلّها فانّ هاهنا محلّها.

القمّي[٢]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام انّه سأله عطاء: عن هاروت وماروت، فقال عليه السلام: إنّ الملائكة كانوا ينزلون من السّماء إلى الأرض في كلّ يوم وليلة، يحفظون أعمال أوساط أهل الأرض من ولد آدم والجنّ ويسطرونها[٣] ويعرجون بها إلى السّماء، قال: فضجّ أهل السّماء من أعمال أوساط أهل الأرض في المعاصي والكذب على الله تعالى، وجرأتهم عليه، ونزّهوا الله ممّا يقولون ويصفون، فقالت طائفة من الملائكة: يا ربّنا أما تغضب ممّا يعمل خلقك في أرضك، وممّا يصفون فيك الكذب، ويقولون الزّور، وممّا يرتكبونه من المعاصي الّتي نهيتهم عنها وهم في قبضتك وتحت قدرتك؟ قال: فأحبّ الله عزّ وجلّ أن يري الملائكة سابق علمه في جميع خلقه، ويعرّفهم ما منّ به عليهم ممّا طبعهم عليه من

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٧١، ح ٢.   ٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٥٥ ـ ٥٨.
٣ ـ هكذا في الأصل. وفي العياشي والقمي [ويكتبون أعمالهم].

الطّاعة وعدل به عنهم من الشّهوات الإنسانيّة، فأوحىٰ الله عزّ وجلّ إليهم أن انتدبوا منكم ملكين حتّى أهبطهما إلى الأرض واجعل فيهما الطّبائع البشرية من الشّهوة والحرص والأمل كما هو في ولد آدم، ثم اختبرهما في الطّاعة لي ومخالفة الهوىٰ، قال: فندبوا لذلك هاروت وماروت وكانا من أشدّ الملائكة قولاً في العيب لولد آدم واستيثار[1] غضب الله تعالى عليهم فأوحى الله سبحانه وتعالى إليهما « اهبطا إلى الأرض » فقد جعلت فيكما طبائع الشهوات والحرص والأمل وأمثالها كما جعلت في بني آدم، وانّي آمركما ألّا تشركا بي شيئاً، ولا تقتلا النّفس الّتي حرّمتها، ولا تزنيا، ولا تشربا الخمر، ثم اهبطا إلى الأرض في صورة البشر ولباسهم، فَهَبطا في ناحية بابل فرفع لهما بناء مشرف فأقبلا نحوه فإذا ببابه إمرأة جميلة حسناء متزيّنة متعطّرة مسفرة مستبشرة نحوهما فلمّا تأمّلا حسنها وجمالها ناطقاها وقعت في قلوبهما أشدّ موقع، واشتدّت بهما الشهوة الّتي جعلت فيهما، فمالا إليها ميل فتنة وخذلان، وحادثاها وراوداها عن نفسها، فقالت لهما إنّ لي ديناً أدين به وليس في ديني أن أجيبكما إلى ما تريدان إلّا أن تدخلا في ديني، فقالا: وما دينك ؟ فقالت: إنّ لي إلٰهاً من عبده وسجد له فهو ممّن في ديني، وأنا مجيبة لما يسأل منّي، فقالا: وما إلٰهك ؟ قالت: إلٰهي هذا الصنم فنظر كلّ إلى صاحبه، فقال له: هاتان خصلتان ممّا نهينا عنه، الزنا، والشرك، لأنا إن سجدنا لهذا الصّنم وعبدناه أشركنا بالله، وهو ذا نحن نطلب الزنا ولا نقدر على مغالبَةَ الشهوة، فيه ولن يحصل بدون هذا قالا لها: إنّا نجيبُك إلى ما سألت، قالت: فدونكما هذا الخمر. فاشربا فإنّه قربان لكما منه، وبه تبلغان مرادكما فأتمرا بينهما، وقالا: هذه ثلاث خصال ممّا نهينا عنه الشرك والزنا وشرب الخمر، وانّا لا نقدر على الزنا إلّا بهاتين حتّى نصل إلى قضاء وطرنا، فقالا: ما أعظم البليّة بِكِ فقد أجبناك، قالت: فدونكما اشربا هذا الخمر، واسجدا للصّنم، فشربا الخمر وسجدا ثمّ راوداها فلمّا تهيّأت لذلك دخل عليهما سائل فرآهما على تلك الحالة، فذعرا منه، فقال: ويلكما قد خلوتما بهذه المرأة المعطّرة الحسناء

---

١ ـ الثور: الهيجان، ثار الشيء: هاج، وثوره واستثار غيّره كما يستثار الأسد والصيد: أي هيّجه. تاج العروس: ج ١٠، ص ٣٣٧ مادة « ت و ر ».

وقعدتما منها على مثل هذه الفاحشة إنّكما لرجلان سوء لأفعلنّ بكما، وخرج على ذلك، فنهضت فقالت: لا وإلهي لا تصلان الآن إليّ وقد اطّلع هذا الرجل علينا وعرف مكانكما وهو لا محالة مخبر بخبركما فبادرا واقتلاه قبل أن يفضحنا جميعاً، ثم دونكما فاقضيا وطركما مطمئنّين آمنين فأسرعا إلى الرجل فأدركاه وقتلاه، ثم رجعا إليها فلم يرياها وبدت لهما سوآتهما ونزع عنهما رياشهما واسقطا في أيديهما، وسمعا هاتفاً إنّكما اهبطتما إلى الأرض بين البشر من خلق الله تعالى ساعة من النّهار، فَعَصَيتُمَا بأربع من كبائر المعاصي وقد نهاكما عنها، وقدّم إليكما فيها ولم تراقباه ولا استحييتما منه، وقد كنتما أشد من نقم على أهل الأرض المعاصي وأسجر غضبه عليهم ولمّا جعل فيكما من طبع خلقه البشري وكان عصمكم من المعاصي كيف رأيتم موضع خذلانه فيكما؟ قال: وكان قلبهما في حبّ تلك المرأة أن وضعا طرائق من السحر ما تداوله أهل تلك الناحية.

قال الإمام عليه السلام: فخيّرهما الله عزّ وجلّ بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فقال أحدهما لصاحبه: نتمتّع من شهوات الدنيا إذ صرنا إليها إلى أن نصير إلى عذاب الآخرة، فقال الآخر: إنّ عذاب الدنيا له انقطاع، وعذاب الآخرة لا انقطاع له، وليس حقيق بنا أن نختار عذاب الآخرة الدائم الشديد على عذاب الدنيا المنقطع الفاني، قال: فاختارا عذاب الدنيا وكانا يعلّمان الناس السحر بأرض بابل، ثّم لمّا علّما الناس السحر رفعا من الأرض إلى الهواء فهما معذبان منكّسان معلّقان في الهواء إلى يوم القيامة[1].

والعيّاشي: عن أبي الطفيل، قال: كنت في مسجد الكوفة، فسمعت عليّاً وهو على المنبر، فناداه ابن الكوّا وهو في مؤخّر المسجد، فقال: يا أمير المؤمنين عليه السلام ما الهدى؟ قال: لعنك الله أولم تسمعه؟ ما الهدىٰ تريد ولكنّ العمى تريد، ثمّ قال عليه السلام له: أُدن. فدنا منه فسأله عن أشياء فأخبره فقال: أخبرني عن هذه الكوكبة الحمراء يعني الزهرة؟

قال: إنّ الله اطّلع ملائكته على خلقه وهم على معصية من معاصيه، فقال: الملكان هاروت وماروت هؤلاء الذين خلقت أباهم بيدك وأسجدت له ملائكتك يعصونك؟ قال:

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٢ ـ ٥٤، ح ٧٥.

فلعلّكم لو ابتليتم بمثل الذي ابتليتهم به عصيتموني كما عصوني، قالا: لا وعزّتك.

قال: فابتلاهم بمثل الذي ابتلى به بني آدم من الشهوة، ثم أمرهم أن لا يشركوا به شيئاً، ولا يقتلوا النّفس الّتي حرّم الله، ولا يزنوا، ولا يشربوا الخمر، ثم أهبطهما إلى الأرض فكانا يقضيان بين الناس هذا في ناحية، وهذا في ناحية فكانا بذلك حتّى أتت أحدهما هذه الكوكبة تخاصم إليه وكانت من أجمل الناس فأعجبته، فقال لها: الحقّ لك ولا أقضي لك حتّى تمكّنيني من نفسك فواعدت يوماً، ثم أتت الآخر فلمّا خاصمت إليه وقعت في نفسه وأعجبته كما أعجبت الآخر، فقال لها: مثل مقالة صاحبه، فواعدته الساعة الّتي واعدت صاحبه فاتّفقا جميعاً عندها في تلك الساعة فاستحىٰ كل واحد من صاحبه حيث رآه، وطأطأ رؤوسهما ونكّسا ثم نزع الحياء منهما، فقال أحدهما لصاحبه: يا هذا جاء بي الذي جاء بك.

قال: ثم اعلماها وراوداها عن نفسها فأبت عليهما حتّى يسجدا لوثنها، ويشربا من شرابها، فأبيا عليها، وسألاها فأبت إلّا أن يشربا من شرابها فلمّا شربا وسجدا لوثنها ودخل مسكين فرآهما، فقالت لهما: يخرج هذا فيخبر عنكما، فقاما إليه فقتلاه، ثم راوداها عن نفسها فأبت حتّى يخبرانها بمايصعدان به إلى السماء، وكانا يقضيان بالنهار فإذا كان اللّيل صعدا إلى السماء فأبيا عليها وأبت أن تفعل فأخبراها، فقالت: ذلك لتجرّب[1] مقالتهما وصعدت، ورفعا أبصارهما إليها فرأيا أهل السماء مشرفين عليها ينظرون إليها وتناهت إلى السماء فمسخت وهي الكوكبة الّتي ترىٰ[2].

وفي الخصال: عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: إنّ المسوخ من بني آدم ثلاثة عشر إلى أن قال: وأمّا الزهرة فكانت إمرأة فتنت هاروت وماروت فمسخها الله كوكبا[3].

وعنه، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسوخ؟ فقال: هي ثلاثة عشر إلى أن قال صلى الله عليه وآله: وأمّا الزهرة فكانت إمرأة نصرانية وكانت

---

١ ـ يعني لتقول مثل مقالتهما، فتعلم هل يتأتىٰ الصعود بذلك القول أم لا. منه «قدّس سرّه».

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٤ ـ ٥٥، ح ٧٦. ٣ ـ الخصال: ص ٤٩٣، ح ١، أبواب الثلاثة عشر.

لبعض ملوك بني اسرائيل وهي الّتي فتن بها هاروت وماروت، وكان اسمها ناهيل، والناس يقولون ناهيد[١].

وفي العلل: عن أبي الحسن عليه السلام في حديث: قال: ومسخت الزهرة لأنّها كانت إمرأة فتن بها هاروت وماروت[٢].

وعنه، عن أبيه، في حديث قال: وأمّا الزهرة فإنّها كانت إمرأة تسمّىٰ ناهيل، وهي الّتي تقول الناس إنّه افتتن بها هاروت وماروت[٣].

أقول: في نسبة افتتانهما إلى قول الناس دليل على ما قلناه من أنّها من المرموزات، وأمّا حلّها: فلعلّ المراد بالملكين: الرّوح والقلب فإنّهما من العالم الرّوحاني اهبطا إلى العالم الجسماني لاقامة الحقّ فافتتنا بزهرة الحياة الدنيا، ووقعا في شبكة الشهوة فشرِبا خمر الغفلة، وعبدا صنم الهواء، وقتلا عقلهما الناصح لهما بمنع تغذيته بالعلم والتقوىٰ، ومحوا أثر نصحه عن أنفسهما، وتهيئا للزنا ببغي الدنيا الدنيّة الّتي تلىٰ تربية النشاط والطرب فيها الكوكب المسمّى بزهرة، فهربت الدنيا منهما، وفاتتهما لما كان من عادتها أن تهرب من طالبيها لأنّها متاع الغرور، وبقي اشراق حسنها في موضع مرتفع بحيث لا تنالها أيدي طلّابها مادامت الزهرة باقية في السماء، وحملهما حبّها في قلبهما إلى أن وضعا طرائق من السحر وهو ما لطف مأخذه ودقّ فخيّرا للتّخلّص منها فاختارا بعد التنبّه وعود العقل إليهما أهون العذابين، ثم رفعا إلى البرزخ معذّبين ورأسهما بعد إلى اسفل إلى يوم القيامة هذا ما خطر بالبال في حل هذا الرمز، وأما حلّ بقيّة أجزائه الّتي في رواية أبي الطفيل[٤] فموكول إلى بصيرة ذوي البصائر.

وقيل: بل هو اشارة إلى أن الشخص العالم الكامل المقرّب من حظائر القدس قد

١ـ الخصال: ص ٤٩٤، ح ٢، أبواب الثلاثة عشر.

٢ـ علل الشرائع: ص ٤٨٥، ح ١، باب ٢٣٩ علل المسوخ وأصنافها.

٣ـ علل الشرائع: ص ٤٨٦، ح ٢، باب ٢٣٩ علل المسوخ وأصنافها.

٤ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٤ ـ ٥٥، ح ٧٦.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾

يوكل إلى نفسه الغرّارة ولا يلحقه العناية والتوفيق فينبذ علمه وراء ظهره ويقبل على مشتهياته الحسّية الخسيسة، ويطوي كشحه عن اللذّات الحقيقيّة والمراتب العليّة فينحطّ إلى أسفل السافلين، والشخص الجاهل الناقص المنغمس في الأوزار قد يختلط بذلك الشخص العالم قاصداً بذلك الفساد والفحشاء فيدركه توفيق إلهي فيستفيد من ذلك العالم ما يضرب بسببه صفحاً عن أدناس دار الغرور وأرجاس عالم الزّور ويرتفع ببركة ما تعلّمه من حضيض الجهل والخسران إلى أوج العزّ والعرفان فيصير المتعلّم في أرفع درج العلا، والمعلّم في أسفل درك الشقاء.

أقول: هذا الحلّ غير منطبق على الرمز بتمام أجزائه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: العيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام[1]، والسجّاد عليه السلام ليس في القرآن «يا أيّها الّذين آمنوا» إلّا وهي في التوراة. «يا أيّها المساكين»[2].

﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾: راع أحوالنا وراقبنا وتأنّ بنا فيما تلقننا حتّى نفهمه، واسمع منّا نسمع منك، وذلك لأنّ اليهود لمّا سمعوا المسلمين يخاطبون رسول الله صلى الله عليه وآله بقولهم: «رَاعنَا» وكان «رَاعِنَا» في لغتهم سبّاً بمعنى اسمع لا سمعت، قال بعضهم لبعض: لو كنّا نشتم محمّداً صلى الله عليه وآله إلى الآن سرّاً، فتعالوا الآن نشتمه جهراً، فكانوا يقولون له: راعنا يريدون شتمه ففطن لذلك سعد بن معاذ الأنصاري فلعنهم، وأوعدهم بضرب أعناقهم لو سمعها منهم فنزلت:

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٨٩، ح ٤.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٢٨٩، ح ٦. وفي عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٣٩، ح ١١٩.

مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾

﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾: انظر إلينا.

﴿وَٱسْمَعُواْ﴾: إذا قال لكم رسول الله صلى الله عليه وآله: قولا وأطيعوا.

﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ﴾: الشاتمين.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ * مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: آية بيّنة، وحجّة معجزة لنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وشرفه وشرف أهل بيته.

﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾: بتوفيقه لدين الإسلام، وموالاة محمّد صلى الله عليه وآله، وعليّ عليه السلام.

﴿مَن يَشَآءُ﴾: في المجمع عن أمير المؤمنين، والباقر عليهما السلام يعني بنبوّته[1].

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾: يعني على من وفّقه لدينه وموالاتهما.

أقول: أو من يختاره لنبوّته، أو ما يشملهما، وغيرهما.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: بأن نرفع حكمها، وقرىء بضمّ النون وكسر السين.

﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: بأن نرفع رسمها ونبلي عن القلوب حفظها، وعن قلبك يا محمّد صلى الله عليه وآله كما قال. «سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسىٰ * إلّا مَا شَاءَ الله»[2]: أن ينسيك فرفع عن قلبك ذكره، وقرىء ننسَاها بفتح النون وإثبات الألف.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٧٩.
٢ ـ الأعلىٰ: ٦ و ٧.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾: بما هو أعظم لثوابكم وأجلّ لصلاحكم.

﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾: من الصلاح يعني إنّا لا ننسخ ولا نبدّل إلّا وغرضنا في ذلك مصالحكم.

أقول: وذلك لأنّ المصالح تختلف بإختلاف الأعصار والاشخاص، فإنّ النافع في عصر وبالنّسبة إلى شخص قد يضرّ في غير ذلك العصر وفي حق غير ذلك الشخص، ويأتي بيان ذلك مفصّلاً من كلام المعصوم عليه السلام في تفسير آيات القبلة إن شاء الله.

قيل: إنّها نزلت حين قالوا: إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله يأمرنا بأمر، ثمّ ينهى عنه، ويأمر بخلافه[1].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: يقدر على النسخ والتبديل لمصالحكم ومنافعكم.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: وهو العالم بتدبيرها ومصالحها فهو يدبّركم بعلمه.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾: يلي صلاحكم إذ كان العالم بالمصالح هو دون غيره.

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: ولا لكم من ناصر ينصركم من مكروه إن أراد إنزاله بكم أو عقاب إن أراد إحلاله بكم.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾: بل تريدون يا كفّار قريش واليهود.

---

١ ـ انظر الكشاف: ج ١، ص ١٧٦.

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلحَـقُّ فَاعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُـلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾

﴿أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ﴾: ما تقترحونه من الآيات الّتي لا تعلمون هل فيه صلاحكم أو فسادكم.

﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾: واقترح عليه لمّا قيل له: لن نؤمن لك حتّى نرىٰ الله جَهرةً فأخذتهم الصّاعقة.

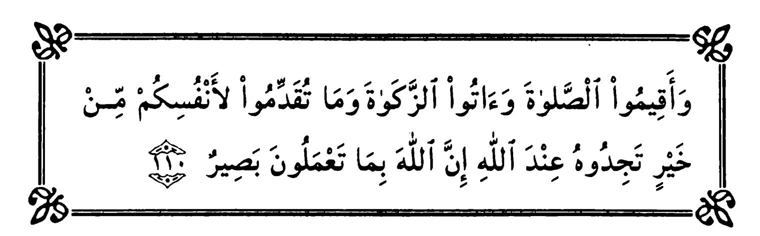
﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِالإِيمَـٰنِ﴾: بعد جواب الرسول له إنّ ما بيّنا له لا يصلح إقتراحه على الله فلا يؤمن إذا عرف أنّه ليس له أن يقترح أو بعد ما يظهر له ما اقترح إن كان اقتراحه صواباً فلا يؤمن عند مشاهدته ما يقترح أو لا يكتفي بما أقامه الله من الدلالات والبيّنات بأن يعاند ولا يلزم الحجّة القائمة وذلك أنّ النبيّ ﷺ قصده عشرة من اليهود يريدون أن يتعنّتوه ويسألوه عن أشياء ويعانتوه[1] بها، ثمّ ذكر عليه السلام أشياء سألوها، وآيات اقترحوها، وسنذكرها إن شاء الله في مواضعها.

﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: اخطأ طريق القصد المؤدّية إلى الجنان وأخذ في الطريق المؤدّية إلى النيران.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُـفَّاراً﴾: بما يوردونه عليكم من الشبه.

---

١ ـ وفي نسخة [يعاتبوه].



﴿حَسَدًا﴾: لكم بأن أكرمكم بمحمّد ﷺ وعليّ وآلهما الطيّبين.

﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾: قيل: أي تمنّوا ذلك من عند أنفسهم وتشهّيهم لا من عند تديّنهم، وميلهم إلى الحقّ أو حسداً بالغاً منبعثاً من أصل نفوسهم[١][٢].

﴿مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾: بالمعجزات الدالات على صدق محمّد ﷺ وفضل عليّ وآلهما عليهم السلام، وقيل: بالنعوت المذكورة في التوراة[٣].

﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ﴾: عن جهلهم وقابلوهم بحجج الله، وادفعوا بها أباطيلهم.

قيل: العفو: ترك عقوبة المذنب، والصفح: ترك تثريبه[٤].

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾: فيهم بالقتل يوم فتح مكّة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: قيل: عطف على فاعفوا، كأنّه أمرهم بالصبر والمخالفة واللّجأ إلى الله بالعبادة والبرّ[٥].

﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: كصلاة ومال تنفقونه في طاعة الله أو جاه تبذلونه لإخوانكم المؤمنين تجرّون به إليهم المنافع وتدفعون به المضارّ.

﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: تجدوا ثوابه تحطّ به سيّئاتكم وتضاعف به حسناتكم وترفع به درجاتكم.

---

١ ـ راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٧٦.

٢ ـ وفي نسخة: [من أصل أنفسهم].

٣ ـ راجع أنوار التنزيل: ج١، ص ٧٦.

٤ ـ راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٧٦.

٥ ـ راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٧٦.

وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَـٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: عالم ليس يخفى عليه ظاهر فعل ولا باطن ضمير فهو يجازيكم على حسب اعتقاداتكم ونيّاتكم.

﴿وَقَالُواْ﴾: يعني اليهود والنصارى، قالت اليهود:

﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً﴾: أي يهوديّاً.

﴿أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾: يعني وقالت: النصارىٰ لن يدخل الجنّة إلّا من كان نصرانيّاً.

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: الّتي يتمنّونها بلا حجّة.

﴿قُلْ﴾: لهم.

﴿هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾: حجّتكم على مقالتكم.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: في دعواكم.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾: لمّا سمع الحقّ وبرهانه.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: في عمله لله.

﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾: ثوابه.

﴿عِندَ رَبِّهِ﴾: يوم الفصل والقضاء.

﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: حين يخاف الكافرون ممّا يشاهدونه من العقاب.

﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: عند الموت لأنّ البشارة بالجنان تأتيهم.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: من الدّين بل دينهم باطل وكفر.

﴿وقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: من الدين بل دينهم باطل وكفر لأن كلّاً من الفريقين مقلّد بلا حجّة.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: ولا يتأمّلونه ليعلموا ما يوجبه فيتخلّصوا من الضلالة.

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الحق ولم ينظروا فيه من حيث أمره الله.

﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: يكفّر بعضهم بعضاً.

﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: بين الفريقين.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: في الدنيا يبيّن ضلالتهم وفسقهم، ويجازي كلّ واحد منهم بقدر استحقاقه قال الإمام عليه السلام: قال الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام إنّما نزلت لأنّ قوماً من اليهود وقوماً من النّصارى جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا محمّد صلى الله عليه وآله اقض بيننا، فقال صلى الله عليه وآله: قصّوا عليّ قصّتكم، فقالت اليهود: نحن المؤمنون بالله الواحد الحكيم وأوليائه، وليست النصارى على شيء من الدين والحقّ، وقالت النّصارى: بل نحن المؤمنون بالله الواحد الحكيم وأوليائه وليست هؤلاء اليهود على شيء من الحقّ والدين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّكم مخطئون مبطلون فاسقون عن دين الله وأمره، فقالت اليهود: وكيف نكون كافرين وفينا كتاب الله التوراة نقرأه ؟ وقالت النصارىٰ وكيف

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

نكون كافرين وفينا كتاب الله الإنجيل نقرأه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّكم خالفتم أيّها اليهود والنصارى كتاب الله ولم تعملوا به، فلو كنتم عاملين بالكتابين لما كفّر بعضكم بعضاً بغير حجّة، لأنّ كتب الله أنزلها شفاءً من العمىٰ، وبياناً من الضّلالة تهدي العاملين بها إلى صراط مستقيم، وكتاب الله إذا لم تعملوا به كان وبالاً عليكم، وحجّة الله إذا لم تنقادوا لها كنتم للّه عاصين ولسَخَطه متعرضين، ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على اليهود فقال: إحذروا أن ينالكم لخلاف أمر الله وخلاف كتابه ما آصاب أوائلكم الذين قال الله فيهم: «فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَىٰ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِنَ ٱلسَّمَآءِ»[١][٢].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾: هي مساجد خيار المؤمنين بمكّة منعوهم من التعبّد فيها بأن ألجأوا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الخروج من مكة.

وفي المجمع عن الصادق عليه السلام[٣]، والقمّي: إنهم قريش حين منعوا رسول الله صلى الله عليه وآله دخول مكّة والمسجد الحرام[٤].

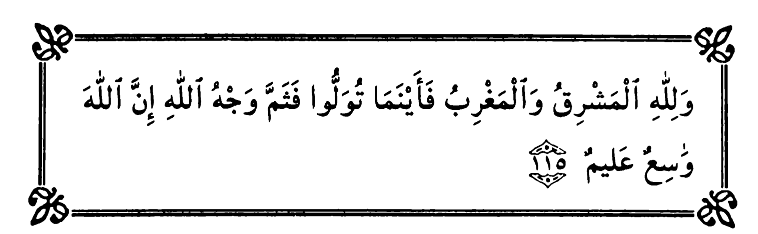
وعن زيد بن عليّ، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام: انّه أراد جميع الأرض لقول النّبي صلى الله عليه وآله: جُعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهورا[٥].

أقول: وهو عامّ لكلّ مسجد وكلّ مانع، وإن نزل خاصّاً.

﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾: خراب تلك المساجد لئلّا تعمر بطاعة الله.

---

١ ـ البقرة: ٥٩.
٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٤٤ ـ ٥٤٥.
٣ ـ مجمع البيان: ١ ـ ٢، ص ١٩٠.
٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٥٨.
٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٩٠. وعوالي اللئالي: ج ٢، ص ١٣، ح ٢٦ و ج ٢، ص ٢٠٨، ح ١٣٠.



﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَاكَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾: عن عدله[1] وحكمه النافذ عليهم أن يدخلوها كافرين بسيوفه وسياطه.

أقول: يعني إمام العدل فهو وعد للمؤمنين بالنصرة، واستخلاص المساجد منهم، وقد أنجز وعده بفتح مكّة لمؤمني ذلك العصر، وسينجزه لعامّة المؤمنين حين ظهور العدل.

والعيّاشي: عن محمّد بن يحيى يعني لا يقبلون الإيمان إلّا والسيف على رؤوسهم[2].

﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: وهو طرده إيّاهم عن الحرم، ومنعهم أن يعودوا إليه.

﴿وَلَهُمْ فِى ٱلأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: بكفرهم وظلمهم، قال عليه السلام قال عليّ بن الحسين عليهما السلام: ولقد كان في المنافقين والضعفاء أشباه المنافقين قصد إلى تخريب المساجد بالمدينة، وتخريب مساجد الدنيا كلّها بما همّوا به من قتل عليّ عليه السلام بالمدينة، وقتل رسول الله صلى الله عليه وآله في طريقهم إلى العقبة، يعني في غزوة تبوك[3].

هذا آخر ما وجد من تفسير أبي محمّد الزكي عليه السلام مرتّباً مجتمعاً، وما وجد منه متفرّقاً نذكره في مواضعه إن شاء الله.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾: يعني ناحيتي الأرض أي له كلّها.

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾: قيل: أي ذاته[4]، إذ لا يخلو منه مكان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾: ذاتاً وعلماً وقدرةً ورحمةً وتوسعةً على عباده.

---

١ ـ وفي نسخة: [من عدله].
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٦، ح ٧٩.
٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٦٠.
٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٧٨، س ٦.

﴿عَليمٌ﴾: بمصالح الكلّ ومَا يصدر عن الكلّ في كلّ مكان وجهَة.

القمّي: إنّها نزلت في صلاة النافلة، تصلّيها حيث توجّهت إذا كنت في السفر، وأمّا الفرائض فقوله تعالى: «وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ»[١] يعني الفرائض لا تصلّيها إلّا إلى القبلة[٢].

وفي المجمع: مثله، قال: هذا هو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام[٣].

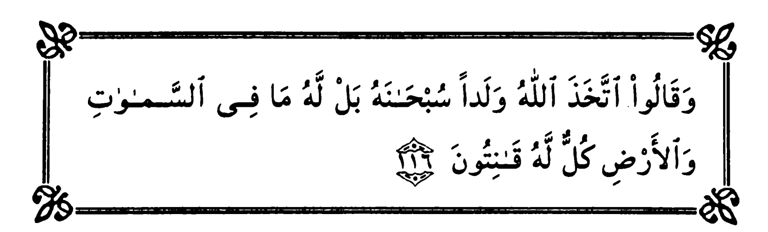
والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام أنزل الله هذه الآية في التطوّع خاصّةً «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ»، وصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله إيماءاً على راحلته أينما توجّهت به حيث خرج إلى خيبر، وحين رجع من مكّة وجعل الكعبة خلف ظهره[٤].

قال زرارة: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الصلاة في السفر والسفينة والمحمل سواء ؟ قال: النافلة كلّها سواء تؤمي إيماءاً أينما توجّهت دابّتك وسفينتك، والفريضة تنزل بها عن المحمل إلى الأرض إلّا من خوف فإن خفت أوْمَأت، وأمّا السفينة فصلّ فيها قائماً وتوخّ القبلة بجهدك، أنّ نوحاً عليه السلام قد صلّى الفريضة فيها قائماً متوجّهاً إلى القبلة وهي مطبقة[٥] عليهم، قال قلت: وما كان علمه بالقبلة فيتوجّهها وهي مطبقة عليهم؟ قال: كان جبرئيل يقومه نحوها، قال: قلت: فأتوجّه نحوها في كل تكبيرة؟ قال: أمّا في النافلة فلا إنّما تكبّر في النافلة على غير القبلة أكثر، ثم قال: كل ذلك قبلة للمتنفّل إنّه قال: «أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ»[٦].

وفي العلل[٧]، والعيّاشي: عنه عليه السلام: إنّه سئل عن رجل يقرأ السّجدة، وهو على ظهر دابّته؟ قال: يسجد حيث توجّهت، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصلّي على ناقته النافلة وهو مستقبل المدينة، يقول: «فأينما تولّوا فَثَمَ وجه الله إنّ الله واسع عليهم»[٨].

---

١ ـ البقرة: ١٤٤ و ١٥٠.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٥٨ ـ ٥٩.
٣ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٩١.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٦، ح ٨٠.
٥ ـ قوله مطبقة: هي أنّ السماء كانت غيماً كلّها. منه قدّس سرّه.
٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٦ ـ ٥٧، ح ٨١.
٧ ـ علل الشرائع: ص ٣٥٨، ح ١، باب ٧٦.
٨ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٧، ح ٨٢.



وفي الفقيه: عن الصادق عليه السلام إنّه سئل عن رجل يقوم في الصلاة ثم ينظر بعدما فرغ فيرى أنّه قد انحرف عن القبلة يميناً وشمالاً فقال: قد مضت صلاته، وما بين المشرق والمغرب قبلة، ونزلت هذه الآية في قبلة المتحيّر «ولِلّهِ المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثمّ وجه الله»[1].

وفي التوحيد: عن سلمان الفارسي رضي الله عنه في حديث الجاثليقْ الّذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل فأجابه عنها إنّ فيما سأله، أن قال: أخبرني عن وجه الربّ تبارك وتعالى؟ فدعا علي عليه السلام بنار وحطب فأضرمه فلمّا اشتعلت قال علي عليه السلام: أين وجه هذه النار؟ قال النصراني: هي وجه من جميع حدودها، قال علي عليه السلام: هذه النار مدبّرة مصنوعة لا يعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها «ولله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثمّ وجه الله» لا تخفى على ربّنا خافية[2].

وقريب منه ما رواه في الخصال، عن أمير المؤمنين عليه السلام في أجوبة مسائل اليهودي[3].

وفي الاحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام انّ وجه الله: هم الحُجَج الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله، وفرض على العباد طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها بنفسه[4].

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً﴾: قالت اليهود: عزيرٌ ابن الله، وقالت النصارى: المسيح

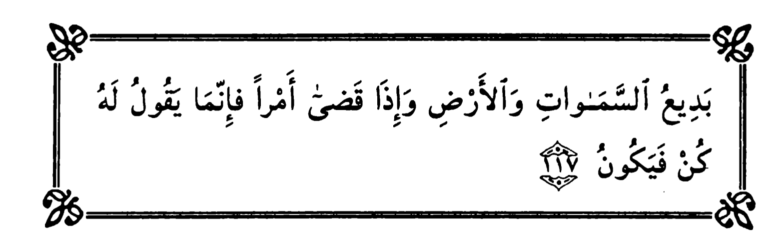
---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٧٩، ح ٨٤٦ / ٦، باب ٤٢ ـ القبلة.

٢ ـ التوحيد: ص ١٨٢، ح ١٦.

٣ ـ الخصال: ص ٥٩٧، ضمن حديث ١، باب الواحد إلى الماءة.

٤ ـ الاحتجاج: ج ١، ص ٣٧٥، باب احتجاجه على زنديق جاء مستدلاً بآي من القرآن متشابهة.



ابن الله، وقالت مشركوا العرب: الملائكة بنات الله[١].

﴿سُبْحَـٰنَهُ﴾: تنزيه له عن ذلك فإنّه يقتضي التشبيه والحاجة والفناء.

﴿بَلْ لَّهُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: بل كلّه ملك له، عزير، والمسيح، والملائكة، وغيرهم.

﴿كُلٌّ لَّهُ قَـٰنِتُونَ﴾: منقادون مقرّون له بالعبوديّة طبعاً وجبلّةً، لا يمتنعون عن مشيّته وتكوينه فكيف يكونون مجانسين له، ومن حقّ الولد أن يجانس والده.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام في تفسيره: ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله، فابتدع السماوات والأرض ولم يكن قبلهنّ سماوات ولا أرضون، أمَا تسمع لقوله تعالى: «وَكَانَ عَرْشَهُ عَلَىٰ ٱلْمَـآءِ»[٢][٣].

﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْراً﴾: أراد فعله وخلقه كما قال: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذا أَرَادَ شَيْئاً»[٤].

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع، وانّما كلامه سبحانه فعل منه انشاءاً، ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً.

كذا في نهج البلاغة: قال: يقول ولا يلفظ، ويريد ولا يضمر[٥].

وفي الكافي[٦]، والتوحيد: عن الكاظم عليه السلام: الإرادة من المخلوق الضمير، وما يبدو

---

١ ـ قيل: إن السبب في هذه الضلالة: أن أرباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الأب على الله باعتبار أنّه السبب الأوّل، حتى قالوا: إنّ الأب: هو الأب الأصغر، والله سبحانه هو الأب الأكبر، ثم ظنت الجهلة منهم أنّ المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليداً. منه قدّس سرّه.

٢ ـ هود: ٧.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٥٦، ح ٢، باب نادر في ذكر الغيب.

٤ ـ يس: ٨٢.

٥ ـ نهج البلاغة: ص ٢٧٤، الخطبة ١٨٦ في التوحيد.

٦ ـ الكافي: ج ١، ص ١٠٩، ح ٣، باب الإرادة انها من صفات الفعل.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾

له بعد ذلك من الفعل، وامّا من الله فإرادته للفعل إحداثه لا غير ذلك، لأنّه لا يروّي ولا يهمّ[١] ولا يتفكّر، وهذه الصفات منفيّة عنه، وهي من صفات الخلق، فإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك، يقول له: «كُنْ فَيَكُون» بلا لفظ، ولا نطق بلسان، ولا همة، ولا تفكّر، ولا كيف لذلك، كما أنّه لا كيف له[٢].

وفي رواية: «وكن» منه صنع، وما يكون به المصنوع[٣].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: جهلة المشركين وغير العاملين بعلمهم من أهل الكتاب.

﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾: **أقول:** هذا كقوله سبحانه في المدّثر: «يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً»[٤].

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾: من الأمم الماضية.

﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: «فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً»[٥] وهل يستطيع ربّك أن ينزّل علينا مائدةً من السّماء.

---

١ ـ الهم بالأمر: حديث النفس بفعله. يقال: هم بالأمر يهمُّ هماً، وجمعه هموم، وأهمَّه الأمر: إذا عنىٰ به، يحدّث به نفسه، والفرق بين الهمّ بالشيء والقصد إليه: انه قد يهمّ بالشيء قبل أن يريده ويقصده بأنه يحدّث نفسه به وهو مع ذلك مقبل علىٰ فعله مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٨٨.

٢ ـ التوحيد: ص ١٤٧، ح ١٧.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٧٣ ـ ١٧٤، ح ١، باب ١٢ ـ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات في التوحيد عند المأمون.

٤ ـ المدثر: ٥٢.

٥ ـ النساء: ١٥٣.

إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَـئِنْ ٱتَّـبَعْتَ أَهْوَآءَهُمْ بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ ٱللَّـهِ مِـنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾

﴿تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمىٰ والعناد.

﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: الحقائق.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾: فلا عليك إن أصرّوا أو كابرُوا.

﴿وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام إنّه على النّهي كما قرئ به[1].

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: مبالغة في اقناط الرسول صلى الله عليه وآله عن اسلامهم، فإنّهم إذا لم يرضوا منه حتّى يتّبع ملّتهم فكيف يتّبعون ملّته. كذا قيل[2].

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾: أي الإسلام.

﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾: إلى الحق لا ما تدعون اليه.

﴿وَلَئِنْ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُمْ﴾: آراءهم الزائفة[3].

﴿بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: يدفع

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٩٦.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٧٩.

٣ ـ وفي نسخة [الزائغة]. والزيغ: الميل عن الحق. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٠، مادة «زيغ».

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُولَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْماً لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

عنك عقابه، وهذا من قبيل: إيّاك أعني واسمعي يا جارة[١].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾: بالوقوف عند ذكر الجنّة والنار يسأل في الأولى، ويستعيذ في الأُخرى. كذا في المجمع[٢]، والعيّاشي[٣]: عن الصادق عليه السلام.

وفي الكافي: عنه عليه السلام: هم الأئمّة عليهم السلام[٤]، ورواه العيّاشي[٥] أيضاً.

﴿أُولَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ * يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ * وَٱتَّقُوا۟ يَوْماً لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: قد مضىٰ تفسير الآيتين، قيل: لما صدر قصّتهم بالأمر بذكر النّعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها، والخوف من السّاعة وأهوالها كرّر ذلك، وختم به

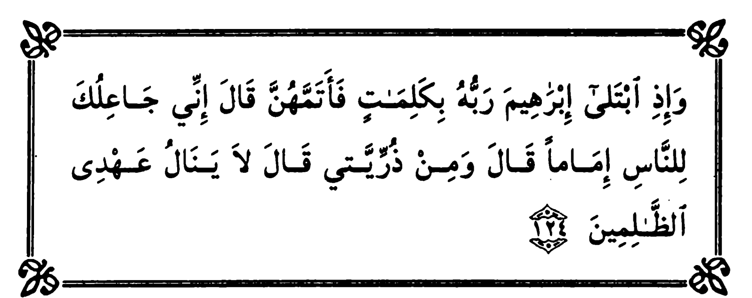
١ ـ راجع المثل في الكافي: ج ٢، ص ٦٣٠ ـ ٦٣١، ح ١٤، باب النوادر.

٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٩٨.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٧، ح ٨٤.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٢١٥، ح ٤، باب في ان من اصطفاه الله من عباده.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٧، ح ٨٣.



الكلام معهم مبالغة في النصح، وإيذاناً بأنّه فذلكة القصّة[١]، والمقصود منها[٢].

والعيّاشي عن الصادق عليه السلام: إنّ العدل: الفريضة[٣].

وفيه عن الباقر عليه السلام: ان العدل: الفداء[٤].

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: القمّي: هو ما ابتلاه به ممّا أراه في نومه بذبح[٥] ولده فأتمّها إبراهيم عليه السلام وعزم عليها وسلّم فلّما عزم قال تبارك وتعالىٰ: ثواباً لما صدّق وسلّم وعمل بما أمره اللّه: «إنّي جاعلك للناس إماماً» فقال إبراهيم: «ومن ذرّيّتي» ؟ قال جلّ جلاله: «لا يَنَالُ عهدي الظّالمين» أي لا يكون بعهدي امام ظالم، ثم أنزل عليه الحنيفيّة وهي الطّهارة، وهي عشرة أشياء: خمسة في الرأس، وخمسة في البدن، فأمّا الّتي في الرأس فأخذ الشارب، وإعفاء اللّحى، وطمّ الشعر[٦]، والسّواك، والخلال، وامّا الّتي في البدن: فحلق الشعر من البدن، والختان، وقلم الأظفار، والغسل من الجنابة، والطّهور بالماء. فهذه الحنيفيّة الطاهرة الّتي جاء بها إبراهيم عليه السلام فلم تنسخ ولا تنسخ إلى يوم القيامة[٧].

---

١ ـ فذلكة القصّة: أي تمامها. منه رحمه الله.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٠.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٧، ح، ٨٥. ٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٧، ح، ٨٦.

٥ ـ وفي نسخة [من ذبح]. ٦ ـ وطمّ الشعر: جزّه أو قصّه. مجمع البحرين: ج٦، ص١٠٧، مادة «طمم».

٧ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٥٩.

وفي الخصال: عن الصادق عليه السلام: قال: هي الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه وهو أنّه قال: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم إلّا تبت عليّ فتاب عليه إنّه هو التواب الرحيم، فقيل له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فما يعني بقوله عزّ وجلّ: «فأتمّهنّ»؟ قال: يعني أتمّهنّ إلى القائم اثنا عشر إماماً تسعة من ولد الحسين عليهم السلام[١].

والعيّاشي: مضمراً قال: أتمّهنّ بمحمّد وعليّ والأئمّة من ولد عليّ عليهم السلام قال: وقال إبراهيم: يا ربّ فعجّل بمحمّد وعليّ ما وعدتني فيهما وعجّل نصرك لهما[٢].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: انّ الله تبارك وتعالىٰ اتّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً، وإنّ الله اتّخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولا، وأنّ الله اتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، وانّ الله اتّخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلمّا جمع له الأشياء «قال إنّي جاعلك للناس اماماً» قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: «ومن ذرّيتي قال لا ينال عهدي الظالمين»[٣] قال: لا يكون السّفيه إمام التقي[٤].

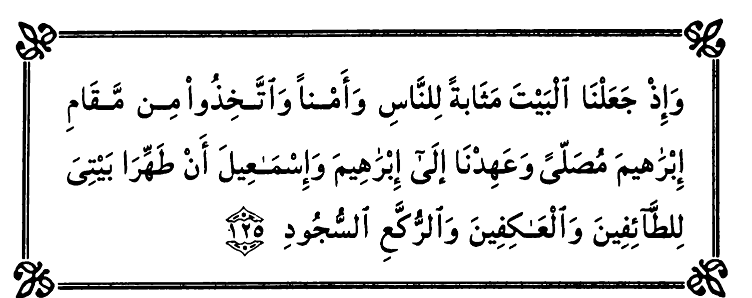
وعنه عليه السلام: من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً[٥].

أقول: وفيه تعريض بالثلاثة حيث عَبَدوا الأصنام قبل الإسلام.

في العيون: عن الرضا عليه السلام في حديث طويل: إنّ الإمامة خصّ الله عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة والخلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرفها بها وأشاد[٦] بها ذكره فقال عزّ وجلّ: «انّي جَاعلك للنّاس إماما» فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: «ومن ذرّيّتي» قال الله عزّ وجلّ: «لا ينال عهدي الظّالمين» فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة،

---

١ ـ الخصال: ص ٣٠٥، ح ٨٤، باب الكلمات التي ابتلىٰ إبراهيم به.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٧، ح ٨٨.
٣ ـ الكافي: ج ١، ص ١٧٥، ح ٤، باب طبقات الانبياء والرسل.
٤ ـ الكافي: ج ١، ص ١٧٥، ح ٢، باب طبقات الانبياء والرسل.
٥ ـ الكافي: ج ١، ص ١٧٥، ح ١، باب طبقات الأنبياء والرسل.
٦ ـ الإشادة: رفع الصوت بالشيء وأشاد بذكره: أي رفع من قدره الصحاح: ج ٢، ص ٤٩٥.



وصارت في الصّفوة[١].

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾: أي الكعبة.

﴿مَثَابَةً﴾: مرجعاً، ومحلّ عود.

﴿لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهو آمن من سخط اللّه عزّ وجلّ، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذىٰ حتّى يخرج من الحرم[٢].

﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾: وقرىء بفتح الخاء.

﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِيمَ مُصَلًّى﴾: وهو الحجر الّذي عليه أثر قدمه صلوات الله عليه.

في التّهذيب: عن الصّادق عليه السلام يعني بذلك ركعتي طواف الفريضة[٣].

ومثله في الكافي[٤]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: ما أعظم فرية أهل الشّام على اللّه تعالىٰ يزعمون أنّ اللّه تبارك وتعالىٰ حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس، ولقد وضع عبد من عباد اللّه قدمه على صخرة فأمرنا اللّه أن نتّخذه مصلّىٰ الحديث[٥].

وفي المجمع[٦]، والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: نزلت ثلاثة أحجار من الجنّة: مقام

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢١٧، ح ١، باب ٢٠ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام في وصف الإمامة والإمام وذكر فضل الإمام ورتبته.

٢ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٢٦، ح ١، باب من دخله كان آمنا.

٣ ـ تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ١٣٨، ح ٤٥٤.

٤ ـ الكافي: ج ٤، ص ٤٢٣، ح ٢.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٩، ح ٩٤.

٦ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٠٣.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰـذَا بَلَداً ءَامِناً وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

إبراهيم، وحجر بني اسرائيل، والحجر الأسود[١].

﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: القمّي: عن الصادق عليه السلام نَحِّيَا عنه المشركين، وقال لمّا بنى إبراهيم عليه السلام البيت وحجّ الناس شكت الكعبة إلى الله تعالى ما تلقى من أنفاس المشركين، فأوحى الله تعالى إليها قرّي كعبتي فإنّي أبعث في آخر الزمان قوماً يتنظّفون بقضبان[٢] الشجر ويتخلّلون[٣].

وفي العِلل[٤]، والعيّاشي: عنه عليه السلام انّه سئل أيغتسلن النساء إذا أتين البيت ؟ قال: نعم إنّ اللّه تعالىٰ يقول: «طهّرَا بيتي للطّائفين والعَاكفين والرّكّع السجود» فينبغي للعبد أن لا يدخل إلّا وهو طاهر قد غسل عنه العرق والاذىٰ وتطهّر[٥]، ومثله في الكافي[٦].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰـذَا بَلَداً ءَامِناً وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: في العلل: عن الرضا عليه السلام لمّا دعا إبراهيم ربّه أن يرزق أهله من كل الثمرات أمر بقطعة من الأردن[٧] فسارت بثمارها حتّى طافت بالبيت، ثم أمرها أن تنصرف إلى هذا الموضع الّذي سمّي بالطائف ولهذا[٨] سمّي طائفاً[٩].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٩، ح ٩٣. ٢ ـ القضيب واحد القضبان، وهي الأغصان؛ الصحاح: ج ١، ص ٢٠٣.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٥٩.
٤ ـ علل الشرائع: ص ٤١١، ح ١، باب ١٥١ . علّة غسل دخول البيت .
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٩، ح ٩٥. ٦ ـ الكافي: ج ٤، ص ٤٠٠، ح ٣، باب دخول مكة .
٧ ـ الأُردن بالضم والتشديد: اسم نهر وكورة بأعلى الشام . الصحاح: ج ٥، ص ٢١٢٢ .
٨ ـ في المصدر، ونسخة أُخرىٰ [فلذلك].
٩ ـ علل الشرائع: ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣، ح ٢، باب ١٨٩ . العلة التي من أجلها سمي الطائف طائفاً .

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾

والقمّي: عن الصادق عليه السلام يعني من ثمرات القلوب، أي حبّبهم إلى الناس لينتابوا إليهم ويعودوا[1].

أقول: هذا تأويل، وذاك تفسير، وشاهد التأويل قوله في سورة إبراهيم عليه السلام: «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِم»[2].

وفي العوالي[3]: حديث آخر يأتي هناك إن شاء اللّه.

﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾: العيّاشي: عن السجّاد عليه السلام قال: إيّانا عنى بذلك، وأوليائه، وشيعة وصيّه[4].

﴿قَالَ﴾: قال اللّه.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: ارزقه أيضاً.

﴿فَأُمَتِّعُهُ﴾: وقرىء بالتخفيف.

﴿قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: عذاب النار، قال: عنى بذلك من جحد وصيّه ولم يتّبعه من أمّته، كذلك واللّه حال هذه الأمّة[5][6].

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾: تقرّبنا إليك ببناء البيت.

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٦٢.
٢ ـ إبراهيم: ٣٧.
٣ ـ عوالي اللئالي: ج ٢، ص ٩٦، ح ٢٥٧.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٩، ح ٩٦.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٩، ح ٩٦.
٦ ـ اعلم انّ هنا خلط ومزج بين تفسير الآية وبين الإستشهاد بالرواية المنقولة عن السجاد عليه السلام: فكان الأنسب منه رحمه الله أن يتمّ الرواية أوّلاً ثم يبدأ بشرح بقيّة ألفاظ الآية المباركة.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾: لدعائنا.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بنيّاتنا، القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: لمّا بلغ إسماعيل مبلغ الرجال أمر اللّه إبراهيم أن يبني البيت فقال: يا ربّ في أي بقعة؟ قال: في البقعة الّتي أنزلت بها على آدم القبّة فأضاء لها الحرم فلم يدر إبراهيم عليه السلام في أي موضع يبنيه؟ فإنّ القبّة الّتي أنزلها اللّه على آدم كانت قائمة إلى أيّام الطّوفان أيام نوح عليه السلام فلمّا غرقت الدنيا رفع اللّه تلك القبّة وبقي موضعها لم يغرق، ولهذا سمّي البيت العتيق لأنّه أعتق من الغرق فبعث اللّه جبرئيل عليه السلام فخطّ له موضع البيت فأنزل اللّه عليه القواعد من الجنّة وكان الحجر لمّا أنزله اللّه على آدم أشدّ بياضاً من الثلج فلمّا مسّته أيدي الكفّار اسودّ، فبنى إبراهيم عليه السلام البيت، ونقل إسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة أذرع ثمّ دلّه على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم عليه السلام، ووضعه في موضعه الذي هو فيه الآن فلمّا بنى جعل له بابين باباً إلى المشرق، وباباً إلى المغرب، والباب الذي إلى المغرب يسمّى المستجار، ثم ألقى عليه الشجر والإذخر[١]، وعلّقت هاجر على بابه كساءاً كان معها وكانوا يكنّون تحته[٢].

وفي الكافي: عنه عليه السلام في حديث فلمّا أذن الله له في البناء قدم إبراهيم عليه السلام فقال: يا بنّي قد أمرنا الله ببناء الكعبة وكشفا عنها فإذا هو حجر واحد أحمر، فأوحى الله تعالى إليه ضع بناءها عليه، وأنزل الله تعالى أربعة أملاك يجمعون إليه الحجارة، فكان ابراهيم وإسماعيل يضعان الحجارة والملائكة تناولهما حتّى تمّت اثنا عشر ذراعا وهيئا له بابين: باباً يدخل منه، وباباً يخرج منه، ووضعا عليه عتباً[٣] وشرجاً[٤] من حديد على أبوابه[٥].

وعن أحدهما: عليهما السلام قال: إنّ اللّه تعالى أمر إبراهيم ببناء الكعبة وأن يرفع قواعدها،

---

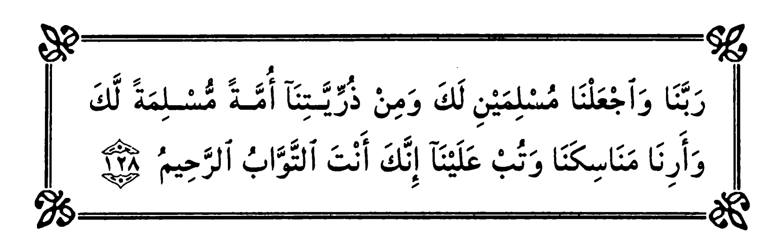
١ ـ الإذْخِر ـ بكسر الهمزة والخاء ـ: نبات معروف عريض الأوراق، طيّب الرائحة، يسقّف به البيوت، يحرقه الحداد بدل الحطب والفحم. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٠٦، مادة «ذخر».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٦١ ـ ٦٢.

٣ ـ العَتَبُ محرّكة: عتبة الباب. منه رحمه الله.

٤ ـ شرجاً بالمعجمة ثمّ الموحّدة ثم الجيم محرّكة: العرى، وقال الطريحي: الشريجة: ما يضمّ من القصب يجعل على الحوانيت كالأبواب، ومنه حديث إبراهيم واسماعيل عليهما السلام في البيت «فجعلا عليه عتباً وشرجاً» مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣١٢ مادة «شرج».

٥ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٠٣، ح ٣.



ويُري الناس مناسكهم، فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت كلّ يوم سافاً[١] حتّى انتهى إلى موضع الحجر الأسود[٢].

وقال أبو جعفر عليه السلام: فنادى أبو قبيس إبراهيم عليه السلام إن لك عندي وديعة فأعطاه الحجر فوضعه موضعه[٣].

وفي العلل[٤]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: قال: إنّ الله عزّ وجلّ أنزل الحجر لآدم عليه السلام من الجنّة وكان البيت درّة بيضاء فرفعه اللّه إلى السماء، وبقي أُسّه فهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً فأمر الله ابراهيم واسماعيل يبنيان البيت على القواعد[٥].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: إنّ إسماعيل أوّل من شقّ لسانه بالعربيّة، وكان أبوه يقول وهما يبنيان: هاي ابني، أي أعطني حجراً، فيقول له إسماعيل بالعربيّة: يا أَبَتِ هَاك حجراً، فابراهيم يبني وإسماعيل يناوله[٦].

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾: منقادين مخلصين.

﴿لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَآ﴾: واجعل بعض ذرّيّتنا.

﴿أُمَّةً﴾: جماعة[٧] يُؤَمّوْنَ: أي يُقْصَدُوْنَ، ويُقْتَدَوْنَ بهم[٨].

---

١ ـ الساف: كل عَرَق من الحائط. الصحاح: ج ٤، ص ١٣٧٨.

٢ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٠٥، ح ٤. ٣ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٠٥، ح ٤.

٤ ـ علل الشرائع: ص ٣٩٩، ح ١، ب ١٤٠. العلّة التي من أجلها سمّي البيت العتيق.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٠، ح ٩٨. ٦ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٠٧.

٧ ـ وسميّت الأُمّة جماعة لأنّ الفرق تأمّها. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١١، مادة «أمم».

٨ ـ وفي نسخة: [يُقْتَدى بهم].

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾: وهم أهل البيت الذي أذهب اللّٰه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً كذا عن الصادق عليه السلام[1].

وفي رواية العيّاشي: عنه عليه السلام: أراد بالامّة: بني هاشم خاصّة[2].

﴿وَأَرِنَا﴾: عرّفنا، وقرىء باسكان الراء حيث وقع.

﴿مَنَاسِكَنَا﴾: متعبّداتنا، والنسك في الأصل: العبادة، وشاع في الحجّ لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة.

﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾: عمّا لا ينبغي.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: لمن تاب.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾: في الأمّة المسلمة.

﴿رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾: يعني من تلك الأُمّة كذا عن الصادق عليه السلام رواه العياشي[3].

ولم يبعث من ذريتهما غير نبيّنا صلى الله عليه وآله. والقمّي: يعني ولد إسماعيل قال: فلذلك قال: رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام[4].

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ﴾: يقرأ عليهم ويبلّغهم ما يوحىٰ إليه من دلائل التّوحيد والنبوّة.

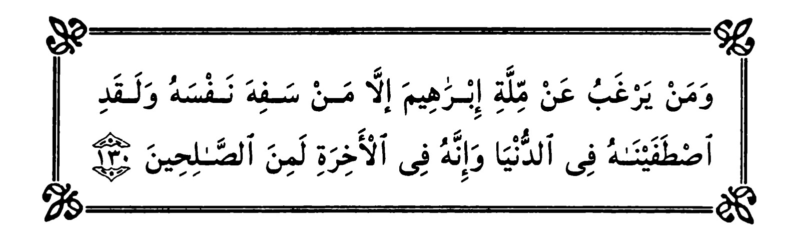
---

١ ـ الكافي: ج ٥، ص ١٤، ح ١، باب من يجب عليه الجهاد. ونور الثقلين: ج ١، ص ١٣٠، ح ٣٨٠.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٠، ح ١٠١.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٠، ح ١٠١.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٦٢.



﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: ما تكمل به نفوسهم من المعارف والأحكام.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: عن الشرك والمعاصي.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: المحكم للأمر، والصانع على وفق الحكمة.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: استبعاد وإنكار يعني لا يرغب عن ملّته.

﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: إلّا من استمهنها[١]، وأذلّها واستخفّ بها.

قيل: أصله سفه نفسه بالرفع نصب على التّميز مثل غبن رأيه[٢].

وقيل: سفه بالكسر: متعدّ، وبالضم: لازم، ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر: أن تسفه الحقّ وتغمص الناس[٣].

في المحاسن: عن السجّاد عليه السلام: ما أحد على ملّة إبراهيم إلّا نحن وشيعتنا وسائر الناس منها براء[٤].

وفي الكافي: عن الصادق، والكاظم عليهما السلام ما في معناه[٥].

---

١ ـ وفي نسخة: [إلّا من استهانها]. ٢ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٣.

٣ ـ قاله المبرد وثعلب، كما جاء في أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٣ والحديث مروي أيضاً في الكافي: ج ٢، ص ٣١٠، ح ٨، مع تقديم وتأخير وإليك نصّه: الكبر: أن تغمص الناس، وتسفه الحق. وبهذا النص ذكره الماتن رحمه الله في كتابه الوافي: ج ٥، ص ٨٧١. وقال: الغمص ـ بالمعجمة ثمّ المهملة ـ: الإحتقار والإستصغار، والسفه: الجهل وأصله الخفّة والطيش، ومعنى سفه الحق: الإستخفاف به وأن لا يراه على ما هو عليه من الرّجحان والرزانة.

٤ ـ المحاسن: ج ١، ص ٢٤٣ ـ و٢٤٤، ح ٤٥٠.

٥ ـ الكافي: ج ١، ص ٤٣٥، ذيل ح ٩١.

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾

﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: حجّة وبيان لذلك فإنّ من كان بهذه الصفة فهو حقيق بأن يتّبع لا يرغب عن اتّباعه الّا سفيه أو متسفّه.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ﴾: مبادراً إلى الإذعان، وإخلاص السّر.

﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾: أي بالملّة أو بهذه الكلمة أي بكلمة أسلمت لربّ العالمين، وقرىء أوصى.

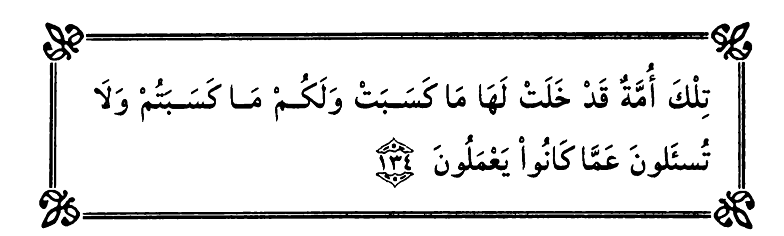
﴿إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾: ووصّى بها يعقوب أيضاً بنيه.

﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: دين الإسلام.

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: أمرهم بالثبات على الإسلام بحيث لا يتطرّق إليه الزوال بحال.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾: على الإنكار أي ما كنتم حاضرين.

قيل: إنّ اليهود قالوا لرسول اللّه ﷺ: ألست تعلم أن يعقوب أوصىٰ بنيه باليهوديّة



يوم مات؟ فنزلت[١].

﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى﴾: أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام، وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما.

﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾: عدّاسماعيل من آبائه لأنّ العرب تسمّي العمّ أباً كما تسمّي الجدّ أباً، وذلك لوجوب تعظيمهما كتعظيمه وفي الحديث: عمّ الرجل: صنو أبيه[٢].

﴿إِلَـٰهاً وَٰحِداً﴾: تصريح بالتوحيد.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: العيّاشي: عن الباقر عليه السلام انّها جرت في القائم عليه السلام[٣].

أقول: لعلّ مراده عليه السلام أنّها جارية في قائم آل محمّد عليهم السلام فكلّ قائم منهم يقول حين موته[٤] ذلك لبنيه ويجيبونه بما أجابوا به.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾: يعني إبراهيم، ويعقوب، وبنيهما.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَا كَسَبْتُمْ﴾: لكلّ أجر عمله.

أقول: يعني انتسابكم إليهم لا ينفعكم وانّما الإنتفاع بالأعمال.

﴿وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: لا تؤاخذون بسيّئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٣.

٢ ـ مجمع البحرين: ج ١، ص ٢٦٩، بمعنى «المثل». وهكذا راجع النهاية لابن الأثير ج ٣، ص ٥٧. وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٤.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦١، ح ١٠٢.

٤ ـ وفي نسخة [حين الموت].

وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْـرَٰهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْـزِلَ إِلَـىٰٓ إِبْـرَٰهِيمَ وَإِسْـمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِنْ رَّبِّهِمْ لا نُـفَرِقُ بَـيْنَ أَحَـدٍ مِـنْهُمْ وَنَـحْنُ لَـهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾: قالت اليهود: كونوا هوداً تـهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا.

﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: بل نكون أهل ملّة إبراهيم، متّبعين له.

﴿حَنِيفاً﴾: مايلاً عن كلّ دين إلى دين الحقّ.

العيّاشي: عن الصادق عليه السلام قال: الحنيفيّة هي الإسلام(١).

وعن الباقر: عليه السلام قال: ما أبقت الحنيفيّة شيئاً حتّى أنّ منها قصّ الشارب، وقلم الأظفار، والختان(٢).

﴿وَمَا كَانَ﴾: إبْراهيم.

﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: تعريض بأهل(٣) الكتابين فإنّهم كانوا يدّعون اتّباع ملّة إبراهيم، وهم مع ذلك كانوا على الشرك.

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾: في الكافي(٤)، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: إنّما عنىٰ بذلك

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦١، ح ١٠٣.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦١، ح ١٠٤.
٣ ـ وفي نسخة: [تعريض لأهل].
٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٥، ح ١٩.

عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجرت بعدهم في الأئمّة عليهم السلام ثمّ يرجع القول من اللّه في الناس، فقال: «فان آمنوا» يعني الناس بمثل «ما آمنتم به» الآية[١].

والعيّاشي: مضمراً، وأما قوله: «قولوا» فهم آل محمّد عليهم السلام[٢].

﴿وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾: يعني القرآن.

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾: يعني الصّحف، والأسباط: حفدة يعقوب.

العيّاشي: عن الباقر عليه السلام انّه سئل هل كان ولد يعقوب أنبياء؟ قال: لا، ولكنّهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء، ولم يكونوا فارقوا الدنيا إلّا سعداء تابوا وتذكّروا ما صنعوا[٣].

﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾: التوراة والإنجيل.

﴿وَمَا أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾: جملة المذكورون منهم وغير المذكورين.

﴿مِنْ رَّبِّهِمْ﴾: منّزل عليهم من ربّهم.

﴿لا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾: كاليهود يؤمن ببعض ويكفر ببعض، و«أحد» لوقوعه في سياق النفي عمّ فساغ أن يضاف إليه «بين».

﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾: للّه.

﴿مُسْلِمُونَ﴾: مذعنون مخلصون، في الخصال: فيما علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه إذا قرأتم: «قولوا آمنّا» فقولوا: «آمنّا باللّه» إلى قوله: «مسلمون»[٤].

وفي الفقيه: في وصاياه لابنه محمّد بن الحنفيّة: وفرض على اللّسان الإقرار والتعبير عن القلب بما عقد عليه، فقال عزّ وجلّ: «قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنَا»[٥].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٢، ح ١٠٧.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦١ ـ ٦٢، ح ١٠٥.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٢، ح ١٠٦.

٤ ـ الخصال: ص ٦٢٩. حديث أربعماءة.

٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٨٢، ح ١٦٢٧ / ١، باب ٢٢٧ ـ الفروض على الجوارح.

فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾

﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾: أي سائر الناس.

﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: بما آمنتم به، والمثل مقحم في مثله، كما في قوله تعالى: «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ»[1] أي عليه، وقرىء بحذفه .

﴿فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾: أعرضوا.

﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾: في كفر، كذا في المجمع، عن الصادق عليه السلام: وأصله المخالفة والمناوأة فإنّ كلّ واحد من المتخالفين في شقّ غير شقّ الآخر[2] .

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾: تسلية وتسكين للمؤمنين، ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناوأهُمْ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوالكم.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: باخلاصكم.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾: صبغنا الله صبغة وهي فطرة الله الّتي فطر الناس عليها، وفسّرها الصادق عليه السلام: بالإسلام كما في الكافي[3]، ورواه العيّاشي:[4].

وعنه: هي صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق[5].

وقيل: سمّي صبغة لأنّه ظهر عليهم أثره ظهور الصّبغ على المصبوغ، وتداخل قلوبهم

---

١ ـ الاحقاف: ١٠.

٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢١٨.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ١٤، باب في ان الصبغة هي الإسلام ح ١، ٢، ٣.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٢، ح ١٠٨.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٢، ح ١٠٩.

قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾

تداخل الصبغ الثوب أو للمشاكلة فإنّ النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمّونه المعموديّة، ويقولون: هو تطهير لهم وبه تحقّق نصرانيتهم(١).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾: لا صبغة أحسن من صبغته.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾: تعريض بهم أي لا نشرك به كشرككم.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾: أتجادلوننا.

﴿فِى ٱللَّهِ﴾: في شأنه واصطفائه نبيّاً من العرب؟

قيل: إنّ أهل الكتاب قالوا: الأنبياء كلّهم منّا وديننا أقدم، وكتابنا أسبق، فلو كنت نبيّاً؟ لكنت منّا فنزلت(٢).

﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: لا اختصاص له بقوم دون قوم، يصيب برحمته من يشاء.

﴿وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾: فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾: موحّدون به، نخلصه بالإيمان والطاعة دونكم.

﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾: وقرىء بالياء.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٥. وفيه: «لأنّه ظهر أثره عليهم... وتداخل في قلوبهم تداخل... وبه تتحقّق نصرانيتهم».

٢ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٥.

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾

نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾: وقد نفى الله عزّ وجلّ عن إبراهيم اليهوديّة والنصرانيّة بقوله سبحانه: «مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يهوديّاً ولا نصرانيّاً»[١].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: قيل: يعني لا أحداً أظلم من أهل الكتاب حيث كتموا شهادة الله لإبراهيم بالحنيفيّة والبراءة من اليهوديّة والنصرانيّة أو منّا لو كتمنا هذه الشهادة، وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمّد ﷺ بالنبوّة، ولعليّ عليه السلام بالوصاية في كتبهم وغيرها[٢].

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: وقرىء بالياء وعيد لهم.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: قيل: التكرير للمبالغة في التحذير، والزجر عمّا استحكم في الطبائع من الإفتخار بالآباء والإتّكال عليهم، أو الخطاب فيما سبق لهم، وفي هذه الآية لنا تحذير عن الاقتداء بهم أو المراد بالأُمّة في الأوّل: الأنبياء، وفي الثاني: أسلاف اليهود والنصارىٰ[٣].

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾: الذين خفّ أحلامهم أو استمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر، يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين، وفائدة

---

١ ـ آل عمران: ٦٧.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٦.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسير أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٦.

تقديم الإخبار به توطين النفس وإعداد الجواب .

﴿مَا وَلَّـٰهُمْ﴾: ما صرفهم.

﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾: يعني بيت المقدس.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾: لا يختصّ به مكان دون مكان.

﴿يَهْدِى﴾: به.

﴿مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: وهو ما يقتضيه الحكمة والمصلحة من التوجّه إلى بيت المقدس تارة وإلى الكعبة اخرى.

وفي تفسير الإمام عليه السلام: عند قوله عزّ وجلّ: «ما ننسخ من آية أوننسها»[1].

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام قال: لمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله بمكّة أمره الله عزّ وجلّ أن يتوجّه نحو بيت المقدس في صلواته، ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن وإذا لم يمكن استقبل بيت المقدس كيف كان، وكان رسول اللّه صلى الله عليه وآله يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاث عشرة سنة . فلما كان بالمدينة وكان متعبداً باستقبال بيت المقدس استقبله وانحرف عن الكعبة سبعة عشر شهراً، وجعل قوم من مردة اليهود يقولون: واللّه ما يدري محمّد كيف صلّىٰ حتّى صار يتوجّه إلى قبلتنا ويأخذ في صلاته بهدانا ونسكنا، فاشتدّ ذلك على رسول اللّه صلى الله عليه وآله لما اتّصل به عنهم، وكره قبلتهم وأحبّ الكعبة فجاءه جبرئيل، فقال له رسول اللّه صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل لوددت لو صرفني اللّه عزّ وجلّ عن بيت المقدس إلى الكعبة فلقد تأذّيت بما يتّصل بي من قبل اليهود من قبلتهم، فقال جبرئيل عليه السلام فسل ربّك أن يحوّلك إليها فإنّه لا يردّك عن طلبتك ولا يخيّبك عن بغيتك . فلمّا استتمّ دعاؤه صعد جبرئيل ثم عاد من ساعته فقال: اقرأ يا محمّد صلى الله عليه وآله «قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ»[2] الآيات.

فقالت اليهود عند ذلك: «ما ولّاهم عن قبلتهم الّتي كانوا عليها» فأجابهم الله بأحسن جواب فقال: «قل لله المشرق والمغرب» وهو يملكهما وتكليفه التحوّل إلى جانب كتحويله لكم إلى جانب آخر «يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» وهو مصلحهم ومؤدّيهم بطاعته

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٤٩٢ ـ ٤٩٥.   ٢ ـ البقرة : ١٤٤ .

إلى جنّات النعيم.

قال أبو محمّد عليه السلام: وجاء قوم من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا محمّد هذه القبلة بيت المقدس قد صلّيت إليها أربع عشرة سنة، ثمّ تركتها الآن أفحقّاً كان ما كنت عليه فقد تركته إلى باطل، فانّ ما يخالف الحقّ فهو باطل أو كان باطلاً فقد كنت عليه طول هذه المدّة فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل ذلك كان حقّا وهذا حقّ، يقول الله تعالى: «قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» إذا عرف صلاحكم يا أيّها العباد في استقبال المشرق أمركم به، وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به، فلا تنكروا تدبير الله تعالىٰ في عباده وقصده إلى مصالحكم.

ثمّ قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد تركتم العمل يوم السبت، ثم عملتم بعده في سائر الأيّام، ثمّ تركتموه في السبت، ثم عملتم بعده أفتركتم الحقّ إلى الباطل أو الباطل إلى حقّ أو الباطل إلى باطل أو الحقّ إلى حقّ؟ قولوا كيف شئتم فهو قول محمّد صلى الله عليه وآله وجوابه لكم، قالوا: بل ترك العمل في السبت حقّ، والعمل بعده حقّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حقّ، ثم قبلة الكعبة في وقتها حقّ.

فقالوا: يا محمّد صلى الله عليه وآله أفبدا لربّك فيما كان أمرك به بزعمك من الصلاة إلى بيت المقدس حين نقلك إلى الكعبة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بدا له عن ذلك فإنه العالم بالعواقب، والقادر على المصالح لا يستدرك على نفسه غلطاً، ولا يستحدث رأياً بخلاف المتقدّم جلّ عن ذلك ولا يقع عليه أيضا مانع يمنعه من مراده وليس يبدو إلّا لمن كان هذا وصفه وهو جلّ وعزّ يتعالى عن هذه الصفات علوّاً كبيراً.

ثمّ قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: أيّها اليهود أخبروني عن الله أليس يُمرض ثم يُصحّ ويُصحّ ثمّ يُمرض أبدا له في ذلك؟ أليس يحيي ويميت أبدا له في كلّ واحد من ذلك ؟ قالوا: لا.

قال: فكذلك الله تعبّد نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله بالصلاة إلى الكعبة بعد أن كان تعبّده بالصلاة إلى بيت المقدس، وما بدا له في الأوّل.

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَآ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

قال: أليس الله يأتي بالشتاء في أثر الصيف، والصيف بعد الشتاء أبدا له في كلّ واحد من ذلك؟ قالوا: لا، قال: فكذلك لم يبد له في القبلة.

ثم قال: أليس قد ألزمكم في الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة، وألزمكم في الصيف أن تحترزوا من الحرّ فبدا له في الصيف حتّى أمركم بخلاف ما كان أمركم به في الشتاء؟ قالوا: لا.

فقال رسول الله ﷺ: فكذلك[١] الله في تعبّدكم في وقت لصلاح يعلمه بشيء ثم تعبّدكم في وقت آخر لصلاح آخر يعلمه بشيء آخر، فإذا أطعتم الله في الحالين استحققتم ثوابه، وأنزل الله: «ولله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثمّ وجه الله» إذا توجّهتم بأمره فثمّ الوجه الذي تقصدون منه الله، وتأملون ثوابه.

ثم قال رسول الله ﷺ: يا عباد الله أنتم كالمرضى، والله ربّ العالمين كالطّبيب، وصلاح المريض فيما يعلمه الطبيب ويدبّره، لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه، ألا فسلّموا لله أمره تكونوا من الفائزين[٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً﴾: القمّي: يعني أئمّة[٣].

---

١ ـ هكذا في الأصل. وفي المصدر ونسخة أخرى [فكذلكم].

٢ ـ الاحتجاج: ج ١، ص ٤٣ ـ ٤٥، احتجاج النبي ﷺ على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٦٣.

﴿وَسَطاً﴾: قال: أي عدلاً وواسطةً بين الرسول والناس[١].

أقول: فالخطاب للمعصومين عليهم السلام خاصّة.

﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: يعني يوم القيامة.

﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾: في الكافي[٢]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: نحن الأُمّة الوسط، ونحن شهداء اللّٰه على خلقه، وحججه في أرضه وسمائه[٣].

وفي حديث ليلة القدر عنه عليه السلام: وأيم اللّٰه لقد قضى الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف، ولذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمّد صلى الله عليه وآله علينا، ولنشهد على شيعتنا، ولتشهد شيعتنا على الناس[٤].

أقول: أراد عليه السلام بالشيعة: خواصّ الشيعة الذين معهم وفي درجتهم كما قالوا: شيعتنا معنا وفي درجتنا لئلا ينافي الخبر السابق، والأخبار الآتية.

وفي شواهد التنزيل: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إيّانا عنى بقوله: «لتكونوا شهداء على الناس» فرسول اللّٰه صلى الله عليه وآله شاهد علينا، ونحن شهداء اللّٰه على خلقه وحجّته في أرضه، ونحن الذين قال اللّٰه: «وكذلك جعلناكم أمّةً وَسَطاً»[٥].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: نحن نمط الحجاز، قيل: وما نمط الحجاز ؟ قال: أوسط الأنماط، انّ اللّٰه يقول: «وكذلك جعلناكم امّةً وَسَطاً» قال: إلينا يرجع الغالي، وبنا يلحق المقصّر[٦].

وفي المناقب: عنه عليه السلام: إنّما أنزل اللّٰه: «وكذلك جعلناكم أئمّة وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلىٰ النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً» قال: ولا يكون شهداء على الناس إلّا

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٦٣.
٢ ـ الكافي: ج ١ ص ١٩١، ح ٤.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٢، ح ١١٠.
٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٥١، ذيل ح ٧.
٥ ـ شواهد التنزيل: ج ١، ص ١١٩، ح ١٢٩.
٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٣، ح ١١١.

الأئمّة عليهم السلام، والرسل، فأمّا الأمّة فإنّه غير جائز أن يستشهدها اللّه، وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل[١][٢].

أقول: لعلّ المراد بهذا المعنى أنزل اللّه، وقد مضى في دعاء إبراهيم عليه السلام: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ»[٣] وقد عرفت هناك أنّ الأمّة بمعنى المقصود سمّيت بها الجماعة لأنّ الفرق تؤمّها.

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: فإن ظننت أنّ اللّه عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحّدين أفترى أنّ من لا يجوز شهادته في الدنيا على صاعٍ من تمر يطلب اللّه شهادته يوم القيامة؟ ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلّا لم يعن اللّه مثل هذا من خلقه، يعني الأمّة الّتي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام «كنتم خير أُمّة أُخرجت للناس»[٤] وهم الأئمّة الوسطى، وهم خير أُمّة اخرجت للناس[٥].

أقول: لمّا كان الأنبياء والأوصياء عليهم السلام معصومين عن الكذب وجاز الوثوق بشهادتهم لله سبحانه على الأمم دون سائر الناس جعل الله تعالى في كلّ أُمّة منهم شهيداً ليشهد عليهم، بأنّ الله أرسل رسوله إليهم وأتمّ حجّته عليهم، وبأنّ منهم من أطاعه ومنهم من عصاه، لئلّا ينكرونه غداً، فالنبي يشهد لله على الأئمّة بأن الله أرسله إليهم وأنّهم أطاعوه، والأئمّة يشهدون لله على الأمم بأنّ الله أرسل النبيّ صلى الله عليه وآله إليهم، وللنبيّ صلى الله عليه وآله بأنّه بلّغهم وأنّ منهم من أطاعه ومنهم من عصاه وكذلك يشهد نبيّنا صلى الله عليه وآله لسائر النّبيّين عليهم السلام على أممهم بأنّ النبيّين بلّغوا رسالات ربّهم إلى أُممهم، ويأتي تمام الكلام في سورة النساء[٦] إن شاء الله.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَآ﴾: يعني بيت المقدس.

---

١ ـ الحزمة: بضم الحاء المهملة: ما شد من حطب وغيره.

٢ ـ مناقب ابن شهر آشوب: ج ٤، ص ١٧٩.

٣ ـ البقرة: ١٢٨.

٤ ـ آل عمران: ١١٠.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٣، ح ١١٤.

٦ ـ ذيل الآية: ١٤٣.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: يرتدّ عن دينه أُلفاً بقبلة آبائه.

في تفسير الإمام[1]، وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام يعني الّا لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد، قال: وذلك إنّ هوىٰ أهل مكّة كان في الكعبة فأراد اللّه أن يبيّن متّبع محمّد ممّن خالفه باتّباع القبلة الّتي كرهها، ومحمّد صلى الله عليه وآله يأمر بها ولمّا كان هوىٰ أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها والتوجّه إلى الكعبة ليتبيّن من يوافق محمّداً صلى الله عليه وآله فيما يكرهه فهو مصدّقه وموافقه[2].

﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾: الصلاة إلى بيت المقدس في ذلك الوقت.

﴿لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَىٰ ٱللَّهُ﴾: وعرف أنّ اللّه يتعبّد بخلاف ما يريده المرء ليبتلي طاعته في مخالفة هواه.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾: يعني صلاتكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: العيّاشي: عن الصادق عليه السلام: أنّه سئل عن الإيمان؟ أقول هو وعمل أم قول بلا عمل؟ فقال: الإيمان عمل كلّه، والقول بعض ذلك العمل، مفترض من اللّه، مبيّن في كتابه، واضح نوره، ثابتة حجّته، يشهد له بها الكتاب ويدعو إليه، ولمّا انصرف نبيّه إلى الكعبة عن بيت المقدس قال المسلمون للنبيّ صلى الله عليه وآله: أرأيت صلاتنا الّتي كنّا نصلّي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها، وحال من مضىٰ من أمواتنا وهم يصلّون إلى بيت المقدس؟ فأنزل اللّه «ومَا كان اللّه ليضيع إيمانكم» فسمّىٰ الصلاة إيماناً، فمن لقىٰ اللّه حافظاً لجوارحه موفياً كلّ جارحة من جوارحه ما فرض اللّه عليه، لقىٰ اللّه مستكملاً لايمانه، وهو من أهل الجنّة، ومن خان في شيء منها أو تعدّىٰ ما أمر اللّه فيها لقي اللّه ناقص الايمان[3].

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٤٩٥.

٢ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٤٥ ـ ٤٦، احتجاج النبي صلى الله عليه وآله على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٣، ح ١١٥.

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَاءِ﴾: قيل: أي تردّد وجهك في جهة السماء تطلّعاً للوحي[١].

وقيل: كان رسول الله ﷺ يقع في روعه ويتوقّع من ربّه أن يحوّله إلى الكعبة لأنّها كانت قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام وأقدم القبلتين، وأدعى للعَرَب إلى الإيمان. ولمخالفة اليهود[٢].

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾: تحبّها وتتشوّق إليها لمقاصد دينيّة وافقت مشيّة الله تعالى وحكمته.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾: اصرف وجهك.

﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: نحوه وانّما ذكر المسجد اكتفاء بمراعاة الجهة.

والقمّي: إنّ هذه الآية متقدّمة على آية سيقول السّفهاء[٣].

وفي الفقيه: إنّ النبيّ ﷺ صلّىٰ إلى بيت المقدس بعد النبوّة ثلاث عشرة سنة بمكّة، وتسعة عشر شهراً بالمدينة، ثمّ عيّرته اليهود، فقالوا له: انّك تابع لقبلتنا فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً. فلمّا كان في بعض اللّيل خرج عليه السلام يقلّب وجهه في آفاق السماء، فلمّا أصبح صلّىٰ

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٨.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٨.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٦٢.

وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

الغداة فلمّا صلّىٰ من الظهر ركعتين جاء جبرئيل عليه السلام فقال له: «قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَـٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» ثم اخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله فحول وجهه إلى الكعبة وحول من خلفه وجوههم حتّىٰ قام الرجال مقام النساء، والنساء مقام الرجال، فكان أوّل صلاته الى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة، وبلغ الخبر مسجداً بالمدينة، وقد صلّى أهله من العصر ركعتين فحولّوا نحو الكعبة فكانت أوّل صلاتهم إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة، فسمّي ذلك المسجد مسجد القبلتين[1].

والقمّي ما يقرب منه قال: وكان النبيّ صلى الله عليه وآله في مسجد بني سالم[2].

﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾: خصّ الرسول صلى الله عليه وآله بالخطاب تعظيماً له وإيجاباً لرغبته، ثمّ عمّ تصريحاً بعموم الحكم جميع الأمّة وسائر الأمكنة، وتأكيداً لأمر القبلة، وتخصيصاً للأمّة على المتابعة .

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَّبِّهِمْ﴾: لعلمهم بأنّ عادته تعالى تخصيص كلّ شريعة بقبلة، ولتضمّن كتبهم أنّه يصلّي إلى القبلتين.

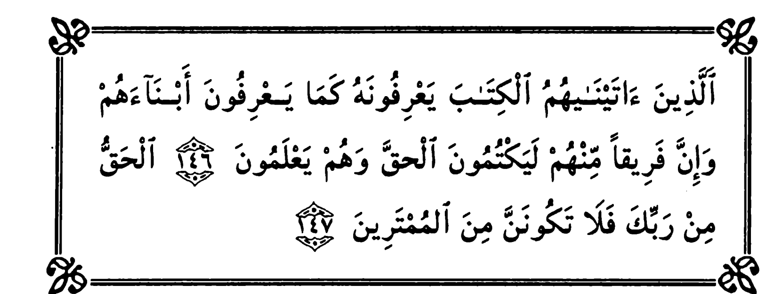
﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: وعد ووعيد للفريقين، وقرئ بالتاء.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾: برهان وحجة.

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٧٨ ـ ١٧٩، ح ٨٤٣/ ٣، باب ٤٢ ـ القبلة.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٦٣.



﴿مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾: لأنّ المعاند لا تنفعه الدلالة.

﴿وَمَآ أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾: قطع لأطماعهم.

﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾: لتصلّب كلّ حزبٍ فيما هو فيه.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: على سبيل الفرض المحال أو المراد به غيره من أُمّته من قبيل ايّاك أعني واسمعي يا جارة.

﴿إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: أكّد تهديده وبالغ فيه تعظيماً للحق، وتحريصاً على اقتفائه، وتحذيراً عن متابعة الهوى، واستعظاماً لصدور الذنب عن الأنبياء.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: يعني علماءهم.

﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾: يعرفون محمّداً صلّى الله عليه وآله بنعته، وصفته، ومبعثه، ومُهاجره، وصفة أصحابه في التوراة والإنجيل.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾: في منازلهم.

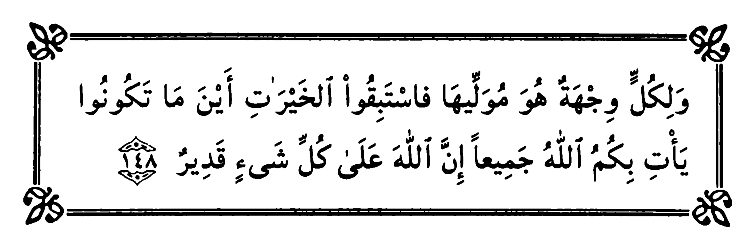
﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ﴾: وهم المعاندون دون المؤمنين.

﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: انّك الرسول[1] إليهم.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشّاكين.

---

١ ـ وفي نسخة: [إنّك لرسول إليهم].



﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾: ولكلّ قوم قبلة، وملّة، وشرعة، ومنهاج يتوجّهون إليها.

﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾: اللّه مولّيها إيّاهم، وقرئ مولّاها بالألف أي: قد وليها[١].

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: الطّاعات. وفي الكافي: عن الباقر: الخيرات: الولاية[٢].

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾: قيل: أينما مِتّم في بلاد اللّه يأت بكم اللّه إلى المحشر يوم القيامة[٣].

وفي أخبار أهل البيت: إنّ المراد به أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان[٤].

وفي المجمع[٥]، والعيّاشي: عن الرضا عليه السلام أن لو قام قائمنا لجمع اللّه جميع شيعتنا من جميع البلدان[٦].

وفي الاكمال[٧]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: لقد نزلت هذه الآية في أصحاب القائم، وأنّهم المفتقدون من فرشهم ليلاً فيصبحون بمكّة، وبعضهم يسير في السحاب نهاراً نعرف اسمه واسم أبيه وحليته ونسبه[٨].

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: على الإماتة، والإحياء، والجمع.

---

١ ـ وفي نسخة: [قد ولّاها].
٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣١٣، ح ٤٨٧.
٣ ـ قاله ابن عباس كما جاء في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٣١.
٤ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣١٣، ح ٤٨٧.
٥ ـ مجمع البيان: ١ ـ ٢، ص ٢٣١.
٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٦، ح ١١٧ بتفاوت.
٧ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٦٧٢، ح ٢٤.
٨ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٧، ح ١١٨.

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾: للسّفر في البلاد.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: إذا صلّيت.

﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: وإنّ التوجّه إلى الكعبة للحقّ الثابت المأمور به من ربّك.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: وقرء بالياء.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾: قيل: كرّر الحكم لتعدّد علله فانّه تعالى ذكر للتّحويل ثلاث علل: تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته[1]، وجري العادة الإلهية على أن يولّي أهل كلّ ملّة وصاحب دعوة جهة يستقبلها ويتميّز بها، ودفع حجج المخالفين كما يأتي، وقرن بكلّ علّة معلولها كما يقرن المدلول بكلّ واحد من دلائله تقريباً وتقريراً، مع أنّ القبلة لها شأن والنّسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحريّ أن يؤكد أمرها ويعاد ذكرها مرّة بعد أُخرى[2].

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾: علّة لقوله تعالى: «فولّوا»، والمعنى: إنّ التّولية عن بيت المقدس إلى الكعبة يدفع احتجاج اليهود بأنّ المنعوت في التوراة قبلته

---

١ ـ وفي نسخة: [ابتغاءاً لمرضاته].

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٠.

كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

الكعبة وأنّ محمّداً ﷺ يجحد ديننا ويتّبعنا في قبلتنا، واحتجاج المشركين بأنّه يدّعي ملّة إبراهيم ويخالف قبلته[١].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: القمّي: «إلّا» هاهنا بمعنى ولا، وليست استثناء، يعني: ولا الذين ظلموا منهم[٢].

وقيل: معناه: إلّا الحجّة الداحضة من المعاندين بأن قالوا: ما تحوّل إلى الكعبة إلّا ميلاً إلى دين قومه، وحبّاً لبلده، أو بدا له فرجع إلى قبلة آبائه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم[٣].

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: فانّ مطاعنهم لا تضرّكم.

﴿وَٱخْشَوْنِى﴾: فلا تخالفوا ما أمرتكم به.

﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: عن النبي ﷺ: تمام النعمة: دخول الجنّة[٤].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: تمام النعمة: الموت على الإسلام[٥].

أقول: لا تنافي بين الخبرين لتلازم الأمرين.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ﴾: أي ولأتمّ نعمتي عليكم كما أتممتها بإرسال رسول منكم.

---

١ ـ راجع تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٧٨. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٦٣.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٠ وراجع تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٧٨.

٤ ـ تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٧٨. ٥ ـ تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٧٨.

﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾: يحملكم على ما تصيرون به أزكياءَ، قدّمه على التعليم باعتبار القصد وأخّره في دعوة إبراهيم عليه السلام باعتبار الفعل.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾: بالفكر والنظر إذ لا طريق إلى معرفته سوىٰ الوحي، وكرّر الفعل ليدلّ على أنّه جنس آخر.

﴿فَاذْكُرُونِى﴾: بالطاعة.

﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: بالثواب.

﴿وَٱشْكُرُواْ لِى﴾: ما أنعمت به عليكم.

﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾: بجحد النعم، وعصيان الأمر، أراد بالكفر: كفر النعم كذا في الكافي[١]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام[٢]، والقمّي: عن الباقر عليه السلام ذكر الله لأهل الصلاة أكبر من ذكرهم ايّاه، ألا ترى أنّه يقول: «أذكروني أذكركم»[٣].

وفي الخصال: عن أمير المؤمنين عليه السلام: أُذكروا اللّه في كلّ مكان فإنّه معكُم[٤].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: قال اللّه عزّ وجلّ: يا بن آدم اذكرني في ملأ أذكرك في ملأ خير من مَلَئِك[٥].

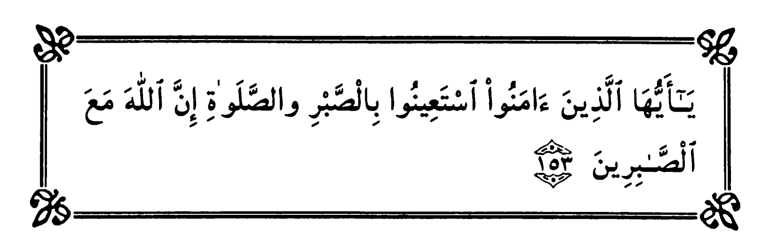
وعنه عليه السلام في حديث عيسى: يا عيسى أذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، وأُذكرني في ملئك أذكرك في ملأ خير من ملأ الآدميّين[٦].

وعنه عليه السلام: إنّ اللّه لم يذكره أحد من عباده المؤمنين إلّا ذكره بخير، فاعطوا الله من أنفسكم الإجتهاد في طاعته[٧].

وفي المجمع[٨]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الملك ينزل الصحيفة من أوّل النهار وأوّل اللّيل يكتب فيها عمل ابن آدم، فَأَمْلُوا في أوّلها خيراً، وفي

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٣٩٠، باب وجوه الكفر.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٧، ح ١٢١.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ١٥٠.
٤ ـ الخصال: ص ٦١٣، ح ١٠، باب أربعمائة.
٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٩٨، ح ١٢، باب ما يجب من ذكر الله عزّ وجلّ في كل مجلس.
٦ ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٠٢، ح ٣، باب ذكر الله عزّ وجلّ في السر.
٧ ـ الكافي: ج ٨، ص ٧، ح ١.
٨ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٣٤.



آخرها خيراً فإنّ الله يغفر لكم ما بين ذلك إن شاء الله فإنه يقول: «اذكروني أذكركم»[١].

وفي الخصال: عنه عليه السلام في البلاء من الله، الصبر: فريضة، وفي القضاء من الله، التسليم: فريضة، وفي النعمة من الله، الشكر: فريضة[٢].

وعن السجّاد عليه السلام: من قال: الحمد للّٰه فقد ادّى شكر كلّ نعم اللّٰه[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: شكر كلّ نعمة الورع عمّا حرّم اللّٰه[٤].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: انه سئل هل للشكر حدّ إذا فعله الرجل كان شاكراً؟ قال: نعم، قيل: وما هو ؟ قال: الحمد للّٰه على كلّ نعمة أنعمها عليّ، وان كان له فيما أنعم عليه حقّ أدّاه. ومنه قول الله: «الحمد للّٰه الّذي سخّر لنا هذا» حتىٰ عدّ آيات[٥].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُوا بِالْصَّبْرِ﴾: عن المعاصي وحظوظ النفس.

﴿والصَّلَوٰةِ﴾: الّتي هي أمّ العبادات، ومعراج المؤمنين، ومناجاة ربّ العالمين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾: بالنّصر وإجابة الدعوة.

في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام في كلام له: قال: فمن صبر كرهاً ولم يشك إلى الخلق ولم يجزع بهتك ستره فهو من العامّ ونصيبه ما قال اللّٰه: «وبشر الصّابرِينَ» أي بالجنّة ومن استقبل البلايا بالرحب، وصبر على سكينة ووقار، فهو من الخاصّ ونصيبه ما قال الله: «إنّ اللّٰه مع الصّابرينَ»[٦].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٧، ح ١١٩. ٢ ـ الخصال: ص ٨٦، ح ١٧، باب ٣ ـ ثلاث خصال العبد بينهن.

٣ ـ الخصال: ص ٢٩٩، ح ٧٢، باب ٥ ـ الأمر بتمجيد الله عزّوجلّ في خمس كلمات. وفيه: «كل نعمة لله عزّوجلّ عليه».

٤ ـ الخصال: ص ١٤، ح ٥٠، باب ١ ـ خصلة هي الزهد في الدنيا وخصلة هي شكر كلّ نعمة.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٧، ح ١٢٠. ٦ ـ مصباح الشريعة: ص ١٨٦. وفيه: «بالجنّة والمغفرة».

وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ﴾: أي هم أموات.

﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾: بل هم أحياء.

﴿وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾: مَا حَالهم. في الكافي[1]، والتهذيب: عن يونس بن ظبيان، عن الصادق عليه السلام: انّه قال له: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين ؟ قال: يقولون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش، فقال: سبحان اللّه المؤمن أكرم على اللّه من أن يجعل روحه في حوصلة طير، يا يونس إذا كان ذاك أتاه محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات اللّه عليهم والملائكة المقرّبون فإذا قبضه اللّه تعالى صيّر تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا[2].

وفي التهذيب: عنه عليه السلام أنّه سئل عن أرواح المؤمنين؟ فقال: في الجنّة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان[3].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾: ولنصيبنّكم إصابة المختبر هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء؟

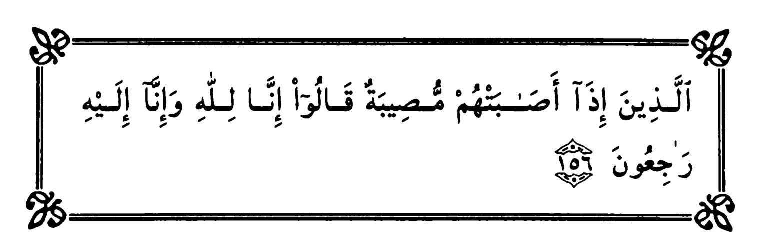
﴿بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾: أي بالجنّة كما مرّ. وفي نهج البلاغة: إنّ الله يبتلي عباده عند الأعمال

---

١ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٤٥، ح ٦، باب في ارواح المؤمنين.

٢ ـ تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٤٦٦، ح ١٥٢٦ / ١٧١، باب ٢٣ ـ تلقين المحتضرين.

٣ ـ تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٤٦٦، ح ١٥٢٧ / ١٧٢، باب ٢٣ ـ تلقين المحتضرين.



السيئة بنقص الثمرات، وحبس البركات، وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب، ويقلع مقلع، ويتذكّر متذكّر، ويزدجر مزدجر(١).

وفي الإكمال: عن الصادق عليه السلام إنّ هذه علامات قيام القائم يكون من الله عزّ وجلّ للمؤمنين، قال: «بشيء من الخوف» من ملوك بني أُميّة في آخر سلطانهم، والجوع بغلاء أسعارهم «ونَقْصٍ مِنَ ٱلْأَمْوٰلِ»: فساد التجارات وقلّة الفضل، ونقص من الأنفس: المَوت الذريع، ونقص من الثمرات: بقلّة ريع ما يزرع، «وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ» عند ذلك: بتعجيل خروج القائم عليه السلام، ثمّ قال: هذا تأويله إنّ الله عزّ وجلّ يقول: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ»(٢)(٣).

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: في الحديث كلّ شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة(٤).

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: في نهج البلاغة: إنّ قولنا: «إنّا لله»، إقرار على أنفسنا بالملك، وقولنا: «إنّا إليه راجعون»، إقرار على أنفسنا بالهلك(٥).

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله: من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته، وأحسن عقباه، وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه، وقال صلى الله عليه وآله: من أُصيب بمصيبة فأحدث استرجاعاً وإن تقادم عهدها كتب الله له من الأجر مثل يوم أُصيب(٦).

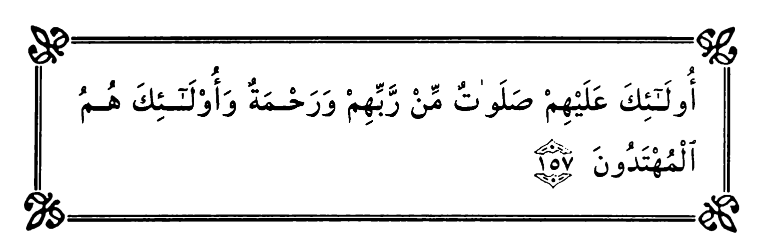
---

١ ـ نهج البلاغة: ص ١٩٩، الخطبة: ١٤٣. ٢ ـ آل عمران: ٧.

٣ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٦٤٩، ح ٣. ٤ ـ تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٨٠.

٥ ـ نهج البلاغة: ص ٤٨٥، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام، رقم ٩٩.

٦ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٣٨.



وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام: ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترجع عند ذكره المصيبة ويصبر حين تفجأه إلّا غفر الله له ما تقدّم من ذنبه، وكلّ ما ذكر مصيبته فاسترجع عند ذكر المصيبة غفر الله له كلّ ذنب فيما بينهما[1].

وعن الصادق عليه السلام: من ذكر مصيبة ولو بعد حين فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين اللّهمّ أجرني على مصيبتي واخلف عليّ أفضل منها، كان له من الأجر مثل ما كان عند أوّل صدمة[2].

وفي الخصال[3]، والعيّاشي: عنه عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله: أربع خصال من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم: من كانت عصمة أمره شهادة أن لا إله إلّا الله، وإني رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ومن إذا أصاب خيراً قال: الحمد لله، ومن إذا أصاب خطيئة قال: أستغفر الله وأتوب إليه[4].

﴿أُولَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾: قيل: الصلاة من الله: التزكية والمغفرة والرحمة، واللطف والإحسان[5].

وفي الخصال[6]، والعيّاشي: عن النبي صلى الله عليه وآله قال الله تعالى: إنّي جعلت الدنيا بين عبادي فيضاً[7] فمن أقرضني منها قرضاً أعطيته بكلّ واحدة منها عشراً إلى سبعمائة ضعف،

---

١ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٢٤، ح ٥.   ٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٢٤، ح ٦.

٣ ـ الخصال: ص ٢٢٢، ح ٤٩، باب ٤ ـ أربع خصال من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٩، ح ١٢٨.   ٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩١.

٦ ـ الخصال: ص ١٣٠، ح ١٣٥، باب ٣ ـ ثلاث خصال لمن يؤخذ منه شيء من دنياه قسراً.

٧ ـ فيضاً: أي مفيضاً عليهم فيضاً. منه قدّس سرّه.

إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِنْ شَعَآئِرِ ٱللهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ ٱللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

وما شئت من ذلك ومن لم يقرضني منها قرضاً فأخذت منه قسراً أعطيته ثلاث خصال لو اعطيت واحدة منهنّ لملائكتي لرضوا: الصلاة، والهداية، والرحمة، إنّ الله تعالى يقول: «ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ»، الآية[١].

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾: هما علما جبلين بمكّة.

﴿مِنْ شَعَآئِرِ ٱللهِ﴾: من أعلام مناسكه، جمع شعيرة، وهي العلامة.

﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾: الحجّ لغة: القصد. والإعتمار: الزيارة، فغلّبا شرعاً على قصد البيت، وزيارته على الوجهين المخصوصين.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾: العيّاشي: عن الباقر عليه السلام: أي لا حرج عليه أن يطّوف بهما[٢].

وفي الكافي[٣]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن السعي بين الصفا والمروة فريضة أم سنّة؟ فقال: فريضة، قيل: أوليس قال الله عزّ وجلّ: «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا»؟ قال: كان ذلك في عمرة القضاء، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام من الصفا والمروة فتشاغل رجل عن السعي حتى انقضت الأيام وأُعيدت الأصنام فجاؤوا إليه فقالوا: يا رسول الله إنّ فلانا لم يسع بين الصفا والمروة وقد أُعيدت الأصنام فأنزل الله تعالى: «إِنَّ الصّفا والمروة» إلى قوله: «فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما» أي وعليهما الأصنام[٤].

والقمّي: إنّ قريشاً كانت وضعت أصنامهم بين الصفا والمروة ويتمسّحون بها إذا سعوا،

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٨، ح ١٢٦. ٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٩ ـ ٧٠، ح ١٣١.

٣ ـ الكافي: ج ٤، ص٤٣٥، ح٨، باب السعي بين الصفا والمروة. ٤ ـ تفسير العياشي: ج١، ص ٧٠، ح ١٣٣.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ١٥٩﴾

فلمّا كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة الحديبيّة ما كان وصدّوه عن البيت وشرطوا له أن يخلوا له البيت في عام قابل حتّى يقضي عمرته ثلاثة أيام ثمّ يخرج عنه فلمّا كانت عمرة القضاء في سنة سبع من الهجرة دخل مكّة، وقال لقريش: ارفعوا أصنامكم حتّى أسعى فرفعوها، الحديث[١].

كما في الكافي بأدنى تفاوت[٢].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إنّ المسلمين كانوا يظنّون إنّ السعي ما بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون، فأنزل الله هذه الآية[٣].

وعنه عليه السلام: جعل السعي بين الصفا والمروة مذلّة للجبّارين[٤].

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً﴾: فأكثر الطواف، أو فعل طاعة أُخرى، وقرئ بالياء وتشديد الطاء وجزم العين.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾: مثيب عليه لا يخفى عليه.

أقول: الآية الآتية وما بعدها إلى قوله سبحانه «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت» ممّا وجد من تفسير أبي محمّد الزكي تفسيره[٥] ويكون بناء تفسيرنا فيها عليه كما كان فيما سبق فيما يوجد منه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾: كأحبار اليهود الكاتمين للآيات

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٦٤. ٢ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٣٥، ح ٨، باب السعي بين الصفا والمروة.
٣ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٤٥، ح ٢، باب حج النبي صلى الله عليه وآله.
٤ ـ الكافي: ج ٤، ص ٤٣٤، ح ٥، باب السعي بين الصفا والمروة. ٥ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٦٩.

الشاهدة على أمر محمّد وعلي عليهما السلام ونعتهما وحليتهما، وكالنواصب الكاتمين لما نزل في فضل علي.

﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾: وكلّ ما يهدي إلى وجوب اتّباعهما والإيمان بهما.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾: في التوراة وغيره.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾: أي الّذين يتأتى منهم اللّعن عليهم من الملائكة والثقلين حتّى أنفسهم فإنّ الكافرين يقولون: «لعن الله الكافرين».

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام في قوله: «ٱللَّـٰعِنُونَ» قال: نحن هم، وقد قالوا: هوامّ الأرض[١].

وفي الإحتجاج[٢]، وتفسير الإمام عليه السلام: في غير هذا الموضع، قال أبو محمّد عليه السلام: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: من خير خلق الله بعد أئمّة الهدى، ومصابيح الدجى عليهم السلام؟ قال: العلماء: إذا صلحوا، قيل: فمن شرّ خلق الله بعد إبليس وفرعون وثمود، وبعد المتسمّين بأسمائكم والمتلقّبين بألقابكم والآخذين لأمكنتكم، والمتأمّرين في ممالككم؟ قال: العلماء إذا فسدوا هم المظهرون للأباطيل، الكاتمون للحقائق، وفيهم قال الله عزّ وجلّ: «أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ»[٣].

وعن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال: من سئل عن علم يعلمه فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار[٤].

والقمّي: مرفوعاً عن النبي صلّى الله عليه وآله: إذا ظهرت البدع في أُمّتي فليظهر العالم علمه، ومن لم يفعل فعليه لعنة الله[٥].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: إنّ رجلاً أتى سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال: حدّثني فسكت عنه، ثمّ عاد فسكت، فأدبر الرجل وهو يتلو هذه الآية: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ»

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٢، ح ١٤١.

٢ ـ الإحتجاج: ج ٢، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥، احتجاج أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام في أنواع شتّى من علوم الدين.

٣ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٠٢، ح ١٤٤.

٤ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ١٥٩.

٥ ـ بحار الأنوار: ج ٢، ص ٧٢، ح ٣٥. والمراد من القمّي: محمّد بن جمهور القمّي.

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

فقال له: أقبل إنّا لو وجدنا أميناً لحدّثناه[١]، الحديث.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾: عن الكتمان.

﴿وَأَصْلَحُواْ﴾: ما أفسدوا بالتدارك.

﴿وَبَيَّنُواْ﴾: ما ذكره الله من نعت محمّد صلّى الله عليه وآله، وصفته، وما ذكره رسول الله صلّى الله عليه وآله من فضل علي وولايته لتتمّ توبتهم.

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: بالقبول والمغفرة.

﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: المبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: في ردّهم نبوّة محمّد صلّى الله عليه وآله، وولاية علي عليه السلام.

﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: استقرّ عليهم البعد من الرحمة.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾: في اللعنة في نار جهنّم.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: يوماً ولا ساعةً.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: لا يمهلون.

﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: قيل: أي المستحقّ منكم للعبادة واحد لا شريك له يصحّ

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧١، ح ١٣٨.

إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

أن يعبد أو يسمّى إلـهاً[١].

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: تقرير للوحدانيّة وإزاحة لأن يتوهّم أنّ في الوجود إلهاً ولكن لا يستحق منهم العبادة.

﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: كالحجّة عليها.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: بلا عمد من تحتها تمنعها من السقوط، ولا علاقة من فوقها تحبسها من الوقوع عليكم، وأنتم أيّها العباد والإماء أُسرائي في قبضتي الأرض من تحتكم، لا منجى لكم منها، أين هربتم، والسماء من فوقكم لا محيص لكم عنها أين ذهبتم، فإن شئت أهلكتكم بهذه، وإن شئت أهلكتكم بتلك، ثمّ ما في السماوات من الشمس المنيرة في نهاركم لتنتشروا في معايشكم، ومن القمر المضيء في ليلكم لتبصروا في ظلماته[٢] وألجأتكم بالإستراحة في الظلمة إلى ترك مواصلة الكدّ الذي ينهك أبدانكم.

﴿وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: المتتابعين الكارّين عليكم بالعجائب التي يحدثها ربّكم في عالمه من إسعاد، وإشقاء، وإعزاز، وإذلال، وإغناء، وإفقار، وصيف، وشتاء، وخريف، وربيع، وخصب، وقحط، وخوف، وأمن.

﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾: التي جعلها الله مطاياكم لا

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٣.

٢ ـ وفي نسخة: [ظلمته].

تهدأ ليلاً ولا نهاراً ولا تقتضيكم علفاً ولا ماء، وكفاكم بالرياح مؤنة تسييرها بقواكم التي كانت لا تقوم بها لو ركدت عنها الرياح لتمام مصالحكم ومنافعكم وبلوغكم الحوائج لأنفسكم.

﴿وَمَآ أَنْزَلَ ٱللهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِنْ مَّآءٍ﴾: وابلاً[١] وهطلاً[٢] ورذاذاً[٣] لا ينزّل عليكم دفعة واحدة فيغرقكم ويهلك معايشكم، لكنّه ينزّل متفرّقاً من علا حتّى يعمّ الأوهاد[٤] والتلال والتلاع[٥].

﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: فيخرج نباتها وحبوبها وثمارها.

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَآبَّةٍ﴾: منها ما هي لأكلكم ومعايشكم، ومنها سباع ضارية حافظة عليكم أنعامكم لئلا تشذّ[٦] عليكم خوفاً من افتراسها لها.

﴿وَتَصْرِيفَ ٱلرِّيَـٰحِ﴾: المربية لحبوبكم، المبلّغة لثماركم، النافية لركود الهواء والإقتار عنكم، وقرئ بتوحيد الريح.

﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾: المذلّل الواقف.

﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: يحمل أمطارها، ويجري بإذن الله، ويصبّها حيث يؤمر.

﴿لَأَيَـٰتٍ﴾: دلائل واضحات.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يتفكّرون فيها بعقولهم.

---

١ ـ الوابل: المطر الشديد. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٤٠، مادة «وبل».

٢ ـ الهطل: تتابع المطر، والدمع وسيلانه. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٥٠، مادة «هطل».

٣ ـ الرذاذ: المطر الضعيف. الصحاح: ج ٢، ص ٥٦٥، مادة «رذذ».

٤ ـ الوهدة: المكان المطمئن والجمع وَهْدٌ ووهاد. الصحاح: ج ٢، ص ٥٥٤، مادة «وهد».

٥ ـ التلاع: مجاري أعلى الأرض إلى بطون الأودية، واحدتها تلعة، والتلعة: ما ارتفع من الأرض. وما انهبط منها أيضاً وهو من الأضداد. الصحاح: ج ٣، ص ١١٩٢. وذكر الماتن ﷺ في هامش المخطوط: بأنّ الوابل: المطر الشديد الضخم القطر، والهطل: المطر الضعيف، الدائم، والرذاذ: المطر الضعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار، وهو بعد الهطل، والتلعة: القطعة المرتفعة من الأرض وكأنّها دون التل.

٦ ـ شذّ الحصى: إذا تفرّق، وأشذّته الناقة إذا فرّقته. وأشذّ الشيء: نحّاه وأقصاه، وقال ابن القطاع: أشذّه: فرّقه. تاج العروس: ج ٩، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥، مادة «شذذ».

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ ٱللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّاً لِلّٰهِ وَلَوْ يَرَىٰ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعاً وَأَنَّ ٱللهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ ٱللهِ أَنْدَاداً﴾: من الأصنام، ومن الرؤساء الذين يطيعونهم.

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام[1]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: هم والله أولياء فلان وفلان اتّخذوهم أئمّة دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً فلذلك قال: «وَلَوْ يَرَىٰ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ» الآية، ثمّ قال: والله يا جابر هم أئمّة الظلمة وأشياعهم[2].

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللهِ﴾: قيل: أي يعظّمونهم ويطيعونهم كتعظيمه والميل إلى طاعته، أي يسوون بينهم وبينه في المحبّة والطاعة[3].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّاً لِلّٰهِ﴾: من هؤلاء المتخذين الأنداد مع الله لأندادهم لأنّ المؤمنين يرون الربوبيّة والقدرة لله لا يشركون به شيئاً، فمحبّتهم خالصة له.

والعيّاشي: عن الباقر والصادق عليهما السلام، هم آل محمّد عليهم السلام[4].

أقول: يعني الذين آمنوا، ويأتي تحقيق معنى محبّة الله عزّ وجلّ في سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللهَ»[5] إن شاء الله.

﴿وَلَوْ يَرَىٰ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: باتّخاذ الأصنام أنداداً لله سبحانه، والكفّار والفجّار أمثالاً لمحمّد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، وقرئ بالتاء.

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٣٧٤، ح ١١، باب من ادّعى الإمامة وليس لها بأهلها.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٢، ح ١٤٢. وفيه: «أئمّة الظلم».

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٤.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٢، ح ١٤٣.

٥ ـ آل عمران: ٣١.

إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾

﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾: حين يرون العذاب الواقع بهم لكفرهم وعنادهم، وقرئ بضمّ الياء.

﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾: يعلمون أنّ القوّة لله.

﴿جَمِيعاً﴾: يذل[1] من يشاء ويكرم من يشاء، ولا قوّة للكفّار يمتنعون بها من عذابه.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾: ويعلمون أنّ الله شديد العذاب، وقيل: جواب لو محذوف، أي لندموا أشدّ الندم[2].

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾: أي لو يرى هؤلاء المتّخذون الأنداد حين يتبرّأ[3] الرؤساء.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾: الرعايا والأتباع.

﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾: الوصلات التي كانت بينهم يتواصلون بها ففنيت حيلتهم ولا يقدرون على النجاة من عذاب الله بشيء.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾: الأتباع.

﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: يتمنّون لو كان لهم رجعة إلى الدنيا.

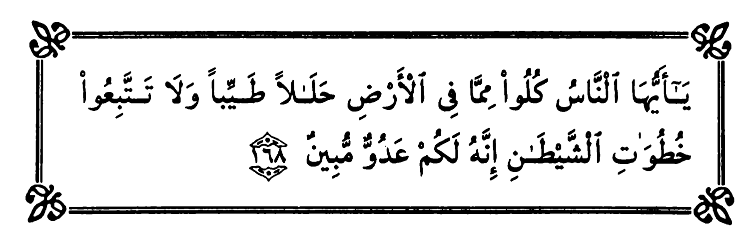
﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾: هناك.

---

١ ـ وفي نسخة: [يعذب من يشاء]، وهكذا كما جاء في تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٧٨.

٢ ـ ذكره العمادي في تفسيره أبي السعود: ج ١، ص ١٨٦.

٣ ـ وفي نسخة أُخرى: [تبرّأ]، وهكذا جاء في تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٧٨.



﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾: هنا.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: كما تبرّأ بعضهم من بعض.

﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾: وذلك أنّهم عملوا في الدنيا لغير الله، أو على غير الوجه الذي أمر الله به فيرونها لا ثواب لها، ويرون أعمال غيرهم التي كانت لله قد عظم الله ثواب أهلها.

وفي الكافي(١)، والفقيه(٢)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ»، هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة الله بخلاً، ثمّ يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله، أو معصية الله فإن عمل به في طاعة الله رآه في ميزان غيره فرآه حسرة، وقد كان المال له، وإن كان عمل به في معصية الله قوّاه بذلك المال حتّى عمل به في معصية الله عزّ وجلّ(٣).

﴿وَمَا هُمْ بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾: كان عذابهم سرمداً دائماً إذ كانت ذنوبهم كفراً، لا تلحقهم شفاعة نبي، ولا وصي، ولا خيّر من خيار شيعتهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: من أنواع ثماره وأطعمتها.

﴿حَلَـٰلاً طَيِّباً﴾: لكم إذا أطعتم ربّكم في تعظيم من عظّمه، والإستخفاف بمن أهانه وصغّره، وقيل: نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس(٤).

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾: مايخطوبكم إليه ويغريكم به من مخالفة الله عزّ وجلّ.

---

١ ـ الكافي: ج ٤، ص ٤٢، ح ٢، باب الإنفاق.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٤، ح ١٤٠ / ٧، باب ١٦ ـ فضل السخاء والجود.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٢ ـ ٧٣، ح ١٤٤.   ٤ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٥٢.

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَنْ تَقُولُواْ عَلَىٰ ٱللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنْزَلَ ٱللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

العيّاشي: عن الباقر عليه السلام: كلّ يمين بغير الله فهي[١] من خطوات الشيطان[٢].

وفي المجمع: عنهما عليهما السلام ما في معناه[٣].

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَنْ تَقُولُواْ عَلَىٰ ٱللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: قيل: كاتخاذ الأنداد، وتحليل المحرّمات، وتحريم الطيّبات[٤].

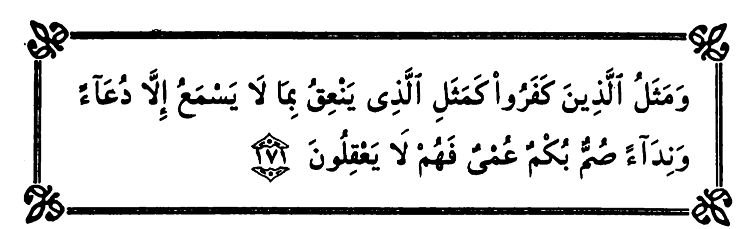
أقول: فيه دلالة على المنع من اتّباع الظنّ في المسائل الدينيّة رأساً.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إيّاك وخصلتين، ففيهما هلك من هلك: إيّاك أن تفتي الناس برأيك، أو تدين بما لا تعلم[٥].

وعن الباقر عليه السلام: إنّه سئل عن حقّ الله تعالى على العباد، قال: أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون[٦].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنْزَلَ ٱللهُ﴾: في كتابه، قيل: الضمير للناس، وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالتهم كأنّه التفت إلى العقلاء، وقال لهم: انظروا إلى هؤلاء الحمق ماذا يجيبون[٧]؟

١ـ وفي نسخة: [فهو من خطوات].
٢ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٤، ح ١٥٠.
٣ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٥٢.
٤ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٩.
٥ـ الكافي: ج ١، ص ٤٢، ح ٢، باب النهي عن القول بغير علم.
٦ـ الكافي: ج ١، ص ٤١، ح ٧، باب النهي عن القول بغير علم.
٧ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٥.



﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾: حسبنا ما وجدنا.

﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾: من الدين والمذهب.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: إلى الحق والصواب.

أقول: فيه دلالة على وجوب إعمال البصيرة ولو في معرفة من يقلّده.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: في عبادتهم الأصنام، واتّخاذهم الأنداد من دون محمّد وعلي صلوات الله عليهما.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾: يصوّت[1].

﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾: بصوت لا يسمع منه.

﴿إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾: لا يفهم ما يراد منه فيغيث المستغيث، ويعين من استعانه.

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام أي مثلهم في دعائك إيّاهم إلى الإيمان كمثل الناعق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لا تفهم وإنّما تسمع الصوت[2].

أقول: يعني بذلك إنّ مثل داعيهم كمثل داعي البهائم فإنّهم لإنهماكم في التقليد لا يلقون أذهانهم إلى ما يتلى عليهم، ولا يتأمّلون فيما يقرّر معهم، فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه[3]، وتحسّ النداء ولا تفهم معناه، وهذا المعنى مع افتقاره إلى الإضمار أوضح من الأوّل، لأنّ الأصنام لا تسمع دعاءاً ولا نداءاً، كما أنّها لا تفهم ما يراد منها إلّا أن يجعل ذلك من باب التمثيل المركّب أو يجعل اتّخاذهم الأنداد في الحديث تفسيراً لعبادتهم الأصنام، واُريد بالأنداد والأصنام جميعاً: أئمّة الظلال.

---

١ ـ النعق: مأخوذ من نعق الراعي لغنمه إذا صاح بها. منه رحمه الله.

٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٥٢.

٣ ـ المغزى بالمعجمتين: المقصد والمراد. منه رحمه الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾: عن الهدى.

﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أمر الله سبحانه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾: على ما رزقكم، وأحلّ لكم.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: **أقول**: يعني واشكروا له نعمه إن صحّ إنّكم تختصّونه بالعبادة وتقرّون أنّه مولى النعم، فإنّ عبادته لا تتمّ إلّا بالشكر بأن تعتقدوا بأنّ النعمة من الله وتصرفوا النعمة[1] فيما خلقت له، وتحمدوا لله[2] بألسنتكم، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى: إنّي والجنّ والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر غيري[3].

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾: التي ماتت حتف أنفها بلا ذباحة من حيث أذن الله.

﴿وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾: ما ذكر اسم غير الله عليه من الذبائح، وهي التي يتقرّب بها الكفّار بأسامي أندادهم التي اتخذوها من دون الله.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾: إلى شيء من هذه المحرّمات.

﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾: وهو غير باغ عند الضرورة على إمام هدى ولا عادٍ معتد قوّال بالباطل في نبوّة من ليس بنبيّ وإمامة من ليس بإمام.

---

١ ـ وفي نسخة: [النعم].	٢ ـ وفي نسخة: [الله].

٣ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ٩٧.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام، الباغي: الذي يخرج على الإمام، والعادي: الذي يقطع الطريق، لا تحلّ لهما الميتة[١].

والعيّاشي: عنه عليه السلام ما في معناه[٢].

وفي رواية: الباغي: الظالم، والعادي: الغاصب[٣].

وفي التهـذيب[٤]، والعيّاشي: عنه عليه السلام الباغي: باغي الصيد، والعادي: السارق، ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرّا، هي حرام عليهما ليس هي عليهما كما هي على المسلمين[٥].

وفيه[٦]، وفي الفقيه: عن الجواد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، سئل رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له: إنّا نكون بأرض فتَصيبنا المخمصة فمتى تحلّ لنا الميتة؟ قال: ما لم تصطبحوا أو تـغتبقوا[٧]، أو تحتقبوا[٨] بقلاً فشأنكم بهذا، قال عبدالعظيم: فقلت له: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله فما معنى قول الله عزّ وجلّ: «فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ»؟ فقال: العادي: السارق، والباغي: الذي يبغي الصيد بطراً ولهواً لا ليعود به على عياله، ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرّا هي حرام عليهما في حال الإضطرار كما هي حرام عليهما في حال الإختيار، وليس لهما أن يقصّرا في صوم ولا صلاة في سفر[٩]، الحديث.

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: في تناول هذه الأشياء.

١ـ الكافي: ج ٦، ص ٢٦٥، ح ١، باب ذكر الباغي والعادي.

٢ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٤، ح ١٥٤.

٣ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٤، ح ١٥١.

٤ـ تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٧٨ ـ ٧٩، ح ٣٣٤/ ٦٩، باب ٢ ـ بأدنى تفاوت.

٥ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٥، ح ١٥٦، بأدنى تفاوت.

٦ـ تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٨٣ ـ ٨٤، ح ٣٥٤/ ٨٩، باب ٢ ـ الذبائح والأطعمة وما يحل من ذلك وما يحرم منه. وفيه: «أو تحتفوا».

٧ـ الصبوح بالفتح: الشرب بالغداة، خلاف الغبوق، ومنه الحديث وقد سئل متى تحل الميتة؟ قال: ما لم تصطبحوا أو تغتبقوا. فالإصطباح أكل الصبوح. وهو الغداء، والغبوق أكل العشاء وأصلها الشرب ثمّ استعملا في الأكل. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

٨ـ تحتقبوا: أي تدّخروا من الإحتقاب بمعنى الإدخار. منه رحمه الله.

٩ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢١٧، ح ١٠٠٧/ ٩٧، باب ٩٦ ـ الصيد والذبائح. وفيه: «أو تحتفئوا».

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: ستّار لعيوبكم[١].

﴿رَّحِيمٌ﴾: حين أباح لكم في الضرورة ما حرّمه في الرخاء.

في الفقيه: عن الصادق عليه السلام: من اضطرّ إلى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل شيئاً من ذلك حتّى يموت فهو كافر[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عرضاً من الدنيا يسيراً، وينالون به في الدنيا عند الجهّال رياسة.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ﴾: قيل: أي ملئ بطونهم، يقال: أكل في بطنه وأكل في بعض بطنه[٣]. وفي الحديث: كلوا في بعض بطنكم تَعِفوا[٤].

﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾: بدلاً من إصابتهم اليسير من الدنيا لكتمانهم الحقّ.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: بكلام خير، بل يلعنهم و يخزيهم ، وقيل: هو كناية عن غضبه تعالى عليهم وتعريض لحرمانهم عن الزلفى من الله[٥].

---

١ ـ الغفور: اسم من أسماء الله تعالى، وهو الذي تكثر مغفرته، وأصل الغفر: التغطية، يقال: غفر الله له ذنبه من باب ضرب، غفراناً: ستر عليه ذنبه، وغطّاه، وصفح عنه، والمغفرة اسم منه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٢٧، مادة «غفر».

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢١٨، ح ١٠٠٨ / ٩٨، باب ٩٦ ـ الصيد والذبائح.

٣ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٧.

٤ ـ انظر أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٧؛ وتفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٩١.

٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٧.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝١٧٦﴾

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: من ذنوبهم، قيل: ولا يثني عليهم[1].

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: موجع في النار.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾: في الدنيا.

﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾: في الآخرة بكتمان الحقّ للأغراض الدنيويّة.

﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: ما أجرأهم على عمل يوجب عليهم عذاب النار. وفي الكافي[2]، والعيّاشي: ما أصبرهم على فعل ما يعلمون أنّه يصيّرهم إلى النار[3].

والقمّي: ما أجرأهم على النار[4].

وفي المجمع: ما أعملهم بأعمال أهل النار، عن الصادق عليه السلام[5].

﴿ذَٰلِكَ﴾: العذاب.

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي ما يوعدون به يصيبهم ولا يخطيهم، قيل: نزل بالحقّ فرفضوا بالتكذيب والكتمان[6].

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: بأن قال بعضهم: إنّه سحر، وقال آخر: إنّه شعر، وقال آخر: أنّه كهانة، إلى غير ذلك[7].

﴿لَفِى شِقَاقٍ﴾: خلاف.

﴿بَعِيدٍ﴾: عن الحق كأنّ الحقّ في شقّ وهم في شقّ غيره يخالفه.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٧.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢٦٨ ـ ٢٩٦، ح ٢.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٥، ح ١٥٧.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٦٤.

٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٥٩.

٦ و ٧ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٧.

لَيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

﴿لَيْسَ ٱلْبِرَّ﴾: الفعل المرضي.

﴿أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾: إلى الكعبة. قيل: ردّ على الذين أكثروا الخوض في أمر القبلة من أهل الكتاب حين حوّلت إلى الكعبة مدّعياً كلّ طائفة أنّ البرّ هو التوجّه إلى قبلتها[1]، والمشرق قبلة النصارى، والمغرب قبلة اليهود.

وفي تفسير الإمام عن السجاد عليه السلام: قالت اليهود قد صلّينا في[2] قبلتنا هذه الصلاة الكثيرة وفينا من يحيي اللّيل صلاة إليها وهي قبلة موسى التي أُمرنا بها، وقالت النصاري: قد صلّينا إلى[3] قبلتنا هذه الصلاة الكثيرة، وفينا من يحيي الليل صلاة إليها وهي قبلة عيسى التي أُمرنا بها، وقال كلّ واحد من الفريقين: أترى ربّنا يبطل أعمالنا هذه الكثيرة، وصلاتنا إلى قبلتنا لأنّا لا نتّبع محمّداً صلى الله عليه وآله على هواه في نفسه وأخيه، فأنزل الله يا محمّد قل: ليس البر الطاعة التي تنالون بها الجنان، وتستحقّون بها الغفران والرضوان أن تولّوا وجوهكم بصلاتكم قبل المشرق، يا أيّها النصارى، وقبل المغرب يا أيّها اليهود، وأنتم لأمر الله مخالفون

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٧، بتفاوت.

٢ ـ وفي نسخة: [على قبلتنا]، وفي المصدر: «إلى قبلتنا».

٢ ـ وفي نسخة: [على قبلتنا].

وعلى ولي الله مغتاظون[١].

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾: قرئ بتخفيف لكن، ورفع البرّ.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾: قيل: يعني البرّ الّذي ينبغي أن يهتمّ به برّ من آمن[٢].

﴿بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّينَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾: أعطى في الله تعالى المستحقّين من المؤمنين على حبّه للمال وشدّة حاجته إليه يأمل الحياة ويخشى الفقر لأنّه صحيح شحيح.

﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: أعطى قرابة النبي ﷺ الفقراء هديّة وبرّاً لا صدقة، لأنّ الله أجلّهم عن الصدقة، وأعطى قرابة نفسه صدقة وبرّاً.

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾: من بني هاشم الفقراء برّاً لا صدقة، ويتامى غيرهم صدقة وصلة.

﴿وَٱلْمَسَـٰكِينَ﴾: الناس.

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: المجتاز المنقطع به لا نفقة معه.

﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾: الذين يتكفّفون.

﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾: في تخليصها، يعني: المكاتبين يعينهم ليؤدّوا حقوقهم فيعتقوا.

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: بحدودها.

﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الواجبة عليه لإخوانه المؤمنين.

﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟﴾: قيل: عطف على من آمن[٣]، يشمل عهد الله والناس.

﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ﴾: نصبه على المدح، ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الأعمال.

﴿فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾: يعني في محاربة الأعداء، ولا عدوّ يحاربه أعدى من إبليس ومردته، ويهتف به، ويدفعه وإيّاهم بالصلاة على محمّد وآله الطيّبين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: الفقر والشدّة، ولا فقر أشدّ من فقر مؤمن يلجأ إلى التكفّف من أعداء

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٨٩ ـ ٥٩٠.   ٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٧.
٣ ـ قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ١، ص ٢٢٠.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌۢ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾

آل محمّد عليهم السلام يصبر على ذلك، ويرى ما يأخذه من ما لهم مغنماً يلعنهم به ويستعين بما يأخذ على تجديد ذكر ولاية الطيّبين الطاهرين.

﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾: عند شدّة القتال يذكر الله ويصلّي على رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى علي وليّ الله، يوالي بقلبه ولسانه أولياء الله، ويعادي كذلك أعداء الله.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾: في إيمانهم، وصدقوا أقاويلهم بأفاعيلهم.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: لما أُمروا باتقائه، قيل: الآية كما ترى جامعة للكمالات الإنسانيّة بأسرها دالّة عليها صريحاً أو ضمناً فإنّها بكثرتها وتشعّبها[1] منحصرة في ثلاثة أشياء: صحّة الإعتقاد، وحسن المعاشرة، وتهذيب النفس، وقد أُشير إلى الأوّل بقوله «مَنْ ءَامَنَ» إلى «وَٱلنَّبِيِّين» وإلى الثاني بقوله: «وَءَاتَى ٱلْمَالَ» إلى «وَفِى ٱلرِّقاب» وإلى الثالث بقوله: «وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰة» إلى آخرها، ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظراً إلى إيمانه واعتقاده وبالتقوى اعتباراً بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق وإليه أشار النبي صلى الله عليه وآله بقوله: من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾: قيل: أي فرض أوجب عليكم[3].

---

١ ـ وفي نسخة: [وتشتّتها].

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٨.

٣ ـ قاله الطبرسي في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٦٥، س ٥؛ وانظر تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٩٥.

﴿ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾: يعني المساواة وأن يسلك بالقاتل في طريق المقتول الذي سلكه به لما قتله.

﴿ٱلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾: العيّاشي: عن الصادق عليه السلام يعني[1] لجماعة المسلمين، ما هي للمؤمنين خاصّة[2].

وفي التهذيب: عنه عليه السلام: لا يقتل حرّ بعبد، ولكن يضرب ضرباً شديداً، ويغرم ديّة العبد[3].

ولا يقتل الرجل بالمرأة إلّا إذا أدّى أهلها إلى أهله نصف ديّته[4].

والعيّاشي: ما في معناه[5]، قيل: كان بين حيّين من أحياء العرب دماء، وكان لأحدهما على الآخر طول فأقسموا ليقتلنّ الحرّ بالعبد، والذكر بالأنثى، والرجلين بالرجل، فلمّا جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت، فأمرهم أن يتكافؤوا[6].

﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ﴾: أي الجاني الذي عفي له.

﴿مِنْ أَخِيهِ﴾: الذي هو ولي الدم، قيل: ذكر بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من إخوّة الإسلام[7].

﴿شَىْءٌ﴾: من العفو، وهو العفو من القصاص، دون الديّة.

---

١ ـ وفي نسخة: [هي لجماعة].

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٥، ح ١٥٩، بتفاوت. وإليك نصّه: أهي جماعة المسلمين؟ قال: هي للمؤمنين خاصّة. وفي البرهان: ج ١، ص ١٧٦، عن الصادق عليه السلام: أهي لجماعة المسلمين؟ قال: هي للمؤمنين خاصّة. والظاهر أنّ هذا النّص هو الصحيح.

٣ ـ تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ١٩١، ح ٧٥٤/ ٥١، باب ١٤ ـ القود بين الرجال والنساء، والمسلمين والكفّار، والعبيد والأحرار. وفيه: «ويغرم ثمن العبد». نعم نص الحديث أخرجه الطبرسي في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٦٥.

٤ ـ مضمون هذا القول أخرجه الشيخ في تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ١٨١، ذيل ح ٧٠٦/ ٣، وح ٧٠٧/ ٤، وح ٧٠٨/ ٥، باب ١٤ ـ القود بين الرجال والنساء، والمسلمين والكفار، والعبيد والأحرار.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٥، ح ١٥٨.

٦ ـ راجع مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

٧ ـ انظر مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٦٥؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٩.

﴿فَاتِّبَاعٌ﴾: إليه فليكن إتّباع من العافي أي مطالبته بالديّة.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: هي وصيّة للولي بأن يطلب الديّة بالمعروف بأن لا يظلم الجاني بالزيادة ولا يعنّفه.

﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ﴾: من الجاني إلى العافي.

﴿بِإِحْسَـٰنٍ﴾: وصيّة للجاني بأن لا يماطله، ولا يبخس حقّه بل يشكره على عفوه.

في الكافي[1]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: ينبغي للذي له الحقّ أن لا يعسر أخاه إذا كان قد صالحه على ديّة، وينبغي للذي عليه الحقّ أن لا يمطل أخاه إذا قدر على ما يعطيه ويؤدّي إليه بإحسان[2].

﴿ذَٰلِكَ﴾: التخيير.

﴿تَخْفِيفٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾: لما فيه من التسهيل والنفع، فإنّه لو لم يكن إلّا القتل أو العفو لقلّ ما طابت نفس ولي المقتول بالعفو بلا عوض يأخذه فكان قلّ ما يسلم القاتل من القتل.

في العوالي: روي أنّ القصاص كان في شرع موسى حتماً، والديّة كان حتماً في شرع عيسى، فجائت الحنفيّة السمحة بتسويغ الأمرين معاً[3].

قيل: كتب على اليهود القصاص وحده، وعلى النصارى العفو، وخيّرت هذه الأمّة بينهما وبين الديّة تيسيراً عليهم[4].

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بأن يقبل الديّة أو يعفو أو يصالح، ثمّ يجيء بعد ذلك فيمثل أو يقتل، كذا في الكافي[5]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام[6].

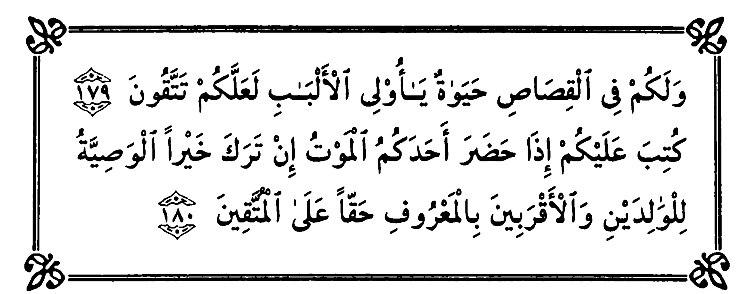
١ـ الكافي: ج ٧، ص ٣٥٨، ح ١، باب الرجل يتصدّق بالديّة على القاتل.

٢ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٥ـ٧٦، ح ١٦٠. ٣ـ عوالي اللئالي: ج ١، ص ٣٨٧، ح ١٨.

٤ـ ذكره البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٩.

٥ـ الكافي: ج ٧، ص ٣٥٩، ح ٤، باب الرجل يتصدّق بالديّة على القاتل.

٦ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٦، ح ١٦٢.



﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ﴾: يا أمّة محمّد.

﴿فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾: لأنّ من همّ بالقتل فعرف أنّه يقتصّ منه فكفّ لذلك عن القتل كان حياة للذي همّ بقتله، وحياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل، وحياة لغيرهما من الناس إذا علموا أنّ القصاص واجب لا يجرأون[1] على القتل مخافة القصاص.

قيل: وهذا من أوجز الكلام وأفصحه[2].

وفي الأمالي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: قال: أربع قلت: فأنزل الله تصديقي في كتابه وعدّ منها قلت: القتل يقلّ القتل، فأنزل الله تعالى: «وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ»[3].

﴿يَـٰأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾: أولي العقول، قيل: ناداهم للتأمّل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس[4].

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: حضر أسبابه وظهر إماراته.

﴿إِن تَرَكَ خَيْراً﴾: مالاً كثيراً، في المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّه دخل على مولىً له في مرضه وله سبع مائة درهم أو ستمائة درهم، فقال: ألا أوصي؟ قال: لا، إنّما قال الله: «إِن تَرَكَ خَيْراً» وليس لك كثير مال[5].

---

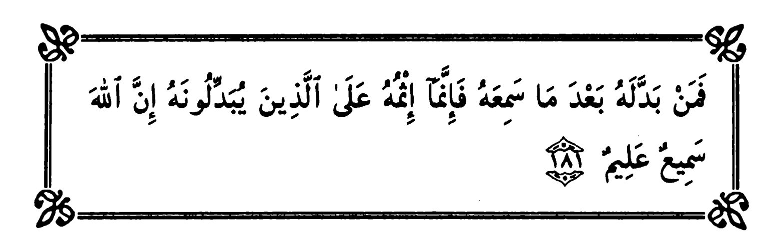
١ ـ وفي نسخة: [لا يجترأون].

٢ ـ انظر مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٦٦.

٣ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٤٩٤، ح ١٠٨٢ / ٥١. وفيه: «قال: قلت أربعاً».

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٩.

٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٦٧.



﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالشيء الذي يعرف العقل أنّه لا جور فيه ولا حيف[1].

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾: العيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام: هي منسوخة بآية المواريث[2].

وحملت على التقيّة لموافقتها مذهب العامّة، ومخالفتها القرآن. ولما في الكافي[3]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن الوصيّة للوارث فقال: تجوز، ثمّ تلا هذه الآية[4]. وفي معناه أخبار أُخر كثيرة.

أقول: نسخ الوجوب لا ينافي بقاء الجواز.

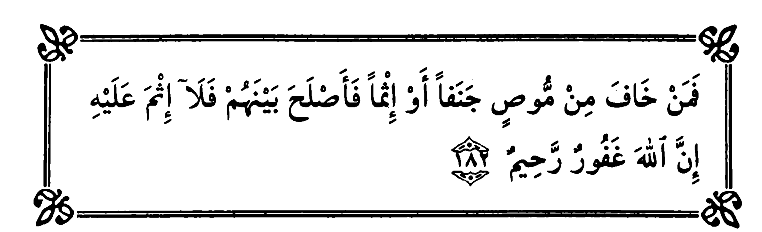
وفي المجمع[5]، والعيّاشي: عن الصادق، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام، قال: من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممّن لا يرث فقد ختم عمله بمعصية[6].

وفي الفقيه[7]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: إنّه شيء جعله الله تعالى لصاحب هذا الأمر، قيل: هل لذلك حدّ؟ قال: أدنى ما يكون ثلث الثلث[8].

والعيّاشي: عنه عليه السلام: حقّ جعله الله في أموال الناس لصاحب هذا الأمر، قيل لذلك حد محدود؟ قال: نعم، قيل: كم؟ قال: أدناه السدس وأكثره الثلث[9].

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

١ـ وفي نسخة: [جنف].
٢ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٧، ح ١٦٧.
٣ـ الكافي: ج ٧، ص ١٠، ح ٥.
٤ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٦، ح ١٦٤.
٥ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٦٧.
٦ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٦، ح ١٦٦.
٧ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٧٥، ح ٦١٥/ ١٦، باب ١٢٧ ـ نوادر الوصايا.
٨ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٧، ح ١٦٨.
٩ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٦، ح ١٦٣.



وعيد للمبدّل بغير حقّ، في الكافي: عن أحدهما عليهما السلام[١]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: في رجل أوصى بماله في سبيل الله، قال: أعطه لمن أوصى به له وإن كان يهوديّاً أو نصرانيّاً، إنّ الله يقول: وتلا هذه الآية[٢]. وفي معناه أخبار كثيرة، وفي عدّة منها أنّه يغرمها إذا خالف[٣].

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُّوصٍ﴾: توقّع وعلم، وقرئ بفتح الواو وتشديد الصاد.

﴿جَنَفاً أَوْ إِثْماً﴾: ميلاً عن الحقّ بالخطأ أو التعمد، كذا في المجمع عن الباقر عليه السلام[٤].

وفي العلل[٥]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام يعني إذا إعتدى في الوصيّة[٦]. وزاد العيّاشي: وزاد على الثلث، ويأتي له معنى آخر.

وفي الفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ الجنف في الوصيّة من الكبائر[٧].

﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الورثة، والموصى هم.

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: في التبديل، لأنّه تبديل باطل إلى الحقّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: وعد للمصلح، وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم عليه.

وفي الكافي[٨]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: أنّه سئل عن قول الله تعالى: «فَمَنْ بَدَّلَهُ»،

---

١ ـ الكافي: ج ٧، ص ١٤، ح ١، باب إنفاذ الوصيّة.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٧، ح ١٦٩.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٧، ح ١٧٠.

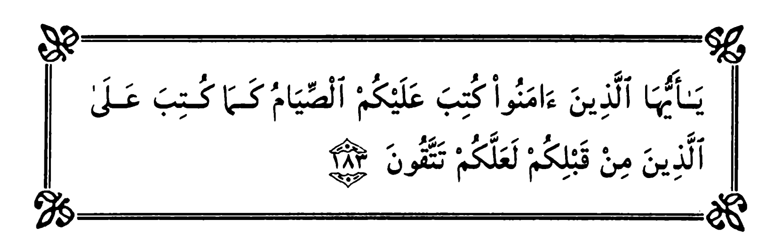
٤ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٦٧.

٥ ـ علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٦٧، ح ٤، باب ٣٦٩، العلّة التي من أجلها صارت الوصيّة بالثلث.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٨، ح ١٧٣.

٧ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٣٦، ح ٤٧١/ ١، باب ٨٣ ـ في أنّ الحيف في الوصيّة من الكبائر. وفيه: «الحيف في الوصيّة من الكبائر».

٨ ـ الكافي: ج ٧، ص ٢١، ح ٢، باب أنّ من حاف في الوصيّة فللوصي أن يردّها إلى الحق.



قال: نسختها الآية التي بعدها: «فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»، قال: يعني الموصى إليه إن خاف جنفاً من الموصى فيما أوصى به إليه فيما لا يرضى الله به من خلاف الحقّ فلا إثم على الموصى إليه، أن يردّه إلى الحق، وإلى ما يرضى الله به من سبيل الخير[1].

وفي رواية الكافي: إنّ الله أطلق للموصى إليه أن يغيّر الوصيّة إذا لم تكن بالمعروف وكان فيها جنف ويردّها إلى المعروف، لقوله تعالى: «فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»[2].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام: إذا أوصى الرجل بوصيّة فلا يحلّ للوصي أن يغيّر وصيّته بل يمضيها على ما أوصى إلّا أن يوصي بغير ما أمر الله فيعصى في الوصيّة، ويظلم فالموصى إليه جائز له أن يردّها إلى الحقّ مثل رجل يكون له ورثة فيجعل المال كلّه لبعض الورثة[3] ويحرم بعضها فالوصي جائز له أن يردّها إلى الحق وهو قوله تعالى: «جَنَفاً أَو إِثْماً»، فالجنف: الميل إلى بعض ورثتك دون بعض، والإثم: أن تأمر بعمارة بيوت النيران، واتّخاذ المسكر، فيحلّ للوصي أن لا يعمل بشيء من ذلك[4].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾: العيّاشي: عن الصادق عليه السلام: إنّه سئل عن هذه الآية، وعن قوله سبحانه: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتال» فقال: هذه كلّها يجمع

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٨، ح ١٧٢.
٢ ـ الكافي: ج ٧، ص ٢٠، ح ١، باب أنّ من حافَ في الوصيّة فللوصي أن يردّها إلى الحق.
٣ ـ في المصدر ونسخة أُخرى: [ورثته].
٤ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٦٥.

أَيَّاماً مَعْدُودَٰتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيْضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

الضلال[١] والمنافقين، وكلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة[٢].

وفي المجمع: عنه عليه السلام قال: لذّة النداء أزال تعب العبادة والعناء[٣].

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: من الأنبياء والأمم، وعن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ أوّلهم آدم يعني إنّه عبادة قديمة ما أخلى الله أُمّة من إيجابها عليهم لم يوجبها عليكم وحدكم[٤]، وفيه ترغيب وتطييب[٥].

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: المعاصي فإنّ الصيام يكسر الشهوة التي هي معظم أسبابها وفي الحديث من لم يستطع الباه[٦] فليصم فإنّ الصوم له وجاء[٧][٨].

﴿أَيَّاماً مَعْدُودَٰتٍ﴾: قيل: أي قلائل فإنّ القليل يعد عدّاً، والكثير يهال هيلاً أو موقّتات بعددٍ معلوم[٩].

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيْضاً﴾: مرضاً يضرّه الصوم ويعسر كما يدلّ عليه قوله تعالى:

---

١ ـ لعل التذكير باعتبار المضاف إليه. منه رحمه الله.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٨، ح ١٧٥.

٣ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٧١.

٤ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٣.

٥ ـ وفي نسخة: «وفيه ترغيب على الفعل وتطييب عن النفس».

٦ ـ الباه مثال الجاه: لغة في الباءة، وهي الجماع. الصحاح: ج ٦، ص ٢٢٢٨.

٧ ـ الوجاء ـ بالكسر والمد ـ: رض عروق البيضتين حتّى تنفضخ فيكون شبيهاً بالخصاء. الصحاح: ج ١، ص ٨٠، مادة «وجأ».

٨ ـ الكافي: ج ٤، ص ١٨٠، ح ٢، باب النوادر؛ والمجازات النبويّة: ص ٨٥، ح ٥٣.

٩ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٠.

«وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ»[١].

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: راكب سفر.

﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: فعليه عدّة من أيّام أُخر، وهذا نصّ في وجوب الإفطار على المريض، والمسافر كما ورد عن أئمّتنا عليهم السلام في أخبار كثيرة حتّى قالوا: الصائم في شهر رمضان في السفر كالمفطر فيه في الحضر. رواه في الكافي[٢]، والتهذيب[٣]، والفقيه[٤]، وفي الثلاثة في حديث الزهري عن السجاد عليه السلام من صام في السفر أو المرض فعليه القضاء لأنّ الله تعالى يقول: «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيْضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ»[٥].

وعن الباقر عليه السلام قال: سمّى رسول الله صلّى الله عليه وآله قوماً صاموا حين أفطر وقصّر: عصاة، وقال: هم العصاة إلى يوم القيامة وإنّا لنعرف أبناءهم وأبناء أبنائهم إلى يومنا هذا[٦].

وعن الصادق عليه السلام: أنّه سئل عمّن صام في السفر، فقال: إذا كان بلغه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله نهى عن ذلك فعليه القضاء، وإن لم يكن بلغه فلا شيء عليه[٧].

وفي رواية أُخرى: وإن صامه بجهالة لم يقض[٨].

وعنه عليه السلام: إنّه سئل ما حدّ المرض الذي يفطر فيه الرجل ويدع الصلاة من قيام؟ قال: بل الإنسان على نفسه بصيرة وهو أعلم بما يطيقه[٩].

وفي الكافي: عنه عليه السلام هو مؤتمن عليه مفوّض إليه فإن وجد ضعفاً فليفطر، وإن وجد قوّة

---

١ ـ البقرة: ١٨٥.

٢ ـ الكافي: ج ٤، ص ١٢٧، ح ٣، باب كراهيّة الصوم في السفر.

٣ ـ تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٢١٧، ح ٦٣٠، باب ٥٧ حكم المسافر والمريض في الصيام.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٩٠، ح ٤٠٣/ ١، باب ٤٧ ـ وجوب التقصير في الصوم في السفر.

٥ ـ الكافي: ج ٤، ص ٨٦، ح ١، باب وجوب الصوم؛ ومن لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٤٨، ح ٢٠٨/ ١، باب ٢٣ ـ وجوه الصوم؛ وتهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٢٩٧، ح ٨٩٥، باب ٦٧، وجوه الصيام.

٦ ـ الكافي: ج ٤، ص ١٢٧ ـ ١٢٨، ح ٦، باب كراهيّة الصوم في السفر.

٧ ـ الكافي: ج ٤، ص ١٢٨، ح ١، باب من صام في السفر بجهالة.

٨ ـ الكافي: ج ٤، ص ١٢٨، ح ٣، باب من صام في السفر بجهالة. وفيه: «لم يقضه».

٩ ـ الكافي: ج ٤، ص ١١٨، ح ٢، باب حد المرض الذي يجوز للرجل أن يفطر فيه.

فليصم، كان المريض على ما كان[١].

وفيه: أنّه عليه السلام سئل عن حدّ المرض الذي يترك منه الصوم؟ قال: إذا لم يستطع أن يتسحّر[٢].

وفي الفقيه: عنه عليه السلام: الصائم إذا خاف على عينيه من الرمد أفطر[٣].

وعنه عليه السلام: كلّما أضرّ به الصوم فالإفطار له واجب[٤].

وأمّا حدّ السفر الذي يفطر فيه فقصد ثمانية فراسخ فصاعداً ذهاباً أو مع الإياب ما لم ينقطع سفره دونها بعزم إقامة عشرة أيّام أو مضي ثلاثين يوماً عليه متردّداً في بلد أو بالوصول إلى بلد يكون له فيه منزل يقيم فيه ستّة أشهر، فإن انقطع بأحدها فقد صار سفرين بينهما حضور، وأن لا يكون السفر عمله إلّا إذا جدّ به السير، وشقّ عليه مشقّة شديدة، وأن يكون السفر جائزاً له، وأن يتوارى عن جدران البلد أو يخفى عليه أذانه.

هذا ما استفدناه من أخبار أئمّتنا عليهم السلام في شرائط السفر الموجب للإفطار في الصيام والتقصير في الصلاة، وبيّناه في كتابنا المسمّى بالوافي[٥] من أراد الإطّلاع عليه فليراجع إليه.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾: إن أفطروا.

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾: في الجوامع: عن الباقر عليه السلام: طعام مساكين[٦].

وقيل: كان القادر على الصيام الذي لا عذر له مخيّراً بينه وبين الفدية لكلّ يوم نصف صاع[٧]، وقيل: مد[٨]، وكان ذلك في بدو الإسلام حين فرض عليهم الصيام ولم يتعوّدوا

---

١ ـ الكافي: ج ٤، ص ١١٨، ح ٣، باب حد المرض الذي يجوز للرجل أن يفطر فيه. وفيه: «كان المرض ما كان».

٢ ـ الكافي: ج ٤، ص ١١٨، ح ٦، باب حد المرض الذي يجوز للرجل أن يفطر فيه.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٨٤، ح ٣٧٣/ ٥، باب حد المرض الذي يفطر صاحبه.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٨٤، ح ٣٧٤/ ٦، باب حد المرض الذي يفطر صاحبه.

٥ ـ راجع الوافي: ج ١١، ص ٩١ ـ ٩٧، باب ١١ ـ صيام المسافر.

٦ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٣.

٧ ـ عند أهل العراق. انظر تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٩٩؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠١.

٨ ـ عند أهل الحجاز. انظر تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٩٩؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠١.

فرخّص لهم في الإفطار والفدية، ثمّ نسخ ذلك بقوله عزّ وجلّ: «فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»[١].

قيل: إنّه غير منسوخ بل المراد بذلك الحامل المقرب، والمرضعة القليلة اللبن، والشيخ، والشيخة، فإنّه لمّا ذكر المرض المسقط للفرض، وكان هناك أسباب أُخر ليست بمرض عرفاً لكن يشقّ معها الصوم، وذكر حكمها فيكون تقديره «وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» أي ثمّ عرض لهم ما يمنع الطاقة فدية[٢].

وهذا هو المروي عن الصادق عليه السلام[٣][٤].

ويؤيّده ما ورد من شواذّ القراء عن ابن عبّاس: «وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ» أي يتكلّفونه[٥].

وعلى هذا يكون قوله: «وإن تصوموا خير لكم» كلاماً مستأنفاً لا تعلّق له بما قبله، وتقديره: وإنّ صومكم خير عظيم لكم هذا ما قالوه في معنى الآية، ويخطر بالبال أنّه لا حاجة بنا إلى مثل هذه التكلّفات البعيدة من القول بالنسخ تارة مع دلالة الأخبار المعصوميّة على خلافه، والتزام الحذف والتقدير، وفصل ما ظاهره الوصل أُخرى مع عدم ثبوت صحّة تلك الرواية المشار إليها، وذلك إنّ الله سبحانه لا يكلّف نفساً إلّا وسعها كما قاله في محكم كتابه[٦].

والوسع: دون الطاقة كما ورد في تفسيره عن أهل البيت عليهم السلام[٧]، فلا تكلّف نفس بما هو

---

١ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٣.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠١؛ وراجع تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٩٩.

٣ ـ الرواية هكذا: عن أبي عبدالله عليه السلام وعلى الذين كانوا يطيقون الصوم ثمّ أصابهم كبر أو عطاش أو شبه ذلك فدية لكلّ يوم مد من الطعام. منه رحمه الله. راجع جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٣ ـ ١٠٤، وفي المجمع هكذا: وعلى الذين كان يطيقون الصوم ثمّ أصابهم كبر أو عطاش وشبه ذلك فعليهم كلّ يوم مد. مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٧٤.

٤ ـ القمي: «وعلى الذين يطيقونه فدية» يعني من مرض في شهر رمضان فأفطر ثمّ صحّ فلم يقض ما فاته حتّى جاء شهر رمضان آخر فعليه أن يقضي ويتصدّق عن كلّ يوم بمد من الطعام. فلا يخفى ما فيه من التعبد. منه رحمه الله.

٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٧٢، في القراءة.

٦ ـ البقرة: ٢٨٦.

٧ ـ التوحيد: ص ٣٦٢، ح ٩، باب ٥٩ ـ نفي الجبر والتفويض.

على قدر طاقتها، أي بما يشقّ عليها تحمّله عادة ويعسر، فالذين يطيقون الصوم، يعني يكون الصوم بقدر طاقتهم، ويكونون معه على مشقّة وعلى عسر لم يكلّفهم الله على سبيل الحتم كالشيخ والحامل، ونحوهما بل خيّرهم بينه وبين الفدية توسيعاً منه ورحمة، ثمّ جعل الصوم خيراً لهم من الفدية في الأجر والثواب إذا اختاروا المشقّة على السعة، ويؤيّده القراءة الشاذّة كما يؤيّده ما ذكروه.

ويدلّ على هذا أيضاً ما رواه في الكافي[1]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» قال: الشيخ الكبير والذي يأخذه العطاش[2].

وفي رواية: المرأة تخاف على ولدها والشيخ الكبير[3].

وقوله تعالى: «وَأَنْ تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ» فإنّه يدلّ على أنّ المطيق هو الذي يقدر على الصيام حدّاً في القدرة دون الحدّ الذي أوجب عليه التكليف.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في رجل كبير ضعف عن صوم شهر رمضان، قال: يتصدّق عن كلّ يوم بما يجزي من طعام مسكين[4].

وفي رواية: لكلّ يوم مدّ[5].

﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً﴾: أي زاد في مقدار الفدية، وقرئ «يَطَّوَّع» كما في آية الحج.

﴿فَهُوَ﴾: فالتطوّع.

﴿خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُواْ﴾: أيّها المطيقون.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من الفدية، وتطوّع الخير.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ما في الصيام من الفضيلة إن صمتم أو إن كنتم من أهل العلم علمتم ذلك.

---

١ ـ الكافي: ج ٤، ص١١٦، ح ١، باب الشيخ والعجوز يضعفان عن الصوم.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٩، ح ١٧٩. ٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٩، ح ١٨٠.

٤ ـ الكافي: ج ٤، ص١١٦، ح ٣، باب الشيخ والعجوز يضعفان عن الصوم.

٥ ـ الكافي: ج ٤، ص ١١٦، ح ٢، باب الشيخ والعجوز يضعفان عن الصوم.

شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيَ أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدىً لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَـنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾: أي الأيّام المعدودات هي شهر رمضان.

وفي الفقيه: عن الصادق عليه السلام إنّما فرض اللّه صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأُمم، ففضّل اللّه به هذه الأمّة وجعل صيامه فرضاً على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وعلى أُمّته[1].

﴿ٱلَّذِيَ أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾: أي بيانه وتأويله كما مضى تحقيقه في المقدّمة التاسعة من هذا الكتاب، وقرىء القرآن بغير الهمزة حيث وقع.

﴿هُدىً لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾: قد مضى تفسيره في تلك المقدّمة.

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ ٱلشَّهْرَ﴾: فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافراً.

﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ في الكافي[2]، والفقيه[3]، والتهذيب: عن الصادق عليه السلام ما أبينها، من شهد فليصمه ومن سافر فلا يصمه[4].

وفي التهذيب: عنه عليه السلام إذا دخل شهر رمضان فللّه فيه شرط، قال اللّه تعالى: «فَمَـنْ شَهِدَ مِنْكُمْ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» فليس للرجل إذا دخل شهر رمضان أن يخرج إلّا في حجّ أو

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦١ ـ ٦٢، ح ٢٦٧ / ١٤، باب ٢٨ ـ فضل شهر رمضان وثواب صيامه.

٢ ـ الكافي: ج ٤، ص ١٢٦، ح ١، باب كراهية الصوم في السفر.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٩١، ح ٤٠٤ / ٢، باب ٤٧ ـ باب وجوب التقصير في الصوم في السفر.

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٢١٦، ح ٦٢٧ / ٢، باب ٥٧ ـ حكم المسافر والمريض في الصيام.

عمرة أو مال يخاف تلفه أو أخ يخاف هلاكه، وليس له أن يخرج في إتلاف مال أخيه، فإذا مضت ليلة ثلاث وعشرين فَليخرج حيث شاء[١].

﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيْضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: كرّر ذلك تأكيداً للأمر بالإفطار وانّه عزيمة لا يجوز تركه.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾: يريد أن ييسّر عليكم ولا يعسّر، فلذلك أمركم بالإفطار في المرض والسفر.

في الكافي عن الصادق عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انّ الله تصدّق على مرضىٰ أُمّتي ومسافريها بالتقصير والإفطار أيسّر أحدكم إذا تصدّق بصدقة أن تردّ عليه[٢].

وفي الخصال: عن النبي صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى أهدى إليّ وإلى أُمّتي هديّة لم يهدها إلى أحدٍمن الأمم كرامة من الله لنا، قالوا: وما ذلك يا رسول الله ؟ قال: الإفطار في السفر، والتقصير في الصلاة، فمن لم يفعل ذلك فقد ردّ على الله هديته[٣].

﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾: وشرع جملة ما ذكر لتكملوا عدّة أيّام الشهر، وقرئ لتكمّلوا مثقّلاً.

﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيٰكُمْ﴾: ولتعظّموا الله وتمجّدوه على هدايته إيّاكم.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: تسهيله الأمر لكم. في الفقيه: عن الرضا عليه السلام: وإنّما جعل التكبير في صلاة العيد أكثر منه في غيرها من الصلوات لأنّ التكبير إنّما هو تعظيم لله، وتمجيد على ما هدى، وعافى كما قال عزّ وجلَّ: «وَلِتُكَبِرُوا اللهَ عَلىٰ مَا هَدَيٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»[٤].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: أمَاإنّ في الفطر تكبيراً ولكنّه مسنون قال: قلت: وأين هو؟ قال: في ليلة الفطر، في المغرب والعشاء الآخرة، وفي صلاة الفجر، وفي صلاة العيد، ثمّ يقطع

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٢١٦، ح ٦٢٦/ ١، باب ٥٧ـ حكم المسافر والمريض في الصيام.

٢ ـ الكافي ج ٤،ص ١٢٧، ح ٢، باب كراهية الصوم في السفر.

٣ ـ الخصال: ص ١٢، ح ٤٣، باب ان الله تبارك وتعالى اهدى إلى محمد صلى الله عليه وآله وإلى أُمّته.

٤ ـ الفقيه: ج ١، ص ٣٣١، ح ١٤٨٨ / ٣٢، باب ٧٩ ـ باب صلاة العيدين.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

قال: قلت: كيف أقول؟ قال: تقول اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلٰهَ إلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وِلِلّٰهِ ٱلْحَمْدُ، اللهُ أَكْبَرُ عَلى مَا هَدَانا، وهو قول الله تعالى: «وَلِتُكْمِلُوا ٱلْعِدَّةَ» يعني الصيام ولتكبّروا الله على مـا هداكم[1].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾: فقل لهم: إنّي قريب روي: إنّ اعرابيّاً قال لرسول اللّه ﷺ: أقريب ربّنا فنناجيه ؟ أم بعيدٌ فنناديه فنزلت[2].

أقول: قربه تعالى عبارة عن معيّته عزّ وجلّ كما قـال سبحانه: «وهـو مـعكم اينما كنتم»[3] فكما أنّ معيّته للأشياء ليست بممازجة، ومداخلة، ومـفارقته عـنها ليست بمـباينة، ومزايلة فكذلك قربه ليس باجتماع، وأين وبعده ليس بافتراق، وبين بل بنحو آخر أقرب من هذا القرب، وأبعد من هذا البعد، ولهذا قال تعالى: «وَنَحْنُ أَقْرَب إِلَيْهِ مِنْ حَـبْلِ ٱلْـوَرِيد»[4] وقال: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلٰـكِنْ لَّا تُبْصِرُونَ»[5].

وفي مناجاة شيّد الشهداء عليه الصلاة والسّلام: إلٰهي مَا أقربك منّي وأبعدني عنك، ومَا أرأفك بي، فما الذي يَحجُبُني عنك[6].

وإنّما يجد قربه منْ عَبَدَهُ كأنّه يراه كما قال نبيّنا ﷺ: اُعبد اللّه كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك[7].

---

١ ـ الكافي: ج ٤، ص ١٦٦ ـ ١٦٧، ح ١، باب التكبير ليلة الفطر ويومه.
٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٧٨.
٣ ـ الحديد: ٤.
٤ ـ ق: ١٦.
٥ ـ الواقعة: ٨٥.
٦ ـ إقبال الأعمال: ص ٣٤٨ سطر ١٥ في ضمن دعاء عرفة.
٧ ـ الجامع الصغير: ج ١، ص ١٧١، ح ١١٣٣.

إن قيل: كيف يكون الشيء قريباً من الآخر ويكون ذلك الآخر بعيداً عنه؟

قلنا: هذا كما يكون لك محبوب وهو حاضر عندك، وأنت عنه في عمى لا تراه ولا تشعر بحضوره، فإنه قريب منك وأنت بعيد عنه.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾: تقرير للقرب ووعد للداعي بالإجابة.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى﴾: إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجبتهم إذا دعوني لمهامّهم.

﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِى﴾: في المجمع عن الصادق عليه السلام أي وليتحقّقوا انّي قادر على إعطائهم ما سألوه[1].

والعيّاشي ما في معناه[2].

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: قال[3]: أي لعلّهم يصيبون الحقّ ويهتدون إليه[4].

وروي: إنّ الصادق عليه السلام قرأ «أَمَّنْ يُجِيبُ المضطرّ إذَا دَعَاهُ»[5] فسئل ما لنا ندعو ولا يستجاب لنا؟ فقال: لأنّكم تدعون من لا تعرفون، وتسألون ما لا تفهمون[6].

فالإضطرار عين الدين، وكثرة الدعاء مع العمىٰ عن اللّٰه من علامة الخذلان، من لم يشهد ذلّة نفسه وقلبه وسرّه تحت قدرة اللّٰه حكم على اللّٰه بالسؤال وظنّ انّ سؤاله دعاء والحكم على اللّٰه من الجرأة على اللّٰه.

وفي الكافي: عنه عليه السلام: إنّه قيل له في قوله سبحانه: «ادعوني استجب لكم» ندعوه ولا نرى إجابة، قال: أفترى اللّٰه عزّ وجلّ أخلف وعده؟ قيل لا، قال: فممّ ذلك؟ قيل: لا أدري قال: لكنّي أُخبرك من أطاع اللّٰه عزّ وجلّ فيما أمره ثم دعاه من جهة الدعاء أجابه، قيل: وما جهة الدعاء؟ قال: تبدأ وتحمد اللّٰه وتذكر نعمه عندك، ثمّ تشكره، ثمّ تصلّي على النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ تذكر ذنوبك فتقرّ بها، ثمّ تستعيذ منها، فهذا جهة الدعاء[7].

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٧٨.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٨٣، ح ١٩٦.
٣ ـ أي الصادق عليه السلام.
٤ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٥.
٥ ـ النمل: ٦٢.
٦ ـ التوحيد: ٢٨٨، ح ٧، باب ٤١ ـ أنّه عزّ وجلّ لا يعرف إلّا به.
٧ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٨٦، ح ٨، باب الثناء قبل الدعاء.

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

وعنه عليه السلام: إنّ العبد ليدعو فيقول الله للملكين: قد استجبت له ولكن احبسوه بحاجته فإنّي أحبّ أن أسمع صوته، وإنّ العبد ليدعو فيقول الله تبارك وتعالى: عجّلوا له حاجته فإنّي أُبغض صوته[١].

والقمي عنه عليه السلام: إنّه قيل له: إنّ الله تعالى يقول: «ادعوني استجب لكم» وإنّا ندعوه فلا يستجاب لنا فقال: لأنّكم لا توفون بعهده وإنّ الله يقول: «أوفوا بعهدي أوف بعهدكم»[٢] والله لو وفيتم لله لوفى لكم[٣].

وفي الكافي: عنه عليه السلام: إنّ من سرّه أن يستجاب دعوته فليطيّب مكسبه[٤].

وروي عنه عليه السلام: إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربّه شيئاً إلّا أعطاه فلييأس من الناس كلّهم، ولا يكون له رجاء إلاّ عند الله عزّوجلّ، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلاّ

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٨٩، ح ٣، باب من أبطأت عليه الاجابة.

٢ ـ البقرة: ٤٠ ٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٤٦.

٤ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٨٦ ـ ٤٨٧، ح ٩، باب الثناء قبل الدعاء.

أعطاه[١] ويأتي حديث آخر في هذا الباب في سورة المؤمن إن شاء اللّه.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾: أي اللّيلة الّتي تصبح منها صائماً.

﴿ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾: كنّي به عن الجماع لأنّه قلّما يخلو من رفث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنّى عنه وعدّى بـ«إلى» لتضمّنه معنى الإفضاء[٢].

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾: استيناف يبيّن سبب الاحلال وهو قلّة الصبر عنهنّ، وصعوبة اجتنابهنّ لكثرة المخالطة وشدّة الملابسة[٣].

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾: من الخيانة وهو أبلغ منها أي تظلمونها بتعريضها للعقاب، وتنقيص حظّها من الثواب.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: لما تبتم، ورخّص لكم، وأزال التشديد عنكم.

﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾: محى أثره عنكم.

﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾: كنّي بالمباشرة عن الجماع، وهي الصاق البشرة بالبشرة.

﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: قيل: يعني اطلبوا ماقدّر لكم وأثبته في اللّوح من الولد بالمباشرة أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله النّكاح له من التناسل[٤].

وقيل: وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر فإنّ الله يحبّ أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه[٥].

﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾: شبّه أوّل ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتدّ معه من ظلمة اللّيل بخيطين أبيض وأسود، واكتفى ببيان الخيط الأبيض بقوله: «مِنَ ٱلْفَجْرِ» عن بيان الخيط الأسود لدلالته

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٤٨، ح ٢، باب الاستغناء عن الناس.

٢ ـ اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٣.

٣ ـ اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٣.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٣.

٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٨١.

عليه، في الكافي: عن الصادق عليه السلام هو بياض النهار من سواد اللّيل[١].

وفي رواية: هو الفجر الذي لا شكّ فيه[٢].

وفي اُخرى: ليس هو الأبيض صعداء إنّ اللّه لم يجعل خلقه في شبهة من هذا، وتلا هذه الآية فقال: المعترض[٣].

وفي التهذيب: عنه عليه السلام انّه سئل آكل في شهر رمضان باللّيل حتّىٰ أشكّ؟ قال: كل حتّىٰ لا تشك[٤].

وفيه[٥]: وفي الكافي[٦]، والعيّاشي عنه عليه السلام: انّه سئل عن رجلين قاما في رمضان فقال أحدهما: هذا الفجر، وقال الآخر ما أرىٰ شيئاً قال: ليأكل الذي لم يستيقن الفجر، وقد حرم الأكل على الذي زعم أنّه رأى الفجر لأنّ اللّه يقول: «كُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمْ» الآية[٧].

وفي الكافي[٨]، والفقيه[٩]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: إنّها نزلت في خوّات[١٠] بن جبير الأنصاري، وكان مع النبيّ صلّى اللّه عليه وآله في الخندق، وهو صائم فأمسى وهو على تلك الحال، وكانوا قبل أن تنزل هذه الآية إذا نام أحدهم حرم عليه الطعام والشراب، فجاء خوّات إلى أهله حين أمسى فقال: هل عندكم طعام؟ فقالوا: لا تنم حتّى نصلح لك طعاماً فاتّكى فنام، فقالوا: له قد فعلت، فقال: نعم فبات على تلك الحال، فأصبح ثمّ غدا إلى الخندق فجعل يغشى

---

١ ـ الكافي: ج ٤، ص ٩٨، ح ٣، باب الفجر ما هو؟

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٨٢، ح ٣٦٤/ ٤، باب ٣٩ ـ الوقت الذي يحرم فيه الأكل.

٣ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٨٢، ح ١، باب وقت الفجر.

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٣١٨، ح ٩٦٩/ ٣٧، باب ٧٢ ـ في الزيارات.

٥ ـ تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٣١٧ ـ ٣١٨، ح ٩٦٧/ ٣٥، باب ٧٢ ـ في الزيارات.

٦ ـ الكافي: ج ٤، ص ٩٧، ح ٧، باب من أكل أو شرب وهو شاك في الفجر.

٧ ـ العيّاشي: ج ١، ص ٨٣، ح ١٩٩.

٨ ـ الكافي: ج ٤، ص ٩٨ ـ ٩٩، ح ٤، باب الفجر ما هو؟

٩ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٨١ ـ ٨٢، ح ٣٦٢/ ٢، باب ٣٩ ـ الوقت الذي يحرم فيه الأكل.

١٠ ـ خوّات ـ بالخاء المعجمة وتشديد الواو ـ: «ابن جبير» بالجيم والباء الموحّدة: اسم رجل من الأنصار، صحابيّ من الخزرج مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٠٠، مادة «خوت».

عليه، فمرّ به رسول الله ﷺ فلمّا رأى الذي به أخبره كيف كان أمره فأنزل الله فيه الآية[١].

وزاد القمّي فيما زاد وكان النكاح حراماً باللّيل والنهار في شهر رمضان قال: وكان قوم من الشبّان ينكحون باللّيل في شهر رمضان فأنزل اللّه[٢].

وفي الجوامع: عن الصادق عليه السلام قال: كان الأكل محرّماً في شهر رمضان باللّيل بعد النوم، وكان النكاح حراماً باللّيل والنهار، وكان رجل من أصحاب رسول اللّه ﷺ يقال له: مطعم ابن جبير[٣]، نام قبل أن يفطر، وحضر حفر الخندق فأُغمي عليه، وكان قومٌ من الشبّان ينكحون باللّيل سرّاً في شهر رمضان، فنزلت الآية، فأُحلّ النكاح باللّيل، والأكل بعد النوم، فذلك قوله: «وَعَفَا عَنْكُمَ»[٤].

وفي المجمع: اختلفت العامّة في اسم هذا الرجل ثمّ ذكر قصّته عنهم بنحو آخر، قال: فقال عمر: يا رسول الله أعتذر إليك من مثله، رجعت إلى أهلي بعد ما صلّيت العشاء فأتيت امرأتي، وقام رجال فاعترفوا بمثل الذي سمعوا، فنزلت[٥].

﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾: بيان لآخر وقت الصيام.

﴿وَلاَ تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾: معتكفون فيها، والإعتكاف أن يحبس نفسه في المسجد الجامع للعبادة.

﴿تِلْكَ﴾: أي الأحكام الّتي ذكرت.

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: حرمات اللّه ومناهيه.

﴿فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾: في الحديث النبوي: إنّ لكلّ ملك حِمىً، وإنّ حمىٰ اللّهِ محارمه، فمن

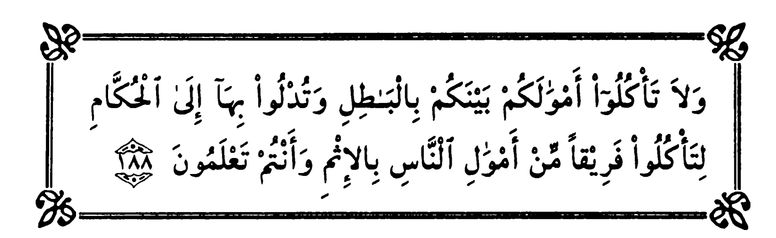
---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٨٣، ح ١٩٧. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٦٦ ـ ٦٧.

٣ ـ وفي المجمع: روى القصّة من طريق الخاصة عن القمي. وذكر فيه اسم الرجل: «مطعم بن جبير» مع أنّ الموجود في نسخ تفسير القمي التي رأيناها ليس إلاّ خوّات بن جبير موافقاً للكافي، والفقيه. واما العامة فذكر بعضهم أنه قيس بن صرمة، وقيل: أبو صرمة، وقيل: أبو قيس بن صرمة، وقيل: صرمة بن اياس منه رحمه الله. راجع مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٨٠ في شأن نزول الآية.

٤ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٦.

٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٨٠، في شأن نزول الآية.



رتع حول الحِمى يوشك أن يقع فيه[١].

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك التبيين.

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِ﴾: حججه ودلائله.

﴿لِلْنَّاسِ﴾: على ما أمرهم به ونهاهم عنه.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: مخالفة أوامره ونواهيه.

﴿وَلاَ تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾: لا يأكل بعضكم مال بعض.

﴿بِالْبَـٰطِلِ﴾: بالوجه الذي لا يحلّ ولم يشرعه اللّه.

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: يعني ـ بالباطل ـ: اليمين الكاذبة تقتطع بها الأموال[٢].

وفي الفقيه[٣]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام انّه سئل الرجل منّا يكون عنده الشيء يتبلّغ به وعليه الدين أيطعمه عياله حتّىٰ يأتيه اللّه عزّوجلّ بميسرة فيقضي دينه؟ أو يستقرض على ظهره في خبث الزمان وشدّة المكاسبة؟ أو يقبل الصدقة ؟ فقال: يقضي بما عنده دينه ولا يأكل أموال الناس إلّا وعنده ما يؤدّي إليهمْ إنّ اللّه عزّ وجلّ يقول: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ»[٤].

﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾: عطف على المنهيّ، أو نصب بإضمار «أن»، والإدلاء: الإلقاء، أي ولا تلقوا أمرها، والحكومة فيها إلى الحكّام.

﴿لِتَأْكُلُواْ﴾: بالتّحاكم.

١ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٦. ٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٨٢.

٣ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١١٢، ح ١٢/٤٧٦، باب ٦٠ ـ الدين والقروض. وفيه: «شدة المكاسب».

٤ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٨٥، ح ٢٠٧.

يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

﴿فَرِيْقاً﴾: طائفة.

﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِالإِثْمِ﴾: بما يوجب إثماً كشهادة الزور، واليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأنّ المقضيّ له ظلم.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنّكم مبطلون في الكافي[1]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: إنّ اللّه عزّ وجلّ قد علم أنّ في الأُمّة حكّاماً يجورون امّا انّه لم يعن حكّام أهل العدل ولكنّه عنى حكام أهل الجور[2].

والقمّي: قال العالم عليه السلام: قد علم اللّه أنّه يكون حكّام يحكمون بغير الحقّ فنهىٰ أن يتحاكم إليهم لأنّهم لا يحكمون بالحقّ فيبطل الأموال[3].

وفي التهذيب[4]، والعيّاشي: عن الرضا عليه السلام انّه كتب في تفسيرها انّ الحكّام القضاة، ثم كتب تحته وهو أن يعلم الرجل أنّه ظالم فيحكم له القاضي فهو غير معذور في أخذه ذلك الذي حكم له إذا كان قد علم أنّه ظالم[5].

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام: كانت قريش تقامر الرجل في أهله وماله، فنهاهم الله[6].

أقول: الآية تعمّ الكلّ، ولا تنافي بين الأخبار.

﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾: عن أحوالها في زيادتها ونقصانها ووجه الحكمة في ذلك.

---

١ ـ الكافي ج ٧، ص ٤١١، ح ٣، باب كراهية الارتفاع إلى قضاة الجور.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١ ص ٨٥، ح ٢٠٥.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٦٧.

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٢١٩، ح ٥١٨ / ١٠، باب ٨٧ ـ من إليه الحكم وأقسام القضاة.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٨٥، ح ٢٠٦.

٦ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٨٢.

﴿قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾: أي معالم يوقّت بها الناس عباداتهم، ومزارعهم، ومتاجرهم، ومحالّ ديونهم، وعِدَدِ نسائهم.

وفي التهذيب: عن الصادق عليه السلام: لصومهم وفطرهم وحجّهم[١].

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ﴾: وقرئ بكسر الباء حيث وقع.

﴿مِنْ ظُهُورِهَا﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام: كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ولكنّهم كانوا ينقبون في ظهور بيوتهم أي في مؤخّرها نقباً يدخلون ويخرجون منه فنهوا عن التديّن بها[٢].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾: ما حرّم اللّه كذا عن الصادق عليه السلام[٣].

﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾: في المحاسن[٤]، والمجمع[٥]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: يعني أن يأتي الأمر من وجهه أيّ الأُمور كان[٦].

أقول: ومنه أخذ أحكام الدين عن أمير المؤمنين وعترته الطيّبين عليهم السلام لأنّهم أبواب مدينة علم النبيّ صلىٰ الله عليه وعليهم أجمعين، كما قال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها ولا يؤتىٰ المدينة إلّا من بابها[٧].

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام: قد جعل اللّه للعلم أهلاً، وفرض على العباد طاعتهم بقوله: «وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا» والبيوت: هي بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء، وأبوابها أوصياؤهم[٨].

وعنه عليه السلام: نحن البيوت الّتي أمر اللّه أن يؤتىٰ أبوابها نحن باب اللّه، وبيوته الّتي يؤتى منه فمن تابعنا وأقرّ بولايتنا فقد أتىٰ البيوت من أبوابها، ومن خالفنا وفضّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها،إنّ اللّه عزّوجلّ لو شاء عرّف الناس نفسه حتّىٰ يعرفونه

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٦٦، ح ٤٧٢/ ٤٤، باب ٤١ ـ علامة أوّل شهر رمضان.

٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٨٤.

٣ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٧.

٤ ـ المحاسن: ج ١، ص ٣٥٢، ح ٧٤٢/٤٤، باب ١١ ـ الاحتياط بالدين والأخذ بالسنة.

٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٨٤.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٨٦، ح ٢١١.

٧ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٨٤.

٨ ـ الاحتجاج: ج ١، ص ٣٦٩.

وَقَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُـعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْـتُلُوهُمْ حَـيْثُ ثَـقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلاَ تُقَتِلُوهُمْ عِنْدَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾

ويأتونه من بابه، ولكن جعلنا أبوابه، وصراطه وسبيله، وبابه الذي يـؤتىٰ مـنه، قـال: فمَـن عدل عن ولايتنا، وفضّل علينا غيرنا فقد أتىٰ البيوت مـن ظـهورها، وإنّهـم عـن الصراط لناكبون[1].

وفي المجمع[2]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: آل محمّد صلوات اللّٰه عليهم أبـواب اللّـه وسُبُله، والدعاة إلى جنّته، والقادة إليها، والأدلّاء عليها إلى يوم القيامة[3].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في تغيير أحكامه.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لكي تظفروا بالهدىٰ والبر.

﴿وَقَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: جاهدوا لإعلاء كلمته، وإعزاز دينه.

﴿ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾: هي ناسخة لقوله تـعالىٰ: «كـفّوا أيـدكم» كـذا في المجـمع عنهم عليهم السلام[4].

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾: بابتداء القتال، والمفاجأة به من غير دعوة، والمثلة، وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان والمشائخ والمعاهدين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ * وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: وجدتموهم هي

---

١ ـ الاحتجاج: ج ١، ص ٣٣٨.
٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٨٤.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٨٦، ح ٢١٠.
٤ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٨٥.

فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾

ناسخة لقوله عزّ وجلّ: «ولا تُطِعِ الكافرين والمنافقين ودع اذاهم»[1] كذلك في المجمع عنهم عليهم السلام[2].

﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾: أخرجوهم من مكّة كما أخرجوكم منها، وقد فعل ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم منهم.

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾: قيل: معناه شركهم في الحرم وصدّهم إيّاكم عنه أشدّ من قتلكم إيّاهم فيه[3].

﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾: لا تفاتحوهم بالقتال، وهتك حرمة الحرم.

﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾: فلا تبالوا بقتالهم ثمّة فانّهم الذين هتكوا حرمته، وقرئ: «ولا تقتلوهم حتّىٰ يقتلوكم» فيه فإن قتلوكم بدون الألف.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك.

﴿جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: جزاؤهم يفعل بهم ما فعلوا.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾: عن القتال والشرك.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفر لهم ما قد سلف.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: شِرْك، كذا في المجمع: عن الباقر عليه السلام[4].

---

١ ـ الاحزاب: ٤٨.
٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٨٧.
٣ ـ قاله الطبرسي في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٨٦؛ وذكره البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٥.
٤ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٨٧.

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾: أي الطاعة والعبادة لله.

﴿لِلَّهِ﴾: وحده خالصاً ليس للشيطان فيه نصيب.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾: عن الشرك.

﴿فَلاَ عُدْوَٰنَ إِلاَّ عَلَىٰ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: فلا تعتدوا على المنتهين، سُمّي الجزاء باسم الإعتداء للمشاكلة وازدواج الكلام، كما في قوله سبحانه: «وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِئَةٍ سَيِّئَة مِثْلُهَا»[١]، ومثله: «فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ»[٢] كما يأتي.

والعيّاشي عن أحدهما عليهما السلام: أي لا عدوان إلّا على ذرّية قتلة الحسين عليه السلام[٣].

وفي رواية: لا يعتدي اللّه على أحد إلّا على نسل ولد قتلة الحسين عليه السلام[٤].

وفي العلل: عن الرضا عليه السلام انّه سئل يا ابن رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام إنّه قال: إذا خرج القائم عليه السلام قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم؟ فقال: هو كذلك، فقيل: فقول اللّه عزّ وجلّ «وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ»[٥] ما معناه؟ فقال: صدق اللّه في جميع أقواله، لكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بأفعال آبائهم كذلك، ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلاً قتل في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند اللّه عزّ وجلّ شريك وإنّما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم[٦].

أقول: وذلك لأنّهم إنّما يكونون من سنخهم وحقيقتهم بحيث لو قدروا على ما قدر عليه أولئك فعلوا ما فعلوا كما حقّق في المقدّمة الثالثة.

---

١ ـ الشورى: ٤٠. ٢ ـ البقرة: ١٩٤.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٨٦، ح ٢١٤.

٤ ـ تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ١٧٨، ح ٦٢٨.

٥ ـ الأنعام: ١٦٤.

٦ ـ علل الشرائع: ص ٢٢٩، ح ١، باب ١٦٤، العلّة التي من أجلها يقتل القائم عليه السلام ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم.

ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِـالشَّهْرِ ٱلْحَـرَامِ وَٱلْحُـرُمَـٰتُ قِـصَاصٌ فَمَـنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِالشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾: قيل: قاتلهم المشركون في عام الحديبيّة في ذي القعدة، واتفّق خروجهم لعمرة القضاء فيه فكر هوا أن يقاتلوهم فيه لحرمته، فقيل لهم: هذا الشهر بذلك، وهتكه بهتكه فلا تبالوا به[١].

وفي المجمع روي مثله عن الباقر عليه السلام[٢].

﴿وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ﴾: أي كلّ حرمة وهي ما يجب أن يحافظ عليها يجري فيه القصاص، فلمّا هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثله.

وفي التهذيب[٣]، والعيّاشي: مضمراً أنّه سئل عن المشركين أيبتدؤهم المسلمون بالقتال في الشهر الحرام؟ فقال: إذا[٤] كان المشركون إبتدأوهم باستحلالهم ثمّ رآى المسلمون إنّهم يظهرون عليهم فيه، وذلك قوله سبحانه: «ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِـالشَّهْرِ ٱلْحَـرَامِ وَٱلْحُـرُمَاتُ قِصَاصٌ»[٥].

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: فذلكة وتأكيد لما سبق في التهذيب: عن الصادق عليه السلام في رجل قتل رجلاً في الحرم، وسرق في الحرم فقال: يقام عليه الحدّ، وصغار له لأنّه لم ير للحرم حرمة، وقد قال الله: «فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا

---

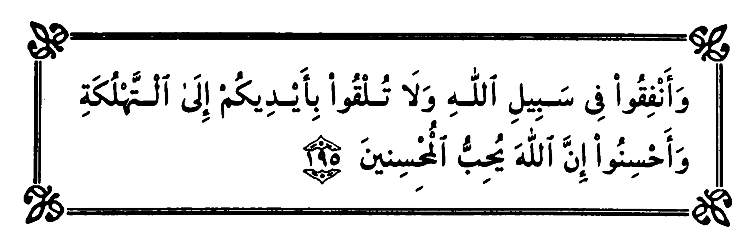
١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ح ١، ص ١٠٦.

٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

٣ ـ تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٤٢، ح ٢٤٣/٣، باب ٦٣، كيفيّة قتال المشركين.

٤ ـ جواب إذا محذوف يعني فنعم، والبارز في أنّهم للمسلمين، وفي عليهم للمشركين. منه رحمه الله.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٨٦ ـ ٨٧، ح ٢١٥.



عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ» يعني في الحرم، وقال: «فلا عدوان إلّا على الظالمين»[١][٢].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في الإنتصار فلا تعتدوا إلى مالم يرخّص لكم.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: فيحرسهم ويصلح شأنهم.

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: في الجهاد وسائر أبواب البرّ.

﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾: بالإسراف وتضييع وجه المعاش وبكلّ ما يؤدّي إلى الهلاك في المجالس عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: طاعة السلطان واجبة، ومن ترك طاعة السلطان فقد ترك طاعة الله، ودخل في نهيه إنّ الله يقول: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ»[٣].

﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: في الكافي[٤]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام قال: لو أنّ رجلاً أنفق ما في يديه في سبيلٍ من سبل الله ما كان أحسَنَ، ولا وفّق للخير أليس يقول الله: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ» يعني المقتصدين[٥].

وفي المحاسن: عنه عليه السلام قال: إذا أحسنَ المؤمن عمله ضاعف الله عمله بكلّ حسنة سبعمائة، وذلك قول الله تعالى «يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاء» فأحسنوا أعمالكم الّتي تعملونها لثواب الله، فقيل له: وما الإحسان؟ فقال: إذا صلّيت فأحسن ركوعك وسجودك، وإذا صمت فتوقّ كلّ ما فيه فساد صومك، وإذا حججت فتوقّ ما يحرم عليك في حجّك وعمرتك، قال: وكلّ عمل

---

١ ـ البقرة: ١٩٣.

٢ ـ تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٤١٩، ح ١٤٥٦/١٠٢، باب ٢٦ ـ من الزيادات في فقه الحج.

٣ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٢٧٧، ح ٢٠، المجلس الرابع والخمسون.

٤ ـ الكافي: ج ٤، ص ٥٣، ح ٧، باب فضل القصد.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٨٧، ح ٢١٧.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

تعمله لله فليكن نقيّاً من الدنس[1].

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ﴾: إئتوا بهما تامّين كاملين بشرائطهما وأركانهما ومناسكهما.

﴿لِلَّهِ﴾: لوجه الله خالصاً، وهو نصّ في وجوب العمرة كوجوب الحجّ. في الكافي[2]، والعيّاشي: سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية فقال: هما مفروضان[3].

وفيه[4]، وفي العلل[5]، والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحجّ على من استطاع لأنّ الله يقول: «وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لله»[6].

---

١ ـ المحاسن: ج ١، ص ٣٩٦، ح ٨٨٧ / ٢٨٩، باب ٣٠ الإخلاص.

٢ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٦٥، ح ٢، باب فرض الحج والعمرة.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٨٨، ح ٢٢٤.

٤ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٦٥، ح ٤ باب فرض الحج والعمرة.

٥ ـ علل الشرائع: ص ٤٠٨، ح ١، باب ١٤٤ العلّة التي من أجلها صارت العمرة واجبة على الناس.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٨٨، ح ٢٢٣.

قيل: فمن تمتع بالعمرة إلى الحج أيجزي ذلك عنه ؟ قال: نعم[١].

وفي رواية: قال يعني بتمامهما أداؤهما واتّقاء ما يتّقي المحرم فيهما[٢].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين، والسجّاد صلوات الله عليهما يعني أقيموهما إلى آخر ما فيهما[٣].

وفي الخصال[٤]، والعيون[٥]: عنه عليه السلام تمامهما اجتناب الرّفث والفسوق، والجدال في الحجّ.

والعيّاشي: عنهما ما في معناه[٦].

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: إذا أحرمت فعليك بتقوىٰ اللّٰه وذكر اللّٰه كثيراً وقلّة الكلام إلّا بخير، فإنّ من تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلّا من خير كما قال اللّٰه تعالىٰ: «فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ»[٧].

وفيه: عن الباقر عليه السلام قال: تمام الحجّ لقاء الإمام[٨].

وعن الصادق عليه السلام: إذا حجّ أحدكم فليختم حجّه بزيارتنا، لأن ذلك من تمام الحجّ[٩].

أقول: وفي هذا الزمان زيارة قبورهم تنوب مناب زيارتهم ولقائهم كما يستفاد من أخبار أُخر، ولا منافاة بين هذه الأخبار ولأنّ ذلك كلّه من تمام الحجّ.

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: منعكم خوف عدوّ أو مرض عن المضيّ إليه وأنتم محرمون بحجّ أو عمرة فامتنعتم لذلك كذا عنهم عليهم السلام، رواه في المجمع[١٠].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٨٨، ح ٢٢٢.

٢ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٦٥، ح ١، باب فرض الحج والعمرة.

٣ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٩٠.

٤ ـ الخصال: ص ٦٠٦، ح ٩، في حديث طويل ٩.

٥ ـ لم نعثر عليه في العيون، والظاهر أنّه سهو من قلمه الشريف.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٨٨، ح ٢٢٥.

٧ ـ الكافي: ج ٤، ص ٣٣٨، ح ٣، باب ما ينبغي تركه للمحرم من الجدال.

٨ ـ الكافي: ج ٤، ص ٥٤٩، ح ٢، باب اتباع الحج بالزيارة.

٩ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٢٦٢، ح ٢٨، باب ٦٦ ـ في ذكر ثواب زيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

١٠ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٩٠.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام المحصور: غير المصدود، والمحصور: المريض، والمصدود: الذي يردّه المشركون، كما ردّوا رسول الله صلى الله عليه وآله والصحابة ليس من مرض، والمصدود: تحلّ له النساء والمحصور: لا تحلّ له النساء[1].

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: فعليكم إذا أردتم التحلل من الإحرام ما تيسّر من الهدي من بعير، أو بقرة، أو شاة.

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام: يعني شاة وضع على أدنى القوم قوّة ليسع القويّ والضعيف[2].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: يجزيه شاة والبدنة، والبقرة أفضل[3].

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام: المصدود يذبح حيث صدّ ويرجع صاحبه فيأتي النساء، والمحصور يبعث بهديه ويعدهم يوماً فاذا بلغ الهدي أحلّ هذا في مكانه[4].

وعنه عليه السلام: إذا أحصر الرجل بعث بهديه فإذا أفاق ووجد من نفسه خفة فليمض إن ظنّ انّه يدرك الناس، فإن قدم مكّة قبل أن ينحر الهدي فليقم على إحرامة حتىٰ يفرغ من جميع المناسك ولينحر هديه ولا شيء عليه، وان قدم من مكّة وقد نحر هديه فإنّ عليه الحجّ من قابل، أو العمرة قيل: فإن مات وهو محرم قبل أن ينتهي إلى مكّة؟ قال: يحجّ عنه إن كانت حجّة الإسلام ويعتمر إنّما هو شيء عليه[5].

﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ﴾: لا تحلّوا.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ﴾: مكانه الذي يجب أن ينحر فيه.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً﴾: مرضاً يحوجه إلى الحلق.

---

١ ـ الكافي: ج ٤، ص ٣٦٩، ح ٣، باب المحصور والمصدود.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ١٢٠، ح ١، باب ٣٤ ـ العلل التي ذكر الفضل بن شاذان في آخرها أنّه سمعها من الرضا علي بن موسى عليه السلام مرّة بعد مرّة وشيئاً بعد شيء فجمعها وأطلق لعلي بن محمّد بن قتيبة النيسابوري روايتها عن الرضا عليه السلام.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٨٩، ح ٢٢٧.

٤ ـ الكافي: ج ٤، ص ٣٧١، ح ٩، باب المحصور والمصدود.

٥ ـ الكافي: ج ٤، ص ٣٧٠، ح ٤، باب المحصور والمصدود.

﴿أَوْ بِهِ أَذىً مِّنْ رَّأْسِهِ﴾: كجراحة أو قمل.

﴿فَفِدْيَةٌ﴾: فعليه فدية إن حلق.

﴿مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام: إذا أُحصر الرجل بعث بهديه فإن أذاه رأسه قبل أن ينحر هديه، فإنّه يذبح شاة في المكان الذي أُحصر فيه أو يصوم أو يتصدّق، والصوم ثلاثة أيام، والصدقة على ستّة مساكين، نصف صاع لكلّ مسكين[1].

وفيه[2]، والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله على كعب بن عجرة، والقمّل يتناثر من رأسه وهو محرم، فقال له: أتؤذيك هوامّك فقال: نعم فانزلت هذه الآية فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله أن يحلق، وجعل الصيام ثلاثة أيّام، والصدقة على ستّة مساكين، لكلّ مسكين مدّين، والنسك شاة[3].

قال أبو عبدالله عليه السلام: وَكُلُّ شيء في القرآن «أو»: فصاحبه بالخيار، يختار ما شاء، وكلّ شيء في القرآن «فمن لم يجد» كذا فعليه كذا، فالأوّل الخيار[4].

أقول: فالأوّل الخيار: أي الخير والحريّ بالإختيار.

﴿فَإِذَآ أَمِنْتُمْ﴾: الموانع يعني إذا كنتم غير محصورين وفي حال أمن وسعة.

﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ﴾: استمتع وانتفع بعد التحلّل من عمرته باستباحة ما كان محرّماً عليه.

﴿إِلَى ٱلْحَجِّ﴾: إلى أن يحرم بالحجّ.

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: فعليه دم استيسره وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام شاة[5].

﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾: الهدي.

---

١ ـ الكافي: ج ٤، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١، ح ٦.

٢ ـ الكافي: ج ٤، ص ٣٥٨، ح ٢، باب العلاج للمحرم إذا مرض أو أصابه جرح أو خراج أو علّة.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٩٠، ح ٢٣١.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٩٠، ح ٢٣٢. وفيه «وكل شيء في القرآن فإن لم يجد فعليه ذلك». وجاء في الكافي: ج ٤، ص ٣٥٨، ح ٢، «فالأولى الخيار».

٥ ـ الكافي: ج ٤، ص ٤٨٧، ح ١، باب أدنىٰ ما يجزي من الهدي.

﴿فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾: في وقت الحجّ وأيّام الإشتغال بـه والأفـضل أن يصوم سابع ذي الحجّة وثامنه وتاسعه.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام في المتمتّع لا يجد الهدي قال: يصوم قبل التّرويَـة بـيوم، ويوم التروية، ويوم عرفة، قيل: فانّه قد قدم يوم التروية قال: يصوم ثلاثة أيام بعد التشريق قلت: لم يقم عليه جمّاله؟ قال: يصوم يوم الحصبة وبعده يومين، قال: قلت: وما الحصبة؟ قال: يوم نفره. قلت: يصوم وهو مسافر؟ قال: نعم: أليس هو يوم عرفة مسافراً إنّا أهل بيت نقول ذلك بقول الله تعالى: «فصيام ثلاثة أيّام في الحجّ»، يقول في ذي الحجّة[١].

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾: إلى أهاليكم فإن بدا له الإقامة بمكّة نظر مقدم أهل بلاده فإذا ظنّ أنّهم قد دخلوا فليصم السبعة الأيّام كذا في الكافي عنهم عليهم السلام[٢].

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾: لا تنقص عن الاضحية الكاملة.

في التهذيب: عن الصادق عليه السلام: إنه سئل عن السفيان الثوري أي شيء يعني بكاملة؟ قال: سبعة وثلاثة: قال عليه السلام: ويختلّ ذا على ذي حجا أن سبعة وثلاثة عشرة قال: فأيّ شيء هو أصلحك اللّه؟ قال: أنظر قال: لا علم لي فأيّ شيء هو أصلحك اللّه؟ قال: الكاملة: كمالها كمال الاضحية سواء أتيت بها أو لم تأت[٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي التمتّع.

﴿لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية: من كان منزله على ثمانية عشر ميلاً من بين يديها، وثمانية عشر ميلاً عن خـلفها، وثمانية عشر ميلاً عن يمينها، وثمانية عـشر مـيلاً عـن يسـارها، فـلا مـتعة له مـثل مَـرٍّ[٤] وأشباهها[٥].

---

١ ـ الكافي: ج ٤، ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧، ح ١، باب صوم المتمتع إذا لم يجد الهدي. وفيه «لقول الله تعالى».

٢ ـ الكافي: ج ٤، ص ٥٠٩، ح ٨، باب صوم المتمتع إذا لم يجد الهدي.

٣ ـ تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٤٠، ح ١٢٠/٤٩، باب ٤ ـ ضروب الحج.

٤ ـ بطن مَرٍّ ويقال له: مَرُّ الظهران على مرحلة من مكّة. القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٣٣.

٥ ـ الكافي: ج ٤، ص ٣٠٠، ح ٣.

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾

وفيه: عن الباقر عليه السلام سئل عن هذه الآية قال: ذلك أهل مكّة ليس لهم متعة ولا عليهم عمرة، قيل: فما حدّ ذلك ؟ قال: ثمانية وأربعون ميلاً من جميع نواحي مكّة دون عسفان وذات عرق[١].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في المحافظة على أوامره ونواهيه خصوصاً في الحجّ.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: لمن لم يتّقه وخالف أمره وتعدّىٰ حدوده.

﴿ٱلْحَجُّ﴾: يعني وقت إحرامه ومناسكه.

﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾: وهي شوّال، وذو القعدة، وذو الحجّة كذا عن الباقر، والصادق عليهما السلام: في عدّة أخبار، قالا: ليس لأحد أن يحجّ فيما سواهنّ، ومن أحرم بالحجّ في غير أشهر الحجّ فلا حجّ له[٢].

﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ في الكافي[٣]، والعيّاشي: قال الصادق عليه السلام: الفرض: التلبية، والاشعار، والتقليد، فأيّ ذلك فعل فقد فرض الحج[٤].

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾: وقرئ بالرفع والتنوين فيهما.

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٤٩٢، ح ١٧٦٦ / ٤١٢، باب ٢٦ ـ من الزيادات في فقه الحج. وفيه: «دون ذات عرق».

٢ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٨٩، ح ١، و ٢، باب اشهر الحج.

٣ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٨٩، ح ٢، باب اشهر الحج.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٩٤، ح ٢٥٤.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِنْ رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِنْدَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾

﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾: في أيّامه.

في الكافي[1]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: الرفث: الجماع، والفسوق: الكذب، والسباب، والجدال: قول الرجل لا والله، وبلىٰ والله[2].

وزاد في الكافي وقال: في الجدال شاة، وفي الفسوق بقرة، والرفث: فساد الحجّ[3].

﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾: حثّ على البرّ.

﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾: لمعادكم التّقوى.

﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوىٰ﴾: قيل: كانوا يحجّون من غير زاد فيكونون كلاً على الناس فأُمروا أن يتزوّدوا ويتّقوا الإبرام والتثقيل على الناس[4].

﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾: فإنّ مقتضىٰ اللبّ: خشية الله، عقّب الحثّ على التقوىٰ بأن يكون المقصود بها هو الله سبحانه، والتبرّي عمّا سواه.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُواْ﴾: في أن تطلبوا.

﴿فَضْلاً مِنْ رَّبِّكُمْ﴾: كانوا يتأثّمون بالتجارة في الحجّ، فرفع عنهم الجناح في ذلك، كذا في المجمع: عنهم عليهم السلام[5].

---

١ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨، ح ٣، باب ما ينبغي تركه للمحرم.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٩٥، ح ٢٥٦.

٣ ـ الكافي: ج ٤، ص ٣٣٨، ذيل ح ٣، باب ما ينبغي تركه للمحرم.

٤ ـ ذكره البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٨.

٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٩٥.

وفي رواية: فضلاً: أي مغفرة[١].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام فضلاً من ربّكم، يعني: الرزق إذا أحلّ الرجل من إحرامه، وقضى نسكه فليشتر وليبع في الموسم[٢].

﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم﴾: دفعتم أنفسكم بكثرة، من أفاض الماء، إذا صبّه بكثرة.

﴿مِّنْ عَرَفَـٰتٍ﴾: في تفسير الإمام عليه السلام: ومضيتم إلى المزدلفة[٣].

﴿فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾: قال: بآلائه ونعمائه، والصلاة على محمّد سيّد أنبيائه، وعلى عليّ سيّد أصفيائه[٤].

﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾: لدينه والإيمان برسوله صلى الله عليه وآله، وقيل: أي أُذكروه ذكراً حسناً، كما هداكم هداية حسنة[٥].

وقيل: أي ذكراً يوازي هدايته إيّاكم[٦].

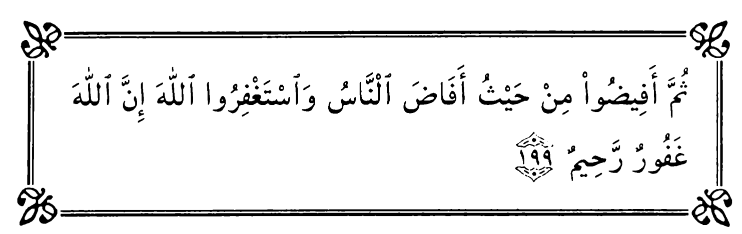
أقول: ليس المراد بالكاف في مثل هذا الكلام التشبيه، بل المراد تعليل الطلب بوجود مايقتضيه، وأنّ المطلوب ليس بغريب، بل إن وقع فهو في موضعه، والمعنىٰ أُذكروه بإزاء هدايته إيّاكم فإنّه هداكم فبالحريّ أن تذكروه، وله نظائر كثيرة في الكلام ولكنّه اشتبه على كثير من الأعلام.

﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ﴾: من قبل الهدىٰ.

﴿لَمِنَ الضَّآلِّينَ﴾: الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه.

وفي تفسير الإمام عليه السلام: الضالّين عن دينه قبل أن يهديكم لدينه[٧].

١ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٩٥.
٢ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٩٦، ح ٢٦٢.
٣ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٠٥.
٤ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٠٥.
٥ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٩.
٦ـ قاله الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٩٥.
٧ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٦٠٥.



﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ﴾: ثم لتكن إفاضتكم.

﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾: قيل: أي من عرفات[1].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: كانت قريش وحلفاؤهم من الحمس لا يقفون مع الناس بعرفات، ولا يفيضون منها، ويقولون: نحن أهل حرم الله فلا نخرج من الحرم فيقفون بالمشعر ويفيضون منه، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منه[2].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام مثله في عدّة أخبار[3].

وعنه عليه السلام: يعني بالناس إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ومن بعدهم ممّن أفاض من عرفات[4].

وفي الكافي: عن الحسين عليه السلام: نحن الناس[5].

وعن الصادق عليه السلام: في حديث حجّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ثمّ غدا والناس معه، وكانت قريش تفيض من المزدلفة، وهي جمع، ويمنعون الناس أن يفيضوا منها، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وقريش ترجو أن تكون إفاضته من حيث كانوا يفيضون فأنزل الله تعالى عليه «ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ» يعني إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، في إفاضتهم منها ومن كان من بعدهم[6].

أقول: وعلى هذه الأخبار فمعنى «ثمّ»: الترتيب في الرتبة، لتفاوت ما بين الإفاضتين كما في قولك: أحسن إلى الناس، ثم لا تحسن إلى غير الكريم.

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٩.

٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٩٦.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٩٧، ح ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٨.

٤ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٩٦.

٥ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥، ح ٣٣٨.

٦ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٤٧، في حديث طويل رقم ٢، باب ـ حجّ النبيّ.

فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴿٢٠٠﴾

وأورد في المجمع سؤالاً وهو: إنّ «ثم» للترتيب فما معنى الترتيب هاهنا؟ وأجاب: بأنّ أصحابنا رووا أنّ هاهنا تقديماً وتأخيراً تقديره «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربّكم، ثمّ أفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ فَإِذَا أَفَضْتُم مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ عِنْدَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وٱسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ».

وذكر تفسيراً آخر وهو: أن يكون المراد: الإفاضة من المزدلفة إلى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس، قال: والآية تدلّ عليه لأنّ قوله «ثمّ أفيضُوا» يدلّ على أنّها إفاضة ثانية[1].

أقول: وهو مخالف للأخبار الواردة في سبب نزول الآية من طرق الخاصّة، والعامّة كما مرّ، الّا في تفسير الإمام فإنّ فيه «ثمّ أفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ» أي ارجعوا من المشعر الحرام من حيث رجع الناس من جمع قال: والناس في هذا الموضع الحاجّ غير الحمس فانّ الحمس كانوا لا يفيضون من جمع[2] وهو كما ترىٰ والعلم عند اللّٰه.

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ﴾: واطلبوا المغفرة من اللّٰه من جاهليّتكم في تغيير المناسك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفر ذنب المستغفرين ويرحم عليهم.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ﴾: فرغتم من أفعال الحجّ.

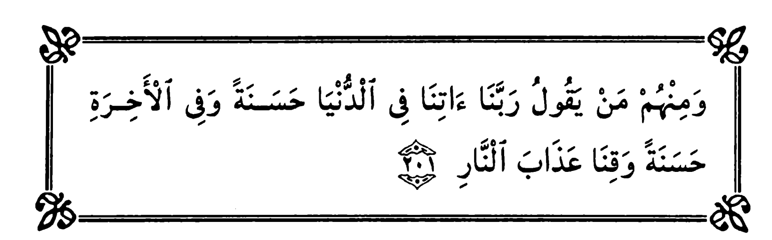
﴿فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾: فاذكروا اللّٰه بآلائه لديكم وإحسانه إليكم، وبالغوا فيه كما تفعلونه في ذكر آبائكم بأفعالهم، ومآثرهم وأبلغ منه.

في تفسير الإمام عليه السلام: خيّرهم بين ذلك ولم يلزمهم أن يكونوا أشدّ ذكراً له منهم

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٩٦.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٦٠٥.



لآبائهم وإن كانت نعم الله عليهم أكثر وأعظم من نعم آبائهم[1].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام كانوا إذا فرغوا من الحجّ يجتمعون هناك، يعدّون مفاخر آبائهم ومآثرهم، ويذكرون أيّامهم القديمة وأياديهم الجسيمة، فأمرهم الله سبحانه أن يذكروه مكان ذكر آبائهم في هذا الموضع أو أشدّ ذكرا ويزيدوا على ذلك بأن يذكروا نعم الله سبحانه ويعدّوا آلاءه، ويشكروا نعماءه لأن آباءهم وإن كانت لهم عليهم أيادٍ ونعم، فنعم الله سبحانه عليهم أعظم أياديه عندهم وأفخم، ولأنّه سبحانه المنعم عليهم بتلك المآثر والمفاخر على آبائهم وعليهم[2].

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾: فإنّ الناس من بين مقلّ لا يطلب بذكره إلّا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين، فكونوا من المكثرين.

﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا﴾: اجعل إيتاءنا ومنحتنا.

﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾: خاصّة.

﴿وَمَا لَهُ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾: نصيب وحظّ، لأنّ همّه مقصور على الدنيا لا يعمل للآخرة عملاً ولا يطلب منها خيراً.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: كالصحّة، والأمن، والكِفاف، وتوفيق الخير.

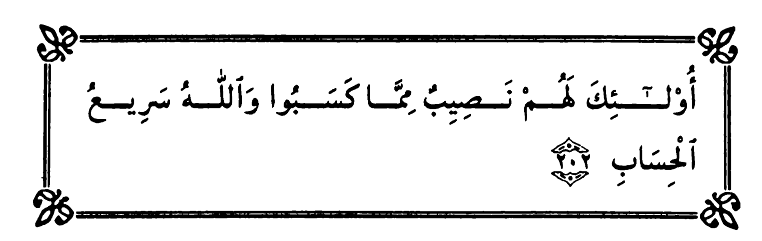
﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾: كالرحمة، والزلفة.

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: بالمغفرة والعفو. في الكافي[3]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٦٠٦. ٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٩٧.

٣ ـ الكافي: ج ٥، ص ٧١، ح ٢، باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة.



قال: رضوان اللّه والجنّة في الآخرة، والسعة[1] في المعاش، وحسن الخلق في الدنيا[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: في الدنيا: المرأة الصالحة، وفي الآخرة: الحوراء، وعذاب النار: المرأة السوء[3].

وقيل: الحسنة في الدنيا: العلم والعبادة، وفي الآخرة: الجنّة، وعذاب النار: الشهوات، والذنوب المؤدّية إليها[4].

أقول: كلّ ذلك أمثلة للمراد بها فلا تنافي بينها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: في تفسير الإمام عليه السلام أولئك الدّاعون بهذا الدعاء على هذا الوصف[5].

﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾: قال: من ثواب ما كسبوا في الدنيا والآخرة[6].

أقول: وإنّما قيل: ما كسبوا لأنّ الأعمال أنفسها تتصور بصور حسنة يتنعّم بها صاحبها أو بصور قبيحة يتعذّب بها صاحبها، كما ورد في أخبار كثيرة عن أهل العصمة صلوات الله عليهم، وفي الحديث النبوي: إنّما هي أعمالكم تردّ إليكم[7].

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: يحاسب الخلائق كلّهم على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار لمح البصر كما ورد في الخبر[8].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنّه قال: معناه انّه يحاسب الخلائق دفعة كما

---

١ ـ وزاد في المعاني والسعة في الرزق قبل ذكر المعاش. منه رحمه الله. راجع معاني الأخبار: ص ١٧٤ ـ ١٧٥، ح ١، باب معنى حسنة الدنيا، وحسنة الآخرة، وإليك نصّه: قال: رضوان الله والجنّة في الآخرة، والسعة في الرزق والمعاش، وحسن الخلق في الدنيا.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٩٨، ح ٢٧٤.

٣ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٩٧.

٤ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٩٨؛ أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٠.

٥ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٦٠٦.

٦ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٠٦.

٧ ـ مفاتيح الغيب: ص ٩٠.

٨ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٩٨.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢٠٣﴾

يرزقهم دفعة[١].

وعنه عليه السلام: أنّه سئل كيف يحاسب اللّٰه سبحانه الخلق ولا يرونه ؟ قال: كما يرزقهم اللّٰه ولا يرونه[٢].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: لأنّه لا يشغله شأن عن شأن، ولا محاسبة عن محاسبة، فإذا حاسب واحداً فهو في تلك الحال محاسبٌ للكلّ، يتمّ حساب الكلّ بتمام حساب الواحد، وهو كقوله: «مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَة»[٣][٤].

وسيأتي في سورة الأنعام ما يقرب منه[٥].

أقول: ولسرعة الحساب معنىً آخر يجتمع مع هذا المعنى، ويؤيّده. وهو أنّ الله سبحانه يحاسب العبد في الدنيا في كلّ آن ولحظة، ويجزيه على عمله في كلّ حركة وسكون، ويكافئ طاعاته بالتوفيقات، ومعاصيه بالخذلانات، فالخير يجر الخير، والشرّ يدعو إلى الشرّ، ومن حاسب نفسه في الدنيا عرف هذا المعنى، ولهذا ورد: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا[٦].

وهذا من الأسرار الّتي لا يمسّها إلّا المطهّرون.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾: يعني أيّام التشريق، وذكر اللّٰه فيها: التكبير في أعقاب الصلوات من ظهر يوم النّحر إلى صلاة الفجر من اليوم الثالث لمن كان بمنىً وفي الأمصار إلى عشر صلوات، والتكبير: اللّٰه أكبر، اللّٰه أكبر، لا إله إلّا اللّٰه وٱللّٰهُ أكبر، اللّٰه

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٢٩٨.
٢ ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٣١٣ ذيل الآية ٦٢ من سورة الانعام.
٣ ـ لقمان: ٢٨.
٤ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٦٠٦. وفيه: «ولا محاسبة أحد من محاسبة آخر».
٥ ـ ذيل الآية: ٦٢.
٦ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٤٣، ح ١٠٨.

أكبر، ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام.

كذا عنهم عليهم السلام: في الكافي[١]، والعيّاشي[٢]، وغيرهما[٣].

﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾: استعجل النّفر من منىٰ.

﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾: بعد يوم النحر إذا فرغ من رمي الجمار.

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾: حتّى رمى في اليوم الثالث.

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: قيل: معنى نفي الإثم بالتعجّل والتأخّر: التخيير بينهما، والردّ على أهل الجاهليّة، فإنّ منهم من أثّم المتعجّل، ومنهم من أثّم المتأخّر[٤].

وفي الفقيه: سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية، فقال: ليس هو على أنّ ذلك واسع إن شاء صنع ذا، وإن شاء صنع ذا، لكنّه يرجع مغفوراً له لا إثم عليه ولا ذنب له[٥].

والعيّاشي: عنه قال: يرجع مغفوراً له لا ذنب له[٦].

﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾: في الفقيه: عن الباقر عليه السلام لمن اتّقىٰ الله عزّ وجلّ[٧].

قال: وروي: أنّه يخرج من الذنوب كيوم ولدته أُمّه[٨].

وفي التهذيب: عن الصادق عليه السلام قال: «لمن اتّقىٰ» الصيد: يعني في إحرامه فإن أصابه لم يكن له أن ينفر في النّفر الأوّل[٩]، والعيّاشي: ما في معناه[١٠].

وفي الفقيه: عنه عليه السلام: «لمن اتّقىٰ» الصيد حتّىٰ ينفر أهل منى في النّفر الأخير[١١].

---

١ ـ الكافي: ج ٤، ص ٥١٧، باب التكبير أيّام التشريق.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٩٩، ح ٢٧٩.

٣ ـ الفقيه: ج ٢، ص ٣٣١، ذيل ح ١٥٥١ / ٧، باب التكبير أيّام التشريق.

٤ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٠.

٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨٩، ح ١٤٢٧ / ١٤، باب ١٩٤ ـ النفر الأوّل والأخير.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٩٩، ح ٢٨١.

٧ ـ من لا يحضره الفقيه ج ٢، ص ٢٨٨، ح ١٤١٧ / ٤، باب ١٩٤ ـ النفر الأوّل والأخير.

٨ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ١٤١٨ / ٥، باب ١٩٤ ـ النفر الأوّل والأخير.

٩ ـ تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٢٧٣، ح ٩٣٣ / ٨، باب ٢٠ ـ النفر من منى.

١٠ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٠، ح ٢٨٦.

١١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ١٤١٥ / ٢، باب ١٩٤ ـ النفر الأوّل والأخير.

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: «لمن اتّقىٰ» منهم الصيد، واتّقى الرفث والفسوق والجدال، وما حرّم اللّه عليه في إحرامه[١].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: فمن تعجّل في يومين من أيام التشريق فانصرف من حجّه إلى بلاده الّتي خرج منها فلا إثم عليه، ومن تأخّر إلى تمام اليوم الثالث فلا إثم عليه، أي لا إثم عليه من ذنوبه السالفة، لأنّها قد غفرت له كلّها بحجّته. هذه المقارنة لندمه عليها وتوقّيه منها لمن اتّقىٰ أن يواقع الموبقات بعدها، فإنّه إن واقعها كان عليه إثمها ولم يغفر له تلك الذنوب السالفة بتوبة قد أبطلها بموبقاته بعدها: وإنّما يغفر بتوبة يجدّدها[٢].

أقول: وذلك لأنّ الذنوب السالفة هي التي حملت صاحبها على المعاودة، إذ الباعث عليها بعد التوبة إنّما هو العادة.

وفي الكافي[٣]، والفقيه: عن الصادق عليه السلام: يعني من مات قبل أن يمضي[٤] فلا إثم عليه، ومن تأخّر فلا إثم عليه لمن اتّقىٰ الكبائر[٥].

وعن الباقر عليه السلام: اتّقى الكبر، وهو أن يجهل الحقّ ويطعن على أهله[٦].

وعن الصادق عليه السلام: إنّما هي لكم والناس سواد وأنتم الحاج[٧].

أقول: أراد أنّ نفي الإثم في الصورتين مختصّ بأصحاب التقوى، وهم الشيعة ليس إلّا.

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام انّه سئل عن هذه الآية فقال: أنتم والله هم، إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: لا يثبت على ولاية عليّ صلوات اللّه عليه إلّا المتّقون[٨].

---

١ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ٩٩، ح ٢٨٠. ٢ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦١١ ـ ٦١٥.

٣ ـ الكافي: ج ٤، ص ٥٢١ ـ ٥٢٢، ح ١٠، باب النفر من منىٰ الأول والأخير.

٤ ـ قوله عليه السلام: «قبل أن يمضي» يعني به المضيّ إلى أهله، وإنّما لا إثم عليه بخروجه من ديونه بحجّه، ومن تأخر: يعني تأخّر موته، فلا إثم عليه: يعني في بقيّة عمره إذا اتّقى الكبائر. منه قدّس سرّه.

٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ١٤٢٠ / ٧، باب ١٩٤ ـ النفر الأوّل والأخير. والنص للكافي.

٦ ـ الكافي: ج ٤، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣، ح ٢، باب فضل الحج والعمرة وثوابها.

٧ ـ الكافي: ج ٤، ص ٥٢٣، ح ١٢، باب النفر من منىٰ الأوّل والأخير.

٨ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٠، ح ٢٨٥.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾

﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾: في مجامع أُموركم. وفي تفسير الإمام عليه السلام: وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ أيّها الحاج المغفور لهم سالف ذنوبهم بحجّهم المقرون بتوبتهم فلا تعاودوا الموبقات، فتعود إليكم أثقالها، ويثقلكم إحتمالها فلا تغفر لكم الّا بتوبة بعدها[١].

﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: فيجازيكم بما تعملون، والحشر: الجمع وضمّ المتفرّق.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾: يروقك ويعظم في قلبك.

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: باظهاره لك الدين والإسلام وتزيّنه بحضرتك بالورع والإحسان.

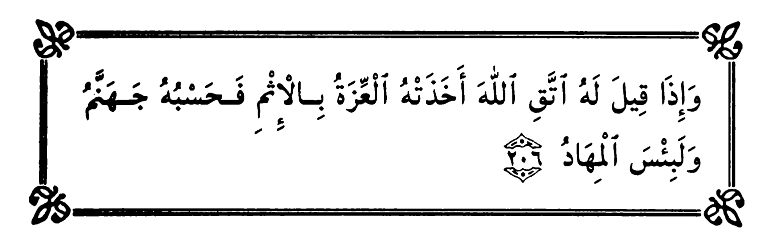
﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِ﴾: بأن يحلف لك بأنّه مؤمن مخلص مصدّق قوله بعمله.

﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾: شديد العداوة والجدال للمسلمين، القمّي: نزلت في الثّاني[٢] وقيل: في معاوية[٣]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: فلان وفلان[٤].

أقول: تشمل عامّة المنافقين، وإن نزلت خاصّة.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾: أدبر وانصرف عنك، وقيل: ملك الأمر وصار والياً[٥].

١ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦١٥.
٢ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٧١.
٣ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٧١.
٤ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٢، ح ٢٩٤.
٥ـ راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١١.



﴿سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾: يعني بالكفر المخالف لما أظهر، والظلم المباين لما وعد.

﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ﴾: الزرع بأن يحرقه أو يفسده.

﴿وَٱلنَّسْلَ﴾: الذرّية بأن يقتل الحيوان فيقطع نسله. وفي المجمع[1]، والقمّي: عن الصادق عليه السلام الحرث في هذا الموضع: الدين، والنسل: الناس[2].

وفي الكافي[3]، والعيّاشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: يهلك الحرث والنسل: بظلمه وسوء سيرته[4].

أقول: ومنه أن يمنع الله بشؤم ظلمه المطر، فيهلك الحرث والنسل، إلى غير ذلك من نتائج الظلم.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾: لا يرتضيه، ولا يترك العقوبة عليه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: ودع سوء صنيعتك.

﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾: حملته الأنفة وحميّة الجاهليّة على الإثم الذي يؤمر باتّقائه، وألزمته ارتكابه لجاجاً من قولك: أخذته بكذا، إذا حملته عليه، وألزمته إيّاه فيزداد إلى شرّه شرّاً، ويضيف إلى ظلمه ظلماً.

﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾: كفته جزاءاً وعذاباً على سوء فعله.

﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: أي الفراش يمهدها، ويكون دائماً فيها. كذا فسّرت الآيات

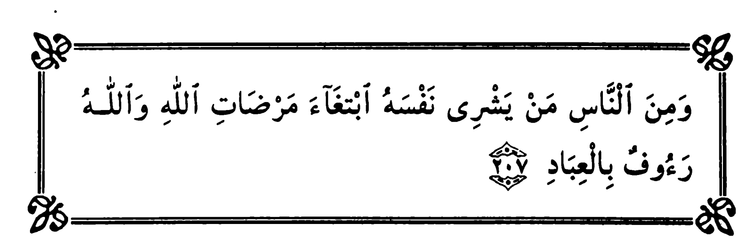
---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٠٠.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٧١.

٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٨٩، ح ٤٣٥.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠١، ح ٢٩٠.



الثلاث في تفسير الإمام عليه السلام[1] إلّا ما نسب إلى غيره.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْرِى﴾: يبيع.

﴿نَفْسَهُ﴾: يبذلها لله.

﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: طلباً لرضاه، فيعمل بطاعته، ويأمر الناس بها، روت العامّة، عن جماعة من الصحابة والتابعين[2]، والعيّاشي[3]، وعدّة من أصحابنا، عن أئمّتنا في عدّة أخبار، أنّها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام حين بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله، وهرب النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الغار[4].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ المراد بالآية: الرجل يقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5].

أقول: يعني هي عامّة، وإن نزلت خاصّة.

وفي تفسير الإمام عليه السلام هؤلاء خيار أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله عذّبهم أهل مكّة ليفتنوهم عن دينهم، فمنهم بلال، وصهيب، وخباب، وعمّار بن ياسر، وأبواه[6].

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾: روي انّه عليه السلام لمّا نام على فراشه، قام جبرئيل عند رأسه،

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٦١٨.

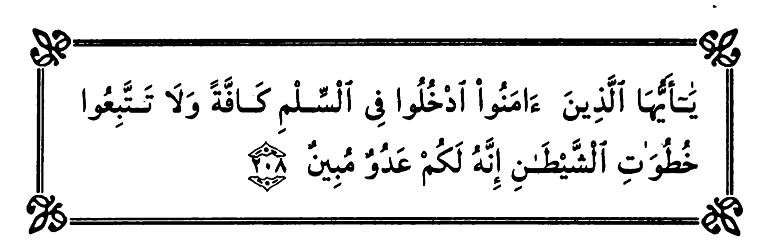
٢ ـ انظر شواهد التنزيل فهناك تسعة روايات تدل على أنّها نزلت في علي (ع): ج ١، ص ١٢٣ ـ ١٣٢.

٣ ـ تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠١، ح ٢٩٢ و ٢٩٣.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٧١، ومجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٠١.

٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٠١.

٦ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٢١. وفيه: «هؤلاء خيار من أصحاب رسول الله».



وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل ينادي بخٍ بخٍ من مثلك يا عليّ بن أبي طالب؟ يباهي الله الملائكة بك[1].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: امّا الطالبون لرضاء ربّهم فيبلغهم أقصىٰ أمانيّهم، ويزيدهم عليها مالم يبلغه آمالهم، وأمّا الفاجرون فيرفق بهم في دعوتهم إلى طاعته، ولا يقطع ممّن علم أنّه سيتوب عن ذنبه عظيم كرامته[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُوا فِى ٱلسِّلْمِ﴾: في الاستسلام والطاعة، وقرئ بالفتح. وهو بمعناه، وفي الكافي[3]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام في ولايتنا[4].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: في ولاية علي عليه السلام[5].

وعنهما عليهما السلام: أُمروا بمعرفتنا[6].

﴿كَآفَّةً﴾: جميعاً.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾: بالتفرّق والتّفريق.

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: السّلم: ولاية عليّ والأئمّة والأوصياء من بعده، وخطوات الشيطان: ولاية فلان وفلان[7].

وفي رواية: هي ولاية الثاني والأوّل[8].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: يعني في السّلم والمسالمة إلى دين الإسلام كافّة جماعة، ادخلوا

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٠١.
٢ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٦٢١.
٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٤١٧، ح ٢٩.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٢، ح ٢٩٧.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٢، ح٢٩٤.
٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٢، ح ٢٩٥.
٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٢، ح ٢٩٤.
٨ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٢، ح ٢٩٩.

فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَـٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّـهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّآ أَنْ يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُـلَلٍ مِنَ ٱلْـغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُـضِيَ ٱلْأَمْـرُ وَإِلَى ٱللَّـهِ تُـرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

فيه وادخلوا جميع الإسلام فتقبّلوه واعملوا به ولا تكونوا ممّن يقبل بعضه ويعمل بـه ويأبى بعضه ويهجره، قال: ومنه الدخول في قبول ولاية عليّ فإنّه كالدخول في قبول نبوّة رسـول الله صلى الله عليه وآله، فإنّه لا يكون مسلماً من قال: إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله رسول الله فاعترف به ولم يعترف بأنّ عليّاً وصيّه وخليفته وخير اُمّته، وقال: «خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ»: ما يتخطّى بكم إليه من طرق الغيّ والضلالة، ويأمركم من ارتكاب الآثام الموبقات[1].

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهر العداوة.

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾: عن الدخول في السّلم.

﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾: الحجج والشواهد على أنّ ما دعيتم إليه حقّ.

﴿فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب لا يعجز بالانتقام منكم[2].

﴿حَكِيمٌ﴾: لا ينتقم إلّا بالحقّ.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّآ أَنْ يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أي يأتيهم أمر الله أو بأسه.

﴿فِي ظُلَلٍ﴾: جمع ظلّة، وهي ما أظلّك.

﴿مِنَ ٱلْغَمَامِ﴾: من السحاب الأبيض الذي هو مظنّة الرحمة، فإذا جاء منه العذاب كان أصعب.

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٢٦ ـ ٦٢٧.

٢ ـ وفي نسخة: [لا يعجزه الإنتقام منكم].

﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: ويأتي الملائكة إن قرئ بالرفع، وبهم إن قرئ بالجرّ.

وفي العيون[١]، والتوحيد: عن الرضا عليه السلام: إلّا أن يأتيهم اللّه بالملائكة في ظلل من الغمام، قال: وهكذا نزلت[٢].

﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: واتمّ أمر إهلاكهم، وفرغ منه.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: وقرء بفتح التاء وكسر الجيم حيث وقع.

وفي تفسير الإمام عليه السلام: أي هل ينظر هؤلاء المكذّبون بعد ايضاحنا لهم الآيات، وقطعنا معاذيرهم بالمعجزات «إلّا أن يأتيهم اللّه في ظلل من الغمام»، وتأتيهم الملائكة كما كانوا اقترحوا عليك اقتراحهم[٣] المحال في الدنيا في إتيان اللّه الذي لا يجوز عليه الاتيان، واقتراحهم الباطل في إتيان الملائكة الذين لا يأتون إلّا مع زوال هذا التعبد، لأنّه وقت مجيئ الأملاك بالاهلاك فهم في اقتراحهم مجيىء الملائكة جاهلون، «وقضى الأمر»: أي هل ينظرون مجيئ الملائكة، فإذا جاؤوا وكان ذلك قضي الأمر بهلاكهم[٤].

القمّي: عن الباقر عليه السلام قال: إنّ الله إذا بدا له أن يبيّن خلقه ويجمعهم لما لابدّ منه، أمر منادياً ينادي فاجتمع الإنس والجنّ في أسرع من طرفة العين، ثمّ أذن للسماء الدنيا فتنزل وكان من وراء الناس، وأذن للسماء الثانية فتنزل، وهي ضعف الّتي تليها فإذا رآها أهل السماء الدنيا قالوا: جاء ربّنا، قالوا: لا وهو آتٍ يعني أمره حتّى تنزل كلّ سماء تكون كل واحدة منها من وراء الأُخرى، وهي ضعف التي تليها، ثم ينزل أمر الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى ربّكم ترجع الأُمور، ثمّ يأمر الله منادياً ينادي «يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنّ

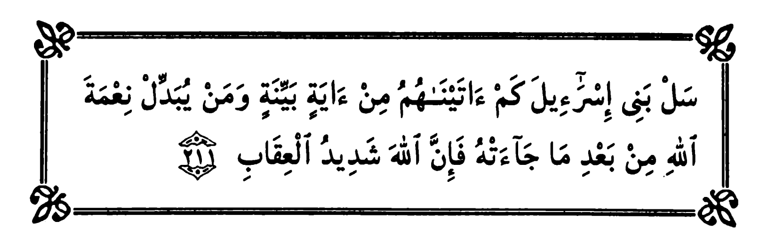
---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٢٦، ح ١٩، باب ١١ ـ ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار في التوحيد.

٢ ـ التوحيد: ص ١٦٣، باب تفسير قوله عزّ وجلّ «هل ينظرون إلّا أن يأتيه».

٣ ـ لعل اقتراحهم ذلك في قولهم: أو يأتي بالله والملائكة قبيلاً. منه قدّس سرّه.

٤ ـ تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٢٩ ـ ٦٣٠.



وَٱلإِنْسِ إِنْ ٱسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمواتِ وَٱلأَرْضِ فَانْفُذواْ وَلاَ تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَان»[1][2].

والعيّاشي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: ينزل في سبع قباب من نور لا يعلم في أيّها هو حين ينزل في ظهر الكوفة فهذا حين ينزل[3].

وفي رواية اخرىٰ عنه عليه السلام: قال: كأنّي بقائم أهل بيتي قد علا نجفكم فإذا علا فوق نجفكم نشر راية رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فإذا نشرها انحطّت عليه ملائكة بدر[4].

وقال: إنّه نازل في قباب من نور حين ينزل بظهر الكوفة على الفاروق فهذا حين ينزل، وأمّا «قُضِيَ ٱلْأَمْرُ» فهو الوسم على الخرطوم يوم يوسم الكافر[5].

أقول: لعلّ المراد انّه ينزل على أمر يفرّق به بين المؤمن والكافر، وانّ المعنىٰ بقضاء الأمر: امتياز أحدهما عن الآخر بوسمه على خرطوم الكافر، وذلك في الرجعة.

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾: معجزة ظاهرة على أيدي أنبيائهم أو آية في التوراة شاهدة على صحّة نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام: انّه كان يقرأ: «كم آتيناهم من آية بيّنة فمنهم من آمن ومنهم من جحد ومنهم من أقرّ ومنهم من بدلّ»[6].

---

١ ـ الرحمن: ٣٣.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ٢، ص ٧٧.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٣، ح ٣٠١.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٣، ح ٣٠٢.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٣، ح ٣٠٣.
٦ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١، ح ٤٤٠.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢١٢﴾

والعيّاشي: لم يذكر القراءة، وإنّما روى الزيادة[1]، كأنّها تفسير وأورد «انكر» مكان «بدّل».

﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾: آياته ٱلّتي هي سبب الهدىٰ والنّجاة الذين هما من أجلّ النِّعَم، يجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾: من بعد ما عرفها، أو تمكّن من معرفتها.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: فيعاقبه أشدّ عقوبة لأنّه ارتكب أشدّ جريمة.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: حسنت في أعينهم واشربت محبّتها في قلوبهم حتّىٰ تهالكوا عليها.

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: من فقراء المؤمنين الذين لا حظّ لهم منها.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾: من المؤمنين.

﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: لأنّهم[2] في علّيّين وفي الكرامة، وهم في سجّين وفي الندامة.

﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾: في الدارين.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير تقدير فيوسّع في الدنيا استدراجاً تارة، وابتلاءاً أُخرىٰ، ويعطي أهل الجنّة ما لا يحصىٰ.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٣، ح ٣٠٤.

٢ ـ أي الذين اتقوا فوق الذين كفروا، لأنّهم في علّيّين وفي الكرامة والذين كفروا هم في سجين وفي الندامة.

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: العيّاشي: عن الصادق عليه السلام قال: كان هذا قبل بعث نوح عليه السلام كانوا اُمّة واحدة فبدا للّه فأرسل الرسل قبل نوح عليه السلام قيل: أعلى هدىً كانوا أم على ضلالة؟ قال: بل كانوا ضلّالاً لا مؤمنين ولا كافرين ولا مشركين(١).

وفي رواية اُخرى له عنه عليه السلام قال: وذلك أنّه لمّا انقرض آدم وصالح ذرّيته، بقي شيث وصيّه لا يقدر على إظهار دين اللّه الذي كان عليه آدم وصالح ذرّيته، وذلك أنّ قابيل توعّده بالقتل كما قتل أخاه هابيل فسار فيهم بالتقيّة والكتمان فازدادوا كلّ يوم ضلالاً حتّىٰ لحق الوصيّ بجزيرة في البحر يعبد اللّه فبدا للّه تبارك وتعالى أن يبعث الرسل، ولو سئل هؤلاء الجهّال لقالوا قد فرغ من الأمر وكذبوا إنّما هي شيء يحكم به اللّه في كلّ عام، ثمّ قرأ: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ»(٢) فيحكم اللّه تبارك وتعالى ما يكون في تلك السنة من شدّة أو رخاء أو مطر أو غير ذلك، قيل: أفضلّالاً كانوا قبل النبيّين أم على هدىً ؟ قال: لم يكونوا على هدىً، كانوا على فطرة اللّه التي فطرهم عليها لا تبديل لخلق الله، ولم يكونوا ليهتدوا حتى يهديهم اللّه، أما

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٤، ح ٣٠٦.
٢ ـ الدخان: ٤.

تسمع يقول ابراهيم: «لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لأكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ»[١] أي ناسياً للميثاق[٢].

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: كان قبل نوح أُمّة ضلال فبدا للّه فبعث المرسلين وليس كما يقولون: لم يزل وكذبوا يفرق في ليلة القدر ما كان من شدّة أو رخاء أو مطر بقدر ما يشاء أن يقدّر إلى مثلها[٣].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: كانوا قبل نوح أُمّة واحدة على فطرة اللّه لا مهتدين ولا ضلّالاً فبعث اللّه النبيّين[٤].

أقول: أريد بالضّلال المنفيّ في هذا الحديث: التديّن بالشرك والكفر، وبالمثبت في الحديث السابق: الخلّو عن الدين فلا منافاة بينهما.

والقمّي: كان الناس أمّة واحدة قبل نوح عليه السلام، على مذهب واحد فاختلفوا فبعث اللّه النبيّين[٥].

قيل: وانّما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه عليه[٦].

أقول: لا دلالة فيه على وقوع الإختلاف قبل البعث، بل الظاهر أنّ المراد بالإختلاف في الآية: اختلافهم في الدين بعد البعث، على أنّ ظاهر الأخبار السابقة يدلّ على انّه لم يكن قبل البعث اختلاف.

وقيل: بل اختلفوا بعد البعث على الرسل[٧].

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾: ليتّخذ عليهم الحجّة كذا في الكافي

---

١ ـ الانعام: ٧٧
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٤ ـ ١٠٥، ح ٣٠٩.
٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ٨٢، ح ٤٠.
٤ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٠٧.
٥ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٧١.
٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٣.
٧ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٣.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾

عن الصادق عليه السلام[1].

﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: جعلوا نزول الكتاب الذي أُنزل لإزالة الخلاف سبباً في شدّة الإختلاف.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً﴾: حسداً وظلماً.

﴿بَيْنَهُمْ﴾: لحرصهم على الدنيا.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾: من بيان لما.

﴿بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾: قيل: أَحَسِبتم: استبعاد للحسبان، وتشجيع للنبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنين على الصبر والثبات مع الذين اختلفوا عليه وعداوتهم له[2].

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾: متوقّع اتيانه منتظر.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: حالهم الّتي هي مثل في الشدّة.

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٧٩، ح ٥٧٣.

٢ ـ راجع الكشاف: ج ١، ص ٢٥٦. وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٣.

﴿مَسَّتْهُمُ﴾: بيان للمثل.

﴿ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾: القتل والخروج عن الأهل والمال.

﴿وَزُلْزِلُوا﴾: وأُزعجوا إزعاجاً شديداً بما أصابهم من الشدائد. وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام انّه كان يقرأ وزلزلوا ثمّ زلزلوا[١].

﴿حَتَّىٰ يَقُولَ﴾: وقرئ بالرفع.

﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾: لتناهي الشدّة، واستطالة المدّة، بحيث تقطّعت حبال الصبر.

﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾: استبطاءاً له لتأخّره.

﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾: فقيل: ذلك لهم، إسعافاً لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر[٢].

قيل: فيه إشارة إلى أنّ الوصول إلى اللّه تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوىٰ واللذّات ومكابدة[٣] الشدائد والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام: حفّت الجنّة بالمكاره، وحفّت النار بالشهوات [٤][٥].

وفي الخرائج: عن السجّاد عليه السلام قال فما تمدّون أعينكم ألستم آمنين؟ لقد كان من قبلكم ممّن هو على ما أنتم عليه يؤخذ فيقطع يده ورجله ويصلب، ثم تلا هذه الآية[٦].

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٩٠، ح ٤٣٩.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٣.

٣ ـ الكبد: الشدّة، وكابدت الأمر: إذا قاسيت شدّته الصحاح: ج ٢، ص ٥٣٠. مادة «كبد».

٤ ـ الجامع الصغير: ج ١، ص ٥٧٦، ح ٣٧٣٢، وروضة الواعظين: ص ٣٢٦، ورياض السالكين: ج ٢، ص ٣٥١.

٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٤.

٦ ـ الخرائج والجرائح: ج ٣، ص ١١٥٥ ـ ١١٥٦، ذيل ح ٦١، في العلامات الكائنة قبل خروج المهدي ومعه عليه السلام، وبحار الأنوار: ج ٦٧، ص ١٩٧. نقلاً عنه.

يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾: أي شيء ينفق؟.

﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ﴾: من مال.

﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: سئل عن المنفق؟ فأُجيب ببيان المصرف لأنّه أهمّ، إذ النفقة لا تعتدّ بها إلا إذا وقعت موقعها.

قيل: وكان السؤال متضمّناً للمصرف أيضاً وإن لم يكن مذكوراً في الآية على ما روي أنّ عمرو بن الجموح الأنصاري كان همّاً[1] ذا مال عظيم فقال: يا رسول اللّه ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها؟ فنزلت[2].

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: إن تفعلوا خيراً فاللّه يعلم كنهه ويوفّي ثوابه.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾: شاقّ عليكم مكروه طبعاً.

﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً﴾: في الحال.

﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: في العاقبة، وهكذا أكثر ما كلّفوا به، فانّ الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم، وسبب فلاحهم.

---

١ ـ الهمُّ ـ بالكسر والتشديد ـ: الشيخ الكبير، والمرأة هِمّة: مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٨٩، مادة «هم».

٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٠٩، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٤.

يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ ٱللهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾

﴿وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً﴾: في الحال.

﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾: في العاقبة، وهكذا أكثر ما نهوا عنه، فإنّ النفس تحبّه وتهواه وهو يفضي بها إلى الردى، وانّما ذكر «عسى» لأنّ النفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: ما هو خير لكم.

﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾: ذلك.

﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾: قيل: بعث النبي صلّى الله عليه وآله عبدالله بن جحش ابن عمّته على سريّة في جمادي الآخر قبل قتال بدر بشهرين، ليترصّد عيراً لقريش فيهم عمرو بن عبدالله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف، وكان ذلك في غرّة رجب، وهم يظنّونه من جمادي الآخر، فقالت قريش: قد استحلّ محمّد صلّى الله عليه وآله الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف، ويذعر فيه الناس إلى معايشهم، وشقّ على أصحاب السريّة، وقالوا: ما نبرح حتّى تنزل توبتنا، وردّ رسول الله صلّى الله عليه وآله مال العير والأُسارى فنزلت[1].

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣١٢.

والقمّي: ما يقرب منه مع زيادات، وفي آخره فكتب[١] قـريش إلى النـبي ﷺ: إنّك استحللت الشهر الحرام، وسفكت فيه الدم، وأخذت المال، وكثر القول في هذا، قال الصحابة: يا رسول الله أيحلّ القتل في الشهر الحرام[٢] فنزلت.

﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: عظيم تمّ الكلام هاهنا، ثمّ ابتدأ وقال:

﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: يعني ولكن ما فعلوه مـن صـدّهم عـن سـبيل الله، أي الإسلام.

﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾: وكفرهم بالله.

﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: وبالمسجد الحرام بتقدير الباء، وصدّهم عن المسجد الحـرام على أن يكون الكفر بالله عين الصدّ عن سبيل الله فلا يكون أجنبيّاً بين المعطوفين، أو يكون تقديمه مع أنّ حقّه التأخير، لفرط العناية به كما في قوله تعالى: «وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ»[٣].

﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ﴾: وإخراج أهل المسجد، وهم رسول الله ﷺ والمؤمنون.

﴿مِنْهُ أَكْبَرُ﴾: أعظم وزراً.

﴿عِنْدَ ٱللَّهِ﴾: من القتل الذي وقع في الشهر الحرام.

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾: وما ارتكبوه من الإخراج والشرك أقطع ممّا وقع من القتل.

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾: لكي يردّوكم عنه، إخبار عن دوام عداوة الكفّار لهم، وإنّهم لا ينفكّون عنها حتّى يردّوهم عن دينهم هذا.

﴿إِنِ ٱسْتَطَـٰعُواْ﴾: إستبعاد لإستطاعتهم وإيذان بأنّهم لا يردّونهم.

﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾: يرجع عنه.

﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾: أي على الردّة.

﴿فَأُولَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا﴾: لما يفوتهم من ثمرات الإسلام.

---

١ ـ هكذا في الأصل، والصحيح: «فكتبت» كما في المصدر.

٢ ـ تفسير القمي: ج ١، ص ٧١ ـ ٧٢.

٣ ـ الإخلاص: ٤.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

﴿وَٱلْأَخِرَةِ﴾: لما يفوتهم من الثواب.

﴿وَأُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾: كسائر الكفّار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَـٰاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾: قيل: نزلت في قصّة ابن جحش وأصحابه، وقتلهم الحضرمي في رجب حين ظنّ قوم أنّهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر[1].

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾: لما فعلوه خطأً وقلّة احتياط.

﴿رَّحِيمٌ﴾: بإجزال الأجر والثواب.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾: أي عن تعاطيهما.

﴿قُلْ فِيهِمَآ﴾: في تعاطيهما.

﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾: لأنّهما مفتاح كلّ شرّ، وقرئ بالثاء المثلّثة.

﴿وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾: من الطرب وكسب المال وغيرهما.

﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾: أي المفاسد التي تنشأ منها أعظم من المنافع المتوقّعة منها.

---

١ ـ تفسير جوامع الجامع: ج ١، ص ١١٩؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٤.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إنّه قال: إنّ الخمر رأس كلّ إثمٍ[١] ومفتاح كلّ شر[٢].

وقال عليه السلام: إنّ الله جعل للشرّ أقفالاً فجعل مفاتيحها الشراب[٣].

وقال عليه السلام: ما عصي الله بشيء أشدّ من شرب المسكر، إنّ أحدهم ليدع الصلاة الفريضة، ويثب على اُمّه، واُخته وبنته، وهو لا يعقل[٤].

وقال عليه السلام: إنّه أشرّ من ترك الصلاة، لأنّه يصير في حال لا يعرف معها ربّه[٥].

وقال عليه السلام: يغفر الله في شهر رمضان إلّا لثلاثة صاحب مسكر، أو صاحب شاهين، أو مشاحن[٦].

وقال عليه السلام: كلّ ما قومر عليه فهو ميسر[٧].

وفُسّر المشاحن: بصاحب البدعة المفارق للجماعة[٨].

وعن الصادق عليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً قطّ إلّا وفي علم الله تعالى أنّه إذا أكمل له دينه كان فيه تحريم الخمر، ولم يزل الخمر حراماً وإنّما ينقلون من خصلة إلى خصلة، ولو حمل ذلك عليهم جملة لقطع بهم دون الدين[٩].

قال عليه السلام: ليس أحد أرفق من الله تعالى، فمن رفقه تبارك وتعالى أنّه ينقلهم من خصلة إلى خصلة، ولو حمل عليهم جملة هلكوا[١٠].

وعنهم عليهم السلام: إنّ أوّل ما نزل في تحريم الخمر قوله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ

---

١ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٠٢، ح ٢ و٣، باب أنّ الخمر رأس كلّ إثم.
٢ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٠٣، ح ٩، باب أنّ الخمر رأس كلّ إثم.
٣ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٠٣، ح ٥، باب أنّ الخمر رأس كلّ إثم.
٤ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٠٣، ح ٧، باب أنّ الخمر رأس كلّ إثم. وفيه: «شرب الخمر».
٥ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٠٢، ح ١، باب أنّ الخمر رأس كلّ إثم.
٦ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٣٦ـ ٤٣٧، ح ١٠، باب النرد والشطرنج.
٧ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٣٥، ح ١، باب أنّ الخمر رأس كلّ إثم.
٨ ـ المفسر هنا: هو الأوزاعي كما جاء في النهاية لابن الأثير: ج ٢، ص ٤٤٩.
٩ ـ الكافي: ج ٦، ص ٣٩٥، ح ٣، باب أنّ الخمر لم تزل محرّمة.
١٠ ـ الكافي: ج ٦، ص ٣٩٥، ح ٣، باب أنّ الخمر لم تزل محرّمة، وفيه: «عن أبي جعفر عليه السلام».

«قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا» فلما نزلت هذه الآية أحسّ القوم بتحريمها وعلموا إنّ الاثم ممّا ينبغي إجتنابه، ولا يحمل الله تعالى عليهم من كلّ طريق لأنّه قال: «وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ»، ثمّ أنزل الله تعالى آية أُخرى «إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنْصَابُ وَٱلْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»[١]، فكانت هذه الآية أشدّ من الأُولى وأغلظ في التحريم، ثمّ ثلّث بآية أُخرى فكانت أغلظ من الآية الأُولى والثانية وأشدّ، فقال: «إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُم ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ»[٢]، فأمر تعالى باجتنابها وفسّر عللها التي لها ومن أجلها حرّمها، ثمّ بيّن الله تعالى تحريمها وكشفه في الآية الرابعة مع ما دلّ عليه في هذه الآي المذكورة المتقدّمة بقوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ»[٣]، وقال عزّ وجلّ في الآية الأُولى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ»، ثمّ قال في الآية الرابعة: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ» فخبر عزّ وجلّ إنّ الإثم في الخمر وغيرها وإنّه حرام، وذلك أنّ الله تعالى إذا أراد أن يفترض فريضة أنزلها شيئاً بعد شيء حتّى يوطّن الناس أنفسهم عليها ويسكنوا إلى أمر الله تعالى ونهيه فيها، وكان ذلك من فعل[٤] الله تعالى على وجه التدبير فيهم أصوب وأقرب لهم إلى الأخذ بها وأقل لنفارهم منها[٥].

وعن علي بن يقطين، قال: سأل المهدي أبا الحسن عليه السلام عن الخمر هل هي محرّمة في كتاب الله تعالى؟ فإنّ الناس إنّما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها، فقال له أبو الحسن عليه السلام: بل هي محرّمة في كتاب الله ياأمير المؤمنين، فقال له: في أي موضع هي محرّمة في كتاب الله عزّ وجلّ يا أبا الحسن؟ فقال عليه السلام: قول الله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ»[٦] إلى أن قال: وأمّا الإثم: فإنّها الخمر بعينها،

١ـ المائدة: ٩٠. ٢ـ المائدة: ٩١.
٣ـ الأعراف: ٣٣. ٤ـ وفي نسخة: [من أمر الله].
٥ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٠٦ـ ٤٠٧، ح ٢، باب تحريم الخمر في الكتاب.
٦ـ الأعراف: ٣٣.

وقد قال الله تعالى في موضع آخر: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ» فأمّا الإثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر، وإثمهما أكبر، كما قال الله تعالى، فقال المهدي: يا علي بن يقطين، فهذه فتوىً هاشميّة، قال: قلت له: صدقت والله يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت، قال: فوالله ما صبر المهدي أن قال لي: صدقت يا رافضي[1].

ويأتي ما طويناه من هذا الحديث في سورة الأعراف[2] إن شاء الله تعالى.

﴿وَيَسْئَلُونَكَ مَاذا يُنْفِقُونَ﴾: قيل: سائله أيضاً ابن الجمُوح سأل أوّلاً عن المنفق والمصرف، ثمّ سأل عن كيفيّة الإنفاق وقدره[3].

﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾: وقرئ بالرفع، والعفو: نقيض الجهد، وهو أن ينفق ما تيسّر له بذله ولا يبلغ منه الجهد واستفراغ الوسع، قال:

خذي العفو مني تستديمي مودتي[4].

وروي عن النبي ﷺ: يأتي أحدكم بماله كلّه يتصدّق به، ويجلس يتكفّف الناس، إنّما الصدقة عن ظهر غنى[5].

وفي الكافي[6]، والعيّاشي[7]، والمجمع: عن الصادق عليه السلام: العفو: الوسط[8].

وفي المجمع: عنه عليه السلام[9]، والقمّي: قال: لا إقتار ولا إسراف[10].

---

١ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٠٦، ح ١، باب تحريم الخمر في الكتاب.

٢ ـ ذيل الآية: ٣٣.

٣ ـ قاله الطبرسي في جامع الجوامع: ج ١، ص ١٢٠، س ١٣؛ وهكذا انظر أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٦؛ والكشاف: ج ١، ص ٢٦٣.

٤ ـ لأسماء بن خارجة النزاري أحد حكماء العرب يخاطب زوجته حين بنى عليها. راجع الكشاف: ج ١، هامش ص ٢٦٢.

٥ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٦؛ والكشاف: ج ١، ص ٢٦٣.

٦ ـ الكافي: ج ٤، ص ٥٢، ح ٣، باب فضل القصد.

٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٦، ح ٣١٤.

٨ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣١٦.

٩ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣١٦.

١٠ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٧٢.

فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾

وفي التبيان[١]، والمجمع: عن الباقر عليه السلام: إنّ العفو ما يفضل عن قوت السنة[٢].

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: نسخ ذلك بآية الزكاة[٣].

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ما بيّن أنّ العفو أصلح من الجهد.

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾: في اُمور الدارين فتأخذون بالأصلح والأنفع.

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾: القمّي: عن الصادق عليه السلام: لمّا نزلت «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْماً»[٤] أخرج كلّ من كان عنده يتيم وسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله في إخراجهم فنزلت[٥].

وفي المجمع: عنه وعن أبيه عليهما السلام: لمّا نزلت «وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ أَمْوالَهُمْ»[٦] كرهوا مخالطة اليتامى فشقّ ذلك عليهم فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت[٧].

﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾: مداخلتهم لإصلاحهم خير من مجانبتهم.

﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾: تعاشروهم وتشاركوهم.

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾: فإنّهم إخوانكم في الدين، ومن حقّ الأخ أن يخالط الأخ.

١ـ تفسير التبيان: ج ٢، ص ٢١٤.
٢ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣١٦.
٣ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣١٦.
٤ـ النساء: ١٠.
٥ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٧٢.
٦ـ النساء: ٢.
٧ـ مجمع البيان: ج ٣ ـ ٤، ص ٤.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام[١]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام قال: تخرج من أموالهم قدر ما يكفيهم، وتخرج من مالك قدر ما يكفيك، ثمّ تنفقه، قلت: أرأيت إن كانوا يتامى صغاراً وكباراً، وبعضهم أعلى كسوةً من بعض، وبعضهم أكل من بعض، وماهم جميعاً؟ فقال: أمّا الكسوة: فعلى كلّ إنسان منهم ثمن كسوته، وأمّا الطعام: فاجعلوه جميعاً، فإنّ الصغير يوشك أن يأكل مثل الكبير[٢].

وفي رواية: ولا يرزأنّ[٣] من أموالهم شيئاً إنّما هي النار[٤].

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾: لا يخفى عليه من داخلهم لإصلاح أو إفساد فيجازيهم على حسب مداخلتهم.

وفي الكافي[٥]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: إنّه قيل له: إنّا ندخل على أخٍ لنا في بيت أيتام ومعهم خادم لهم فنقعد على بساطهم، ونشرب من مائهم، ويخدمنا خادمهم، وربّما طعمنا فيه الطعام من عند صاحبنا، وفيه من طعامهم فما ترى في ذلك؟ فقال: إن كان في دخولكم عليه منفعة لهم فلا بأس، وإن كان فيه ضرر فلا، وقال: «بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ»[٦] فأنتم لا يخفى عليكم، وقد قال الله تعالى: «وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ»[٧].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾: لحملكم على العنت، وهي المشقّة ولم يجوّز لكم مداخلتهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب قادر على ما يشاء.

﴿حَكِيمٌ﴾: يفعل ما يقتضيه الحكمة ويتّسع له الطاقة.

١ـ الكافي: ج ٥، ص ١٣٠، ح ٥، باب ما يحل لقيم مال اليتيم منه.

٢ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٧، ح ٣١٨.

٣ـ لا يرزأن: بتقديم الراء المهملة: أي لا ينقصن ولا يصيبن منها شيئاً. منه قدّس سرّه.

٤ـ الكافي: ج ٥، ص ١٢٩ ـ ١٣٠، ح ٢، باب ما يحل لقيم مال اليتيم منه.

٥ـ الكافي: ج ٥، ص ١٢٩، ح ٤، باب أكل مال اليتيم.

٦ـ القيامة: ١٤.

٧ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٧، ح ٣٢٠.

وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ﴾: لا تزوّجوا الكافرات.

﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ﴾: مملوكة.

﴿مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾: حرّة.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾: المشركة بجمالها أو مالها وتحبّونها.

﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: لا تزوّجوا منهم المؤمنات.

﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ﴾: مملوك.

﴿مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾: حرّ.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾: جماله أو ماله أو حاله.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى المشركين والمشركات.

﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾: إلى الكفر المؤدّي إلى النار فحقّهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾: إلى فعل ما يوجب الجنّة والمغفرة من الإيمان والطاعة.

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بأمره وتوفيقه.

﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾: أوامره ونواهيه.

﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: ويتعظون. القمّي: هي منسوخة بقوله تعالى في سورة

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

المائدة: «ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ» إلى قوله: «وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ»[١] قال: فنسخت هذه الآية قوله تعالى: «وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ» وترك قوله: «وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا» على حاله لم ينسخ[٢] لأنّه لا يحلّ للمسلم أن ينكح المشرك[٣] ويحل له أن يتزوّج المشركة من اليهود والنصارى.

وكذلك قاله النعماني في كتابه[٤] وكلاهما عدّا قوله تعالى: «وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ» في المنسوخ النصف من الآيات ويأتي تمام الكلام فيه في سورة المائدة إن شاء الله تعالى.

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾: هو مصدر حاضت[٥].

﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾: مستقذر يؤذي من يقربه نفرةً منه له.

﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ﴾: فاجتنبوا مجامعتهنّ في وقت الحيض[٦].

---

١ ـ المائدة: ٥. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٧٣.

٣ ـ هكذا في الأصل، والصحيح: «لا يحلّ للمسلم أن ينكح من المشرك».

٤ ـ بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٢٨، نقلاً عن تفسير النعماني.

٥ ـ إنّما ذكر يسألونك ثلاثاً بغير الواو، ثمّ ثلاثاً بها لأنّ السؤالات الأُول كانت في أوقات متفرّقة والثلاثة الأخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بلفظ الجمع، كذا قيل. منه ﷺ. والقائل: هو البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٧، ح ١٩.

٦ ـ عن النبي ﷺ: إنّما أُمرتم أن تعتزلوا مجامعتهنّ إذا حضن، ولم يأمركم بإخراجهنّ من البيوت كفعل الأعاجم. أقول: وهذا هو الإقتصاد بين إفراط اليهود إذ كانوا يخرجونهنّ من البيوت، وتفريط النصارى إذ كانوا يجامعونهنّ ولا يبالون بالحيض. منه ﷺ. راجع تفسير أبي السعود: ج ١، ص ٢٢٢.

﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾: بالجماع.

﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾: ينقطع الدم عنهنّ، ومن قرأ يطّهّرن فإنّما هو من يتطهّرن أي يغتسلن.

في الكافي: سئل عن الصادق عليه السلام: ما لصاحب المرأة الحائض منها؟ فقال: كلّ شيء ماعدا القبل بعينه[١].

وفي رواية: فليأتها حيث شاء ما اتّقى موضع الدم[٢].

والأخبار في هذا المعنى عنهم عليهم السلام كثيرة[٣].

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾: اغتسلنَ.

﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾: يعني فاطلبوا الولد من حيث أمركم الله. كذا عن الصادق عليه السلام[٤] كما يأتي.

وأُريد: بحيث أمركم الله المأتي الذي أمركم به وحلّله لكم ، وإنّما أُستفيد طلب الولد من لفظة «من».

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في المرأة ينقطع عنها دم الحيض في آخر أيّامها، قال: إذا أصاب زوجها شبق فليأمرها فلتغسل فرجها ثمّ يمسّها إن شاء قبل أن تغتسل[٥].

وفي رواية أُخرى: والغسل أحبّ إليّ[٦].

---

١ ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٣٨، ح ١، باب ما يحل للرجل من إمرأته وهي طامث.

٢ ـ تهذيب الأحكام: ج ١، ص١٥٤، ح ٤٣٦/ ٨، باب ٧ ـ حكم الحيض والإستحاضة والنفاس والطهارة من ذلك.

٣ ـ تهذيب الأحكام: ج ١، ص ١٥٤، ح ٤٣٨/ ١٠ و٤٣٩/ ١١ و٤٤٠/ ١٢، باب ٧ ـ حكم الحيض والإستحاضة والنفاس والطهارة من ذلك.

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٤١٤، ح ١٦٥٧ / ٢٩، باب ٣٦ ـ السنّة في عقود النكاح وزفاف النساء وآداب الخلوة والجماع.

٥ ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٣٩، ح ١، باب مجامعة الحائض قبل أن تغتسل.

٦ ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٣٩، ح ٢، باب مجامعة الحائض قبل أن تغتسل.

وسئل عنه عليه السلام: إذا تيمّمت من الحيض هل تحلّ لزوجها؟ فقال: نعم[١].

يعني بعدما طهرت.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾: من الذنوب.

﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾: بالماء والمتنزهين عن الأقذار.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إنّ الله يحبّ العبد المفتّن التوّاب، ومن لا يكون ذلك منه كان أفضل[٢].

وعنه عليه السلام: كان الناس يستنجون بالكرسف والأحجار ثمّ أحدث الوضوء، وهو خلق كريم فأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وصنعه فأنزل الله في كتابه: «إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ»[٣].

أقول: أراد بالوضوء: الإستنجاء بالماء.

وفي العلل[٤]، والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: كان الناس يستنجون بثلاثة أحجار لأنّهم كانوا يأكلون البُسر فكانوا يبعرون بعراً فأكل رجل من الأنصار الدباء فلان بطنه واستنجى بالماء، فبعث إليه النبي صلى الله عليه وآله[٥]، قال: فجاء الرجل وهو خائف أن يكون قد نزل فيه أمر يسوؤه في استنجائه بالماء، فقال له: هل عملت في يومك هذا شيئاً؟ فقال: يا رسول الله إنّي والله ما حملني على الإستنجاء بالماء إلّا إنّي أكلت طعاماً فلان بطني فلم تغن عني الحجارة شيئاً فاستنجيت بالماء، فقال رسول الله: هنيئاً لك فإنّ الله عزّ وجلّ قد أنزل فيك آية فابشر: «إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ» فكنت أنت أوّل من صنع هذا، أوّل التوّابين، وأوّل المتطهّرين[٦].

وفي رواية: كان الرجل: البراء بن معرور الأنصاري، وأوردهما في الفقيه مرسلاً[٧].

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٤٠٥، ح ١٢٦٨ / ٦، ب ٢٠ ـ التيمّم وأحكامه.

٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٣٥، ح ٩، باب التوبة. ٣ ـ الكافي: ج ٣، ص ١٨، ح ١٣، باب القول عند دخول الخلاء.

٤ ـ علل الشرائع: ص ٢٨٦، ح ١، باب ٢٠٥، العلّة التي من أجلها كان الناس يستنجون بثلاثة أحجار.

٥ ـ وفي نسخة: [فبعث النبي صلى الله عليه وآله إليه]. ٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٠٩ ـ ١١٠، ح ٣٢٨.

٧ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٠ ـ ٢١، ح ٥٩/ ٢٤، باب ٢ ـ ارتياد المكان للحدث والسنة في دخوله.

نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾: مواضع حرث لكم شبّههنّ بها تشبيهاً لما يلق في أرحامهنّ من النطف بالبذور.

﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾: قيل: أي من أي جهة شئتم[1].

والعيّاشي[2]، والقمّي: عن الصادق عليه السلام: أي متى شئتم في الفرج[3].

وفي رواية اُخرى: في أي ساعة شئتم[4].

وفي اُخرى: من قدّامها ومن خلفها في القبل[5].

وفي التهذيب: عن الرضا عليه السلام: إنّ اليهود كانت تقول إذا أتى الرجل المرأة من خلفها خرج ولده أحول، فأنزل الله عزّ وجلّ: «نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ» من خلف أو قدّام، خلافاً لقول اليهود، ولم يعن في أدبارهنّ[6].

وعن الصادق عليه السلام: عن الرجل يأتي المرأة في دبرها، قال: لا بأس إذا رضيت، قيل: فأين قول الله عزّ وجلّ: «فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ»؟ قال: هذا في طلب الولد، فاطلبوا الولد من حيث أمركم الله، إنّ الله تعالى يقول: «نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٨.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١١١، ح ٣٣٤. وفيه: «من قبل».

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٧٣.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١١١، ح ٣٣٥.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١١١، ح ٣٣٢.

٦ ـ تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٤١٥، ح ١٦٦٠ / ٣٢، باب ٣٦ ـ السنّة في عقود النكاح وزفاف النساء وآداب الخلوة والجماع.

حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ»[١].

أقول: لا منافاة بين الروايتين، لأنّ المراد بالأُولى نفي دلالة هذه الآية على حلّ الأدبار، والمراد بالثانية نفي دلالة قوله تعالى: «مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ» على حرمتها، وأمّا تلاوته عليه السلام هذه الآية عقيب ذلك فاستشهاد منه عليه السلام بها على أنّ الله سبحانه إنّما أراد طلب الولد إذ سمّاهنّ الحرث، ويجوز أن يكون قوله تعالى: «مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ» إشارة إلى الأمر بالمباشرة وطلب الولد في قوله سبحانه وتعالى: «فَالْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُم»[٢].

وفي الرواية الثانية: إشارة إلى أنّ المتوقّف حلّه على التطهّر هو موضع الحرث خاصّة دون سائر المواضع.

وفي الكافي: سئل الصادق عليه السلام عن إتيان النساء في أعجازهن؟ فقال: هي لعبتك لا تؤذها[٣].

وفي رواية: والمرأة لعبة لا تؤذى، وهي حرث كما قال الله [٤].

وفي أُخرى: لا بأس به، وما أُحبّ أن تفعله [٥].

﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾: قيل: أي ما يدّخر لكم من الأعمال الصالحة، وقيل: هو طلب الولد، وقيل: التسمية على الوطيء[٦].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: ولا تجترؤوا على المناهي.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ﴾: فتزوّدوا ما لا تفتضحون به.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: لعلّ المراد وبشّر من صدّقك، وامتثل أمرك بالملاقاة والكرامة والنعيم الدائم عندها.

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٤١٤، ح ١٦٥٧ / ٢٩، باب ٣٦ ـ السنّة في عقود النكاح وزفاف النساء.

٢ ـ البقرة: ١٨٧.

٣ ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٤٠، ح ١، باب محاش النساء.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١١١، ح ٣٣٦.

٥ ـ تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٤١٦، ح ١٦٦٦ / ٣٨، باب ٣٦ ـ السنّة في عقود النكاح وزفاف النساء وآداب الخلوة والجماع.

٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٨، س ١٠. وفيه: «عند الوطيء» وهو الأصح.

وَلَا تَجْعَلُوا ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

﴿وَلَا تَجْعَلُوا ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ﴾: العرضة: تطلق لما يعترض دون الشيء فيحجز عنه، وللمعرض للأمر، والمعنى على الأوّل: لا تجعلوا الله حاجزاً لما حلفتم عليه من أنواع الخير، فيكون المراد بالايمان: الأُمور المحلوف عليها، وعليه ورد قول الصادق عليه السلام في تفسيرها إذا دعيت لصلح بين اثنين فلا تقل عليّ يمين أن لا أفعل[١].

وعلى الثاني: لا تجعلوا الله معرضاً لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف، وعليه ورد قوله عليه السلام: لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فإنّ الله يقول: «وَلَا تَجْعَلُوا ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ»[٢].

وفي رواية: من حلف بالله كاذباً كفر، ومن حلف بالله صادقاً أثم، إنّ الله تعالى يقول: وتلا هذه[٣]، والثلاثة مرويّة في الكافي، وذكر العيّاشي الأوّلين في رواية واحدة[٤].

وعنه عليه السلام: يعني الرجل يحلف أن لا يتكلّم أخاه ولا يكلّم أُمّه وما يشبه ذلك[٥].

﴿أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: بيان للأيمان أي الأُمور المحلوف عليها على المعنى الأوّل، وعلّة للنّهي على المعنى الثاني، أي أنهاكم عن إرادة برّكم وتقواكم وإصلاحكم بين الناس، فإنّ الحلّاف مجترئ على الله، والمجترئ على الله تعالى لا يكون برّاً متّقياً، ولا موثوقاً به في إصلاح ذات البين ولذلك ذمّ الله تعالى الحلّاف، فقال: «وَلَا تُطِعْ كُلَّ

---

١ ـ الكافي: ج ٢، ص ٢١٠، ح ٦، باب الإصلاح بين الناس.
٢ ـ الكافي: ج ٧، ص ٤٣٤، ح ١، باب كراهيّة اليمين.
٣ ـ الكافي: ج ٧، ص ٤٣٥، ح ٤، باب كراهيّة اليمين.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١١٢، ح ٣٤٠.
٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١١٢، ح ٣٣٩.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾

حَلّافٍ مَهِين»[1][2].

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأيمانكم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بنيّاتكم.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ﴾: بالعقوبة والكفّارة.

﴿بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾: الساقط الذي لا عقد معه، بل يجري على عادة اللسان كقول العرب: لا والله وبلى والله لمجرّد التأكيد، كذا في المجمع عنهما عليهما السلام[3].

﴿وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: بما واطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وعزمتموه كقوله سبحانه: «بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَانَ»[4] فإنّ كسب القلوب هو العقد والنيّة والقصد.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾: حيث لا يؤاخذكم بلغو الأيمان.

﴿حَلِيمٌ﴾: حيث لا يعجل بالمؤاخذة على يمين الجدّ تربّصاً للتوبة.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾: يحلفون على أن لا يجامعوهنّ مضارّة لهنّ.

والإيلاء: الحلف، وتعديته بعلى ولكن لمّا ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بـ«من».

﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: انتظارها والتوقّف فيها فلا يطالبوا بشيء.

﴿فَإِن فَآءُو﴾: أي رجعوا إليهنّ بالحنث وكفّارة اليمين، وجامعوا مع القدرة

---

١ ـ القلم: ١٠.
٢ ـ اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٨.
٣ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٢٣.
٤ ـ المائدة: ٨٩.

وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

ووعدوها مع العجز.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لا يتبعهم بعقوبة.

﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: بطلاقهم[١].

﴿عَلِيمٌ﴾: بضمائرهم. القمّي: عن الصادق عليه السلام: الايلاء: أن يحلف الرجل على إمرأته أن لا يجامعها فإن صبرت عليه فلها أن تصبر وإن رفعته إلى الإمام أنظره أربعة أشهر، ثمّ يقول له بعد ذلك: إمّا أن ترجع إلى المناكحة، وإمّا أن تطلّق، فإن أبى حبسه أبداً[٢].

وفي الكافي: عنه، وعن أبيه عليهما السلام أنّهما قالا: إذا آلى الرجل أن لا يقرب إمرأته فليس لها قول ولا حقّ في الأربعة أشهر، ولا إثم عليه في كفّه عنها في الأربعة أشهر، فإن مضت الأربعة أشهر قبل أن يمسّها فسكتت ورضيت، فهو في حلّ وسعة، فإن رفعت أمرها، قيل له: إمّا أن تفيء فتمسّها، وإمّا أن تطلّق، وعزم الطلاق: أن يخلّي عنها فإذا حاضت وطهرت طلّقها وهو أحق برجعتها ما لم تمض ثلاثة قروء، فهذا الإيلاء أنزله الله تبارك وتعالى في كتابه وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].

---

١ ـ وفي نسخة: [لطلاقهم].

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٧٣.

٣ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٣١، ح ٤، باب الإيلاء.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ﴾: يعني المدخول بهنّ من ذوات الأقراء، لما دلّت الآيات والأخبار أنّ حكم غيرهنّ خلاف ذلك.

﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: ينتظرن خبر في معنى الأمر للتأكيد والإشعار بأنّه ممّا يجب أن يمتثلن فكأنّهنّ امتثلن فيخبر عنه.

﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾: تهييج وبعث لهنّ على التربّص، فإنّ نفوس النساء طوامح إلى الرجال فأُمرن بأن يقمعنها ويحملنها على التربّص.

﴿ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾: فلا يتزوّجن فيها. في الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: الإقراء هي الأطهار[1].

وعن زرارة: قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنّي سمعت ربيعة الرأي يقول: إذا رأت الدم من الحيضة الثالثة بانت منه، وإنّما القرء ما بين الحيضتين، وزعم أنّه إنّما أخذ ذلك برأيه، فقال أبو جعفر عليه السلام: كذب لعمري ما قال ذلك برأيه، ولكنّه أخذ عن علي عليه السلام، قال: قلت له: وما قال فيها علي عليه السلام؟ قال: كان يقول: إذا رأت الدم من الحيضة الثالثة فقد انقضت عدّتها ولا سبيل له عليها، وإنّما القرء ما بين الحيضتين، وليس لها أن تتزوّج حتّى تغتسل من الحيضة الثالثة[2].

وفي رواية أُخرى قال: سمعت ربيعة الرأي يقول: من رأيي أنّ الأقراء التي سمّى الله عزّ وجلّ في القرآن إنّما هو الطهر فيما بين الحيضتين، فقال عليه السلام: كذب لم يقله برأيه ولكنّه إنّما بلغه عن علي عليه السلام، فقلت له: أصلحك الله أكان علي عليه السلام يقول ذلك؟ قال: نعم إنّما القرء الطهر، يقرئ فيه الدم فتجمعه فإذا جاء المحيض دفعه[3].

وعن الصادق عليه السلام: عدّة المرأة التي لا تحيض، والمستحاضة التي لا تطهر ثلاثة أشهر، وعدّة التي تحيض ويستقيم حيضها ثلاثة قروء[4].

---

١ ـ الكافي: ج ٦، ص ٨٩، ح ٤، باب معنى الأقراء.
٢ ـ الكافي: ج ٦، ص ٨٨، ح ٩، باب الوقت الذي تبين منه المطلّقة.
٣ ـ الكافي: ج ٦، ص ٨٩، ح ١، باب معنى الأقراء.
٤ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٠٠، ح ٨، باب عدّة المسترابة.

والقرء جمع الدم بين الحيضتين.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾: من الولد، ودم الحيض استعجالاً للعدّة، وإبطالاً لحقّ الرجعة. في المجمع: عن الصادق عليه السلام: الحبل والحيض[١].

والقمّي: لا يحلّ للمرأة أن تكتم حملها أو حيضها، أو طهرها، وقد فوّض الله إلى النساء ثلاثة أشياء: الطهر، والحيض، والحبل[٢].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: يعني لا يحل لها أن تكتم الحمل إذا طلّقت وهي حبلى والزوج لا يعلم بالحمل وهو أحقّ بها في ذلك الحمل ما لم تضع[٣].

﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾: يعني ذلك ينافي الإيمان، عظّم فعلهنّ ذلك.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: أزواجهنّ.

﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: إلى النكاح، والرجعة إليهنّ.

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: في زمان التربّص.

﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ﴾: بالرجعة.

﴿إِصْلَاحاً﴾: لما بينهنّ ولم يريدوا مضارتهنّ.

﴿وَلَهُنَّ﴾: حقوق عليهم.

﴿مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾: لهم في الوجوب، والإستحقاق لا في الجنس.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الذي لا ينكر في الشرع، ولا في عادات الناس فلا يكلّفنهم ما ليس لهنّ ولا يكلّفونهنّ ما ليس لهم.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: زيادة في الحقّ، وفضيلة بقيامهنّ عليهنّ.

في الفقيه: سئل الصادق عليه السلام عن حقّ المرأة على زوجها؟ قال: يشبع بطنها، ويكسو جثّتها، وإن جهلت غفر لها[٤].

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٢٦.   ٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٧٤.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١١٥، ح ٣٥٦.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٧٩، ح ١٣٢٧ / ٢، باب ١٣١ ـ حق المرأة على الزوج.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾

وفيه[١]، وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام: قال: جاءت إمرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله ما حقّ الزوج على المرأة؟ فقال لها: أن تطيعه، ولا تعصيه، ولا تتصدّق من بيته بشيء إلّا بإذنه، ولا تصوم تطوّعاً إلّا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلّا بإذنه، فإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض، وملائكة الغضب، وملائكة الرحمة، حتّى ترجع إلى بيتها، فقالت: يا رسول الله من أعظم الناس حقّاً على الرجل؟ قال: والداه، قالت: فمن أعظم الناس حقّاً على المرأة؟ قال: زوجها، قالت: فمالي من الحقّ عليه مثل ما له عليّ؟ قال: لا، ولا من كلّ مائة واحدة، فقالت: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لا يملك رقبتي رجل أبداً[٢].

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: يقدر على الإنتقام ممّن خالف الأحكام.

﴿حَكِيمٌ﴾: يشرعها لحكم ومصالح.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾: أي التطليق الرجعي إثنتان، فإنّ الثالثة بائن.

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله إنّه سئل أين الثالثة؟ فقال: أو تسريح بإحسان[٣].

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٧٧، ح ١٣١٤ / ١، باب ١٣٠ ـ حق الزوج على المرأة.

٢ ـ الكافي: ج ٥، ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧، ح ١، باب حق الزوج على المرأة.

٣ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٢٦.

﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾: أي بالمراجعة، وحسن المعاشرة.

﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَـٰنٍ﴾: بأن يطلّقها التطليقة الثالثة بعد الرجعة كما في الخبر النبوي المذكور، أو بأن لا يراجعها حتّى تبين منه وتخرج عن العدّة، فالإمساك: هو الأخذ، والتسريح: هو الطلاق.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُواْ مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾: من المهر.

﴿شَيْئاً إِلَّآ أَنْ يَخَافَآ﴾: التفات من الخطاب إلى الغيبة، ثمّ منها إليه، إذ الخطاب راجع إلى الحكّام لأنّ الأخذ والإعطاء إنّما يقعان بأمرهم، وقرئ بضمّ الياء.

﴿أَلَّا يُقِيمَـا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾: فيما يلزمهما الله من وظائف الزوجيّة.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَـا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَـا ٱفْتَدَتْ بِهِ﴾: لا جناح على الرجل في أخذ ما افتدت به نفسها، واختلعت ولا على المرأة في إعطائه.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾: إشارة إلى ما حدّ من الأحكام.

﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾: بالمخالفة.

﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد. العيّاشي: عن الصادق عليه السلام في المختلعة فقال: لا يحل خلعها حتّى تقول: والله لا أبرّ لك قسماً، ولا أطيع لك أمراً، ولأوطئنّ فِراشك، ولأدخلنّ عليك بغير إذنك، فإذا هي قالت ذلك حلّ خلعها، وحلّ له ما أخذ منها من مهرها وما زاد، وهو قول الله تعالى: «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَـا ٱفْتَدَتْ بِهِ» وإذا فعل ذلك فقد بانت منه بتطليقة، وهي أملك بنفسها إن شاءت نكحته، وإن شاءت فلا، فإن نكحته فهي عنده على اثنتين[1].

وفي الكافي أخبار تقرب منه[2].

وعن الباقر عليه السلام: إذا قالت المرأة لزوجه جملة «لا أطيع لك أمراً» مفسّراً أو غير مفسّر، حلّ له ما أخذ منها، وليس له عليها رجعة[3].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١١٧، ح ٣٦٧.
٢ ـ راجع الكافي: ج ٦، ص ١٣٩ ـ ١٤١، باب الخلع.
٣ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٤١، ح ٦ و٨، باب الخلع.

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَآ إِنْ ظَنَّآ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾: بعد الثنتين ثالثة. في المجمع: عن الباقر عليه السلام يعني التطليقة الثالثة[١].

﴿فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾: تزويجها.

﴿حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾: الزوج الثاني.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَآ﴾: يرجع كلّ واحد منهما إلى الآخر بالزواج.

﴿إِنْ ظَنَّآ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾: إن كان في ظنّهما أنّهما يقيمان ما حدّه الله وشرّعه من حقوق الزوجيّة.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾: أي الأحكام المذكورة.

﴿يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يفهمون ويعملون بمقتضى العلم.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن رجل طلّق إمرأته طلاقاً لا تحلّ له حتّى تنكح زوجاً غيره، وتزوّجها رجل متعة أيحلّ له أن ينكحها؟ قال: لا حتّى تدخل في مثل ما خرجت منه[٢].

وزاد العيّاشي: قال الله تعالى: «فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَآ إِنْ ظَنَّآ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ»، والمتعة ليس فيها طلاق[٣].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في الرجل يطلّق إمرأته الطلاق الذي لا تحلّ له حتّى

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٢٦.

٢ ـ الكافي: ج ٥، ص ٤٢٥، ح ٢، باب تحليل المطلقة لزوجها وما يهدم به الطلاق الأوّل.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١١٨، ح ٣٧١.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُواْ ءَايَٰتِ ٱللهِ هُزُواً وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَٱتَّقُوا اللهَ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾

تنكح زوجاً غيره، ثمّ تزوّجها رجل آخر ولم يدخل بها، قال: لا حتّى يذوق عسيلتها[1][2].

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: قاربن آخر عدّتهنّ، فإنّ البلوغ قد يطلق على الدنو كما يطلق على الوصول، والأجَل يطلق على منتهى المدّة كما يطلق على المدّة.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: راجعوهنّ بما يجب لها من القيام بواجبها من غير طلب ضرار بالمراجعة.

﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: خلّوهنّ حتّى تنقضي عدّتهنّ فيكنّ أملك بأنفسهنّ.

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً﴾: ولا تراجعوهنّ إرادة الإضرار بهنّ من غير رغبة فيهنّ.

﴿لِتَعْتَدُواْ﴾: لتظلموهنّ بتطويل المدّة عليهنّ في حبالكم، أو إلجائهنّ إلى الإفتداء.

---

١ ـ الكافي: ج ٥، ص ٤٢٥، ح ٤، باب تحليل المطلقة لزوجها وما يهدم الطلاق الأوّل.

٢ ـ العسيلة: تصغير العسل، وإنّما أنّث لأنّه أُريد قطعة منه شبّه لذّة الجماع بذوق العسل، فاستعير لها الذوق، وتصغيره إشارة إلى القدر القليل الذي يحصل به الحلّ. منه ﵀.

وذكر الطريحي: العسيلة ـ تصغير العسلة ـ: وهي القطعة من العسل، فشبّه لذّة الجماع بذوق العسل، وإنّما صغرت إشارة إلى القدر الذي يحلل ولو بغيبوبة الحشفة. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٢٣، مادة «عسل».

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

في الفقيه: سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية فقال: الرجل يطلّق حتّى إذا كادت أن يخلو أجلها راجعها، ثمّ طلّقها يفعل ذلك ثلاث مرّات فنهى الله عن ذلك[1].

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾: بتعريضها للعقاب.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَـٰتِ ٱللهِ هُزُواً﴾: لا تستخفّوا بأوامره ونواهيه.

﴿وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾: بما أباحه لكم من الأزواج والأموال.

﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَـٰبِ وٱلْحِكْمَةِ﴾: من القرآن والعلوم المبيّنة لكم.

﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾: لتتّعظوا به.

﴿وَٱتَّقُوا اللهَ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: تأكيد وتهديد.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضت عدّتهنّ.

﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾: لا تمنعوهنّ ظلماً عن التزوّج، قيل: هذا إمّا أن يكون خطاباً للأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدّة ظلماً لا يتركونهنّ يتزوّجن مَنْ شِئنَ من الأزواج، وإمّا أن يكون خطاباً للأولياء في عضلهنّ أن يرجعن إلى أزواجهنّ أو لهما جميعاً أو للناس كلّهم[2].

والعضل: الحبس والتضييق.

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٢٣، ح ١٥٦٧ / ١، باب ١٥٥ ـ طلاق العدّة.

٢ ـ قاله الطبرسي في جوامع الجامع: ج ١، ص ١٢٧.

وَٱلْوَٰلِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَّا ءَاتَيْتُمْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا اللهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

﴿إِذَا تَرَٰضَوْا بَيْنَهُم﴾: إذا تراضى الخطّاب والنساء.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بما يحسن في الدين والمروّة من الشرائط.

﴿ذَٰلِكَ﴾: الذي سبق من الأمر والنهي.

﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾: لأنّه المتّعظ به والمنتفع.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: العمل بما ذكره.

﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾: أنفع.

﴿وَأَطْهَرُ﴾: من دنس الآثام.

﴿وَٱللهُ يَعْلَمُ﴾: ما فيه النفع والصلاح لكم.

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: لقصور علمكم.

﴿وَٱلْوَٰلِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾: خبر في معنى الأمر المؤكّد، والوالدات تعمّ

المطلّقات وغيرهنّ. وقيل: بل يختصّ بهنّ إذ الكلام فيهنّ[١].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام لا تجبر الحرّة على إرضاع الولد، وتجبر أُمّ الولد[٢].

أقول: فيحتمل أن يكون معنى الآية أنّ الإرضاع حقّهنّ لا يمنعن منه وإن أردنه، فعن النبي صلى الله عليه وآله ليس للصبي لبن خير من لبن أُمّه[٣].

وفي الكافي[٤]، والفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام ما من لبن رضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أُمّه، قيل: وقد يجب عليهنّ كما إذا لم يرتضِع إلّا من أُمّه أو لا يعيش إلّا بلبنها أو لا يوجد غيرها[٥].

﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾: تامّين أكّده به لأنّه ممّا يتسامح فيه.

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾: هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع، أو متعلّق بيرضعن أي لأجل أزواجهنّ، فإنّ نفقة الولد على والده، وفيه تحديد لأقصى مدّة الرضاع وتجويز للنقص عنه.

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُ﴾: الذي ولد له وهو الوالد، وفيه إشارة إلى أنّ الولد للأب، ولهذا ينسب إليه وإنّما لم يقل على الزوج لأنّه قد يكون غير الزوج كالمطلّق، وللتّنبيه على المعنى المقتضي لوجوب الإرضاع، ومؤن المرضعة على الأب.

﴿رِزْقُهُنَّ﴾: مأكوهنّ.

﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: إذا أرضعن ولده.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بما يعرفه أهل العرف.

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾: تعليل لإيجاب المؤن، والتقييد بالمعروف وما بعده

---

١ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٢٣.

٢ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٠ ـ ٤١، ح ٤، باب الرضاع.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٣٤، ح ٦٩، باب ٣١ ـ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

٤ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٠، ح ١، باب الرضاع.

٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٠٥، ح ١٤٦٥ / ٣، باب ١٤٦ ـ الرضاع.

تفصيل له وتقرير أي لا يكلّف كلّ منهما الآخر ما ليس في وسعه، ولا يضارّه بسبب الولد.

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌ﴾: زوجها.

﴿بِوَلَدِهَا﴾: بسبب ولدها بأن تترك إرضاعه تعنّتاً أو غيظاً على أبيه، وسيّما بعد ما ألفها الولد أو تطلب منه ما ليس بمعروف أو تشغل قلبه في شأن الولد أو تمنع نفسها منه خوف الحمل لئلّا يضرّ بالمرتضع.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾: أي لا يضارّ المولود له أيضاً إمرأته.

﴿بِوَلَدِهِۦ﴾: بسبب ولده بأن ينزعه منها، أو يمنعها عن إرضاعه إن أرادته وسيّما بعدما ألفها الولد، أو يكرهها عليه أو يمنعها شيئاً ممّا وجب عليه، أو يترك جماعها خوف الحمل إشفاقاً على المرتضع.

في الكافي: أنّ الصادق عليه السلام سئل عن هذه الآية فقال: كانت المراضع ممّا تدفع إحداهنّ الرجل إذا أراد الجماع تقول لا أدعك إنّي أخاف أن أحبل فأقتل ولدي هذا الذي أرضعه، وكان الرجل تدعوه المرأة فيقول أخاف أن أُجامعك فأقتل ولدي فيدعها ولا يجامعها فنهى الله عزّ وجلّ عن ذلك بأن يضارّ الرجل المرأة والمرأة الرجل[١].

وعنه عليه السلام: إذا طلّق الرجل إمرأته وهي حبلى أنفق عليها حتّى تضع حملها فإذا وضعته أعطاها أجرها ولا يضارّها إلّا أن يجد من هو أرخص أجراً منها فإن هي رضيت بذلك الأجر فهي أحقّ بابنها حتّى تفطمه[٢].

أقول: ويجوز أن يكون لا تضارّ على البناء للمفعول أي لا تضار والدة من جهة زوجها، ولا مولود له من جهة زوجته ولا يتفاوت المعنى غير أنّه يتعاكس على اللّفظين، وقرئ لا تضارّ بالرفع بدلاً من قوله «لَا تُكَلَّفُ».

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾: وعلى وارث المولود له بعد موته.

---

١ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤١، ح ٦، باب الرضاع.

٢ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٠٣، ح ٢، باب نفقة الحبلى المطلّقة.

﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾: مثل ما كان يجب على المولود له. العيّاشي: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عنه فقال: النفقة على الوارث مثل ما على الوالد[١].

وعن الصادق عليه السلام: أنّه سئل عنه فقال: لا ينبغي للوارث أن يضارّ المرأة فيقول: لا أدع ولدها يأتيها ويضارّ ولدها إن كان لهم عنده شيء فلا ينبغي أن يقتّر عليه[٢].

وفي الكافي: عنه في قوله تعالى: «وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ» إنّه نهى أن يضارّ بالصبي أو يضارّ أُمّه في رضاعه، وليس لها أن تأخذ في رضاعه فوق حملين كاملين[٣].

وفي الفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّه قضى في رجل توفّي وترك صبيّاً واسترضع له إنّ أجر رضاع الصبي ممّا يرث من أبيه وأُمّه[٤].

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً﴾: فطاماً عن الرضاع قبل الحولين، كذا في المجمع عن الصادق عليه السلام[٥].

﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: في ذلك، وهذه توسعة بعد التحديد، وإنّما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل، وحذراً أن يقدم أحدهما على ما يضرّ به لغرض.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ﴾: المراضع.

﴿أَوْلَادَكُمْ﴾: لأولادكم، يقال: أرضعت المرأة الطفل واسترضعها إيّاه: حذف المفعول الأوّل للإستغناء عنه[٦].

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: فيه.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢١، ح ٣٨٣.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢١، ح ٣٨٤.
٣ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٠٣، ح ٣، باب نفقة الحبلى المطلّقة.
٤ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٠٩، ح ١٤٨٧/ ٢٥، باب ١٤٦ ـ الرضاع.
٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٣٥.
٦ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٢٤.

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾: إلى المراضع.

﴿مَّا ءَاتَيْتُمْ﴾: ما أردتم إيتاءَه إيّاهنّ وشرطتم لهنّ، وقرئ ما أَتَيْتُمْ بالقصر مِن أَتى إليه إحساناً إذا فعله.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: صلة سلّمتم أي بالوجه المتعارف المستحسن شرعاً. وفي الكافي: عن النبي صلى الله عليه وآله لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء[1]، فإنّ اللبن يعدي[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: انظروا من ترضع أولادكم فإنّ الولد يشبّ عليه[3].

أقول: يعني يصير شابّاً على الرضاع

﴿وَٱتَّقُوا اللَّهَ﴾: مبالغة في المحافظة على ما شرّع في أمر الأطفال والمراضع.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: حثّ وتهديد.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: بعدهم.

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾: تأنيث العشر باعتبار اللّيالي لأنّها غرر الشهور والأيّام ولا يستعمل التذكير في مثله وإن كانت الأيّام مرادة، يقال: صمت عشراً، قيل: لعلّ المقتضي لهذا التقدير: أنّ الجنين في غالب الأمر يتحرّك لثلاثة أشهر إن كان ذكراً ولأربعة إن كان أُنثى فاعتبر

---

١ ـ العَمَش في العين: ضعف الرؤية مع سيلان دمعها في أكثر أوقاتها. الصحاح: ج ٣، ص ١٠١٢، مادة «عمش».

٢ ـ لم نعثر عليه في الكافي، بل وجدناه في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٣٤، ح ٦٧، باب ٣١ ـ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة. نعم ما يقرب منه في الكافي: ج ٦، ص ٤٣، ح ٨، فراجع.

٣ ـ الكافي: ج ٦، ص ٤٤، ح ١٠، باب من يكره لبنه ومن لا يكره.

أقصى الأجلين، وزيد عليه العشر إستظهاراً إذ ربما يضعف حركته في المبادئ فلا يحسّ بها[١].

وفي العلل: عن الرضا عليه السلام أوجب عليها إذا أصيبت بزوجها وتوفّي عنها بمثل ما أوجب عليها في حياته إذا آلى منها، وعلم أنّ غاية صبر المرأة أربعة أشهر في ترك الجماع، فمن ثمّ أوجب عليها ولها[٢].

وعن الصادق عليه السلام: لأنّ حرقة المطلّقة تسكن في ثلاثة أشهر، وحرقة المتوفّى عنها زوجها لا تسكن إلّا في أربعة أشهر وعشر[٣].

والعيّاشي: عنه عليه السلام لمّا نزلت هذه الآية جئن النساء يخاصمن رسول الله صلى الله عليه وآله وقلن: لا نصبر. فقال لهنّ رسول الله صلى الله عليه وآله: كانت إحداكنّ إذا مات زوجها أخذت بعرة فألقتها خلفها في دويرتها في خدرها ثمّ قعدت فإذا كان مثل ذلك اليوم من الحول أخذتها ففتّتها، ثمّ اكتحلت بها ثمّ تزوّجت فوضع الله عنكنّ ثمانية أشهر[٤].

وفي التهذيب: عن الباقر عليه السلام: كلّ النكاح إذا مات الزوج فعلى المرأة حرّة كانت أو أمة وعلى أيّ وجه كان النكاح منه متعةً أو تزويجاً أو ملك يمين فالعدّة أربعة أشهر وعشراً[٥].

﴿فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضت عدّتهنّ.

﴿فَلَا جُناحَ عَلَيْكُمْ﴾: أيّها الأولياء.

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾: من التعرّض للخطّاب وسائر ما حرّم عليهنّ للعدّة.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الذي لا ينكره الشرع.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: فيجازيكم عليه.

١ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٢٤.

٢ـ علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٠٧، ح ١، باب ٢٧٧ ـ العلّة التي من أجلها صارت عدّة المطلّقة ثلاثة أشهر.

٣ـ علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٠٨، ح ٢، باب ٢٧٧ ـ العلّة التي من أجلها صارت عدّة المطلّقة ثلاثة أشهر.

٤ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢١، ح ٣٨٦.

٥ـ تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٥٧، ح ٥٤٥/ ١٤٤، باب ٦ ـ عدد النساء.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِيٓ أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ ٱللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلَّآ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾: المعتدّات، والتعريض هو أن يقول: إنّك لجميلة أو صالحة أو إنّي أحبّ إمرأة صفتها كذا ويذكر بعض صفاتها ونحو ذلك من الكلام الذي يوهم أنّه يريد نكاحها حتّى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه ولا يصرّح بالنكاح.

﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِيٓ أَنْفُسِكُمْ﴾: أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرّضين ولا مصرّحين.

﴿عَلِمَ ٱللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾: لا محالة لرغبتكم فيهنّ مع خوفكم أن يسبقكم غيركم إليهنّ فاذكروهنّ.

﴿وَلَـٰكِن لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً﴾: أي خلوة كما سيأتي.

﴿إِلَّآ أَنْ تَقُولُوا﴾: في الخلوة.

﴿قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾: بأن تعرّضوا بالخطبة ولا تصرّحوا بها.

﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾: ما كتب وفرض من العدّة.

﴿أَجَلَهُ﴾: منتهاه. في الكافي: عن الصادق عليه السلام: إنّه سئل عن هذه الآية «وَلَـٰكِن لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلَّآ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً»، فقال عليه السلام: هو الرجل يقول للمرأة قبل أن تنقضي عدّتها: أواعدك بيت آل فلان ليعرّض لها بالخطبة، ويعني بقوله: «إِلَّآ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً»

التعريض بالخطبة[١].

وفي رواية: هو أن يقول الرجل: موعدك بيت آل فلان، ثمّ يطلب إليها أن لا تسبقه بنفسها إذا انقضت عدّتها، والقول المعروف: هو طلب الحلال في غير أن يعزم عقدة النكاح حتّى يبلغ الكتاب أجله[٢].

وفي أُخرى: هو أن يلقاها فيقول: إنّي فيك لراغب، وإنّي للنساء لمكرم، فلا تسبقيني بنفسك، والسرّ: أن لا يخلو معها حيث وعدها[٣].

أقول: هذه الروايات تفسير للمواعدة المتضمنة للقول المعروف المرخّص فيها، وآخر الأخيرة تفسير للسرّ المنهيّ عن مواعدته أعني الخلوة، وإنّما قال: «لا يخلو» تنبيهاً على أنّ النهي راجع إلى الخلوة لا للتعريض بالخطبة، كأنّهم كانوا يتكلّمون فيها بما يستهجن فنهوا عن ذلك كما يستفاد من الروايات الآتية، ويحتمل أن يكون المراد بالمواعدة سرّاً: التعريض بالخطبة بمواعدة الرفث ونحوه، وسمّي ذلك سرّاً لأنّه ممّا يسرّ، ويكون المراد ببيت آل فلان: توقيت المكان لذلك.

وعن الكاظم عليه السلام: هو أن يقول الرجل: أُواعدك بيت آل فلان يعرّض لها بالرفث[٤] ويوقت، يقول الله عزّ وجلّ: «إلّا أن تقولوا قولاً معروفاً»، والقول المعروف: التعريض بالخطبة على وجهها وحلّها[٥].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: أنّه قال في هذه الآية: المرأة في عدّتها تقول لها قولاً جميلاً ترغّبها في نفسك، ولا تقول إنّي أصنع كذا وأصنع كذا القبيح من الأمر في البضع وكلّ أمر قبيح[٦].

---

١ ـ الكافي: ج ٥، ص ٤٣٤، ح ١، باب في قوله تعالى: «وَلَـٰكِن لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّاً».
٢ ـ الكافي: ج ٥، ص ٤٣٤، ح ٢، باب في قوله تعالى: «وَلَـٰكِن لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّاً».
٣ ـ الكافي: ج ٥، ص ٤٣٥، ح ٤، باب في قوله تعالى: «وَلَـٰكِن لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّاً».
٤ ـ في الكافي: ويرفث، من ـ الرفث ـ وفي تهذيب الأحكام: ويوقّت، من ـ التوقيت ـ ولكلّ وجه. منه قدّس سرّه.
٥ ـ الكافي: ج ٥، ص ٤٣٥، ح ٣، باب في قوله تعالى: «وَلَـٰكِن لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّاً».
٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٣، ح ٣٩٤.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾

وفي أُخرى: يقول لها وهي في عدّتها: يا هذه ما أُحبّ إلّا ما أَسَرّك، ولو قد مضى عدّتك لا تفوتيني إن شاء الله فلا تسبقي بنفسك وهذا كلّه من غير أن يعزموا عقدة النكاح[1].

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: من العزم على ما لا يجوز.

﴿فَٱحْذَرُوهُ﴾: ولا تعزموا.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لمن عزم ولم يفعل.

﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجلكم بالعقوبة.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: لا تبعة عليكم من مهر أو وزر.

﴿إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾: مالم تجامعوهنّ، وقرئ تماسوهنّ بضمّ التاء والألف في الموضعين.

﴿أَوْ تَفْرِضُوا۟﴾: إلّا أن تفرضوا.

﴿لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: فرض الفريضة: تسمية المهر، وذلك أنّ المطلّقة غير المدخول بها إن سمّي لها مهرا فلها نصف المسمّى كما في الآية الآتية، وإن لم يسمّ لها مهر فليس لها إلّا المتعة كما في هذه الآية، والحكمان مرويّان أيضاً رواهما العيّاشي[2]، وفي الكافي عن الصادق عليه السلام[3].

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أي أعطوهنّ من مالكم ما يتمتّعن به.

﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾: أي على الغني الذي هو في سعة لغناه

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٣، ح ٣٩٥. وفيه: «فلا تسبقيني»، وفي نسخة أُخرى: [ولا تسبق].

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٤، ح ٣٩٧.

٣ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٠٦، ح ١، باب ما للمطلّقة التي لم يدخل بها من الصداق.

على قدر حاله، وعلى الفقير الذي هو في ضيق على قدر حاله، ومعنى قدره: مقداره الذي يطيقه، وقرئ بسكون الدال.

﴿مَتَـٰعًا﴾: تمتيعاً.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروّة.

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: في الكافي[1]، والعيّاشي: سئل الصادق عليه السلام عن الرجل يطلّق إمرأته يمتّعها؟ قال: نعم أما يحبّ أن يكون من المحسنين؟ أما يحبّ أن يكون من المتّقين؟[2][3].

وفي التهذيب: عنه عليه السلام إنّ متعة المطلّقة فريضة[4].

وعن الباقر عليه السلام: إنّه سئل عن الرجل يريد أن يطلّق إمرأته قبل أن يدخل بها، قال: يمتّعها قبل أن يطلّقها فإنّ الله قال: «وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُ»[5].

والعيّاشي: عن الكاظم عليه السلام أنّه سئل عن المطلّقة ما لها من المتعة؟ قال: على قدر مال زوجها[6].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: فليمتّعها على نحو ما يمتّع مثلها من النساء[7].

أقول: ولعلّ المراد المراعي حالهما جميعاً.

وفي الفقيه: روي أنّ الغني: يمتّع بدار أو خادم، والوسط: يمتّع بثوب، والفقير: بدرهم أو خاتم[8].

---

١ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٠٤ ـ ١٠٥، ح ١، باب متعة المطلّقة.

٢ ـ إشارة إلى قوله سبحانه: «حقّاً على المتّقين» كما يأتي. منه قدس سره. انظر ذيل الآية ٢٤١ من سورة البقرة.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٤، ح ٣٩٦.

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٤١، ح ٤٩٠/ ٨٩، باب ٦ ـ عدد النساء.

٥ ـ تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٤١، ح ٤٨٩/ ٨٨، باب ٦ ـ عدد النساء.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٤، ح ٤٠٢.

٧ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٠٨، ح ١١، باب ما للمطلّقة التي لم يدخل بها من الصداق.

٨ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٢٧، ح ١٥٨٢/٤، باب ١٥٩ ـ طلاق التي لم يدخل بها وحكم المتوفي عنها زوجها قبل الدخول وبعده.

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُواْ ٱلَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

وروي أنّ أدناه الخمار وشبهه[١].

وفيه[٢]، وفي التهذيب: عن الباقر عليه السلام: في قوله تعالى: «وَمَتِّعُوهُنَّ» في سورة الأحزاب في هذا الحكم بعينه قال: أي إحملوهنّ[٣] به على قدر ما قدرتم عليه من معروف فإنّهنّ يرجعن بكآبة، ووحشة، وهمّ عظيم، وشماتة من أعدائهنّ، فإنّ الله كريم يستحي، ويحبّ أهل الحياء، إنّ أكرمكم أشدّكم إكراماً لحلائلهم[٤].

ويأتي بقيّة الكلام فيه عن قريب.

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾: نصف ما فرضتم.

﴿إِلَّآ أَنْ يَعْفُونَ﴾: يعني المطلّقات أي يتركن ما يجب لهنّ من نصف المهر، فلا يطلبن الأزواج بذلك.

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٢٧، ح ١٥٨٣/٥، باب ١٥٩ ـ طلاق التي لم يدخل بها وحكم المتوفى عنها زوجها قبل الدخول وبعده. والكافي: ج ٦، ص ١٠٥ ـ ١٠٦، ح ٥، باب متعة المطلّقة.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٢٧، ح ١٥٨٠/٢، باب ١٥٩ ـ طلاق التي لم يدخل بها وحكم المتوفى عنها زوجها قبل الدخول وبعده. وفيه: «حملوهن بما قدرتم عليه من معروف».

٣ ـ وفي نسخة: [قال: أي أجملوهنّ على ما قدرتم عليه من معروف].

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٤١، ح ٤٨٨/ ٨٧، باب ٦ ـ عدد النساء. وفيه: «حملوهن ممّا قدرتم عليه من معروف».

﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾: وهو الولي الذي يلي عقد نكاحهنّ.

وفي الفقيه[١]، والتهذيب: عن الصادق عليه السلام: يعني الأب والذي توكّله المرأة وتوليه أمرها من أخ أو قرابة أو غيرهما[٢].

وفي الكافي: عنه عليه السلام في عدّة أخبار هو الأب، والأخ، والرجل يوصى إليه، والرجل يجوز أمره في مال المرأة فيبيع لها ويشتري، وإذا عفا فقد جاز[٣].

وفي رواية العيّاشي: فأيّ هؤلاء عفا فقد جاز[٤].

قيل: أرأيتِ إن قالت: لا أجيز ما يصنع؟ قال: ليس لها ذلك أتجيز بيعه في مالها ولا تجيز هذا؟[٥].

وفي رواية: أبوها إذا عفا جاز، وأخوها إذا كان يقيم بها وهو القائم عليها، فهو بمنزلة الأب يجوز له، فإذا كان الأخ لا يقيم بها ولا يقوم عليها لم يجز له عليها أمر[٦].

وعن الصادق عليه السلام: «الذي بيده عقدة النكاح»: وهو الولي الذي أنكح يأخذ بعضاً ويدع بعضاً وليس له أن يدع كلّه[٧].

وفي المجمع: عنهما عليهما السلام: «الذي بيده عقدة النكاح»: هو الولي.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: هو الزوج، قال: والولي عندنا هو الأب أو الجدّ مع وجود الأب الأدنى على البكر غير البالغ، فأمّا من عداهما فلا ولاية له إلّا بتوليتها إيّاه، غير أنّ الأوّل أظهر وعليه المذهب[٨].

ومعنى عفو الزوج: عدم إسترداده فإنّهم كانوا يسوّغون المهر قبل الدخول.

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٢٧، ح ١٥٨٤ / ٦، باب ١٥٩ ـ طلاق التي لم يدخل بها وحكم المتوفى عنها زوجها قبل الدخول وبعده.

٢ ـ تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٤٢، ح ٤٩٣/ ٩٢، باب ٦ ـ عدد النساء.

٣ ـ راجع الكافي: ج ٦، ص ١٠٦، ح ٢ و ٣، باب ما للمطلّقة التي لم يدخل بها من الصداق.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٥، ح ٤٠٦.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٥ ـ ١٢٦، ح ٤٠٨.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٦، ح ٤١٠.

٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٥، ح ٤٠٧.

٨ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢.

﴿وَأَنْ تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام: إنّه حلف رجل على ضرب غلامه فلم يَفِ به، فلمّا سئل عنه عليه السلام فقال: أليس الله يقول: «وإن تعفوا أقرب للتّقوى»[١].

﴿وَلَا تَنْسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: ولا تنسوا أن يتفضّل بعضكم على بعض، ولا تستقصوا، وفي المجمع: عن علي عليه السلام: ولا تناسُوا الفضل[٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: العيّاشي: عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يأتي على الناس زمان عضوض[٣] يعضّ كلّ امرىء على ما في يديه، وينسون الفضل بينهم، قال الله: «وَلَا تَنْسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ»[٤].

وفي العيون: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سيأتي على الناس زمان عضوض يعضّ المؤمن على ما في يده ولم يؤثر بذلك، قال الله تعالى: «وَلَا تَنْسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ»، الآية[٥].

وفي نهج البلاغة: «الموسر» مكان المؤمن، وزاد تنهدّ[٦] فيه الأشرار، وتستذلّ الأخيار ويبايع المضطرّون، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيع المضطرّين[٧].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام ما يقرب منه[٨].

---

١ ـ الكافي: ج ٧، ص ٤٦٠ ـ ٤٦١، ح ٤، باب النوادر.

٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٤١.

٣ ـ عضضت اللقمة وبها وعليها عضّاً أمسكتها بالأسنان وهو من باب تعب في الأكثر. المصباح المنير: ص٤١٥؛ ومجمع البحرين: ج ٤، ص ٢١٧، مادّة «عضض».

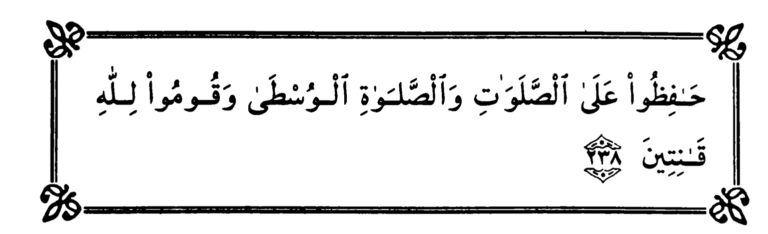
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٧ ـ ١٢٨، ح ٤١٤.

٥ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٤٥، ح ١٦٨، باب ٣١ ـ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة. وفيه: «ولم يؤمن».

٦ ـ النهد: الإرتفاع والنهوض. منه رحمه الله. وقال الطريحي: في الحديث «فنهدوا إليّ» أي نهض وتقدّم. ومنه نهدت إلى العدوّ نهداً ـ من بابي قتل ونفع ـ: أي نهضت وبرزت والفاعل ناهد. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٥٢، مادة «نهد».

٧ ـ نهج البلاغة: ص ٥٥٧ ـ ٥٥٨، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام تحت رقم ٤٦٨. وفيه: «ولم يؤمر».

٨ ـ الكافي: ج ٥، ص ٣١٠، ح ٢٨، باب النوادر.



﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾: داوموا عليها في مواقيتها بأداء أركانها.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾: بينها خصوصاً أو الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط.

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾: في الصلاة.

﴿قَـٰنِتِينَ﴾: قيل: أي داعين في القيام، والقنوت: أيضاً هو الطاعة والخشوع[١].

وفي الكافي[٢]، والتهذيب: عن الباقر عليه السلام: في الصلاة الوسطى قال: هي صلاة الظهر، وهي أوّل صلاة صلّاها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي وسط النهار، ووسط الصلاتين بالنهار صلاة الغداة وصلاة العصر[٣].

قال عليه السلام: وفي بعض القراءة «حافظوا على الصلوات والصلوٰة الوسطى»[٤] وصلاة العصر «وقوموا لله قانتين»[٥].

قال: ونزلت هذه الآية يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وآله في سفر، فقنت فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وتركها على حالها في السفر والحضر، وأضاف للمقيم ركعتين، وإنّما وضعت الركعتان اللّتان أضافها النبي صلى الله عليه وآله يوم الجمعة للمقيم لمكان الخطبتين مع الإمام، فمن صلّى يوم الجمعة في غير

١ـ راجع مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٤٣.

٢ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٧١، ح ١، باب فرض الصلاة.

٣ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٢٤١، ح ٩٥٤/ ٢٣، باب ١٢ ـ فضل الصلاة والمفروض منها والمسنون.

٤ـ وفي بعض نسخ الكافي قد سقط واو العطف من صلاة العصر في القراءة المذكورة، وهو سهو من النسّاخ كما يشعر به التأمّل في صدر الحديث وذيله. منه رحمه الله. اعلم إنّ النسخة المطبوعة من الكافي والتهذيب تكون بدون واو وهكذا في الفقيه تكون بدون واو، راجع من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٢٤ ـ ١٢٥، ح ٦٠٠/ ١، باب ٢٩ ـ باب فرض الصلاة، وهذا هو الأصح.

٥ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٢٤١، ح ٩٥٤/ ٢٣، باب ١٢ ـ فضل الصلاة والمفروض منها والمسنون.

جماعة فليصلّها أربع ركعات كصلاة الظهر في سائر الأيّام[١].

والعيّاشي: عنه عليه السلام إنّه قرأ حافظوا على الصلوات، والصلاة الوسطى، وصلاة العصر، وقوموا لله قانتين، والوسطى هي الظهر، قال: وكذلك كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

وعن الصادق عليه السلام قال: الصلاة الوسطى هي الوسطى من صلاة النهار، وهي الظهر، وإنّما يحافظ أصحابنا على الزوال من أجلها[٣].

وفي المجمع: عن علي عليه السلام: إنّها الجمعة يوم الجمعة، والظهر سائر الأيّام[٤].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام: إنّه قرأ حافظوا على الصلوات، والصلاة الوسطى، وصلاة العصر، وقوموا لله قانتين، قال: إقبال الرجل على صلاته ومحافظته حتّى لا يلهيه، ولا يشغله عنها شيء[٥].

وفي رواية العيّاشي: هو الدعاء[٦].

وفي أُخرى: له قانتين مطيعين راغبين[٧].

وفي الكافي: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا يزال الشيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيّعهنّ تجرّأ عليه فأدخله في العظائم[٨].

وعن الباقر عليه السلام: إنّ الصلاة إذا ارتفعت في وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة تقول: حفظتني حفظك الله، وإذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها وهي سوداء مظلمة تقول: ضيّعتني ضيّعك الله[٩].

وعن الصادق عليه السلام: الصلوات الخمس المفروضات من أقام حدودهنّ، وحافظ على مواقيتهنّ لقي الله يوم القيامة وله عنده عهد يدخله به الجنّة، ومن لم يقم حدودهنّ ولم يحافظ

---

١ ـ تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٢٤١، ح ٢٣/٩٥٤، باب ١٢ ـ فضل الصلاة والمفروض منها والمسنون.

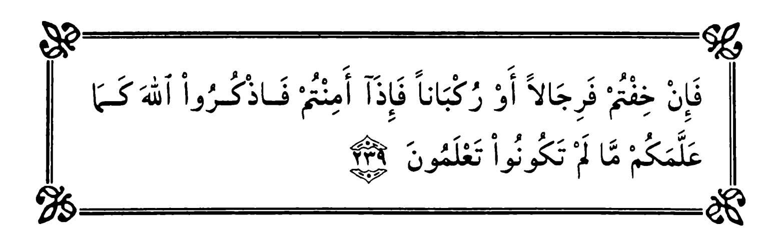
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٧، ح ٤١٥.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٨، ح ٤١٩.

٤ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٤٣.
٥ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٧٩.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٨، ح ٤٢٠.
٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٧، ح ٤١٦.

٨ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٦٩، ح ٨، باب من حافظ على صلاته أو ضيّعها.

٩ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٦٨، ح ٤، باب من حافظ على صلاته أو ضيّعها.



على مواقيتهنّ لقي الله ولا عهد له إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له[١].

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: من لصّ أو سَبُع أو غير ذلك.

﴿فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً﴾: فصلّوا راجلين أو راكبين.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام: سئل عن هذه الآية فقال: إذا خاف من سبع أو لصّ يكبّر ويؤمي إيماء[٢].

وفي الفقيه: عنه عليه السلام: في صلاة الزحف، قال: تكبير، وتهليل، ثمّ تلا هذه الآية[٣].

وعنه عليه السلام: إن كنت في أرض مخوفة فخشيت لصّاً أو سَبُعاً فصلّ الفريضة وأنت على دابّتك[٤].

وعن الباقر عليه السلام: الذي يخاف اللصوص يصلّي إيماءاً على دابّته[٥].

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾: وزوال خوفكم.

﴿فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: قيل صلّوا صلاة الأمن أو اشكروه على الأمن[٦].

﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾: مثل ما علمكم أو شكراً يوازي تعليمكم.

﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾: من الشرائع وكيفيّة الصلاة.

---

١ ـ الكافي: ج ٣، ص ٢٦٧، ح ١، باب من حافظ على صلاته أو ضيّعها.

٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ٤٥٧، ح ٦، باب صلاة الخوف.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٩٥، ح ١٣٤٤ / ٨، باب ٦٣ ـ صلاة الخوف والمطاردة.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٩٥، ح ١٣٤٥ / ٩، باب ٦٣ ـ صلاة الخوف والمطاردة.

٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٩٥، ح ١٣٤٦ / ١٠، باب ٦٣ ـ صلاة الخوف والمطاردة.

٦ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٢٧.

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَٰجِهِمْ مَّتَٰعاً إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِى أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجاً وَصِيَّةً﴾: يوصُون وصيّة قبل أن يحتضروا، وقرئ بالرفع.

﴿لِأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعاً إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾: بأن تمتّع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً أي ينفق عليهنّ من تركته.

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: ولا يخرجن من مساكنهنّ وكان ذلك في أوّل الإسلام، ثمّ نسخت كان الرجل إذا مات أُنفق على إمرأته من صلب المال حولاً، ثمّ أُخرجت بلا ميراث، ثمّ نسختها آية الربع والثمن، فالمرأة ينفق عليها من نصيبها، رواه العيّاشي[1].

وفي المجمع، عن الصادق عليه السلام[2]: وفي عدّة روايات عنه[3].

وعن الباقر عليه السلام: هي منسوخة نسختها «يتربّصن بأنفسهنّ أربعة أشهر وعشراً» ونسختها آيات الميراث[4].

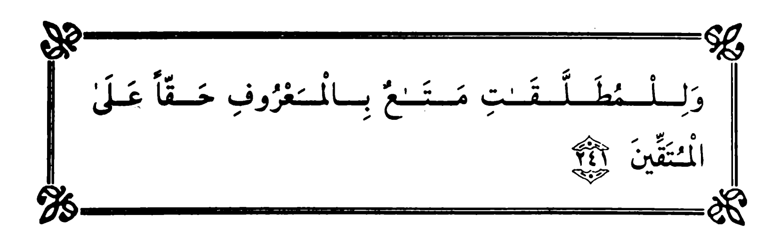
أقول: يعني نسخت المدّة بآية التربّص، والنفقة بآيات الميراث، وآية التربّص وإن كانت متقدّمة في التلاوة فهي متأخّرة في النزول، وقد مرّ في المقدّمة السادسة كلام في هاتين الآيتين.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾: من منزل الأزواج.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِى أَنفُسِهِنَّ﴾: كالتزيّن والتعرّض للأزواج.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٩، ح ٤٢٧.
٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٤٥.
٣ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٤٥.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٩، ح ٤٢٦.



﴿مِن مَّعْرُوفٍ﴾: ممّا لم ينكره الشرع.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: ينتقم ممّن خالفه.

﴿حَكِيمٌ﴾: يراعي مصالحهم.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ[1] بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾: أثبت المتعة للمطلّقات جميعاً بعدما أوجبها لواحدة منهنّ وقد مرّ من الأخبار أيضاً ما يدلّ على التعميم[2].

وفي الفقيه: عن الباقر عليه السلام قال: متعة النساء واجبة دخل بها أو لم يدخل بها، ويمتّع قبل أن يطلق[3].

وقال في التهذيب: إنّما تجب المتعة للتي لم يدخل بها وأمّا الّتي دخل بها فيستحبّ تمتيعها إذا لم يكن لها في ذمّته مهر، والأوّل قبل الطلاق، والثاني بعد انقضاء العدّة[4].

وفيه: عن الكاظم عليه السلام: أنّه سئل عن المطلّقة التي تجب لها على زوجها المتعة فكتب البائنة[5].

وفي رواية لا تمتّع المختلعة[6].

١ ـ قيل: المراد بالمتاع هنا النفقة كما في قوله تعالى: «متاعاً إلى الحول»، البقرة: ٢٤٠، والرواية تنافيه. منه رحمه الله. راجع جوامع الجوامع: ج ١، ص ١٣٣.

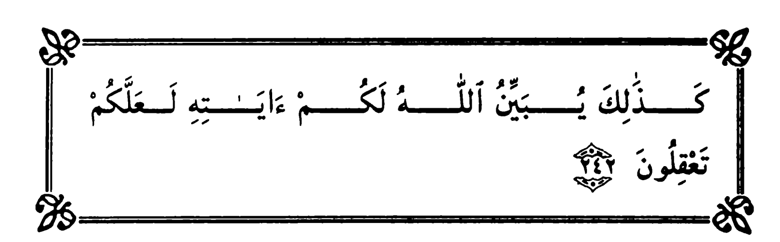
٢ ـ تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٤١، ح ٤٨٨/ ٨٧، ٤٨٩/ ٨٨، ٤٩٠/ ٨٩، باب ٦ ـ عدد النساء.

٣ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٢٨، ح ١٥٨٨/ ١٠، باب ١٥٩ ـ طلاق التي لم يدخل بها.

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٤٠.

٥ ـ تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٤١ ـ ١٤٢، ح ٤٩١/ ٩٠، باب ٦ ـ عدد النساء.

٦ ـ الكافي: ج ٦، ص ١٤٤، ح ٢، باب عدّة المختلعة.



وفي المجمع: اختلف في ذلك، فقيل: إنّما تجب المتعة للتي لم يسمّ لها صداق خاصّة وهو المرويّ عن الباقر والصادق عليهما السلام، وقيل: لكلّ مطلّقة إلّا المختلعة، والمباراة، والملاعنة، وقيل: لكلّ مطلّقة سوى المفروض لها إذا طلّقت قبل الدخول فإنّما لها نصف الصداق ولا متعة لها، وقد رواه أصحابنا أيضاً، وذلك محمول على الإستحباب، وقال في هذه الآية: أنّها مخصوصة بتلك الآية إن نزلتا معاً وإن كانت تلك متأخّرة فمنسوخة لأنّ عندنا لا تجب المتعة إلّا للمطلّقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر فأمّا المدخول بها فلها مهر مثلها إن لم يسمّ لها مهر وإن سمّي لها مهر فما سمّي لها وغير المدخول بها المفروض مهرها لها نصف المهر ولا متعة في هذه الأحوال فلابدّ من تخصيص هذه الآية[1].

وفي الكافي: في عدّة روايات عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: متاعها بعدما تنقضي عدّتها على الموسع قدره وعلى المقتر قدره، قال: وكيف يمتّعها وهي في عدّتها ترجوه ويرجوها، ويحدث الله عزّ وجلّ بينهما ما يشاء[2].

وقال: إذا كان الرجل موسّعاً عليه متّع إمرأته بالعبد والأمَة، والمقترّ يمتّع بالحنطة والزبيب والثوب والدراهم، وإنّ الحسن بن علي عليهما السلام متّع إمرأة له بأمَة، ولم يطلّق إمرأة إلّا متّعها[3].

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تفهمونها وتستعملون

١ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦.
٢ـ الكافي: ج ٦، ص ١٠٥، ح ٤، باب متعة المطلّقة.
٣ـ الكافي: ج ٦، ص ١٠٥، ح ٣، باب متعة المطلّقة.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَـٰرِهِمْ وَهُـمْ أُلُـوفٌ حَـذَرَ ٱلْمَـوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَـذُو فَـضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾

العقل فيها.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعجيب وتقرير لقصّتهم.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾: أي آلاف كثيرة.

﴿حَذَرَ ٱلْمَـوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾: أي أماتهم الله، وهذا مثل قوله سبحانه: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»[١].

﴿ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾: في الكافي: عن الباقر والصادق عليهما السلام: إنّ هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام وكانوا سبعين ألف بيت، وكان الطاعون يقع فيهم في كلّ أوان، فكانوا إذا أحسّوا به خرج من المدينة الأغنياء لقوّتهم، وبقي فيها الفقراء لضعفهم، فكان الموت يكثر في الذين أقاموا ويقلّ في الذين خرجوا، فيقول الذين خرجوا: لو كنّا أقمنا لكثر فينا الموت، ويقول الذين أقاموا: لو كنّا خرجنا لقلّ فينا الموت، قال: فاجتمع رأيهم جميعاً أنّه إذا وقع الطاعون وأحسّوا به خرجوا كلّهم من المدينة، فلمّا أحسّوا الطاعون خرجوا جميعاً وتنحّوا عن الطاعون حذر الموت فساروا في البلاد ما شاء الله، ثمّ إنّهم مرّوا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها وأفناهم الطاعون فنزلوا بها فلمّا حطّوا رحالهم واطمأنّوا قال لهم الله عزّوجلّ: «موتوا جميعاً» فماتوا من ساعتهم وصاروا رميماً يلوح، وكان على طريق المارّة فكنستهم المارّة فنحّوهم وجمعوهم في موضع فمرّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل

---

١ ـ يسٓ: ٨٢.

يقال له: حزقيل[١]، فلمّا رآى تلك العظام بكى واستعبر، وقال: يا ربّ لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتّهم فعمروا بلادك، وولّدوا عبادك، وعَبَدوك مع من يعبدك من خلقك، فأوحى الله إليه أفتحبّ ذلك؟ قال: نعم يا ربّ، فأحياهم الله، قال فأوحى الله عزّ وجلّ أن قل: كذا وكذا، فقال الذي أمره الله عزّ وجلّ أن يقوله، قال: قال أبو عبدالله: وهو الإسم الأعظم، فلمّا قال حزقيل ذلك، نظر إلى العظام يطير بعضها إلى بعض فعادوا أحياء ينظر بعضهم إلى بعض يسبّحون الله عزّ وجلّ ويكبرونه ويهلّلونه، فقال حزقيل عند ذلك: أشهد أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير، قال الراوي: فقال أبو عبدالله عليه السلام: فيهم نزلت هذه الآية[٢].

وفي العوالي: عن الصادق عليه السلام: في حديث يذكر فيه نيروز الفرس، قال: ثمّ إنّ نبيّاً من أنبياء بني إسرائيل سأل ربّه أن يحيي القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم اُلوف حذَرَ الموت فأماتهم الله، فأوحى الله إليه أن صبّ الماء في مضاجعهم، فصبّ عليهم الماء في هذا اليوم فعاشوا وهم ثلاثون ألفاً، فصار صبّ الماء في يوم النيروز سنّة ماضية لا يعرف سببها إلّا الراسخون في العلم[٣].

وفي المجمع: سئل الباقر عليه السلام عن هؤلاء القوم الذين قال لهم الله موتوا، ثمّ أحياهم، فقال[٤]: أحياهم حتّى نظر الناس إليهم ثمّ أماتهم أم ردّهم إلى الدنيا حتّى سكنوا الدور وأكلوا الطعام؟ قال: لا بل ردّهم الله حتّى سكنوا الدور، وأكلوا الطعام، ونكحوا النساء، ومكثوا بذلك ما شاء الله، ثمّ ماتوا بآجالهم[٥].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: حيث يبصرّهم ما يعتبرون به.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لا يعتبرون.

---

١ ـ حزقيل ـ بالحاء المهملة والزاء المعجمة ـ على وزن زنبيل، ويجيء على وزن زبرج، كذا في القاموس. منه رحمه الله.
راجع القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٥٧، مادة «حزقل»، وفيه: حزقيل ـ كزبرج وزنبيل ـ اسم نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ١٩٨ ـ ١٩٩، ح ٢٣٧.

٣ ـ عوالي اللئالي: ج ٣، ص ٤٠ ـ ٤١، ح ١١٦.

٤ ـ أي قال السائل، وهو حمران بن أعين.

٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٤٧.

وَقَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَـٰعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

﴿وَقَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: فإنّ الفرار من الموت غير مخلّص منه[1].

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لما يقوله المخلّفون والسابقون.

﴿عَلِيمٌ﴾: بما يضمرونه.

﴿مَنْ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾: مقروناً بالإخلاص وطيب النفس من حلال طيّب.

﴿فَيُضَـٰعِفَهُ﴾: وقرئ بنصب الفاء.

﴿لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾: لا يقدّرها إلّا الله.

﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾: يمنع ويوسّع فلا تبخلوا عليه بما وسّع عليكم.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فيجازيكم على حسب ما قدّمتم.

في الفقيه: عن الصادق عليه السلام: أنّها نزلت في صلة الإمام[2].

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: ما من شيء أحبّ إلى الله من إخراج الدراهم إلى الإمام وأنّ الله ليجعل له في الدرهم في الجنّة مثل جبل أُحد، ثمّ قال: إنّ الله يقول في كتابه: «مَنْ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَـٰعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً»، قال: هو والله في صلة الإمام خاصّة[3].

وفي المعاني[4]، والمجمع: عنه عليه السلام لمّا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله «مَنْ جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ

---

١ ـ وفي نسخة: [غير مخلّص عنه].

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٤٢، ح ١٨٩ / ١، باب ٢٠ ـ ثواب صلة الإمام عليه السلام.

٣ ـ الكافي: ج ١، ص ٥٣٧، ح ٢، باب صلة الإمام عليه السلام.

٤ ـ معاني الأخبار: ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨، ح ٥٤.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنْ بَنِى إِسْرَٰٓءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُواْ قَالُوا وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا»[1] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللّهمّ زدني، فأنزل الله سبحانه «مَنْ جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا»[2]، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللّهمّ زدني، فأنزل الله عزّ وجلّ: «مَنْ ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَـٰعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً» فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الكثير من الله لا يحصى وليس له منتهى[3].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنْ بَنِى إِسْرَٰٓءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾: ألم ينته علمك يا محمّد إلى جماعة الأشراف من بني إسرائيل من بعد وفاة موسى عليه السلام.

﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام: هو اشموئيل، وهو بالعربيّة: إسماعيل[4].

﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أقم لنا أميراً ننهض معه للقتال[5]، ندبّر أمره ونصدر فيه عن رأيه.

في المجمع[6]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام قال: كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود، والنبيّ يقيم له أمره وينبئه بالخبر من عند ربّه[7].

---

١ ـ النمل: ٨٩.
٢ ـ الأنعام: ١٦٠.
٣ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٤٩، س ٥.
٤ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٥٠، س ٣٠.
٥ ـ وفي نسخة: [ننهض للقتال معه].
٦ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٥١، س ٤.
٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٢، ح ٤٣٧.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَـٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُواْ﴾: أن لا تجيبوا ولا تفوا، وهذا كأخذ العهد عليهم.

﴿قَالُوا وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾: بالسبي، والقهر على نواحينا.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِـٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: تهديد لمن تولّوا.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُـلْكُ عَلَيْنَا﴾: من أين يكون له ذلك ويستأهل.

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُـلْكِ مِنْهُ﴾: وراثةً ومكنةً.

﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ ٱلْمَـالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَـٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾: فضيلة وسعةً.

﴿فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: واسع الفضل يوسّع على الفقير ويغنيه.

﴿عَلِيمٌ﴾: بمن يليق بالملك لمّا استبعدوا تملّكه لفقره ردّ عليهم بأنّ العمدة فيه اصطفاء الله، وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح، وبأنّ الشرط فيه وفور العلم ليتمكّن به من معرفة الأُمور السياسيّة، وجسامة البدن ليكون أعظم خطراً في القلوب، وأقوى على مقاومة العدوّ،

ومكابدة الحروب، لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما[١].

قيل: وكان الرجل القائم يمدّ يده فينال رأسه وبأنّه تعالى مالك الملك على الإطلاق فله أن يؤتيه من يشاء وبأنّه واسع الفضل يغنيه عليم به إذ يصطفيه[٢].

القمّي: عن الباقر عليه السلام: إنّ بني إسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصي، وغيّروا دين الله، وعتوا عن أمر ربّهم، وكان فيهم نبيّ يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوه[٣].

وروي أنّه كان ارميا النبي عليه السلام [٤] فسلّط الله عليهم جالوت وهو من القبط فآذاهم وقتل رجالهم وأخرجهم من ديارهم وأخذ أموالهم واستعبد نساءهم ففزعوا إلى نبيّهم وقالوا: سَلِ الله أن يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، وكانت النبوّة في بني إسرائيل في بيت، والملك والسلطان في بيت آخر، ولم يجمع الله لهم النبوّة والملك في بيت واحد، فمن ذلك قالوا: «ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ» فقال: لهم نبيّهم «هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُواْ قَالُوا وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا» وكان كما قال الله تعالى: «فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ» قال: «وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَـٰالُوتَ مَلِكاً»، فغضبوا من ذلك و«قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ».

وكانت النبوّة في ولد لاوي، والملك في ولد يوسف عليه السلام، وكان طالوت من ولد ابن يامين أخي يوسف لأمّه ولم يكن من بيت النبوّة ولا من بيت المملكة، قال لهم نبيّهم: «إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَـٰهُ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ»، وكان أعظمهم جسماً، وكان شجاعاً قويّاً، وكان أعلمهم، إلّا أنّه كان فقيراً فعابوه بالفقر، فقالوا: «لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ»[٥].

---

١ ـ اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٢٩، س ١٨.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٢٩.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨١.

٤ ـ قوله وروى أنّه كان إرميا النبي عليه السلام: كأنّه من كلام القمّي اعترض الحديث. منه رحمه الله.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨١.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: قال عليه السلام: وكان التابوت الذي أنزله الله على موسى فوضعته فيه اُمّه فألقته في اليمّ وكان في بني إسرائيل يتبرّكون به، فلمّا حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وماكان عنده من آيات النبوّة وأودعه يوشع وصيّه فلم يزل التابوت بينهم حتّى استخفّوا به وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات فلم يزل بنو إسرائيل في عزّ وشرف مادام التابوت بينهم، فلمّا عملوا بالمعاصي واستخفّوا بالتابوت رفعه الله عنهم فلمّا سألوا النبي وبعث الله طالوت إليهم ملكاً يقاتل معهم ردّ الله عليهم التابوت[١].

كما قال الله تعالى: «إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ»، قال: البقيّة: ذريّة الأنبياء[٢].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: أنّه سئل عن قوله تعالى: «وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ» قال: ذريّة الأنبياء[٣].

وفي الكافي[٤]، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: في هذه الآية قال: رضراض[٥] الألواح فيها العلم والحكمة، وزاد العيّاشي: العلم جاء من السماء فكتب في الألواح وجعل في التابوت[٦].

والعيّاشي: عن الرضا عليه السلام أنّه قال: كان فيه ألواح موسى التي تكسّرت، والطّست التي

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨١ ـ ٨٢.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٣، ح ٤٤١.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٣، ح ٤٤١.

٤ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣١٧، ح ٥٠٠.

٥ ـ الرضراض: الفتات، من رَضَّهُ إذا كسره وفرّقه، ورضراض الألواح: مكسوراتها، وربما يأوّل التابوت: بالقلب، والسكينة: بالعلم والإخلاص، وإتيانه: تصيره مقرّ العلم والوقار بعد أن لم تكن. منه قدّس سرّه.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٣، ح ٤٤٠.

يغسل فيها قلوب الأنبياء[١].

والقمّي: عنه، قال: السكينة: ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان، وكان إذا وضع التابوت بين يدي المسلمين والكفّار فإن تقدّم التابوت رجل لا يرجع حتّى يقتل أو يغلب، ومن رجع عن التابوت كفر وقتله الإمام[٢].

وفي المعاني: سئل الكاظم عليه السلام ما كان تابوت موسى وكم كان سعته؟ قال: ثلاثة أذرع في ذراعين، قيل: وما كان فيه؟ قال: عصا موسى والسكينة، قيل: وما السكينة؟ قال: روح الله يتكلّم، كانوا إذا اختلفوا في شيء كلّمهم وأخبرهم ببيان ما يريدون[٣].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ السكينة التي كانت فيه ريح هفّافة[٤] من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان[٥].

وعن الباقر عليه السلام: إنّ البقيّة: عصا موسى، ورضراض الألواح[٦].

وفي الكافي: عنه عليه السلام: فجاءت به الملائكة تحمله[٧].

وفي رواية: تحمله في صورة البقرة[٨].

وعن الصادق عليه السلام قال: إنّما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل، كانت بنو إسرائيل أي أهل بيت وجد التابوت على بابهم أُوتوا النبوّة فمن صار إليه السلاح منّا أُوتي الإمامة[٩].

وفي رواية: حيث ما دار التابوت في بني إسرائيل دار الملك، وأينما دار السلاح فينا دار الملك والعلم[١٠].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٣، ح ٤٤٢.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٢.
٣ ـ معاني الأخبار: ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥، ح ٢، باب معنى السكينة.
٤ ـ الهفّافة: هي التي يسمع صوت منها. منه رحمه الله.
٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٥٣.
٦ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٥٣.
٧ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣١٦، ح ٤٩٨.
٨ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣١٧، ح ٤٩٩.
٩ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٣٨، ح ١، باب إنّ مثل سلاح رسول الله مثل التابوت في بني إسرائيل.
١٠ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٣٨، ح ٢، باب إنّ مثل سلاح رسول الله مثل التابوت في بني إسرائيل.

وفي أُخرى: سئل الكاظم عليه السلام ما السكينة؟ فقال: ريح تخرج من الجنّة لها صورة كصورة الإنسان ورائحة طيّبة، وهي التي نزلت على إبراهيم فأقبلت تدور حول أركان البيت، وهو يضع الأساطين[1]، فقيل له هي التي قال الله تعالى: «فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ»، قال: وتلك السكينة في التابوت، وكان فيه طستٌ يغسل فيه قلوب الأنبياء، وكان التابوت يدور في بني إسرائيل مع الأنبياء، ثمّ أقبل علينا، فقال: ما تابوتكم؟ قلنا: السلاح، قال: صدقتم هو تابوتكم[2].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام ما يقرب منه، وزاد بعد ذكر الآية قال: هي من هذا[3].

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام: كان التابوت في أيدي أعداء بني إسرائيل من العمالقة غلبوهم عليه لمّا مرج[4] أمر بني إسرائيل وحدثت فيهم الأحداث، ثمّ انتزعه الله من أيديهم وردّه على بني إسرائل تحمله الملائكة[5].

قال: وقيل: وفي رواية أنّ السكينة لها جناحان ورأس كرأس الهرّة من الزبرجد والزمرّد[6]. وروي ذلك في أخبارنا.

قال: والظاهر أنّ السكينة: أمنة وطمأنينة، جعلها الله سبحانه فيه ليسكن إليه بنو إسرائيل، والبقيّة: جائز أن يكون بقيّة من العلم أو شيئاً من علامات الأنبياء، وجائز أن يتضمّنها جميعاً[7].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: إمّا من تمام كلام النبي صلى الله عليه وآله أو خطاب من الله.

---

١ ـ وفي نسخة: [وهو يصنع الأساطين]. والأساطين: جمع اسطوانة، كما ورد في مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٦٤، «مادة سطن».

٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ٤٧١ ـ ٤٧٢، ح ٥، باب صلاة الإستخارة، والرواية عن الإمام الرضا عليه السلام، وفيه: «وكانت فيه طست تغسل فيها قلوب الأنبياء».

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٣، ح ٤٤٢.

٤ ـ المرج: الخلط، ومنه «الهَرْج وَالمَرْج»، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٢٩، مادة «مرج».

٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٥٣.

٦ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٥٣.

٧ ـ القائل هو الطبرسي في مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٥٣.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾: انفصل بهم عند بلده لقتال العمالقة، وأصله فصل نفسه عنه، ولكن لمّا كثر حذف مفعوله صار كاللازم.

﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾: مختبركم.

﴿بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾: فليس من جملتي وأشياعي.

﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: لم يذقه.

﴿فَإِنَّهُ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾: استثناء من قوله: «فمن شرب منه»، ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد، وقرئ غرفة بالفتح.

﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: إلّا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً منهم من اغترف، ومنهم من لم يشرب، كذا في الكافي[1]، والعيّاشي عن الباقر[2].

وروي: أنّ من اقتصر على الغرفة كفته لشربه وأداوته، ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودّت شفته، ولم يقدر أن يمضي، وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة[3].

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ﴾: تخطّى النهر طالوت.

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣١٦، ح ٤٩٨. ٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٤، ح ٤٤٣.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣١؛ وتفسير أبو السعود: ج ١، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنْصُرْنَا عَلَىٰ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ ٱللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَـٰهُ ٱللهُ ٱلْمُـلْكَ وَٱلْحِـكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْـعُ ٱللهِ ٱلـنَّاسَ بَـعْضَهُمْ بِـبَعْضٍ لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ﴾: يعني القليل من أصحابه ورأوا كثرة عدد جنود جالوت.

﴿قَالُواْ﴾: قال الذين اغترفوا.

﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ ٱلَّذِينَ يَـظُنُّونَ﴾: الذين كانوا يتيقّنون.

﴿أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ ٱللهَ﴾: وهم الذين لم يغترفوا.

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللهِ وَٱللهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ[١] عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنْصُرْنَا عَلَىٰ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ ٱللهِ وَقَـتَلَ دَاوُدُ جَـالُوتَ وَءَاتَـٰهُ ٱللهُ ٱلْمُـلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾: القمّي: عن الرضا عليه السلام أوحى الله إلى نبيّهم أنّ جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى عليه السلام، وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب، اسمه داود بن آشي[٢] وكان آشي راعياً، وكان له عشر بنين أصغرهم داود، فلمّا بعث طالوت إلى بني

---

١ ـ أفرغ: أي أصبب علينا صبراً لكي نصبر على الجهاد.

٢ ـ ورد في تفسير القمي اسمه: داود بن آسي دون آشي؛ وفي مجمع البيان: ج ١، ص ٣٥٧؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣١؛ وتفسير أبي السعود: ج ١، ص ٢٤٤ إيشي، بالياء ثمّ المعجمة، فيحتمل أن يكونن عبريّاً. و«آسي» معرباً له. منه قدس سره.

اسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث إلى آشي أن أحضر وأحضر ولدك، فلمّا حضروا دعا واحداً بعد واحد من ولده فألبسه الدرع درع موسى، فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه، فقال لآشي هل خلّفت من ولدك أحداً؟ قال: نعم، أصغرهم تركته في الغنم راعياً، فبعث إليه فجاء به فلمّا دعا أقبل ومعه مقلاع، قال: فناداه ثلاث صخرات في طريقه، فقالت: يا داود خذنا فأخذها في مخلاته، وكان شديد البطش قويّاً في بدنه شجاعاً، فلمّا جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى فاستوت عليه، ففصل طالوت بالجنود.

وقال لهم نبيّهم: يا بني إسرائيل إنّ الله مبتليكم بنهر في هذه المفازة فمن شرب منه فليس من حزب الله، ومن لم يشرب فهو من حزب الله، إلّا من اغترف غرفة بيده، فلمّا وردوا النهر أطلق الله لهم أن يغترف كلّ واحد منهم غرفة، «فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ» فالذين شربوا منه كانوا ستّين ألفاً، وهذا امتحان امتحنوا به كما قال الله عزّ وجلّ[١].

وعن الصادق عليه السلام إنّه قال: القليل الذين لم يشربوا ولم يغترفوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً[٢]، فلمّا جاوزوا النهر ونظروا إلى جنود جالوت قال الذين شربوا منه: «لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ» وقال الذين لم يشربوا: «رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ»، فجاء داود فوقف بحذاء جالوت، وكان جالوت على الفيل، وعلى رأسه التاج، وفي جبهته ياقوتة يلمع نورها، وجنوده بين يديه فأخذ داود من تلك الأحجار حجراً فرمى به ميمنة جالوت فمر في الهواء ووقع عليهم فانهزموا، وأخذ حجراً آخر فرمى به ميسرة جالوت فانهزموا، فرمى جالوت بحجر فصكّ الياقوتة في جبهته، ووصلت إلى دماغه، ووقع على الأرض ميّتاً، وهو قوله تعالى: «فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ ٱللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ ٱللهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ»[٣].

وفي رواية العيّاشي: أنّ داود لمّا دخل العسكر سمعهم يتعظّمون أمر جالوت، فقال لهم:

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٢.

٢ ـ هذا منافٍ لما سبق من الكافي والعيّاشي من أنّ هذه العدّة لمن اغترف. منه رحمه الله.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٢ ـ ٨٣.

ما تعظّمون من أمره؟ فوالله لئن عاينته لأقتلنّه، فتحدّثوا بخبره حتّى أدخل على طالوت، فقال: يا فتى وما عندك من القوّة وما جرّبت من نفسك؟ قال: كان الأسد يعدو على شاة من غنمي فأدركه فآخذ برأسه فأفكّ لحييه منهـا فآخذها من فيه، قال: فقال أُدع لي بدرع سـابغة[١]، قال: فأُتي بدرع فقذفها في عنقه فتملأ منها، قال: فقال طالوت: والله لعسى الله أن يقتله به، قال: فلمّا أن أصبحوا ورجعوا إلى طالوت والتقى الناس قال داود: أروني جالوت، فـلمّا رآه أخـذ الحجر فجعله في مقذافه فرماه فصكّ به بين عينيه فدمغه[٢] فنكّس على دابته، وقال الناس: قتل داود جالوت، وملك الناس حتّى لم يكن يسمع لطالوت ذكر، واجتمعت بنو إسرائيل على داود وأنزل الله عليه الزبور، وعلّمه صنعة الحديد وليّنه له[٣].

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾: وقرئ دفـاع الله، قـيل: أي بـنصر المؤمنين على الكفّار[٤].

وقيل: أي بدفع الهلاك بالبرّ عن الفاجر[٥].

وفي المجمع: روى الثاني عن أمير المؤمنين عليه السلام[٦].

﴿لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾: لعمّ الكفر والهلاك.

﴿وَلَـٰكِـنَّ ٱللَّهَ ذُو فَـضْلٍ عَـلَى ٱلْـعَـٰلَمِينَ﴾: في الكـافي[٧]، والعـيّاشي: عـن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله ليدفع بمن يصلّي من شيعتنا عمّن لا يصلّي من شيعتنا، ولو اجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا، وإنّ الله ليدفع بمن يزكّي من شيعتنا عمّن لا يزكّي، ولو اجتمعوا على ترك الزكاة لهلكوا، وإنّ الله ليدفع بمن يحجّ من شيعتنا عمّن لا يحجّ، ولو اجتمعوا على ترك الحجّ لهلكوا، وهو قول الله عزّ وجلّ: «وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ

---

١ ـ درع سابغة: أي تامّة طويلة، وفي الصحاح: ج ٤، ص ١٣٢١، السابغة: الدرع الواسعة. منه رحمه الله.

٢ ـ دمغه دمغاً: شجّه حتّى بلغت الشجّة الدماغ. الصحاح: ج ٤، ص ١٣١٨، مادة «دمغ».

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٤ ـ ١٣٥، ح ٤٤٥.

٤ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣١.

٥ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٥٧.

٦ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٥٧.

٧ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٥١، ح ١، باب إنّ الله يدفع بالعامل عن غير العامل.

تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُم مَنْ كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾

ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ» فوالله ما نزلت إلّا فيكم ولا عُني بها غيركم[1].

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله لولا عباد ركّع، وصبيان رضّع، وبهائم رتّع، لصبّ عليكم العذاب صبّاً[2].

وعنه صلى الله عليه وآله: إنّ الله يصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده، وأهل دويرته، ودويرات حوله، لا يزالون في حفظ الله مادام فيهم[3].

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ﴾: إشارة إلى ما قصّ من حديث الألوف، وتمليك طالوت، وإتيان التابوت، وإنهزام الجبابرة، وقتل جالوت على يد صبي.

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾: بالوجه المطابق الذي لا يشكّ فيه أهل الكتاب لأنّه في كتبهم كذلك.

﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: حيث تخبر بها من غير تعرّف واستماع.

١ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٥، ح ٤٤٦. ٢ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٥٧.

٣ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٥٧.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾: إشارة إلى الجماعة المذكورة قصصها في السورة.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بأن خصّصناه بمنقبة ليست لغيره.

﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾: من غير سفير كموسى عليه السلام ليلة الحيرة في الطور، ومحمّد صلى الله عليه وآله ليلة المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى، وبينهما بون بعيد.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ﴾: بأن فضّله على غيره من وجوه متعدّدة وبمراتب متباعدة كمحمّد صلى الله عليه وآله حيث أُوتي ما لم يؤت أحد من المعجزات المرتقية إلى الألف وأكثر، وبعث إلى الجنّ والإنس، وخصّ بالمعجزة القائمة إلى يوم القيامة.

وفي العيون: عن النبي صلى الله عليه وآله ما خلق الله خلقاً أفضل منّي، ولا أكرم عليه منّي، قال علي صلوات الله عليه: فقلت: يا رسول الله أفأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال: إنّ الله تعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي والأئمّة من بعدك، وإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا[1].

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾: كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص.

﴿وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: جبرئيل كما مرّ في تفسير الإمام عليه السلام[2].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾: من بعد الرسل.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾: المعجزات الواضحات لاختلافهم في الدين، وتفضيل بعضهم بعضاً.

﴿وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾: بالتزام دين الأنبياء.

﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾: لإعراضه عنه.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾: كرّره للتأكيد.

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: من الخذلان والعصمة عدلاً وفضلاً.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٦٢، ح ٢٢، باب ٢٦ ـ ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتّى.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٣٧١، ذيل الآية ٨٧ من البقرة.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

في الكافي: عن الباقر عليه السلام: وفي هذا ما يستدلّ به على أنّ أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله قد اختلفوا من بعده، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر[١].

والعيّاشي: سئل عن أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل كبّر القوم وكبّرنا، وهلّل القوم وهلّلنا، وصلّى القوم وصلّينا، فعلامَ نقاتلهم؟ فتلا هذه الآية، ثمّ قال: نحن الذين من بعدهم، وقال: فنحن الّذين آمنّا، وهم الذين كفروا[٢].

وفي رواية، قال: فلمّا وقع الإختلاف، كنّا نحن أولى بالله عزّ وجلّ وبالنبي صلى الله عليه وآله، وبالكتاب، وبالحقّ، فنحن الذين آمنوا، وهم الذين كفروا، وشاء الله قتالهم بمشيّته وإرادته[٣].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ﴾: وقرئ بالفتح فيها أجمع، أي من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرّطتم، والخلاص من عذابه إذ لا بيع فيه فتحصّلون ما تنفقونه، وتفتدون به من العذاب، ولا خلّة حتّى يعينكم عليه أخلّاؤكم أو يسامحونكم به لأنّ الأخلّاء «يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ»[٤]، و«لِكُلِّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ»[٥]، ولا شفاعة إلّا لمن «أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً»[٦]، حتّى تتكلّموا على شفعاء تشفّع لكم في حطّ ما في ذممكم[٧].

---

١ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٧٠، ح ٣٩٨.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٦، ح ٤٤٨.
٣ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ص ١٩٨، ح ٣٣٧/ ٣٩، المجلس السابع.
٤ ـ زخرف: ٦٧.
٥ ـ عبس: ٣٧.
٦ ـ طـٰه: ١٠٩.
٧ ـ اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٢، س ١٩.

ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

ويحتمل أن يكون المراد به: يوم الموت كما مرّ في قوله عزّ وجلّ: «وَٱتَّقُواْ يَوْماً لَا تَجْزِى فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً»[1]، وهو أظهر.

﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: حيث بلغ ظلمهم بأنفسهم الغاية، وبلغ حرمانهم هذه الأُمور النهاية، وهذا كما يقال: فلان هو الفقيه في البلد، يراد تقدّمه على غيره.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: هو المستحقّ للعبادة، لا غير.

﴿ٱلْحَىُّ﴾: العليم القدير.

﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: الدائم، القائم القيام بتدبير الخلق، وحفظه، من قام به إذا حفظه.

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾: نعاس، وهو الفتور الذي يتقدّم النوم.

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾: بالطريق الأولى، وهو تأكيد للنوم المنفي ضمناً، والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حيّاً قيوماً.

العيّاشي: عن الصادق عليه السلام إنّه رُئي جالساً متوركاً برجله على فخذه فقيل له: هذه جلسة مكروهة، فقال: لا إنّ اليهود قالت: إنّ الرب لمّا فرغ من خلق السماوات والأرض جلس على الكرسي هذه الجلسة ليستريح فأنزل الله: «ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ»[2].

---

١ ـ البقرة: ٤٨.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٧، ح ٤٥٢.

﴿لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: يملكهما ويملك تدبيرهما تأكيد لقيوميته واحتجاج على تفرّده بالأُلوهيّة، والمراد ـ بما فيهما ـ: ما وجد فيهما داخلاً في حقيقتهما أو خارجاً عنهما متمكناً فيهما.

في الكافي[1]، والقمّي: عن الرضا عليه السلام أنّه قرأ «لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ مَنْ ذَا ٱلَّذِي» الآية[2].

﴿مَنْ ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: بيان لكبرياء شأنه، وأنّه لا أحد يساويه أو يدانيه، يستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلاً من أن يعاوقه عناداً أو مناصبة.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما كان.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: وما لم يكن بعد، كذا روى القمّي عن الرضا عليه السلام[3].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾: من معلوماته.

﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾: القمّي: أي إلّا بما يوحى إليهم[4].

أقول: الإحاطة بالشيء علماً أن يعلم كما هو على الحقيقة، ومجموع الجملتين يدلّ على تفرّده بالعلم الذاتي التام الدالّ على وحدانيّته.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: علمه، كذا في التوحيد[5].

وعن الصادق في الكافي[6]، والعيّاشي: عنه عليه السلام أنّه سئل: السماوات والأرض وسعن الكرسي أم الكرسي وسع السماوات والأرض؟ فقال: إنّ كلّ شيء في الكرسي[7].

والقمّي: إنّ عليّاً صلوات الله عليه سئل عن هذه الآية، فقال عليه السلام: السماوات والأرض وما بينهما من مخلوق في جوف الكرسي، وله أربعة أملاك يحملونه بإذن الله، الحديث[8].

أقول: وقد يراد بالكرسي الجسم الذي تحت العرش الذي دونه السماوات والأرض،

---

١ ـ الكافي: ج ١، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠، ح ٤٣٧. ٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٤.
٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٤. ٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٤.
٥ ـ التوحيد: ص ٣٢٧، باب ٥٢، معنى وسع كرسيّه السماوات والأرض.
٦ ـ الكافي: ج ١، ص ١٣٢، ح ٥، باب العرش والكرسي.
٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٧، ح ٤٥٤. ٨ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٥.

لإحتوائه على العالم الجسماني كأنّه مستقرّه، والعرش فوقه كأنّه سقفه.

وفي الحديث النبوي: ما السماوات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلّا كحلقة ملقاة في فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة[١].

رواه العيّاشي: عن الصادق عليه السلام[٢]، وقد يراد به وعاء العرش.

وفي التوحيد: عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن العرش والكرسي ما هما؟ فقال: العرش في وجه هو جملة الخلق، والكرسي وعاؤه، وفي وجه آخر العرش هو العلم الذي اطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه، والكرسي هو العلم الذي لم يطلع الله عليه أحد من أنبيائه ورسله وحججه عليهم السلام[٣].

أقول: وكأنّ جملة الخلق عبارة عن مجموع العالم الجسماني، ووعاؤه عن عالمي الملكوت والجبروت، لإستقراره عليهما وقيامه بهما.

وربمّا يقال: إنّ كون الكرسي في العرش لا ينافي كون العرش في الكرسي، لأنّ أحد الكونين بنحو والآخر بنحو آخر، لأنّ أحدهما كون عقلي إجمالي، والآخر كون نفساني تفصيلي، وقد يجعل الكرسي كناية عن الملك لأنّه مستقرّ الملك[٤].

وقد يقال إنّه تصوير لعظمته تعالى وتخييل بتمثيل حسّي ولا كرسي ولا قعود ولا قاعد كقوله سبحانه: «﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾»[٥][٦]، وهذا مسلك الظاهريين، وما قلناه أوّلاً مسلك الراسخين في العلم.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾: ولا يثقله.

---

١ ـ تفسير أبي السعود: ج ١، ص ٢٤٨؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٣.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٧، ح ٤٥٥.

٣ ـ لم نعثر عليه في التوحيد. والظاهر أنّه سهو من قلمه الشريف، بل وجدناه في معاني الأخبار: ص ٢٩، ح ١، باب معنى العرش والكرسي.

٤ ـ راجع تفسير القرآن الكريم لصدر المتألّهين الشيرازي: ج ٤، ص ١٦١.

٥ ـ الزمر: ٦٧.

٦ ـ قاله الزمخشري في الكشاف: ج ١، ص ٣٠١؛ وراجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٣.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنْفِصَامَ لَهَا وَٱللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾

﴿حِفْظُهُمَا﴾: حفظه إيّاهما.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾: عن الأنداد، والأشباه، ولا يدركه وهم.

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: المستحقر بالإضافة إليه كلّ ما سواه، ولا يحيط به فهم.

في الخصال: عن النبي صلّى الله عليه وآله: إنّ أعظم آية في القرآن آية الكرسي[١].

وفي المجمع[٢]، والجوامع: عن أمير المؤمنين عليه السلام سمعت نبيّكم على أعواد المنبر وهو يقول: من قرأ آية الكرسي في دبر كلّ صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنّة إلّا الموت، ولا يواظب عليها إلّا صدّيق أو عابد، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه، وجاره وجار جاره والأبيات حوله[٣].

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾: القمّي: أي لا يكره أحد على دينه إلّا بعد أن تبيّن له الرشد من الغيّ[٤].

وقيل: يعني إنّ الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً فيحمله عليه، ولكن «قد تبيّن الرشد من الغي» تميز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة، ودلّت الدلائل على أنّ الإيمان رشد يوصل إلى السعادة الأبديّة، والكفر غيّ يؤدّي إلى الشقاوة السرمديّة، والعاقل متّى تبيّن له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان طلباً للفوز بالسعادة والنجاة، ولم يحتج

---

١ ـ الخصال: ص ٥٢٤، ح ١٣، أبواب العشرين وما فوقه. الخصال التي سأل أبو ذر رضي الله عنه رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٦٠. ٣ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ١٤٠.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٤.

إلى الإكراه والإلجاء[١].

وقيل: إخبار في معنى النهي، أي لا تكرهوا في الدين، وهو إمّا عام منسوخ بقوله: «جَاهِدْ ٱلْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظ عَلَيْهِم»[٢]، وإمّا خاصّ بأهل الكتاب إذا أدّوا الجزية[٣].

أقول: إن أُريد بالدين: التشيّع كما يستفاد من حديث ابن أبي يعفور[٤] الآتي، وأُوّل تمام الآية بولايتهم عليهم السلام، فهو إخبار في معنى النهي من غير حاجة إلى القول بالنسخ والتخصيص.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّـٰغُوتِ[٥]﴾: الشيطان، كذا في المجمع عن الصادق عليه السلام[٦].

أقول: ويعمّ كلّ ما عبد من دون الله من صنم أو صادّ عن سبيل الله، كما يستفاد من أخبار أُخر. فالطاغوت فلعوت من الطغيان.

القمّي: هم الّذين غصبوا آل محمّد عليهم السلام حقّهم[٧].

﴿وَيُؤْمِنُ بِاللهِ﴾: بالتوحيد، وتصديق الرسل.

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: طلب الإمساك من نفسه بالحبل الوثيق، وهي مستعارة للتمسّك المحقّ من النظر الصحيح والدين القويم.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام هي الإيمان بالله وحده لا شريك له[٨].

وعن الباقر عليه السلام: هي مودّتنا أهل البيت[٩].

﴿لَا ٱنْفِصَامَ لَهَا﴾: لا انقطاع لها. في المعاني: عن النبي صلى الله عليه وآله: من أحبّ أن يستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليستمسك بولاية أخي ووصيّي علي بن أبي طالب صلوات

---

١ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٤، س ١١.

٢ ـ التوبة: ٧٣.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٤.

٤ ـ الكافي: ج ١، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦، ح ٣، باب فيمن دان الله بغير إمام من الله.

٥ ـ الطاغوت: أصله طغيون قدم لامه على عينه وصار الطاغوت على خلاف القياس. منه قدس سره.

٦ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٦٤.

٧ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٤.

٨ ـ الكافي: ج ٢، ص ١٤، ح ١، باب في أنّ الصبغة هي الإسلام.

٩ ـ المناقب لابن شهرآشوب: ج ٤، ص ٢ ـ ٣.

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

الله عليه، فإنّه لا يهلك من أحبّه وتولّاه، ولا ينجو من أبغضه وعاداه[١].

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: بالأقوال.

﴿عَلِيمٌ﴾: بالنيّات.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: متولي أُمورهم.

﴿يُخْرِجُهُم﴾: بهدايته وتوفيقه.

﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظلمات الجهل، والذنوب.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: نور الهدى، والمغفرة. في الخصال: عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: المؤمن يتقلّب في خمسة من النور، مدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومنظره يوم القيامة إلى النور[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام أولياؤهم الطواغيت[٣].

القمّي: وهم الظالمون آل محمّد عليهم السلام أولياؤهم الطاغوت، وهم الذين تبعوا مَنْ غصبهم[٤].

﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: قيل: من نور الفطرة إلى فساد الإستعداد[٥].

---

١ ـ معاني الأخبار: ص ٣٦٨، ج ١، باب معنى العروة الوثق.

٢ ـ الخصال: ص ٢٧٧، ح ٢٠، باب ٥ ـ المؤمن يتقلّب في خمسة من النور.

٣ ـ الكافي: ج ٨، ص ٢٨٩، ح ٤٣٦.

٤ ـ تفسير القمّي: ج ١، ٨٥.

٥ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٤.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: النور: آل محمّد عليهم السلام، والظلمات: عدوّهم[١].

وعن ابن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي أُخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولّونكم ويتولّون فلاناً وفلاناً، لهم أمانة، وصدق، ووفاء، وأقوام يتولّونكم ليست لهم تلك الأمانة، ولا الوفاء، ولا الصدق، قال: فاستوى أبو عبدالله عليه السلام جالساً فأقبل عليّ كالغضبان، ثمّ قال: لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر، وليس من الله ولا عتب على من دان الله بولاية إمام عادل من الله، قلت: لا دين لأُولئك، ولا عتب على هؤلاء؟ قال: نعم، لا دين لأُولئك ولا عتب على هؤلاء ثمّ قال: ألا تسمع لقول الله عزّ وجلّ: «ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ» يعني من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كلّ إمام عادل من الله عزّ وجلّ، وقال: «وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ» إنّما عنى بهذا أنّهم كانوا على نور الإسلام، فلمّا أن تولّوا كلّ إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار مع الكفّار[٢].

وزاد العيّاشي بعد قوله: «إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ» قال: قلت: أليس الله عنى بهذا الكفّار حين قال: «وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ» قال: فقال: وأيّ نور للكافر وهو كافر؟ فأخرج منه إلى الظلمات إنّما عنى الله بهذا... إلى آخر الحديث[٣].

﴿أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: العيّاشي: عن الصادق عليه السلام: في آخر الحديث السابق برواية أُخرى فأعداء علي أمير المؤمنين عليه السلام هم الخالدون في النار، وإن كانوا في أديانهم على غاية الورع والزهد والعبادة[٤].

القمّي: هم فيها خالدون، والحمد لله ربّ العالمين[٥].

---

١ ـ لم نعثر عليه في الكافي، بل وجدناه في تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٨ ـ ١٣٩، ح ٤٦١، وهكذا في تفسير البرهان: ج ١، ص ٢٤٤، ح ١٤.

٢ ـ الكافي: ج ١، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦، ح ٣، باب فيمن دان الله بغير إمام من الله.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٨، ح ٤٦٠، وإليك بقيّة الحديث: «إنّما عنى الله بهذا أنّهم كانوا على نور الإسلام فلمّا أن تولّوا كلّ إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إيّاهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب لهم النار مع الكفّار، فقال: «أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ»».

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٩، ح ٤٦٢.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٥.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَاجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

﴿أَلَمْ[١] تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَاجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾: تعجّبت من محاجّة نمرود، وحماقته.

﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾: لأن أتاه، قيل: أي أبطره إيتاؤه الملك، وحمله على المحاجّة، أو وضع المحاجّة موضع الشكر على إيتائه الملك[٢].

في الخصال: عن البرقي مرفوعاً، قال: ملك الأرض كلّها أربعة: مؤمنان، وكافران، أمّا المؤمنان: فسليمان بن داود، وذو القرنين، وأمّا الكافران: فنمرود، وبخت نصر[٣].

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: في المجمع: عن الصادق عليه السلام إنّه كان بعد إلقائه في النار[٤].

﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾: بالعفو عن القتل، والقتل.

---

١ ـ اعلم إنّ كلّاً من لفظي «ألم تر، وأرأيت» يستعمل لقصد التعجّب إلّا أنّ الأُولى بالمتعجّب منه، فيقال: ألم تر إلى الذي صنع كذا بمعنى النظر إليه فتعجّب من حاله، والثانية بمثل المتعجب منه فيقال: أرأيت مثل الذي صنع كذا، بمعنى أنّه في الغرابة بحيث لا يرى له مثل، أو نظر إلى المثل وتعجّب من الذي صنع، وعلى هذا لا يستقيم عطف كالذي مرّ على الذي حاج واحتيج إلى التأويل، فقيل: تقديره أو رأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لأنّه المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيّته أكثر من أن تحصى بخلاف مدعي الربوبيّة.

وقيل: الكاف مزيدة، وتقدير الكلام: ألم تر إلى الذي حاج أو الذي مرّ.

وقيل: إنّه عطف محمول على المعنى كأنّه قيل ألم تر كالذي حاج أو كالّذي مر. منه رحمه الله.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٥، س ٤.

٣ ـ الخصال: ج ١، ص ٢٥٥، ح ١٣٠، باب ملك الأرض كلّها أربعة. ٤ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٦٧.

أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

وعنه عليه السلام: إنّ إبراهيم عليه السلام قال له: أُحي من قتلته إن كنت صادقاً[١].

﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾: أعرض إبراهيم عليه السلام عن الإعتراض على معارضته الفاسدة إلى الإحتجاج بما لا يقدر فيه نحو هذا التمويه رفعاً للمشاغبة، وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفيّ إلى مثال جليّ من مقدوراته التي يعجز عن الإتيان بها غيره لا عن حجّة إلى أُخرى[٢].

﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾: فصار مبهوتاً، وعلى قراءة المعلوم فغلبه.

القمّي: أي انقطع وذلك أنّه علم أنّ الشمس أقدم منه[٣].

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى﴾: بمحجّة المحاجّة، وسبيل النجاة، وطريق الجنّة.

﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم بالإمتناع عن قبول الهداية.

في الكافي[٤]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: خالف إبراهيم عليه السلام قومه، وعاب آلهتهم حتّى أُدخل على نمرود فخاصمهم[٥].

﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾: هو أرميا النبي، وقيل: عزير النبي[٦].

١ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٦٧.
٢ـ اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٥.
٣ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٦.
٤ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٦٨، ح ٥٥٩.
٥ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٩، ح ٤٦٤.
٦ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٥.

وتأتي الأخبار في ذلك.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: ساقط حيطانها على سقوفها.

﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي﴾: كيف يحيي؟ أو متى يحيى؟

﴿هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: اعترافاً بالعجز عن معرفة طريق الإحياء، واستعظاماً لقدرة المحيي، أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة.

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾: أحياه.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغيّر بمرور السنين، وقرئ بحذف الهاء في الوصل.

﴿وَٱنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾: كيف تفرّقت عظامه، ونخرت، وتفتّتت.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ﴾: أي: وفعلنا ذلك لنجعلك آية.

﴿وَٱنْظُرْ إِلَىٰ ٱلْعِظَامِ﴾: يعني عظامك.

﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾: كيف نرفع بعضها على بعض للتركيب، وقرئ ننشرها بالراء، من أنشر الله الموتى إذا أحياهم، وننشرها ـ بالفتح والراء ـ من نشر بمعنى أنشر.

﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً﴾: من هاهنا وهاهنا كما يأتي.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾: ما تبيّن.

﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: وقرئ إعلم على الأمر.

القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: لمّا عملت بنوا إسرائيل بالمعاصي، وعتوا عن أمر ربّهم، أراد الله أن يسلّط عليهم من يذلّهم ويقتلهم، فأوحى الله إلى أرميا، يا ارميا ما بلد انتخبته من بين البلدان وغرست فيه من كريم الشجر فاخلف فأنبت خرّوباً[1] فأخبر ارميا أحبار بني

---

١ ـ يقال: خرّوب كتنور شجرة بريّة ذات شوك. منه مدّظلّه. وفي تاج العروس: ج ٢، ص ٣٤٧، الخَرّوب ـ كتنور ـ: نبت معروف، والخُرنُوب ـ بالضم على الأفصح، وقد تفتح ـ: شجر بري وشامي بريّة يسمى الينبوتة، شَوِك، أي ذو شوك وهو الذي يُستوقَد به يرتفع قدر الذراع ذو أفنان، وحمل أحم خفيف كالتفاح لكنّه بشع لا يؤكل ⇐

إسرائيل، فقالوا له: راجع ربّك ليخبرنا ما معنى هذا المثل، فصام أرميا سبعاً فأوحى الله إليه يا أرميا أمّا البلد فبيت المقدس، وأمّا ما أنبت فيها فبنو إسرائيل الذين أسكنتهم فيها فعملوا بالمعاصي، وغيّروا ديني، وبدّلوا نعمتي كفراً، فبي حلفت لأمتحنهم بفتنة يظلّ الحكيم فيه حيراناً، ولأسلّطنّ عليهم شرّ عبادي ولادة، وشرّهم طعاماً، فليسلّطنّ عليهم بالجبريّة فيقتل مقاتليهم، ويسبي حريمهم، ويخرّب بيتهم الذي تعيّرون به، ويلقي حجرهم الذي يفتخرون به على الناس في المزابل مائة سنة، فأخبر أرميا أحبار بني إسرائيل، فقالوا له: راجع ربّك فقل له ما ذنب الفقراء والمساكين والضعفاء؟ فصام أرميا، ثمّ أكل أكلة فلم يوح إليه شيء، ثمّ صام سبعاً فلم يوح إليه شيء، ثمّ صام سبعاً فأوحى الله إليه يا ارميا لتكفنّ عن هذا أو لأردنّ وجهك إلى قفاك؟ قال: ثمّ أوحى الله إليه قل لهم: لأنّكم رأيتم المنكر فلم تنكروه، فقال أرميا: ربّ علّمني من هو حتّى آتيه وآخذ لنفسي وأهل بيتي منه أماناً، قال: إئت إلى موضع كذا وكذا فانزل إلى غلام أشدّهم زماناً وأخبثهم ولادة وأضعفهم جسماً وأشرّهم غذاءاً فهو ذاك، فأتى أرميا ذلك البلد، فإذا هو بغلام في خان زمن، ملقىً على مزبلة وسط الخان وإذا له أمّ تربّي بالكسر وتفتّت الكِسَر في القصعة، وتحلب عليه خنزيرة لها، ثمّ تدنيه من ذلك الغلام فيأكل، فقال ارميا: إن كان في الدنيا الذي وصفه الله فهو هذا، فدنا منه فقال له: ما اسمك؟ فقال: بخت نصّر[1] فعرف أنّه هو، فعالجه حتّى برء، ثمّ قال له: تعرفني؟ قال: لا، أنت رجل صالح، قال: أنا أرميا نبي بني إسرائيل أخبرني الله أنّه سيسلّطك على بني إسرائيل فتقتل رجالهم وتفعل بهم

⇐ إلّا في الجهد، وفيه حب صلب زلال وشاميّة وهو النوع الثاني حلوّ يؤكل، وله حبّ كحبّ الينبوت إلّا أنّه أكبر ذو حمل كالخيار شنبر إلّا أنّه عريض وله رُبٌّ وسويق. وفي التهذيب: الخرنوبة والخروبة: شجر الينبوت، وقيل: الينبوت: الخشخاش.

١ ـ بخت نصّر ـ بالتشديد ـ: أصله بوخت، ومعناه ابن، ونَصّر ـ كَبَقَّم ـ: صنم وكان وجد عند الصنم ولم يعرف له أب فنسب إليه. القاموس المحيط: ج ٢، ص ١٤٣.

وفي سفينة البحار: ج ١، ص ٢٣٠، بخت نصّر: روى أنّه سمي بذلك لأنّه رضع بلبن كلبة، وكان اسم الكلب بخت واسم صاحبه نصر، وكان مجوسيّاً أغلف، أغار على بيت المقدس ودخله في ستمائة ألف عَلَم.

وعن النبي ﷺ قال: ملك بخت نصّر مائة سنة وسبعا وثمانين سنة، وقتل من اليهود سبعين ألف مقاتل على دم يحيى بن زكريّا، وخرّب بيت المقدس وتفرّقت اليهود في البلدان.

ما تفعل، قال: فتاه الغلام في نفسه في ذلك الوقت، ثمّ قال أرميا: اكتب لي كتاباً بأمان منك، فكتب له كتاباً، وكان يخرج في اللّيل إلى الجبل ويحتطب ويدخله المدينة ويبيعه، فدعا إلى حرب بني إسرائيل، وكان مسكنهم في بيت المقدس وأقبل بخت نصّر فيمن أجابه نحو بيت المقدس وقد اجتمع إليه بشر كثير، فلمّا بلغ أرميا إقباله نحو بيت المقدس استقبله على حمار له ومعه الأمان الذي كتب له بخت نصّر، فلم يصل إليه ارميا من كثرة جنوده وأصحابه فصيّر الأمان على خشبة ورفعها، فقال: من أنت؟ فقال: أنا ارميا النبي الذي بشّرتك بأنّك ستسلّط على بني إسرائيل، وهذا أمانك لي، قال: أمّا أنت فقد آمنتك، وأمّا أهل بيتك فإنّي أرمي من هاهنا إلى بيت المقدس، فإن وصلت رميتي إلى بيت المقدس فلا أمان لهم عندي، وإن لم تصل فهم آمنون، وأنزع قوسه ورمى نحو بيت المقدس، فحملت الريح النشابة حتّى علّقتها في بيت المقدس، فقال: لا أمان لهم عندي، فلمّا وافى نظر إلى جبل من تراب وسط المدينة، وإذا دم يغلي وسطه كلّما اُلقي عليه التراب خرج وهو يغلي، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا نبيّ كان لله فقتله ملوك بني إسرائيل ودمه يغلي، وكلّما ألقينا عليه التراب خرج يغلي، فقال بخت نصّر: لأقتلنّ بني إسرائيل أبداً حتّى يسكن هذا الدم، وكان ذلك الدم دم يحيى بن زكريّا، وكان في زمانه ملك جبّار يزني بنساء بني إسرائيل، وكان يمرّ بيحيى بن زكريّا، فقال له يحيى: اتّق الله أيّها الملك، لا يحلّ لك هذا، فقالت له إمرأة من اللواتي كان يزني الملك بهنّ حين سكر: أيّها الملك اُقتل يحيى، فأمر أن يؤتى برأسه، فأُتي برأس يحيى في الطست، وكان الرأس يكلّمه ويقول: ياهذا اتق الله لا يحلّ لك هذا، ثمّ غلى الدم في الطست حتّى فاض إلى الأرض فخرج يغلي ولا يسكن، وكان بين قتل يحيى وخروج بخت نصّر مائة سنة، ولم يزل بخت نصّر يقتلهم، وكان يدخل قرية قرية فيقتل الرجال والنساء والصبيان وكل حيوان، والدم يغلي حتّى أفنى من بقي منهم، ثمّ قال: أبقي أحد في هذه البلاد؟ قالوا: عجوز في موضع كذا وكذا، فبعث إليها فضرب عنقها على ذلك الدم فسكن، وكانت آخر من بقي، ثمّ أتى بابل فبنى بها مدينة وأقام وحفر بئراً فألقى فيها دانيال وألقى معه اللّبوة تأكل طين البئر ويشرب دانيال لبنها، ولبث بذلك زماناً، فأوحى الله إلى النبي الذي كان ببيت المقدس أن اذهب بهذا الطعام والشراب إلى دانيال، واقرأه منّي السلام، قال:

وأين هو يا ربّ؟ فقال: في بئر بابل في موضع كذا وكذا، قال: فأتاه فاطّلع في البئر، فقال: يا دانيال، قال: لبّيك صوت غريب، قال: إنّ ربّك يقرؤك السلام قد بعث إليك بالطعام والشراب فدلّاه إليه، قال: فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، الحمد لله الذي لا يخيّب من دعاه، الحمد لله الذي من توكّل عليه كفاه الحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره، الحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحساناً، الحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة، والحمد لله الذي يكشف ضرّنا عند كربتنا، والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تنقطع الحيل منّا، الحمد لله الذي هو رجاؤنا حين ساء ظنّنا بأعمالنا.

قال: فأُري بخت نصّر في نومه كأنّ رأسه من حديد، ورجليه من نحاس وصدره من ذهب.

قال: فدعا المنجمين فقال لهم: ما رأيت؟ فقالوا: ما ندري، ولكن قصّ علينا ما رأيته في المنام، فقال: وأنا أجري عليكم الأرزاق منذ كذا وكذا ولا تدرون ما رأيت في المنام؟ فأمر بهم فقتلوا.

قال: فقال له بعض من كان عنده: إن كان أحد شيء فعند صاحب الجب، فإنّ اللّبوة لم تعرّض له وهي تأكل الطين وترضعه، فبعث إلى دانيال فقال: ما رأيت في المنام، فقال: رأيت كأنّ رأسك من كذا، ورجليك من كذا، وصدرك من كذا، قال: هكذا رأيت فما ذاك؟ قال: قد ذهب ملكك وأنت مقتول إلى ثلاثة أيّام يقتلك رجل من ولد فارس.

قال: فقال له: إنّ علي لسبع مدائن على باب كلّ مدينة حرس وما رضيت بذلك حتّى وضعت بطّة من نحاس على باب كلّ مدينة لا يدخل غريب إلّا صاحت عليه حتّى يؤخذ.

قال: فقال له: إنّ الأمر كما قلت لك، قال: فبثّ الخيل وقال: لا تلقون أحداً من الخلق إلّا قتلتموه كائناً من كان، وكان دانيال جالساً عنده وقال: لا تفارقني هذه الثلاثة الأيّام، فإن مضت قتلتك فلمّا كان في اليوم الثالث ممسياً أخذه الغم فخرج فتلقّاه غلام كان اتّخذه ابناً له من أهل فارس وهو لا يعلم أنّه من أهل فارس، فدفع إليه سيفه وقال له: يا غلام لا تلق أحداً من الخلق إلّا قتلته، وإن لقيتني أنا فاقتلني فأخذ الغلام سيفه فضرب به بخت نصّر ضربة فقتله،

فخرج ارميا على حماره ومعه تين قد تزوّده، وشيء من عصير فنظر إلى سباع البرّ وسباع البحر وسباع الجوّ تأكل تلك الجيف ففكّر في نفسه ساعة، ثمّ قال: أنّى يحيي الله هؤلاء وقد أكلتهم السباع فأماته الله مكانه! وهو قول الله تعالى: «أو كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَة وَهِىَ خَاوِيَة عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِى هَـٰذِهِ ٱللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللهُ مِاْئَةَ عَام ثُمَّ بَعَثَهُ» أي أحياه، فلمّا رحم الله بني إسرائيل وأهلك بخت نصّر ردّ بني إسرائيل إلى الدنيا، وكان عزير لمّا سلّط الله بخت نصّر على بني إسرائيل هرب ودخل في عين وغاب فيها وبقي ارميا ميّتاً مائة سنة، ثمّ أحياه الله فأوّل ما أحيى الله منه عينيه في مثل غِرقيء البيض[1]، فنظر فأوحى الله إليه كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً، ثمّ نظر إلى الشمس قد ارتفعت، فقال: أو بعض يوم، فقال الله تعالى: «بَلْ لَبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ» أي لم يتغيّر، «وَٱنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَٱنْظُرْ إِلَىٰ ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً»، فجعل ينظر إلى العظام البالية المنفطرة تجتمع إليه، وإلى اللّحم الذي قد أكلته السباع يتألّف إلى العظام من هاهنا وهاهنا، ويلتزق بها حتّى قام وقام حماره، فقال: «أَعْلَمُ أَنَّ ٱللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[2].

والعيّاشي: عنه عليه السلام ما يقرب من صدر هذا الحديث، وذيله من قصّة ارميا، ولم يذكر دم يحيى، ولا جبّ دانيال، بل أجمل قصّة بخت نصّر، قال: فسلّط الله عليهم بخت نصّر فصنع بهم ما قد بلغك، ثمّ بعث إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: إنّك قد نبّئت عن ربّك وحدّثتهم بما أصنع بهم، فإن شئت فأقم عندي فيمن شئت، وإن شئت فاخرج، فقال: لا بل أخرج فتزوّد عصيراً وتيناً وخرج فلمّا أن غاب مدّ البصر، التفت إليها، فقال: «أَنَّىٰ يُحْيِى هَـٰذِهِ ٱللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللهُ مِاْئَةَ عَامٍ» أماته غدوة وبعثه عشيّة قبل أن تغيب الشمس، وكان أوّل شيء خلق منه عيناه في مثل غرقيء البيض، ثمّ قيل له كم لبثت؟ قال: «لَبِثْتُ يَوْمَاً» فلمّا أن نظر إلى الشمس لم تغب قال: «أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ» وَٱنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ

---

١ ـ الغرقيء ـ كزبرج ـ: القشرة الملتزقة ببياض البيض أو البياض الذي يؤكل، ومنه حديث سفيان الثوري حين دخل على أبي عبدالله عليه السلام فرأى عليه ثياباً كأنّها غِرقيء البيض. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٢٢، مادة «غرق».

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٦ ـ ٩١.

وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَٱنْظُرْ إِلَىٰ ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً»، قال: فجعل ينظر إلى عظامه كيف يصل بعضها إلى بعض، ويرى العروق كيف تجري، فلمّا استوى قائماً «قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(١).

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام قال: وأمات الله ارميا النبي عليه السلام الذي نظر إلى خراب بيت المقدس وما حوله حين غزاهم بخت نصّر، فقال: «أَنَّىٰ يُحْيِي هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ» ثمّ أحياه ونظر إلى أعضائه كيف تلتئم، وكيف تلبّس اللّحم، وإلى مفاصله وعروقه كيف توصل، قال: فلمّا استوى قاعداً «قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(٢).

وفي الإكمال: عنه عليه السلام قال: وتصديق ذلك من كتاب الله، إنّ الآيات: هم الحجج، قول الله عزّ وجلّ: «وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً»(٣) يعني حجّة(٤).

وقوله عزّ وجلّ لأرميا حين أحياه الله من بعد أن أماته: «وَٱنْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ» يعني حجّة(٥).

وعن النبي صلّى الله عليه وآله في حديث قد ذكر فيه بخت نصّر، وقَتْله من قُتل من اليهود على دم يحيى بن زكريّا في سبعة وأربعين سنة من ملكه، قال: فبعث الله تعالى العزير نبيّاً إلى أهل القرى التي أمات الله عزّ وجلّ أهلها، ثمّ بعثهم له وكانوا من قرىً شتّى فهربوا فرقاً من الموت، فقتلوا في جوار عزير وكانوا مؤمنين، وكان يختلف إليهم ويسمع كلامهم وايمانهم وأحبّهم على ذلك وأخاهم عليه فغاب عنهم يوماً واحداً، ثمّ أتاهم فوجدهم صرعى موتى فحزن عليهم و«قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا» تعجيباً منه حيث أصابهم وقد ماتوا أجمعين في يوم واحد، فأماته الله عزّ وجلّ عند ذلك مائة عام فلبث فيهم مائة سنة، ثمّ بعثهم وكانوا مائة ألف مقاتل،

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤٠، ح ٤٦٦.

٢ ـ الاحتجاج: ج ٢، ص ٨٨، احتجاج أبي عبدالله الصادق عليه السلام في أنواع شتّى من العلوم الدينيّة على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات.

٣ ـ المؤمنون: ٥٠.

٤ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٣٠ في مقدّمة المصنّف.

٥ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٣٠، في مقدّمة المصنّف، وفيه: «عزير» بدل ارميا.

ثمّ قتلهم الله أجمعين لم يفلت منهم أحد على يدي بخت نصّر[١].

وعنه عليه السلام في حديث قد ذكر فيه تسلّط بخت نصّر على بني إسرائيل، وقتله إيّاهم وسبيه ذراريهم، واصطفائه من السبي دانيال، وعزيراً، وهما صغيران، وكان دانيال أسيراً في يده تسعين سنة، ثمّ ذكر إلقاءه إيّاه في الجبّ، ثمّ إخراجه منها بعد حين على نحو آخر غير ما في رواية القمّي، ثمّ قال: وفوّض النظر إليه في اُمور ممالكه، والقضاء بين الناس، ولم يلبث إلّا قليلاً حتّى مات، وأفضى الأمر بعده إلى عزير، فكانوا يجتمعون إليه، ويأنسون به، ويأخذون عنه معالم دينهم، فغيّب الله عنهم شخصه مائة عام ثمّ بعثه[٢].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ عزيراً خرج من أهله وامرأته حامل، وله خمسون سنة، فأماته الله مائة سنة، ثمّ بعثه فرجع إلى أهله ابن خمسين، وله ابن له مائة سنة فكان ابنه أكبر منه، فذلك من آيات الله[٣].

والعيّاشي: أنّ ابن الكوّا قال لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين ما ولد أكبر من أبيه من أهل الدنيا قال: نعم اُولئك ولد عزير حيث مرّ على قرية خربة، وقد جاء من ضيعة له، تحته حمار، ومعه سلّة فيها تين وكوز فيه عصير، فمرّ على قرية خربة فقال: «أَنَّىٰ يُحْيِي هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ» فتوالد ولده وتناسلوا، ثمّ بعثه الله إليه فأحياه في المولد الذي أماته فيه، فأولئك ولده أكبر من أبيهم[٤].

وروى أنّه أتى قومه على حماره، وقال: أنا عزير فكذّبوه، فقرأ التوراة من الحفظ، ولم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك، فقالوا: هو ابن الله[٥].

وقيل: لمّا رجع إلى منزله كان شابّاً وأولاده شيوخاً، فإذا حدّثهم بحديث، قالوا: حديث مائة سنة[٦].

---

١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦، ح ٢٠، الباب ٢٢ ـ إنّ الأرض لا تخلو من حجّة الله.

٢ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٥٧ ـ ١٥٨، ح ١٧، باب ٧ ـ في وقوع الغيبة بالأوصياء.

٣ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٧٠.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤١، ح ٤٦٨.

٥ ـ الكشاف: ج ١، ص ٣٠٧؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٦.

٦ ـ الكشاف: ج ١، ص ٣٠٧؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٦.

أقول: ويمكن التوفيق بين هذه الأخبار بالقول بوقوع هذه القضيّة مرّتين. مرّة لأرميا في تعجّبه في إحياء قتلى بخت نصّر[١]. وأُخرى لعزير في تعجّبه في إحياء من مات من أصحابه في يوم واحد[٢]، إلّا أنّه عبّرت لإرميا بالموت[٣]، ولعزير تارة بالغيبة[٤]، وأُخرى بالموت[٥].

وإنّما التنافي بين رواية القمّي في قصّة دانيال[٦]، ورواية الإكمال فيها[٧]، وبين روايتي الإكمال حيث قيل في إحداهما إنّ قتل بخت نصّر كان على دم يحيى بن زكريّا[٨]، موافقاً للقمّي[٩] والعيّاشي[١٠].

وقال في الأُخرى: إنّ ولادة يحيى كانت بعد تلك القضايا بسنين[١١]، والعلم عند الله[١٢].

---

١ ـ أُنظر الإحتجاج: ج ٢، ص ٨٨، إحتجاج أبي عبدالله الصادق عليه السلام في أنواع شتّى من العلوم الدينيّة على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات.

٢ ـ أُنظر إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦، باب ٢٢ ـ اتصال الوصيّة من لدن آدم عليه السلام.

٣ ـ أُنظر الإحتجاج: ج ٢، ص ٨٨، إحتجاج أبي عبدالله الصادق عليه السلام في أنواع شتّى من العلوم الدينيّة على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات.

٤ ـ أُنظر تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٦ ـ ٩١، وإكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٥٨.

٥ ـ أُنظر مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٧٠، وإكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٦ ـ ٩١.

٧ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٥٧ ـ ١٥٨، باب ٧ ـ ذكر مضي موسى عليه السلام ووقوع الغيبة بالأوصياء.

٨ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٥٧ ـ ١٥٨، باب ٧ ـ ذكر مضي موسى عليه السلام ووقوع الغيبة بالأوصياء.

٩ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٦ ـ ٩١.

١٠ ـ ليس في رواية العيّاشي ذكر دم يحيى حتّى يكون موافقاً للإكمال والقمّي، فراجع. والظاهر أنّه سهو من قلمه الشريف، أو النسّاخ.

١١ ـ إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢١٣، باب ٢٢ ـ اتصال الوصيّة من لدن آدم عليه السلام. وقد ورد فيه: «وأوصى آصف بن برخيا إلى زكريّا، ودفعها زكريّا إلى عيسى بن مريم عليه السلام، وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا، وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريّا، وأوصى يحيى بن زكريّا إلى منذر.

١٢ ـ وممّا يؤيّده ما في التفسير ما رواه في الإكمال أيضاً في موضع آخر ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦، عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل بعد أن ذكر أنّ الله استودع علمه وحكمته بعد عيسى شمعون بن حمون الصفا، وبعده يحيى بن زكريّا، وبعده ولد شمعون، وبعده في ذريّة يعقوب بن شمعون، قال: وعند ذلك ملك بخت نصّر مائة سنة وسبعاً وثمانين سنة، وقتل من اليهود سبعين ألف مقاتل على دم يحيى بن زكريّا، وخرّب بيت المقدس، وتفرّقت اليهود في البلدان. منه قدس سره.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: إنّما سأل ذلك ليصير علمه عياناً.

﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾: بأنّي قادر على الإحياء بإعادة التركيب والحياة؟ قال له ذلك، وقد علم أنّه أغرق الناس[١] في الإيمان وأثبتهم ليجيب بما أجاب، فيعلم السامعون غرضه[٢].

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: أي بلى آمنت، ولكن سألت لأزيدنّ بصيرة وسكون قلبي بمضامة العيان إلى الوحي والبيان[٣].

في المحاسن[٤]، والعيّاشي: سئل الرضا عليه السلام أكان في قلبه شكّ؟ قال: لا، و كان على يقين، ولكنّه أراد من الله الزيادة في يقينه[٥].

---

١ ـ أغرق الناس: أي أثبتهم، والعطف تفسيري. منه رحمه الله. وقال أيضاً في هامش المخطوط: والأغرق ـ بالغين المعجمة والراء المهملة والقاف ـ: المبالغ في الشيء، وقال الفيومي: أغرق في الشيء: بالغ فيه وأطنب، المصباح المنير: ص ٤٤٦.

٢ ـ اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٦، وفيه: «أعرق الناس».

٣ ـ اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٦.

٤ ـ المحاسن: ج ١، ص ٣٨٥، ح ٨٥١/٢٥٣، باب اليقين والصبر في الدين.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤٣، ح ٤٧١.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ﴾: فاملهنّ واضممهنّ، وقرئ بكسر الصاد.

﴿إِلَيْكَ﴾: لتتأمّلها وتعرف شأنها لئلّا تلتبس عليك بعد الإحياء.

﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً﴾: قطّعهنّ واخلطهنّ وفرّق الأعضاء[١] على الجبال، وقرئ جزءاً مثقّلاً مهموزاً ومشدّداً.

﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾: قل لهنّ: تعالين بإذن الله.

﴿يَأْتِينكَ سَعْياً﴾: ساعيات مسرعات.

﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجز عمّا يريده.

﴿حَكِيمٌ﴾: ذو حكمة بالغة في كلّ ما يفعله ويدبّره.

في الكافي[٢]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام لمّا رأى إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض التفت فرأى جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء ونصفها في البر، تجيء سباع البحر فتأكل فيما في الماء[٣] ثمّ ترجع فيشدّ بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، وتجيء سباع البرّ فتأكل منها فيشدّ بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، فعند ذلك تعجّب إبراهيم عليه السلام ممّا رأى وقال: «رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْـيِ ٱلْمَوْتَىٰ»، قال: كيف تخرج ما تناسل التي أكل بعضها بعضاً؟ «قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» يعني حتّى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلّها، «قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً» فقطّعهنّ واخلطهنّ كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع التي أكل بعضها بعضاً فخلّط «ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً * ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينكَ سَعْياً» فلمّا دعاهنّ أجبنه، وكان الجبال عشرة[٤].

---

١ ـ وفي بعض النسخ: [الأجزاء].

٢ ـ الكافي: ج ٨، ص ٣٠٥، ح ٤٧٣.

٣ ـ وفي نسخة: [ما في الماء] كما في المصدر، وهذا هو الأصح.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤٢، ح ٤٦٩.

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام إنّ الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أنّي متّخذ من عبادي خليلاً إن سألني إحياء الموتى أجبته، فوقع في نفس إبراهيم عليه السلام أنّه ذلك الخليل، فقال: «رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» على الخلّة، «قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً * ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»، فأخذ إبراهيم عليه السلام نسراً، وبطّاً، وطاوساً، وديكاً، فقطّعهنّ وخلطهنّ، ثمّ جعل على كلّ جبل من الجبال التي حوله، وكانت عشرة منهنّ جزءاً، وجعل مناقيرهنّ بين أصابعه، ثمّ دعاهنّ بأسمائهنّ، ووضع عنده حبّاً وماءاً فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتّى استوت الأبدان، وجاء كلّ بدن حتّى انضمّ إلى رقبته ورأسه، فخلّى إبراهيم مناقيرهنّ[1] فطرن ثمّ وقعن فشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحبّ، وقلن: يا نبي الله أحييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم عليه السلام: بل الله يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير[2].

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام في حديث: إنّ إبراهيم عليه السلام دعا بمهراس[3] فدقّ فيه الطير جميعاً، وحبس الرؤوس عنده، ثمّ إنّه دعا بالذي أُمر به فجعل ينظر إلى الريش كيف يخرج؟ وإلى العروق عرقاً عرقاً حتّى خرج جناحه مستوياً فأهوى نحو إبراهيم، فمال إبراهيم ببعض الرؤوس فاستقبله به، فلم يكن الرأس الذي استقبله لذلك البدن حتّى انتقل إليه غيره فكان موافقاً للرأس فتمّت العدّة وتمّت الأبدان[4].

---

١ ـ وفي نسخة: [فخلّى إبراهيم عن مناقيرهنّ]، وهكذا في المصدر.

٢ ـ عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٩٨، ح ١، باب ١٥ ـ ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٣ ـ المهراس ـ بكسر الميم ـ: حجر مستطيل ينقر ويدق فيه ويتوضّأ منه وقد استعير للخشبة التي يدق فيها الحبّ، فقيل لها مهراس على التشبيه. المصباح المنير: ص ٦٣٧. ونحوه ورد في لسان العرب: ج ١٥، ص ٧٥، فراجع.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤٣ ـ ١٤٤، ح ٤٧٣.

وفي الخصال[١]، والعيّاشي: عنه عليه السلام إنّه أخذ الهدهد، والصرد[٢]، والطاووس، والغراب، فذبحهنّ وعزل رؤوسهنّ، ثمّ نخّر[٣] أبدانهنّ في المنخار[٤] بريشهنّ ولحومهنّ وعظامهنّ حتّى اختلطت، ثمّ جزّاهنّ عشرة أجزاء على عشرة جبال[٥]، ثمّ وضع عنده حبّاً وماءاً، ثمّ جعل مناقيرهنّ بين أصابعه، ثمّ قال: إيتين[٦] سعياً بإذن الله، فتطاير بعضهنّ إلى بعض اللّحوم، والريش، والعظام، حتّى استوت الأبدان كما كانت، وجاء كلّ بدن حتّى إلتزق برقبته التي فيها رأسه والمنقار، فخلّى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهنّ، فوقعن وشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحبّ، ثمّ قلن: يا نبي الله أحييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم عليه السلام: بل الله يحيي ويميت، فهذا تفسيره في الظاهر، قال: وتفسيره في الباطن خذ أربعة ممّن يحتمل الكلام فاستودعهنّ علمك ثمّ ابعثهنّ في أطراف الأرضين حججاً على الناس وإذا أردت أن يأتوك دعوتهم بالاسم الأكبر يأتونك سعياً بإذن الله تعالى[٧].

---

١ ـ الخصال: ج ١، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥، ح ١٤٦، باب ٤ ـ قول الله عزّ وجلّ لإبراهيم عليه السلام: «فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ».

٢ ـ الصرد ـ وهو كرطب ـ: طائر أبيض البطن، أخضر الظهر، ضخم المنقار يصطاد العصافير، إذا نقر واحد قدّه من ساعته وأكله، ويسمّى الأخطب والأخيل لإختلاف لونه، لا يكاد يرى إلّا في سعفة أو شجرة، لا يقدر عليه أحد، شرير النفس، غذاؤه من اللحم، له صفير مختلف، يصفّر لكلّ طائر يريد صيده بلغته فيدعوه ليقرب إليه، فإذا اجتمعوا إليه شدّ على بعضهم فأخذه، تتشاءم به العرب وتتطيّر بصوته. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٨٥، مادة «صرد»، ونحو هذا قال الفيومي في المصباح المنير: ص ٣٣٧.

٣ ـ نخر العظم نخراً ـ من باب تعب ـ: بلى وتفتّت فهو نَخِر وناخر. المصباح المنير: ص ٥٩٦، ونحوه ذكر الطريحي في مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٨٩، مادة «نخر».

٤ ـ هكذا في الأصل، وفي نسخة: [في المنحاز] كما ورد في الخصال. والمنحاز: الهاون. لسان العرب: ج ١٤، ص ٧٠، مادة «نحز». وفي العيّاشي: «ثمّ نخر أبدانهنّ بالمنخار»، وفي البرهان نقلاً عن العيّاشي: ج ١، ص ٢٥٢، ح ١٤، «ثمّ تجزّى أبدانهم بالمنحاز بريشهنّ».

٥ ـ هكذا في الأصل والعيّاشي، ولكن في نسخة: [عشرة أجبل]، كما ورد في الخصال.

٦ ـ هكذا في الأصل، وفي العياشي: «إيتيني»، وفي الخصال: «آتينِ سعياً».

٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤٥ ـ ١٤٦، ح ٤٧٧.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾

وفي العلل[١]، والمجمع: عنه عليه السلام وكانت الطيور، الديك، والحمامة، والطاووس، والغراب[٢].

والعيّاشي: عنه عليه السلام، مثله[٣].

وفي رواية: أبدل الغراب بالهدهد[٤][٥].

وفي أُخرى: بالوزّة، والحمامة بالنعامة[٦][٧].

وفي هذه القصّة إشارة إلى أنّ إحياء النفس بالحياة الأبديّة إنّما يتأتّى بإماتة القوى البدنيّة الباعثة على حبّ الشهوات والزخارف، والحرص، وطول الأمل، وخسّة النفس، والمسارعة إلى الهوى الموصوف بها الطيور المذكورة، ومزج بعضها ببعض حتّى تنكسر سورتها فيطاوعن مسرعات متى دعين بداعية العقل والشرع، وإنّما خصّ الطير لأنّه أقرب إلى الإنسان، وأجمع لخواص الحيوان.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ﴾: باذر.

﴿حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾: بانشعاب ساقه سبع شعب في كلّ منها سنبلة.

---

١ ـ علل الشرائع: ص ٣٦، ح ٨، باب ٣٢، ولكن فيه: «طاوساً، ونسراً، وديكاً، وبطّاً».

٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٧٣.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤٢، ح ٤٧٠.

٤ ـ أي الهدهد يكون بدلاً من الغراب، فالطيور الأربعة عبارة عن الديك والحمامة والطاووس والهدهد.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤٤، ح ٤٧٥.

٦ ـ أي الوزة تكون بدلاً من الغراب وأنّ النعامة تكون بدلاً من الحمامة، فالطيور الأربعة عبارة عن الديك والوزّة والنعامة والطاووس.

٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤٣، ح ٤٧١.

ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُواْ مَنّاً وَلَا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾

﴿فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَٱللهُ يُضَـٰعِفُ لِمَنْ يَشَآءُ﴾: بفضله على حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه وحال المصرف وغير ذلك.

القمّي: عن الصادق عليه السلام لمن أنفق ماله ابتغاء مرضات الله[1].

وفي ثواب الأعمال[2]، والعيّاشي: عنه عليه السلام: إذا أحسن العبد المؤمن عمله ضاعف الله له عمله بكلّ حسنة سبعمائة ضعف، وذلك قول الله تعالى: «وَٱللهُ يُضَـٰعِفُ لِمَنْ يَشَآءُ»[3].

وزاد في رواية أُخرى للعيّاشي في آخرها: فأحسنوا أعمالكم التي تعملونها لثواب الله، قيل: وما الإحسان؟ قال: إذا صلّيت فأحسن ركوعك، وسجودك، وإذا صمت فتوقّ ما فيه فساد صومك، وإذا حججت فتوقّ كلّ ما يحرم عليك في حجّتك وعمرتك، قال: وكلّ عمل تعمله فليكن تقيّاً من الدنس[4].

﴿وَٱللهُ وَٰسِعٌ﴾: لا يضيق عليه ما يتفضّل به من الزيادة.

﴿عَلِيمٌ﴾: بنيّة المنفق وقدر إنفاقه.

﴿ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُواْ مَنّاً وَلَا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: المنّ: أن يعتدّ بإحسانه على من أحسن إليه، والأذى: أن يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه، و«ثمّ» للتفاوت بين الإنفاق وترك المنّ والأذى، عن النبي صلى الله عليه وآله في عدّة أخبار إنّ الله كره عدّة خصال، وعدّ منها

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٩٢.

٢ ـ ثواب الأعمال: ص ١٦٨، باب ثواب الإحسان للمؤمن.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤٧، ح ٤٨١.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤٦، ح ٤٧٨.

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً وَٱللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُمْ بِالْمَـنِّ وَٱلأَذَىٰ كَالَّذِى يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَـآءَ ٱلنَّـاسِ وَلَا يُـؤْمِنُ بِـاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلأَخِرِ فَمَـثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُواْ وَٱللهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

المنّ بعد الصدقة[١].

وفي المجمع[٢]، والقمّي: عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: من أسدى إلى مؤمن معروفاً ثمّ أذاه بكلام أو منّ عليه فقد أبطل الله صدقته[٣].

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: ردّ جميل.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: وتجاوز عن السائل الحاجة[٤] أو نيل مغفرة من الله بسبب الردّ الجميل.

﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً وَٱللهُ غَنِيٌّ﴾: لا حاجة إلى المنفق يمنّ ويؤذي[٥].

﴿حَلِيمٌ﴾: عن المعاجلة بالعقوبة.

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُمْ بِـالْمَـنِّ وَٱلأَذَىٰ﴾: العيّاشي: عنهما عليهما السلام نزلت في عثمان، وجرت في معاوية وأتباعهما[٦].

---

١ ـ الخصال: ص ٣٢٧، ح ١٩، باب ست خصال كرهها الله.

٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٧٧.

٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٩١.

٤ ـ لا نفهم له معناً صحيحاً، والصحيح أن يقال: «وتجاوز عن السائل إلحاحه»، وهذا الإختلاف ربمّا حدث من النسّاخ.

٥ ـ أي لا حاجة لله إلى المنفق الذي يمنّ ويؤذي.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤٧، ح ٤٨٣.

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾

وعن الباقر عليه السلام: بالمنّ والأذى لمحمّد وآل محمّد، قال: هذا تأويله[١].

﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: لا يريد به رضاء الله ولا ثواب الآخرة.

﴿فَمَثَلُهُ﴾: في إنفاقه.

﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: حجر أملس.

﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾: مطر عظيم القطر.

﴿فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾: أملس نقيّاً من التراب.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾: لا ينتفعون بما فعلوه ولا يجدون ثوابه.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: إلى الخير والرشاد، وفيه تعريض بأنّ الرياء والمنّ والأذى على الإنفاق من صفة الكفّار ولابدّ للمؤمن أن يتجنّب عنها.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: القمّي: عن المنّ والأذى[٢].

أقول: يعني يوطنون أنفسهم على حفظ هذه الطاعة، وترك إتباعها ممّا يفسدها من المنّ والأذى والسمعة والرياء والعجب ونحوها بعد إتيانهم بها ابتغاء مرضات الله.

العيّاشي: عن الباقر عليه السلام أنّها نزلت في علي عليه السلام[٣].

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤٧، ح ٤٨٢.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٩٢.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤٨، ح ٤٨٥.

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: أي مثل نفقتهم في الزكاة كمثل بستان.

﴿بِرَبْوَةٍ﴾: أي في موضع مرتفع، فإنّ شجره يكون أحسن منظراً، وأزكى ثمراً، وأمنع من أن يفسده السيل بالوابل، ونحوه.

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا﴾: ثمرتها، وقرئ بالتخفيف.

﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل.

في المجمع: عن الصادق عليه السلام: معناه يتضاعف ثمرها كما يتضاعف أجر من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله[1].

﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: فطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها، والطّلّ: يقال لما يقع باللّيل على الشجر والنبات، قيل: إنّ المعنى أنّ نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال، وإن كانت تتفاوت باعتبار ما ينضمّ إليها من الأحوال، ويجوز أن يكون التمثيل لحالهم عند الله تعالى بالجنّة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين عن زلفاهم بالوابل والطلّ[2].

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: تحذير عن الرياء وترغيب في الإخلاص.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾: الهمزة فيه للإنكار.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٧٨.

٢ ـ قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٩.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾

﴿أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: جعل الجنّة منهما مع ما فيها من سائر الأشجار تغليباً لهما لشرفهما وكثرة منافعهما، ثمّ ذكر أنّ فيها كلّ الثمرات[1] ليدلّ على إحتوائها على سائر أنواع الأشجار، ويجوز أن يكون المراد بالثمرات: المنافع.

﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾: أي كبر السنّ فإنّ الفاقة والعالة في الشيخوخة أصعب[2].

﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾: صغار لا قدرة لهم على الكسب.

﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾: والإعصار: ريح عاصف تنعكس من الأرض إلى السماء مستديرة كعمود.

القمّي: عن الصادق عليه السلام: من أنفق ماله ابتغاء مرضات الله ثمّ إمتنّ على من تصدّق عليه كان كمن قال الله: «أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ» الآية، قال: الاعصار: الريح فمن امتنّ على من تصدّق عليه كان كمن كان له جـنّة كثيرة الثمار، وهو شيخ ضعيف، له أولاد صغار ضعفاء فتجيء ريح أو نار فتحرق ماله كلّه[3].

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾: فيها فتعتبرون بها.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾: من حلاله وجياده.

---

١ ـ وفي نسخة: [أنّ فيها من كلّ الثمرات].
٢ ـ وفي نسخة: [في الشيخوخيّة أصعب].
٣ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٩٢.

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾: ومن طيّبات ما أخرجنا من الحبوب والثمار والمعادن.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام كان القوم قد كسبوا مكاسب سوء في الجاهليّة فلمّا أسلموا أرادوا أن يخرجوها من أموالهم ليتصدّقوا بها، فأبى الله تبارك وتعالى إلّا أن يخرجوا من طيّب ما كسبوا[١].

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾: ولا تقصدوا الردي.

﴿مِنْهُ﴾: من المال، أو من الخبيث.

﴿تُنْفِقُونَ﴾: تخصّونه بالإنفاق.

﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾: وحالكم أنّكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته.

﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾: إلّا أن تتسامحوا فيه مجاز، من أغمض بصره عن بعض حقّه إذا غضّه. في الكافي[٢]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أمر بالنخل أن يزكّى يجيء قوم بألوان من التمر هو من أردئ التمر يؤدّونه من زكاتهم، تمرة يقال لها: الجعرور[٣] والمعافارة، قليلة اللّحا بكسر اللّام، عظيمة النوى، وكان بعضهم يجيء بها عن التمر الجيّد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تخرصوا هاتين التمرتين، ولا تجيئوا منها بشيء، وفي ذلك نزل: «وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ»، الآية، قال: والإغماض أن تأخذ هاتين التمرتين[٤].

والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام كان أهل المدينة يأتون بصدقة الفطر إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وفيه عذق[٥] يسمّى الجعرور، وعذق يسمّى المعافارة، كانا عظيم نواهما، رقيق لحاهما[٦] في طعمهما مرارة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للخارص: لا تخرص عليهم هذين اللّونين

---

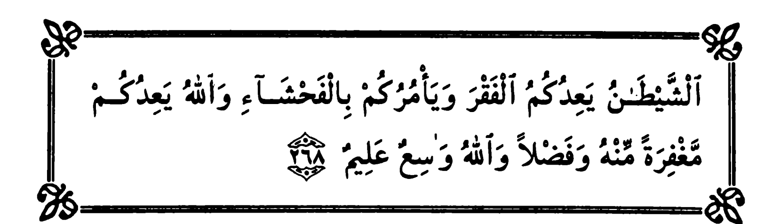
١ ـ الكافي: ج ٤، ص ٤٨، ح ١٠، باب النوادر. ٢ ـ الكافي: ج ٤، ص ٤٨، ح ٩، باب النوادر.

٣ ـ الجعرور: ضرب من الدّقل يحمل رُطباً صغاراً لا خير فيه. النهاية لابن الأثير: ج ١، ص ٢٧٦.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤٨ ـ ١٤٩، ح ٤٨٩. وفيه: «أن يأخذ هاتين».

٥ ـ العذق ـ بالكسر ـ من النخل: كالعنقود من العنب. منه قدّس سرّه.

٦ ـ هكذا في الأصل والمصدر، وفي بحار الأنوار: ج ٩٦، ص ٤٧، ح ٦، «كانا عظيماً نواهما، رقيقاً لحاهما»، وهذا هو الأصح.



لعلّهم يستحيون لا يأتون بها، فأنزل الله: «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ» إلى قوله: «تُنفِقُونَ»[١].

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف[٢] فيدخلونه في تمر الصدقة[٣].

أقول: الحشف ردي التمر.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: إنّه قال: إنّ الله يقبل الصدقات، ولا يقبل منها إلّا الطيّب[٤].

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾: عن إنفاقكم وإنّما يأمركم به لانتفاعكم.

﴿حَمِيدٌ﴾: بقبوله وإثابته[٥].

﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾: في الإنفاق في وجوه البرّ، وفي إنفاق الجيّد من المال، والوعد: يستعمل في الخير والشرّ.

﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: ويغريكم على البخل، ومنع الزكاة، إغراء الأمر للمأمور، والعرب يسمّي[٦] البخيل فاحشاً.

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾: في الإنفاق.

﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾: لذنوبكم وكفّارة لها.

﴿وَفَضْلاً﴾: وخلفاً أفضل ممّا أنفقتم في الدنيا أو في الآخرة أو في كليتهما.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥٠، ح ٤٩٣، والحديث عن الصادق عليه السلام.

٢ ـ الحشف ـ بالتحريك ـ: أردئ التمر الذي لا لحم فيه، والضعيف الذي لا نوى له. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٨، مادة «حشف».

٣ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٨٠.

٤ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٩٠؛ وتفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٢٨٦، ح ١١٢٥.

٥ ـ وفي نسخة: [لقبوله وإثابته].

٦ ـ هكذا في الأصل، والأصح: «تسمّي البخيل».

يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: واسع الفضل لمن أنفق.

﴿عَلِيمٌ﴾: بإنفاقه.

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾: تحقيق العلم، وإتقان العمل.

﴿مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم والهوى.

في الكافي[1]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: طاعة الله ومعرفة الإمام[2].

وعنه عليه السلام: معرفة الإمام، واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار[3].

والعيّاشي: عنه عليه السلام، الحكمة: المعرفة، والفقه في الدين، فمن فقّه منكم فهو حكيم، وما أحد يموت من المؤمنين أحبّ إلى إبليس من فقيه[4].

والقمّي: قال: الخير الكثير: معرفة أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام[5].

وفي مصباح الشريعة: عنه عليه السلام: الحكمة: ضياء المعرفة، وميراث التقوى، وثمرة الصدق، ولو قلت ما أنعم الله على عباده بنعمة أنعم وأعظم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمة لقلت، قال الله عزّ وجلّ: «يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ» أي لا يعلم ما أودعت وهيّأتُ في الحكمة إلّا من استخلصته لنفسي وخصصته

---

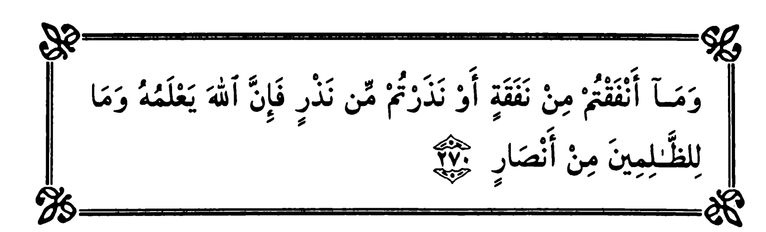
١ ـ الكافي: ج ١، ص ١٨٥، ح ١١، باب معرفة الإمام.

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥١، ح ٤٩٦.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥١، ح ٤٩٧.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥١، ح ٤٩٨.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٩٢.



بها، والحكمة هي الكتاب، وصفة الحكيم هي الثبات عند أوائل الأمور، والوقوف عند عواقبها، وهو هادي خلق الله إلى الله[1].

وفي المجمع: عن النبي ﷺ إنّ الله تعالى آتاني القرآن، وآتاني من الحكمة مثل القرآن، وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلّا كان خراباً، ألا فتفقّهوا وتعلّموا ولا تموتوا جهلاء[2].

وفي الخصال: عنه عليه السلام رأس الحكمة مخافة الله[3].

وفيه[4]، وفي الكافي: عنه عليه السلام إنّه كان ذات يوم في بعض أسفاره إذ لقيه ركب فقالوا: السلام عليك يا رسول الله، فالتفت إليهم، وقال: ما أنتم؟

فقالوا: مؤمنون، قال: فما حقيقة إيمانكم؟

قالوا: الرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله.

فقال رسول الله ﷺ: علماء حكماء، كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتّقوا الله الذي إليه ترجعون[5].

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾: قليلة أو كثيرة سرّاً أو علانيّة في حقّ أو باطل.

﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾: في طاعة أو معصية.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾: فيجازيكم عليه.

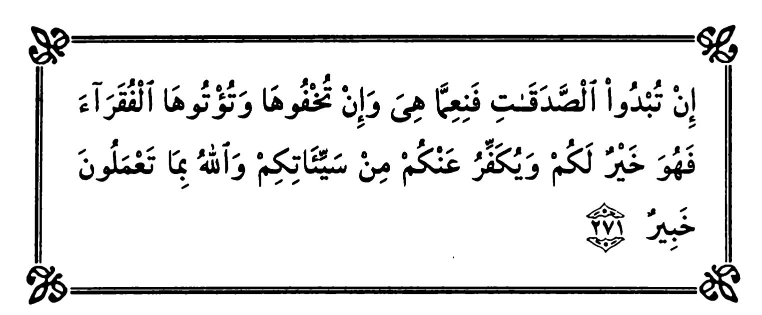
---

١ ـ مصباح الشريعة: ص ١٩٨ ـ ١٩٩.　　٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٨٢.

٣ ـ الخصال: ص ١١١، ح ٨٣، باب ٣ ـ أحب الأُمور إلى الله ثلاثة.

٤ ـ الخصال: ص ١٤٦، ح ١٧٥، باب ٣ ـ حقيقة الإيمان ثلاث خصال.

٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ٥٢ ـ ٥٣، ح ١، باب حقيقة الإيمان واليقين.



﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها، أو يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذر.

﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾: من ينصرهم من الله ويمنع عنهم العقاب.

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾: فنعم شيئاً إبداؤها، وقرئ بفتح النون وبكسره وسكون العين.

﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا﴾: تعطوها مع الإخفاء.

﴿الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: فالإخفاء خير لكم. في الكافي: عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «وَإِنْ تُخْفُوهَا» قال: هي سوى الزكاة، إنّ الزكاة علانيّة بغير سرّ(١).

وعنه عليه السلام قال: كلّ ما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره، وما كان تطوّعاً فإسراره أفضل من إعلانه، ولو أنّ رجلاً حمل زكاة ماله على عاتقه فقسّمها علانيّة كان ذلك حسناً جميلاً(٢).

وعن الباقر عليه السلام: في قوله عزّ وجلّ: «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ»، قال: يعني الزكاة المفروضة، قال: قلت: «وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ»، قال: يعني النافلة، إنّهم كانوا يستحبّون إظهار الفرائض وكتمان النوافل(٣).

---

١ ـ الكافي: ج ٣، ص ٥٠٢، ح ١٧، باب فرض الزكاة وما يجب في المال. وفيه: «غير سرّ» وهذا هو الأصح.
٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ٥٠١، ح ١٦، باب فرض الزكاة وما يجب في المال.
٣ ـ الكافي: ج ٤، ص ٦٠، ح ١، باب النوادر.

لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾

﴿وَيُكَفِّرُ﴾: أي الله يكفر، أو الإخفاء، وقرئ بالنون مرفوعاً ومجزوماً[1].

﴿عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: ترغيب في الإسرار، ومجانبة الرياء.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾: لا يجب عليك أن تجعلهم مهتدين إلى الإنتهاء عمّا نهوا عنه من المنّ والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك، وما عليك إلّا البلاغ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: يلطف بمن يعلم أنّ اللّطف ينفع فيه فينتهي عمّا نهي عنه.

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾: من مال.

﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾: فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم، فلا تمنّوا به على من تنفقونه عليه ولا تؤذوه.

﴿وَمَا تُنفِقُونَ﴾: وليست نفقتكم.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾: إلّا لطلب ما عنده فما بالكم تمنّون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يتوجّه بمثله إلى الله.

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: ثوابه أضعافاً مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن الإنفاق على أحسن الوجوه وأجملها.

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: لا تنقصون ثواب نفقتكم.

---

١ ـ أي وقرئ «نُكَفِّرُ»، بالنون مرفوعاً.

لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْئَلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾: أعدوا للفقراء أو صدقاتكم للفقراء.

﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أحصرهم الجهاد.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: لاشتغالهم به.

﴿ضَرْباً فِي ٱلْأَرْضِ﴾: ذهاباً بها للكسب. في المجمع: عن الباقر عليه السلام إنّها نزلت في أصحاب الصفّة، قيل: كانوا نحواً من أربعمائة من الفقراء المهاجرين يسكنون صفّة المسجد يستغرقون أوقاتهم بالتعلّم والعبادة، وكانوا يخرجون في كلّ سريّة يبعثها رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾: بحالهم، وقرئ بفتح السين حيث وقع من تصاريف المستقبل.

﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾: من أجل تعفّفهم عن السؤال.

﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَـٰهُمْ﴾: من صفرة الوجه، ورثاثة الحال.

﴿لَا يَسْئَلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافاً﴾: إلحاحاً، وهو أن يلازم المسؤول حتّى يعطيه.

﴿وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: ترغيب في الإنفاق ولاسيّما على هؤلاء.

﴿ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٨٧.

رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: في المجمع[1]، والجوامع: عن ابن عبّاس، نزلت في علي عليه السلام كانت معه أربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانيّة[2].

قال: وروي ذلك عن الباقر والصادق صلوات الله عليهما[3].

والعيّاشي: عن أبي إسحاق قال: كان لعلي بن أبي طالب أربعة دراهم لم يملك غيرها فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا علي ما حملك على ما صنعت؟ قال: انجاز موعد الله فأنزل الله الآية[4].

وفي الفقيه: عن النبي صلى الله عليه وآله إنّها نزلت في النفقة على الخيل[5].

قال[6]: وروي إنّها نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وكان سبب نزولها أنّه كان معه أربعة دراهم فتصدّق بدرهم باللّيل، وبدرهم بالنهار، وبدرهم في السرّ، وبدرهم في العلانيّة، فنزلت فيه هذه الآية[7].

قال: والآية إذا نزلت في شيء فهي منزّلة في كلّ ما يجري فيه فالإعتقاد في تفسيرها إنّها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وجرت في النفقة على الخيل وأشباه ذلك[8].

وفي الكافي[9]، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام إنّها ليست من الزكاة[10].

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٨٨.

٢ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ١٥٠.

٣ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ١٥٠.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥١، ح ٥٠٢.

٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٨٨، ح ٨٥٢/١، باب ٨٩ ـ ثواب النفقة على الخيل.

٦ ـ القائل هنا وفي الرواية الآتية: هو الصدوق. منه قدّس سرّه.

٧ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٨٨، ح ٨٥٢/ ١، باب ٨٩ ـ ثواب النفقة على الخيل.

٨ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٨٩.

٩ ـ الكافي: ج ٣، ص ٤٩٩، ح ٩، باب فرض الزكاة.

١٠ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥١، ح ٥٠١.

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ﴾: إذا بعثوا من قبورهم.

﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾: إلّا كقيام المصروع.

﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾: أي الجنون. في المجمع[١]، والقمّي: عن الصادق عليه السلام: قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا اُسري بي إلى السماء رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عظم بطنه، فقلت من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء «ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ» وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدوّاً وعشيّاً يقولون: ربّنا متى تقوم الساعة[٢].

والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: آكل الربا لا يخرج من الدنيا حتّى يتخبّطه الشيطان[٣].

﴿ذَٰلِكَ﴾: العقاب.

﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: قاسوا أحدهما بالآخر.

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: إنكار لتسويتهم وإبطال للقياس.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام إنّما حرّم الله الربا لئلّا يمتنع الناس من اصطناع المعروف[٤].

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٨٩.
٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٩٣.
٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥٢، ح ٥٠٣.
٤ ـ الكافي: ج ٥، ص ١٤٦، ح ٨، باب الربا.

أقول: يعني بالمعروف: القرض الحسن، كما يأتي عند تفسير «لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ»[١].

﴿فَمَن جَآءَهُۥ﴾: بلغه.

﴿مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: زجر بالنهي.

﴿فَٱنتَهَىٰ﴾: فاتعظ وامتنع منه.

﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾: لا يؤاخذ بما مضى منه ولا يسترد منه.

في الكافي[٢]، عن أحدهما عليهما السلام، وفي التهذيب، عن الباقر عليه السلام[٣]، والعيّاشي: عنهما عليهما السلام، قال: الموعظة: التوبة [٤].

وفي الكافي [٥]، والفقيه: عن الصادق عليه السلام، قال: كلّ ربا أكله الناس بجهالة ثمّ تابوا فإنّه يقبل منهم إذا عرف منهم التوبة، وقال: لو أنّ رجلاً ورث من أبيه مالاً وقد عرف أنّ في ذلك المال رباً، ولكن قد اختلط في التجارة بغير حلال كان حلالاً طيّباً فليأكله، وإن عرف منه شيئاً معزولاً أنّه رباً فليأخذ رأس ماله وليردّ الربا[٦].

وأيّما رجل أفاد[٧] مالاً كثيراً قد أكثر فيه من الربا فجهل ذلك ثمّ عرفه بعد ذلك فأراد أن ينزعه، فما مضى فله، ويدعه فيما يستأنف[٨]. وفي معناه أخبار كثيرة.

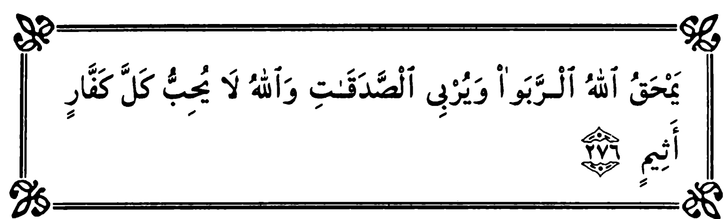
﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: يحكم في شأنه.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إلى تحليل الربا والإستخفاف به بعد أن تبيّن له تحريمه.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن الرجل يأكل الربا وهو يرى أنّه حلال، قال: لا يضرّه حتّى يصيبه متعمّداً، فإذا أصابه متعمداً

---

١ ـ النساء: ١١٤.
٢ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٣١ ـ ٤٣٢، ح ٢، باب التوبة.
٣ ـ تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ١٦، ح ٦٩/ ٦٩، باب ١ ـ فضل التجارة وآدابها.
٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥٢، ح ٥٠٥.
٥ ـ الكافي: ج ٥، ص ١٤٥، ح ٤، باب الربا.
٦ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٧٥، ح ٧٨٧/ ٧، باب ٨٧ ـ الربا.
٧ ـ وأفاد: بمعنى استفاد، وفي من لا يحضره الفقيه أراد مكان أفاد، وذلك إشارة إلى تحريم الربا، والبارز في ينزعه راجع إلى الربا بمعنى الزائد، وفي من لا يحضره الفقيه نزع ذلك المال وهو واضح. منه قدّس سرّه.
٨ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٧٥، ح ٧٨٨/٨، باب ٨٧ ـ الربا.



فهو بالمنزلة التي قال الله عزّ وجلّ[١].

وفي الفقيه[٢]، والعيون: عن الرضا عليه السلام وهي كبيرة بعد البيان، قال: والإستخفاف بذلك دخول في الكفر[٣].

قال بعض العارفين: أكل الربا أسوء حالاً من جميع مرتكبي الكبائر، فإنّ كلّ مكتسب له توكّل في ما كسبه، قليلاً كان أو كثيراً، كالتاجر والزارع والمحترف ولم يعيّنوا أرزاقهم بعقولهم، ولم يتعيّن لهم قبل الإكتساب فهم على غير معلوم في الحقيقة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أبى الله أن يرزق المؤمن إلّا من حيث لا يعلم[٤].

وأمّا آكل الربا فقد عيّن مكسبه ورزقه وهو محجوب عن ربّه بنفسه وعن رزقه بتعيينه لا توكّل له أصلاً، فوكّله الله إلى نفسه وعقله، وأخرجه من حفظه وكلاءته فاختطفته الجنّ وخبّلته، فيقوم يوم القيامة ولا رابطة بينه وبين الله عزّ وجلّ، كسائر الناس من المرتبطين به بالتوكّل، فيكون كالمصروع الذي مسّه الشيطان فيتخبّطه لا يهتدي إلى مقصده.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: يذهب بركته، ويهلك المال الذي يدخل فيه.

في الفقيه[٥]، والكافي: سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية قيل: وقد أرى من يأكل الربا

---

١ ـ الكافي: ج ٥، ص ١٤٤ ـ ١٤٥، ح ٣، باب الربا.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٧١، ذيل ح ١٧٤٨/٤، باب ١٧٩ ـ باب معرفة الكبائر التي أوعد الله عليها النار.

٣ ـ عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٩٤، ح ١، باب ٣٣ ـ في ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمّد بن سنان في جواب مسائله في العلل.

٤ ـ الجامع الصغيرة: ج ١، ص ١٠، ح ٣٩، مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ الحديث. وقريب منه ما في الكافي: ج ٥، ص ٨٣، ح ١، باب الرزق من حيث لا يحتسب.

٥ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٧٦، ح ١٥/٧٩٥، باب ٨٧ ـ الربا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾

يربو ماله، قال: فأي محق أمحق من درهم ربا يمحق الدين، وإن تاب منه ذهب ماله وافتقر[1].

﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: يضاعف ثوابها ويبارك فيما اُخرجت منه.

العيّاشي: عن الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّه ليس شيء إلّا وقد وكلّ[2] به ملك، غير الصدقة فإنّ الله يأخذه بيده ويربّيه كما يربّي أحدكم ولده حتّى تلقاه يوم القيامة وهي مثل اُحد[3]، وفي معناه أخبار كثيرة[4].

وفي الحديث النبوي صلى الله عليه وآله: ما نقص مال من صدقة[5].

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾: مصرّ على تحليل المحرّمات.

﴿أَثِيمٍ﴾: منهمك في ارتكابه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾: واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا.

---

١ ـ لم نعثر عليه في الكافي، بل وجدناه في تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ١٥، ح ٦٥، باب حكم الربا.

٢ ـ وفي رواية: أنّ الله يقول: ليس شيء إلّا وكلته به أن يقضيه غيري إلّا الصدقة فأنا أتلقفها حتّى أنّ الرجل والمرأة يتصدّق بتمرة وشقّ تمرة أربيها كما يربي الرجل فلوه وفصيله فيلق يوم القيامة وهي مثل اُحد وأعظم من اُحد، والفلو: ولد الفرس، والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن اُمّه. منه قدّس سرّه؛ راجع الكافي: ج ٤، ص ٤٧، ح ٦، باب النوادر.

٣ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥٢، ح ٥٠٧.

٤ ـ راجع تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥٣، ح ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠.

٦ ـ جوامع الجامع: ج ١، ص ١٥١.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: بقلوبكم فإنّ دليله امتثال ما أُمرتم به.

في المجمع: عن الباقر عليه السلام إنّ الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهليّة، وقد بقي له بقايا على ثقيف، فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم فنزلت[1].

والقمّي: لمّا نزلت «ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ» قام خالد بن الوليد فقال: يا رسول الله: ربا أبي في ثقيف وقد أوصاني عند موته بأخذه، فأنزل الله[2].

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به، وقرئ بمدّ الألف وكسر الذال، من الإيذان بمعنى الإعلام فإنّهم إذا علموا بدون العكس فهو آكد، والتنكير للتعظيم. في الكافي: عن الصادق عليه السلام درهم ربا أشدّ عند الله من سبعين زنية كلّها بذات محرم[3]. وزاد في الفقيه[4]، والتهذيب: مثل خالة وعمة[5].

وزاد القمّي: في بيت الله الحرام، وقال: الربا سبعون جزءاً أيسره مثل أن ينكح الرجل أُمّه في بيت الله الحرام[6].

وفي الفقيه[7]، والتهذيب: عن أمير المؤمنين عليه السلام لعن رسول الله الربا وآكله، وبائعه، ومشتريه، وكاتبه، وشاهديه[8].

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٩٢، في شأن النزول.

٢ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٩٣.

٣ ـ الكافي: ج ٥، ص ١٤٤، ح ١، باب الربا.

٤ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٧٤، ح ١/٧٨١، باب ٨٧ ـ باب الربا.

٥ ـ تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ١٤ ـ ١٥، ح ٦٢، باب أحكام الربا.

٦ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٩٣ ـ ٩٤.

٧ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٧٤، ح ٤/٧٨٤، باب ٨٧ ـ الربا.

٨ ـ تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ١٥، ح ٦٤/٦٤، باب ١ ـ فضل التجارة وآدابها وغير ذلك ممّا ينبغي للتاجر أن يعرفه وحكم الربا.

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٨٠﴾

﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾: من الارتباء، واعتقاد حلّه.

﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾: المديونين بأخذ الزيادة.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: بالمطل، والنقصان منها.

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾: إن وقع في غرمائكم ذو إعسار، وقرئ بضمّتين.

﴿فَنَظِرَةٌ﴾: فإنظار، أي فانظروه.

﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾: إلى وقت يسار، وقرئ بضم السين.

﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا۟﴾: تتصدّقوا بالإبراء، وقرئ بتخفيف الصاد.

﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾: أكثر ثواباً من الإنظار.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على أنبيائه صلى الله عليهم ثمّ قال: أيّها الناس ليبلغ الشاهد منكم الغائب، ألا ومن أنظر معسراً كان له على الله في كلّ يوم صدقة بمثل ماله حتّى يستوفيه، ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أنّه معسر فتصدّقوا عليه بما لكم عليه[١].

وعنه عليه السلام، قال: من أراد أن يظلّه الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه قالها ثلاثاً، فهابه الناس أن يسألوه، فقال: فلينظر معسراً أو ليدع له من حقّه[٢].

وعنه عليه السلام، قال: خلّوا سبيل المعسر كما خلّاه الله[٣].

وعنه عليه السلام: أنّه جاء إليه رجل فقال له: يا أبا عبدالله قرض إلى ميسرة[٤]، فقال له أبو

١ـ الكافي: ج ٤، ص ٣٥ـ٣٦، ح ٤، باب انظار المعسر.

٢ـ الكافي: ج ٤، ص ٣٥، ح ١، باب انظار المعسر.

٣ـ الكافي: ج ٤، ص ٣٥، ح ٣، باب انظار المعسر.

٤ـ أراد السائل أنّ المعسر إذا صار بحيث يجب إنظاره فهل لإنظاره مدّة معلومة إذا لم يكن له مال منتظر؟ منه رحمه الله.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

عبدالله عليه السلام: إلى غلّة تدرك؟ فقال الرجل: لا والله، قال: فإلى تجارة تؤبّ[١]؟ قال: لا والله، قال: فإلى عقدة تباع؟ فقال: لا والله، فقال أبو عبدالله عليه السلام: فأنت ممّن جعل الله له في أموالنا حقّاً، ثمّ دعا بكيس فيه دراهم فأدخل يده فيه فناوله منه قبضة[٢].

وفيه[٣]، وفي العيّاشي: عن الرضا عليه السلام إنّه سئل عن هذه النظرة التي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه لها حدّ يعرف إذا صار هذا المعسر لابدّ له من أن ينظر وقد أخذ مال هذا الرجل وأنفقه على عياله، وليس له غلّة ينتظر إدراكها، ولا دين ينتظر محلّه، ولا مال غائب ينتظر قدومه؟

قال: نعم ينتظر بقدر ما ينتهي خبره إلى الإمام فيقضي عنه ما عليه من سهم الغارمين إذا كان أنفقه في طاعة الله، فإن كان أنفقه في معصية الله فلا شيء له على الإمام.

قيل: فما لهذا الرجل الذي إئتمنه وهو لا يعلم فيما أنفقه في طاعة الله أم في معصيته؟

قال: يسعى له في ماله فيردّه وهو صاغر[٤].

القمّي: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ما من غريم ذهب بغريمه إلى وال من ولاة المسلمين، واستبان للوالي عسرته إلّا برأ هذا المعسر من دينه، وصار دينه على والي المسلمين فيما في يديه من أموال المسلمين[٥].

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ ٱللَّهِ﴾: تأهّبوا لمصيركم إليه، وقرئ بفتح التاء وكسر الجيم.

---

١ ـ أبّ أبّه: قصد قصده وأبَّ للسير يئب ويؤب أبّاً وأبيباً وأباباً وأبابة: تهيّأ. القاموس المحيط: ج ١، ص ٣٥، مادة «الأب».

٢ ـ الكافي: ج ٣، ص ٥٠١، ح ١٤، باب فرض الزكاة وما يجب في المال.

٣ ـ الكافي: ج ٥، ص ٩٣ ـ ٩٤، ح ٥، باب الدين.

٤ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥٥، ح ٥٢٠.

٥ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٩٤.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِنْ رِّجَالِكُمْ فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلَا تَسْئَمُوٓاْ أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَىٰٓ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَنْ تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾: من خير أو شرّ.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بنقص ثواب أو تضعيف عقاب.

في المجمع: عن ابن عبّاس أنّها آخر آية نزل بها جبرئيل عليه السلام[١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾: إذا تعاملتم نسيئةً.

---

١ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٣٩٤.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: معلوم.

﴿فَاكْتُبُوهُ﴾: لأنّه أوثق وأدفع للنزاع. وفي العلل عن الباقر عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ عرض على آدم أسماء الأنبياء وأعمارهم، قال: فمرّ بآدم اسم داود النبي عليه السلام فإذا عمره في العالم أربعون سنة فقال آدم عليه السلام: يا ربّ ما أقلّ عمر داود، وما أكثر عمري؟ يا ربّ إن أنا إزددت داود ثلاثين سنة أتثبت ذلك له؟ قال: نعم يا آدم، قال: فإنّي قد زدته من عمري ثلاثين سنة فأنفذ ذلك وأثبتها له عندك، واطرحها من عمري، قال أبو جعفر عليه السلام: فأثبت الله عزّ وجلّ لداود في عمره ثلاثين سنة، وكانت له عند الله مثبتة فذلك قوله عزّ وجلّ: «يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ»[1]، قال: فمحا الله ما كان عنده مثبتاً لآدم وأثبت لداود ما لم يكن عنده مثبتاً، قال: فمضى عمر آدم فهبط ملك الموت لقبض روحه فقال له آدم: يا ملك الموت إنّه قد بقي من عمري ثلاثون سنة، فقال له ملك الموت: يا آدم ألم تجعلها لابنك داود النبي وطرحتها من عمرك حين عرض عليك أسماء الأنبياء من ذريّتك، وعرضت عليك أعمارهم، وأنت يومئذ بوادي الدخياء؟ فقال له آدم: ما أذكر هذا، قال: فقال له ملك الموت: يا آدم لا تجحد ألم تسأل الله عزّ وجلّ أن يثبته لداود ويمحوها من عمرك فأثبتها لداود في الزبور ومحاها من عمرك في الذكر؟ قال آدم: حتّى أعلم ذلك، قال أبو جعفر عليه السلام: وكان آدم صادقاً، لم يذكر ولم يجحد فمن ذلك اليوم أمر الله تبارك وتعالى العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل مسمّى، لأجل نسيان آدم وجحوده ما جعل على نفسه[2].

وفي الكافي: ما يقرب منه[3] في روايتين على اختلاف في عدد ما زيد على عمر داود، وزاد شهادة جبرئيل وميكائيل على آدم.

﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾: لا يزيد على ما يجب ولا ينقص.

---

١ ـ الرعد: ٣٩.

٢ ـ علل الشرائع: ص ٥٥٣، ح ١، باب ٣٤١ ـ العلّة التي من أجلها أمر الله تبارك وتعالى عباده إذا تداينوا وتعاملوا أن يكتبوا بينهم كتاباً.

٣ ـ الكافي: ج ٧، ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩، ح ١، باب أول صك كتب في الأرض.

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾: لا يمتنع أحد من الكتاب.

﴿أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾: مثل ما علّمه الله من كتبة الوثائق ولا يأب أن ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله: «وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ»[١].

﴿فَلْيَكْتُبْ﴾: تأكيد أو متعلّق بـ«كما علّمه الله».

﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾: لأنّه المقرّ المشهود عليه، والإملال والإملاء: واحد.

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾: أي المملي أو الكاتب.

﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾: ولا ينقص.

﴿مِنْهُ﴾: من الحقّ أو ممّا أملى عليه.

﴿شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً﴾: ناقص العقل أو مبّذراً.

﴿أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾: في تفسير الإمام عليه السلام يعني ضعيفاً في بدنه، لا يقدر أن يملّ، أو ضعيفاً في فهمه وعلمه، لا يقدر أن يملّ ويميّز الألفاظ التي هي عدل عليه، وله من الألفاظ التي هي جور عليه، أو على حميمه أو لا يستطيع أن يملّ هو بمعنى أن يكون مشغولاً في مرمّةٍ لمعاش[٢] أو تزوّد لمعاد، أو لذّة في غير محرّم، فإنّ تلك الأشغال التي لا ينبغي للعاقل أن يشرع في غيرها[٣].

وفي التهذيب: عن الصادق عليه السلام السفيه: الذي يشتري الدرهم بأضعافه، والضعيف: الأبله[٤].

والعيّاشي: عنه السفيه: الشارب الخمر، والضعيف: الذي يأخذ واحداً بإثنين[٥].

﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾: النائب عنه والقيّم بأمره.

---

١ ـ القصص: ٧٧.

٢ ـ رممت الشيء رِمَّةً وأَرُمُّهُ ومَرَمَّةً: إذا أصلحته. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٧٥، مادة «رمم».

٣ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٦٣٤.

٤ ـ تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ١٨٢، ح ٦/٧٣١، باب ٧ ـ الإشهاد على الوصيّة.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥٥، ح ٥٢١.

﴿بِالْعَدْلِ﴾: بأن لا يحيف على المكتوب له ولا المكتوب عليه.

﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ﴾: على الدَّين.

﴿شَهِيدَيْنِ مِنْ رِّجَالِكُمْ﴾: أحراركم دون عبيدكم فإنّ الله قد شغل العبيدبخدمة مواليهم عن تحمّل الشهادات وعن أدائها وليكونوا من المسلمين منكم فإنّ الله شرّف المسلمين العدول بقبول شهاداتهم وجعل ذلك من الشرف العاجل لهم ومن ثواب دنياهم قبل أن يصلوا إلى الآخرة. كذا في تفسير الإمام عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله[1].

أقول: لا ينافيه تقييد الإستشهاد بالأحرار لإشتغال العبيد بالخدمة قبول شهادة العبيد إذا استشهدوا وكانوا عدولاً كما يثبت عن أهل البيت عليهم السلام.

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾: يعني الشاهدين.

﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾: قال عليه السلام: يعني ممّن ترضون دينه وأمانته، وصلاحه، وعفّته وتيقظه فيما يشهد به، وتحصيله وتمييزه فما كلّ صالح مميّز ولا محصّل، ولا كلّ محصّل مميّز صالح، وإنّ من عباد الله لمن هو أهل لصلاحه وعفّته لو شهد لم يقبل شهادته لقلّة تميّزه، فإذا كان صالحاً عفيفاً مميّزاً محصّلاً مجانباً للمعصية والهوى والميل والتحامل فذلك الرجل الفاضل، فبه فتمسّكوا، وبهداه فاقتدوا، وإن انقطع عنكم المطر فاستمطروا به، وإن امتنع نبات فاستخرجوا به النبات، وإن تعذّر عليكم الرزق فاستدرّوا به الرزق، فإنّ ذلك ممّن لا يخيّب طلبه ولا تردّ مسألته[2].

﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾: وقرئ بكسر الهمزة.

﴿فَتُذَكِّرَ﴾: وقرئ مرفوعاً، وبالتخفيف والنصب: من الأذكار.

﴿إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾: في تفسير الإمام عن أمير المؤمنين عليه السلام إذا ضلّت إحداهما عن الشهادة ونسيتها ذكّرتها الأُخرى فاستقامتا في أداء الشهادة[3].

أقول: وهو من قولهم ضلّ الطريق إذا لم يهتد، وهذه علّة لإعتبار العدد.

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٦٥٦.

٢ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٦٧٢ ـ ٦٧٣

٣ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٦٧٥.

قال عليه السلام: عدل الله شهادة إمرأتين بشهادة رجل لنقصان عقولهنّ ودينهنّ[١].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في عدّة أخبار: أربعة لا يستجاب لهم دعوة: أحدهم رجل كان له مال فأدانه بغير بينة، يقول الله عزّ وجلّ: أَلَمْ آمرك بالشهادة[٢].

وعنه عليه السلام: من ذهب حقّه على غير بيّنة لم يؤجر[٣].

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾: في الكافي[٤]: والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام في عدّة أخبار في هذه الآية قال: لا ينبغي لأحد إذا ما دعي إلى الشهادة ليشهد عليها أن يقول: لا أشهد لكم[٥].

وفي بعضها، قال: في آخره فذلك قبل الكتاب[٦].

وفي بعضها، قبل الشهادة، ومن يكتمها بعد الشهادة[٧].

وعن الكاظم عليه السلام: فيها إذا ما دعاك الرجل يشهد له على دين أو حقّ لم ينبغ لك أن تقاعس[٨] عنه[٩].

وفي تفسير الإمام عليه السلام: عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية من كان في عنقه شهادة فلا يأبَ إذا دعي لإقامتها، وليقمها ولينصح فيها، ولا تأخذه فيها لومة لائم وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر[١٠].

وقال في خبر آخر: «وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ» نزلت فيمن إذا دُعى لسماع الشهادة فأبى، ونزلت فيمن امتنع عن أداء الشهادة إذا كانت عنده[١١].

---

١ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٦٧٥.

٢ ـ الكافي: ج ٥، ص ٢٩٨، ح ١ و٢، باب من أدان ماله بغير بيّنة.

٣ ـ الكافي: ج ٥، ص ٢٩٨، ح ٣، باب من أدان ماله بغير بيّنة.

٤ ـ الكافي: ج ٧، ص ٣٧٩، ح ١ و٢، باب الرجل يدعى إلى الشهادة.

٥ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥٥ ـ ١٥٦، ح ٥٢٢.

٦ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥٦، ح ٥٢٤.

٧ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥٦، ح ٥٢٧.

٨ ـ تقاعس عن الشهادة ـ بالقاف ـ: والمراد: تأخّر. منه قدس سره.

٩ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥٦، ح ٥٢٣.

١٠ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٦٧٦.

١١ ـ تفسير الإمام العسكري: ص ٦٧٦.

﴿وَلَا تَسْئَمُوٓاْ﴾: ولا تملّوا.

﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً﴾: كان الحقّ.

﴿أَوْ كَبِيراً إِلَىٰٓ أَجَلِهِ﴾: إلى وقت حلوله الذي أقرّ به المديون.

﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللهِ﴾: أعدل.

﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ﴾: وأثبت لها، وأعون على إقامتها.

﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾: وأقرب في أن لا تشكّوا في جنس الدين، وأجله، والشهور ونحو ذلك.

﴿إِلَّآ أَنْ تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً﴾: وقرئ بالنصب.

﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: إلّا أن تتبايعوا يداً بيد.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾: لبعده عن التنازع والنسيان.

﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: لأنّه أحوط.

﴿وَلَا يُضَـآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: يحتمل البنائين، وهو نهي لهما عن ترك الإجابة والتحريف والتغير في الكتبة والشهادة أو نهي عن الضرار بهما مثل أن يعجّلا عن مهمّ ويكلّفا الخروج عمّا حدّ لهما أو لا يعطي الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان.

﴿وَإِنْ تَفْعَلُواْ﴾: الضرار وما نهيتم عنه.

﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾: خروج عن الطاعة لاحق بكم.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللهَ﴾: في مخالفة أمره ونهيه.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللهُ﴾: أحكامه المتضمّنة لمصالحكم.

﴿وَٱللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: قيل: كرّر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها، فإنّ الأُولى حثّ على التقوى، والثانية وعد بانعامه، والثالثة تعظيم لشأنه، ولأنّه أدخل في التعظيم من الكناية.

القمّي: في البقرة خمسمائة حكم، وفي هذه الآية خاصّة خمسة عشر حكماً[١].

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٩٤.

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً فَرِهَـٰنٌ مَـقْبُوضَةٌ فَـإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُـؤَدِّ ٱلَّذِى أُؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُ وَلْـيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُـمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ وَمَنْ يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ وَٱللَّهُ بِمَـا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: أي مسافرين.

﴿وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً فَرِهَـٰنٌ﴾: فالذي يستوثق به رهان، وقـرئ فـرُهُن بـضمّتين وكلاهما جمع رَهْن، هو بمعنى مرهون.

﴿مَقْبُوضَةٌ﴾: في الكافي عن الصادق عليه السلام لا رهن إلّا مقبوضاً[1].

أقول: وليس الغرض تخصيص الإرتهان بحال السفر، ولكن السـفر لمّـا كـان مـظنّة لاعواز الكتب والإشهاد، أمر المسافر بأن يقيم الإرتهان مقام الكتاب[2] والإشهاد على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾: بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنّه به.

﴿فَلْيُـؤَدِّ ٱلَّذِى أُؤْتُمِنَ﴾: وهو الذي عليه الحقّ.

﴿أَمَـٰنَتَهُ﴾: سمّي الدين أمانه لائتمانه عليه بترك الإرتهان منه.

﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ﴾: في الخيانة وإنكار الحق، وفيه من المبالغات ما لا يخفى.

﴿وَلَا تَكْتُـمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ﴾: خطاب للشهود.

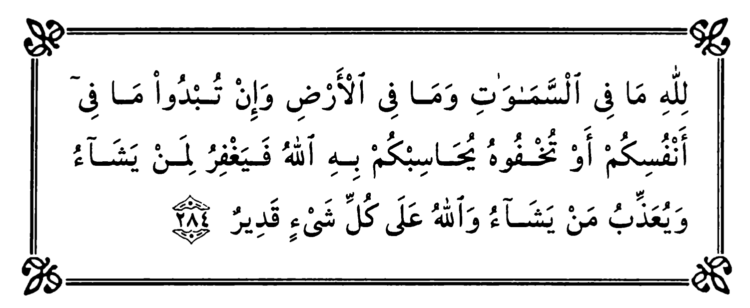
﴿وَمَنْ يَكْتُمُهَا﴾: مع علمه بالمشهود به وتمكّنه من أدائها.

﴿فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ﴾: يعني أنّ كتمان الشهادة من آثام القلوب، ومن معاظم الذنوب.

---

١ ـ لم نعثر عليه في الكافي، بل وجدناه في تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥٦، ح ٥٢٥.

٢ ـ وفي نسخة: [الكتابة].



في الفقيه: عن الباقر عليه السلام، قال: كافر قلبه[١].

وفي حديث مناهي النبي صلى الله عليه وآله: ونهى عن كتمان الشهادة[٢].

وقال: من كتمها أطعمه الله لحمه على رؤوس الخلائق، وهو قول الله عزّ وجلّ: «وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ»[٣].

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: تهديد.

﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: خلقاً وملكاً.

﴿وَإِنْ تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنْفُسِكُمْ﴾: من خير أو شر.

﴿أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ ٱللَّهُ﴾: في نهج البلاغة: وبما في الصدور يجازي العباد[٤].

أقول: لا يدخل فيما يخفيه الإنسان الوساوس، وحديث النفس لأنّ ذلك ممّا ليس في وسعه الخلوّ منه، ولكن ما اعتقده وعزم عليه.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وضع عن أُمّتي تسع خصال: الخطأ، والنسيان، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطرّوا إليه، وما استكرهوا عليه، والطيرة، والوسوسة في التفكّر في الخلق، والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد[٥].

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٥، ح ١١٥/٥، باب ٢٢ ـ الإمتناع من الشهادة.

٢ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٤٨، المجلس ٦٦.

٣ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ص ٣٤٨، المجلس ٦٦.

٤ ـ نهج البلاغة: ص ١٠٣، رقم ٧٥، من كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بني أُميّة له بالمشاركة في دم عثمان.

٥ ـ الكافي: ج ٢، ص ٤٦٣، ح ٢، باب ما رفع عن الأمّة.

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

والعيّاشي: عنه عليه السلام في هذه الآية، قال: حقيق على الله أن لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل[1] من حبّهما[2].

﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَآءُ﴾: مغفرته.

﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ﴾: تعذيبه، وقرئ بالرفع فيهما.

﴿وَٱللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على المحاسبة.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾: شهادة وتنصيص من الله على الاعتداد بإيمانه.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: قيل: إمّا عطف على الرسول، وما بعده إستئناف، وإمّا استئناف بإفراد الرسول وإفراد إيمانه تعظيماً لشأنه وشأن إيمانه[3].

أقول: وللإفراد وجه آخر يأتي في الحديث.

﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾: وقرئ وكتابه. في الغيبة: عن النبي صلى الله عليه وآله: أنّه قال: ليلة اُسري بي إلى السماء، قال العزيز جلّ ثناؤه: «ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ»، قلت: والمؤمنون، قال: صدقت يا محمّد[4].

---

١ ـ الخردل: حبّ شجر مسخّن ملطّف جاذب قالعٌ للبلغم مُلَيّن هاضم نافع طلاؤه لِلنِقرِس والنّسا والبرص، ودخانه يطرد الحيّات، وماؤه يُسكّن وجع الآذان تقطيراً، ومسحوقه على الضرس الوَجِع غاية، والخردل الفارسي: نبات بمصر يعرف بحشيشة السلطان. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٦٧، مادة «خردل».

٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥٦ ـ ١٥٧، ح ٥٢٨.

٣ ـ أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٤٦.

٤ ـ الغيبة للشيخ الطوسي: ص ٩٥.

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَـٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ﴾: يقولون ذلك، والمراد نفي الفرق في التصديق، وقرئ «لا يفرّق» بالياء، واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي، ولذا دخل عليه «بين».

﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا﴾: أجبنا.

﴿وَأَطَعْنَا﴾: أمرك.

﴿غُفْرَانَكَ﴾: اغفر غفرانك، أو نطلب غفرانك.

﴿رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع بعد الموت، وهو إقرار منهم بالبعث.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً﴾: فيما افترض الله عليها، رواه العيّاشي عن أحدهما عليهما السلام[١].

﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾: إلّا ما تسعه قدرتها فضلاً ورحمة. وفي التوحيدة: عن الصادق صلوات الله عليه: ما أُمر العباد إلّا بدون سعتهم، وكلّ شيء أُمر الناس بأخذه فهم متّسعون له، وما لا يتّسعون له فهو موضوع عنهم، ولكن الناس لا خير فيهم[٢].

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: من خير.

﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾: من شرٍّ لا ينتفع بطاعها ولا يتضرّر بمعاصيها غيرها.

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٦٠، ح ٥٣٣.   ٢ ـ التوحيد: ص ٣٤٧، ح ٦، باب ٥٦ ـ الإستطاعة.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِنْ نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: أي لا تؤاخذنا بما أُدّي بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط أو من قلّة مبالاة.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً﴾: حملاً ثقيلاً يأصر صاحبه أي يحبسه في مكانه، يعني به التكاليف الشاقّة.

﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾: يعني به ما كُلّف به بنو إسرائيل من قتل الأنفس، وقطع موضع النجاسة، وغير ذلك.

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾: من العقوبات النازلة بمن قبلنا.

﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾: وامح ذنوبنا.

﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾: واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة.

﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾: وتعطّف بنا وتفضّل علينا.

﴿أَنْتَ مَوْلَـنَا﴾: سيّدنا، ونحن عبيدك.

﴿فَانْصُرْنَا عَلَىٰ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: بالقهر لهم، والغلبة بالحجّة عليهم، فإنّ من حقّ المولى أن ينصر مواليه على الأعداء.

العيّاشي: عن أحدهما عليهما السلام في آخر البقرة، قال: لمّا دعوا أُجيبوا[1].

والقمّي: عن الصادق عليه السلام: إنّ هذه الآية مشافهة الله لنبيّه صلى الله عليه وآله لما أُسري به إلى السماء، قال النبي صلى الله عليه وآله: لمّا انتهيت إلى سدرة المنتهى وإذا الورقة منها تظلّ أُمّة من الأُمم فكنت من ربي كقاب قوسين أو أدنى، كما حكى الله عزّ وجلّ فناداني ربّي تبارك وتعالى «ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ»، فقلت: أنا مجيبه عنّي وعن أُمّتي «وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلَـٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»، فقلت: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ»، فقال الله: «لَا يُكَلِّفُ ٱللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ»، فقلت: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِنْ نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا»، فقال الله: لا أُؤاخذك، فقلت: «رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً

---

١ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٦٠، ح ٥٣٣.

كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا»، فقال الله: لا اُحملك، فقلت: «رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنْتَ مَوْلَـٰنَا فَانْصُرْنَا عَلَىٰ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ»، فقال الله تبارك وتعالى: قد أعطيت ذلك لك ولاُمّتك، فقال الصادق عليه السلام: ما وفد إلى الله تبارك وتعالى أحد أكرم من رسول الله صلى الله عليه وآله حين سأل لاُمّته هذه الخصال(١).

والعيّاشي: ما في معناه في حديث بدون قوله: «فقال الصادق عليه السلام إلى آخر الحديث»(٢).

وفي الإحتجاج: عن الكاظم عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام في حديث يذكر فيه مناقب رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّه لمّا اُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام، في أقلّ من ثلث ليلة، حتّى إنتهى إلى ساق العرش، فدنا بالعلم فتدلّى وقد دلى له من الجنّة رفرف أخضر، وغشّى النور بصره فرأى عظمة ربّه عزّ وجلّ بفؤاده، ولم يرها بعينه فكان كقاب قوسين بينها وبينه أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى فكان فيما أوحى إليه الآية التي في سورة البقرة قوله تعالى: «لِلّٰهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(٣)، وكانت الآية قد عرضت على الأنبياء من لدن آدم على نبيّنا وآله السلام إلى أن بعث الله تبارك اسمه محمّداً صلى الله عليه وآله وعرضت على الاُمم فأبوا أن يقبلوها من ثقلها، وقبلها رسول الله صلى الله عليه وآله وعرضها على اُمّته فقبلوها فلمّا رأى الله عزّ وجلّ منهم القبول على أنّهم لا يطيقونها فلمّا أن سار إلى ساق العرش كرّر عليه الكلام ليفهمه فقال: «ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ»، فأجاب مجيباً عنه، وعن اُمّته فقال: «وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»، فقال جلّ ذكره: لهم الجنّة والمغفرة على أن فعلوا

---

١ ـ تفسير القمّي: ج ١، ص ٩٥.
٢ ـ تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٥٩، ح ٥٣١.
٣ ـ البقرة: ٢٨٤.

ذلك، فقال النبي ﷺ: أما إذا فعلت ذلك بنا فـ«غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ» يعني المرجع في الآخرة، قال: فأجابه الله عزّ وجلّ ثناؤه وقد فعلت ذلك بك وبأُمّتك، ثمّ قال: عزّ وجلّ: أمّا إذا أقبلت الآية بتشديدها، وعظم ما فيها وقد عرضتها على الأُمم فأبوا أن يقبلوها وقبلتها أُمّتك فحقّ عليّ أن أرفعها عن أُمّتك، وقال: «لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ» من خير «وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ» من شرّ.

فقال النبي ﷺ لمّا سمع ذلك: أمّا إذا فعلت ذلك بي وبأُمّتي فزدني، قال: سل، قال: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِنْ نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا»، قال الله تعالى: لست أُؤاخذ أُمّتك بالنسيان والخطأ لكرامتك عليّ.

وكانت الأُمم السالفة إذا نسوا ما ذكّروا به فتحت عليهم أبواب العذاب، وقد رفعت ذلك عن أُمّتك.

وكانت الأُمم السالفة إذا أخطأوا أُخذوا بالخطأ وعوقبوا عليه، وقد رفعت ذلك عن أُمّتك لكرامتك عليّ.

فقال النبي ﷺ: اللّهمّ إذا أعطيتني ذلك فزدني، فقال الله تعالى له: سل، قال: «رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» يعني بالإصر: الشدائد التي كانت على من كان قبلنا، فأجابه الله إلى ذلك، فقال تبارك اسمه: قد رفعت عن أُمّتك الآصار التي كانت على الأُمم السالفة، كنت لا أقبل صلاتهم إلّا في بقاع من الأرض معلومة اخترتها لهم، وإن بعدت وقد جعلت الأرض كلّها لأُمّتك مسجداً وطهوراً، فهذه من الآصار التي كانت على الأُمم قبلك فرفعتها عن أُمّتك.

وكانت الأُمم السالفة إذا أصابهم أذى من نجاسة قرضوها من أجسادهم، وقد جعلت الماء طهوراً لأُمّتك، فهذه من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمّتك.

وكانت الأُمم السالفة تحمل قرابينها[1] على أعناقهم إلى بيت المقدس فمن قبلت ذلك

---

١ ـ القربان بالضمّ: ما يتقرّب به إلى الله تعالى، جمع قرابين. القاموس المحيط: ج ١، ص ١١٤، مادة «قرب».

منه أرسلت إليه ناراً فأكلته فرجع مسروراً، ومن لم أقبل ذلك منه رجع مثبوراً[١] وقد جعلت قربان أُمّتك في بطون فقرائها ومساكينها فمن قبلت ذلك منه أضعفت ذلك له أضعافاً مضاعفة ومن لم أقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدنيا، وقد رفعت ذلك عن أُمّتك، وهي من الآصار التي كانت على الأُمم من قبلك.

وكانت الأُمم السالفة صلاتها مفروضة عليها في ظلم الليل وأنصاف النهار، وهي من الشدائد التي كانت عليهم، فرفعت ذلك عن أُمّتك، وفرضت عليهم صلاتهم في أطراف الليل والنهار، وفي أوقات نشاطهم.

وكانت الأُمم السالفة قد فرضت عليهم خمسين صلاة في خمسين وقتاً، وهي من الآصار التي كانت عليهم، فرفعتها عن أُمّتك، وجعلتها خمساً في خمسة أوقات، وهي إحدى وخمسون ركعة، وجعلت لهم أجر خمسين صلاة.

وكانت الأُمم السالفة حسنتهم بحسنة، وسيّئتهم بسيّئة، وهي من الآصار التي كانت عليهم، فرفعتها عن أُمّتك، وجعلت الحسنة بعشر، والسيّئة بواحدة.

وكانت الأُمم السالفة إذا نوى أحدهم حسنة، ثمّ لم يعملها لم تكتب له، وإن عملها كتبت له حسنة، وإنّ أُمّتك إذا همّ أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، وإن عملها كتبت له عشر، وهي من الآصار التي كانت عليهم، فرفعتها عن أُمّتك.

وكانت الأُمم السالفة إذا همّ أحدهم بسيّئة ثمّ لم يعملها لم تكتب عليه، وإن عملها كتبت عليه سيّئة، وإنّ أُمّتك إذا همّ أحدهم بسيّئة ثمّ لم يعملها كتبت له حسنة، وهذه من الآصار التي كانت عليهم، فرفعت ذلك عن أُمّتك.

وكانت الأُمم السالفة إذا أذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم، وجعلت توبتهم من الذنوب ان حرمت عليهم بعد التوبة أحب الطعام إليهم، وقد رفعت ذلك عن أُمّتك، وجعلت ذنوبهم فيما بيني وبينهم، وجعلت عليهم ستوراً كثيفة، وقبلت توبتهم بلا عقوبة ولا أُعاقبهم بأن أُحرّم

---

١ ـ مثبوراً: أي مهلكاً، وقيل: ملعوناً مطروداً. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٣٥، مادة «ثبر».

عليهم أحبّ الطعام إليهم.

وكانت الأمم السالفة يتوب أحدهم من الذنب الواحد مائة سنة أو ثمانين سنة أو خمسين سنة، ثمّ لا أقبل توبته دون أن أُعاقبه في الدنيا بعقوبة، وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أُمّتك، وإنّ الرجل من أُمّتك ليذنب عشرين سنة أو ثلاثين سنة أو أربعين سنة أو مائة سنة، ثمّ يتوب ويندم طرفة عين فأغفر له ذلك كلّه.

فقال النبي ﷺ: اللّهم إذا أعطيتني ذلك كلّه فزدني قال: سل، قال: «رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ» قال تبارك اسمه: قد فعلت ذلك بك وبأُمّتك، وقد رفعت عنهم عظيم بلايا الأمم، وذلك حكمي في جميع الأمم أن لا يكلّف خلقاً فوق طاقتهم.

قال النبي ﷺ: «وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَـٰنَا» قال الله عزّ وجلّ: قد فعلت ذلك بتائبي أُمّتك، قال: «فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ»، قال الله جلّ اسمه: إنّ أُمّتك في الأرض كالشامة البيضاء في الثور الأسود، هم القادرون، وهم القاهرون، يستخدمون ولا يستخدمون لكرامتك عليّ، وحقّ عليّ أن أظهر دينك على الأديان حتّى لا يبقى في شرق الأرض وغربها دين إلّا دينك أو يؤدّون إلى أهل دينك الجزية[1].

وفي ثواب الأعمال: عن السجاد عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ أربع آيات من أوّل البقرة، وآية الكرسي، وآيتين بعدها، وثلاث آيات من آخرها، لم ير في نفسه، وماله شيئاً يكرهه، ولا يقربه الشيطان، ولا ينسى القرآن[2].

وعن جابر: عنه عليه السلام في حديث قال: قال لي الله تبارك وتعالى: وأعطيت لك ولأُمّتك كنزاً من كنوز عرشي، فاتحة الكتاب، وخاتمة سورة البقرة[3].

وروي عنه ﷺ: أنزل الله آيتين من كنوز الجنّة كتبها الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق

---

١ ـ الإحتجاج: ج ١، ص ٣٢٧ ـ ٣٣٠، احتجاجه عليه السلام على اليهود.

٢ ـ ثواب الأعمال: ص ١٠٤، ثواب من قرأ أربع آيات من أوّل البقرة.

٣ ـ بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ٢٣٠، ح ١٠، باب ٢٩ ـ فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها.

بألفي سنة، من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام اللّيل[١].

وفي رواية: من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه[٢].

وفي ثواب الأعمال: عن الصادق عليه السلام من قرأ سورة البقرة، وآل عمران، جاءتا يوم القيامة تظلّانه على رأسه مثل الغمامتين أو مثل الغيابتين، يعني المظلّتين[٣].

إلى هنا ينتهي الجزء الأوّل حسب تجزئتنا، ويليه الجزء الثاني إن شاء الله وأوّله سورة آل عمران، وذلك في شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٤ هـ.

قم المقدّسة

السيد محسن الحسيني الأميني

* * *

---

١ ـ تفسير أبي السعود: ج ١، ص ٢٧٨.

٢ ـ مجمع البيان: ج ١ ـ ٢، ص ٤٠٤؛ وتفسير أبي السعود: ج ١، ص ٢٧٨؛ وتفسير ابن الكثير: ج ١، ص ٢٩٤.

٣ ـ ثواب الأعمال: ص ١٠٤، ثواب من قرأ سورة البقرة وآل عمران.

الفهرس

«سورة الفاتحة»
(١)

«سورة البقرة»
(٢)

مصادر التحقيق

١ ـ الإحتجاج: لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، منشورات القدس ـ إيران.

٢ ـ إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي، منشورات دار الفكر ـ بيروت.

٣ ـ إرشاد القلوب: للشيخ أبو محمّد الحسن بن محمّد الديلمي، منشورات الشريف الرضي، إيران ـ قم.

٤ ـ أسرار الصلاة: للشهيد قدس سره.

٥ ـ الإعتقادات في دين الإماميّة: للشيخ الصدوق، منشورات محلاتي إيران ـ قم.

٦ ـ اعلام الورى لأعلام الهدى: للشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران ـ قم.

٧ ـ اقبال الأعمال: للسيد ابن طاووس، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٨ ـ الأمالي للشيخ الصدوق: منشورات الأعلمي، بيروت ـ لبنان.

٩ ـ الأمالي للشيخ الطوسي: منشورات دار الثقافة، إيران ـ قم.

١٠ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لعبدالله بن عمر البيضاوي، أُفست إيران.

١١ ـ بحار الأنوار: للعلامة المجلسي، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

١٢ ـ البرهان في تفسير القرآن: للعلامة السيد هاشم البحراني، منشورات اسماعيليان، إيران ـ قم.

١٣ ـ بصائرالدرجات: للشيخ محمّد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، إيران ـ طهران.

١٤ ـ تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي، منشورات دار الهداية، تحقيق مصطفى حجازي.

١٥ ـ التبيان: للشيخ الطوسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦ ـ تحف العقول: لابن شعبة الحراني، منشورات النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم.

١٧ ـ تفسير أبي السعود: للقاضي أبي السعود، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٨ ـ التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، منشورات مدرسة الإمام المهدي، إيران ـ قم.

١٩ ـ تفسير البغوي: لحسين بن مسعود الفرّاء البغوي، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٢٠ ـ تفسير روح البيان: للعلّامة الشيخ إسماعيل حقي، طبع بيروت.

٢١ ـ تفسير روح المعاني: للعلّامة الآلوسي البغدادي، منشورات دار إحياء التراب العربي، بيروت.

٢٢ ـ تفسير العياشي: لمحمّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعيّاشي، منشورات المكتبة العلميّة الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٢٣ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للعلّامة حسن بن محمّد بن حسين القمّي النيسابوري، منشورات دار الجيل ـ بيروت.

٢٤ ـ تفسير فرات الكوفي: لفرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق محمّد كاظم، إيران.

٢٥ ـ تفسير القرآن العظيم: لإسماعيل بن كثير، منشورات دار القلم.

٢٦ ـ تفسير القرآن الكريم: لصدر المتألهين الشيرازي، منشورات بيدار، إيران ـ قم.

٢٧ ـ تفسير القمّي: لعلي بن إبراهيم القمّي، منشورات دار الكتاب للطباعة والنشر، إيران ـ قم.

٢٨ ـ تفسير الكبير للفخر الرازي: الطبعة الثالثة، إيزان ـ قم.

٢٩ ـ تفسير الكبير المسمّى البحر المحيط: لأبي حيّان، منشورات مؤسسة التاريخ العربي دار إحياء التراث العربي.

٣٠ ـ التوحيد: للشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ـ قم.

٣١ ـ تهذيب الأحكام: للشيخ الطوسي، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٣٢ ـ ثواب الأعمال: للشيخ الصدوق، منشورات الشريف الرضي، إيران ـ قم.

٣٣ ـ جامع الأُصول: لابن أثير الجزري، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٣٤ ـ جامع البيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، منشورات دار الجيل ـ بيروت.

٣٥ ـ الجامع الصغير للإمام السيوطي: منشورات دار الفكر، بيروت.

٣٦ ـ الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، منشورات دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣٧ ـ جوامع الجامع: للشيخ الطبرسي، منشورات جامعة طهران، إيران ـ طهران.

٣٨ ـ الخرائج والجرائح: لقطب الدين الراوندي، منشورات مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام إيران ـ قم.

٣٩ ـ الخصال: للشيخ الصدوق، نشر جماعة المدرسين، إيران ـ قم.

٤٠ ـ الدر المنثور: للإمام السيوطي، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران ـ قم.

٤١ ـ ديوان الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، منشورات الشريف الرضي ـ قم.

٤٢ ـ الذريعة: للشيخ أغا بزرك الطهراني، منشورات دار الأضواء، بيروت.

٤٣ ـ روضة الواعظين: للفتال النيسابوري، منشورات الرضي، إيران ـ قم.

٤٤ ـ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: للمحدث الشيخ عباس القمي، دار الاسوة للطباعة والنشر، إيران ـ قم.

٤٥ ـ سنن أبي داود: لأبي داود السجستاني، منشورات دار إحياء السنّة النبويّة.

٤٦ ـ سنن الترمذي: لمحمّد بن عيسى بن سورة، منشورات دار الفكر ـ بيروت.

٤٧ ـ سنن النسائي: لأحمد بن شعيب النسائي، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٤٨ ـ شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران ـ طهران.

٤٩ ـ الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهري، منشورات دار العلم للملايين، بيروت.

٥٠ ـ صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري، منشورات دار إحياء التراث العربي، لبنان ـ بيروت.

٥١ ـ الصحيفة الكاملة السجاديّة: لزين العابدين وسيّد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٥٢ ـ عدة الاصول: للشيخ الطوسي، منشورات مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر، إيران.

٥٣ ـ علل الشرائع: للشيخ الصدوق، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٤ ـ عوالي اللآلي العزيزيّة: لابن أبي جمهور، منشورات العراقي ـ إيران.

٥٥ ـ عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام: للشيخ الصدوق، منشورات جهان، إيران ـ طهران.

٥٦ ـ كتاب الغيبة: للشيخ الطوسي، منشورات مكتبة بصيرتي، إيران ـ قم.

٥٧ ـ كتاب الفهرست للنديم: لأبي الفرج محمّد بن إسحاق المعروف بالنديم.

٥٨ ـ القاموس المحيط: للشيخ الفيروزآبادي، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٥٩ ـ الكافي: للشيخ الكليني، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٦٠ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: منشورات أدب الحوزة، إيران.

٦١ ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: للعلّامة أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي فتح الإربلي، منشورات دار الكتاب الإسلامي، بيروت ـ لبنان.

٦٢ ـ كمال الدين وتمام النعمة: للشيخ الصدوق، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ـ قم.

٦٣ ـ كنز العمال: للعلّامة علي التقي الهندي، منشورات مؤسسة الرسالة، لبنان.

٦٤ ـ لسان العرب: لابن منظور، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٥ ـ مجازات النبويّة: للشريف الرضي، منشورات مكتبة البصيرتي، إيران ـ قم.

٦٦ ـ مجمع البحرين: للشيخ الطريحي، منشورات المكتبة المرتضويّة، إيران ـ قم.

٦٧ ـ مجمع البيان: للشيخ الطبرسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٨ ـ المجموع شرح المهذب: للإمام النوري، منشورات دار الفكر ـ بيروت.

٦٩ ـ محجة البيضاء: للفيض الكاشاني، منشورات جماعة العلماء بقم، إيران ـ قم.

٧٠ ـ المحاسن: لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي، منشورات المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، إيران ـ قم.

٧١ ـ مستدرك وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، إيران ـ قم.

٧٢ ـ مصابيح السنة: لحسين بن مسعود الفراء البغوي، منشورات دار المعرفة بيروت.

٧٣ ـ مصباح الشريعة: للإمام الصادق عليه السلام، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٧٤ ـ مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: للشيخ الطوسي، منشورات إسماعيل الأنصاري، إيران.

٧٥ ـ المصباح المنير: للفيومي، منشورات دار الهجرة، إيران ـ قم.

٧٦ ـ معاني الأخبار: للشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، إيران ـ قم.

٧٧ ـ معجم البلدان: للشيخ الحموي الرومي البغدادي، منشورات دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٧٨ ـ مفاتيح الغيب: لصدر الدين الشيرازي، منشورات مركز الثقافي، إيران.

٧٩ ـ مناقب آل أبي طالب: لأبي جعفر رشيد الدين محمّد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، منشورات مؤسسة انتشارات علامة، إيران ـ قم.

٨٠ ـ من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق، منشورات دار الكتب الإسلاميّة، إيران ـ طهران.

٨١ ـ الميزان في تفسير القرآن: للعلّامة الطباطبائي، منشورات إسماعيليان، إيران ـ قم.

٨٢ ـ نور الثقلين: للعلّامة الحويزي، منشورات دار الكتب العلميّة إسماعيليان، إيران ـ قم.

٨٣ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمّد الجزري، ابن الأثير، منشورات المكتبة الإسلاميّة، بيروت.

٨٤ ـ نهج البلاغة: للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق صبحي صالح، منشورات دار الهجرة، إيران ـ قم.

٨٥ ـ الوافي: للفيض الكاشاني، منشورات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، اصفهان ـ إيران.

٨٦ ـ وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات المكتبة الإسلاميّة، إيران ـ طهران.